تأويلات القرآن

لابى منصور محمد بن محمد الماتريدى السمرقندى

تحقيق
الدكتور ارطغرل بوينوقالين

مراجعة
الاستاذ الدكتور بكر طوبال اوغلى

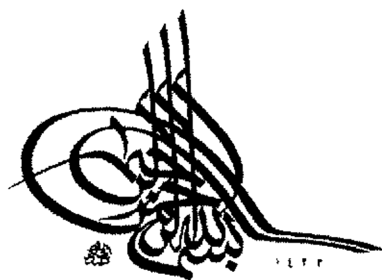
الجزء الخامس

الانعام - الاعراف





دار الميزان



ISBN 975-9048-01-9 (Tk.)
ISBN 975-9048-05-1

الكتابة والتنسيق
علي حيدر أولوصوي

دار الميزان
MİZAN YAYINEVİ

استانبول ٢٠٠٦

تأويلات القرآن

١٤٢٥

لابي منصور محمد بن محمد الماتريدي السمرقندي

٣٣٣ هـ / ٩٤٤ م

تحقيق
الدكتور ارطغرل بوينوقالين

مراجعة
الاستاذ الدكتور بكرطوپالاوغلى

الجزء الخامس
الانعام - الاعراف

استانبول ٢٠٠٦

دار الميزان
MİZAN YAYINEVİ

النسخ الخطية لكتاب *تأويلات القرآن* التي التزمنا بها في التحقيق

ك: نسخة كوبريلي - مكتبة كوبريلي، تحت رقم ٤٧، ٤٨.

ن: نسخة نور عثمانية - مكتبة نور عثمانية، تحت رقم ١٢٤.

ع: نسخة عاطف أفندي - مكتبة عاطف أفندي، تحت رقم ٧٦، ٧٧.

م: نسخة مهرشاه - مكتبة سليمانية، قسم مهرشاه، تحت رقم ١٧٦.

شرح تأويلات القرآن: لأبي بكر علاء الدين محمد بن أحمد السمرقندي، نسخة حميدية - مكتبة سليمانية، قسم حميدية، تحت رقم ١٧٦.

الاختصارات:

صح هـ: ورد التصحيح بهامش النسخة الخطية.

ك هـ: هامش النسخة الخطية بمكتبة كوبريلي الخ.

و: وجه الورقة لنسخة مهرشاه التي اتخذت أصلا للتحقيق.

ظ: ظهر الورقة لها.

- : إشارة إلى الكلمة أو العبارة الناقصة في النسخة.

+ : إشارة إلى الكلمة أو العبارة الزائدة في النسخة.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الأنعام

بسم الله الرحمن الرحيم.[1]

﴿اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾[١]

قوله عز وجل: **الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض؛ الحمد** هو الثناء عليه بما صنع إلى خلقه من الخير. ألا ترى أن الذم نقيضه في الشاهد، ويحمد المرء بما يصنع من الخير ويذم على ضده. فالتحميد هو تمجيد الرب والثناء عليه والشكر له بما أنعم عليهم. والتسبيح هو تمجيد الرب وتنزيهه عما قالت الملحدة فيه من الولد وغيره. والتهليل هو تمجيد الرب وتنزيهه عما جعلوا له من الشركاء والأضداد، والوصف له بالوحدانية والربوبية. والتكبير هو تمجيد الرب والوصف له بالعظمة والجلال، وتنزيهه عما وصفوه بالعجز والضعف عن أن يكون ينشئ[2] من العظام البالية خلقا.

وقوله تعالى: **الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور**؛ سفّههم عز وجل بما جعلوا له من الشركاء والأضداد على إقرار منهم أنه **خلق السماوات والأرض** و لم يجعلوا له شركاء في خلقهما. وعلى علم منهم أنه تعلق منافع الأرض بمنافع السماء مع بعد ما بينهما كيف جعلوا [له] شركاء يشركونهم في العبادة والربوبية؟

وقوله تعالى: **وجعل الظلمات والنور**؛ قال الحسن: **الظلمات والنور** الكفر والإيمان.[3] وقال غيره من أهل التأويل: الليل والنهار. **والنور** في الحقيقة ما يكشف عما استتر من الأبصار: أبصارِ الوجوه وأبصار القلوب. والظلمة[4] ما يستر ويغطي على الأبصار: أبصارِ الوجوه وأبصار القلوب.

---

[1] ع + وبه.

[2] ع م: ينشأ.

[3] *تفسير القرطبي*، ٦/٣٨٦.

[4] ع م: والظلم.

فالظلمة تجعل[1] كل شيء مستورًا[2] عليه؛ **والنور** يجعل كل شيء كان مستورًا ظاهرًا باديًا عليه. هذا هو تفسير الظلمة والنور حقيقة.

وقوله تعالى: **ثم الذين كفروا بربهم يعدلون**؛ قيل: يشركون مع ما بين لهم ما يدل على وحدانية الرب وربوبيته. أي جعلوا كل ما يعبدونه دون الله عديلا لله، وأثبتوا المعادلة بينه وبين الله تعالى. وليس لله تعالى عَدِيل ولا نَدِيد[3] ولا شريك ولا ولد ولا صاحبة؛ تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا. وقال الحسن: **بربهم يعدلون**، أي يكذبون.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾[٢]

وقوله تعالى: **هو الذي خلقكم من طين**، أي خلق آدم أبا البشر من طين؛ فأما خلق بني آدم فمن ماء،[4] كقوله تعالى: وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ.[5] أخبر الله تعالى أنه خلق آدم من الطين، وخلق بني آدم سوى عيسى عليه السلام من النطفة، وخلق عيسى عليه السلام لا[6] من الطين ولا من / الماء ليعلموا[7] أنه قادر على إنشاء الخلق لا من شيء، [٢٠٣ظ] وأنه لا اختصاص[8] للخلق بشيء، ولا ينكروا[9] أيضًا إنشاء الخلق وإحياءهم [بعد] موتهم. وذلك لأنه لا يخلو إما أن صاروا ترابًا أو ماء أو لا ذا ولا ذا. فإذا رأوا أنه خلق آدم من الطين وخلق سائر الحيوان من الماء وخلق عيسى عليه السلام لا من هذين كيف أنكروا إنشاء الخلق بعد الموت وهو لا يخلو من هذه الوجوه التي ذكرنا؟ فيكون دليلا على منكري البعث بعد الموت، وعلى الدهرية في إنشاء الخلق لا من شيء، فإنهم ينكرون ذلك ويحيلونه. ولهذا وقعوا في القول بقدم العالم. ***والله الهادي***.

ويحتمل قوله: **هو الذي خلقكم من طين**، أن يراد به[10] في حق جميع بني آدم.

---

[1] ع م: يجعل.
[2] ع: مستور.
[3] النَّدِيد بمعنى المِثْل والنَّظِير، وكذلك النِّدّ (*لسان العرب* لابن منظور، «ندد»).
[4] ع م: من ماء.
[5] سورة المؤمنون، ١٢/٢٣.
[6] م – لا.
[7] م: ليعلما.
[8] ع: لاختصاص.
[9] ع م: ولا ينكرون.
[10] ع – به.

وأضاف خلقنا[1] إلى الطين، وكان الخلق من الماء،[2] لما أبقى في خلقنا[3] من قوة ذلك الطين الذي في آدم وأثره وإن لم نَرَ[4] تلك القوة وذلك الأثر. وهذا كما أن الإنسان يرى أنه يأكل ويشرب ويغتذي، ويحصل به زيادة قوة في سمعه وبصره وفي جميع جوارحه، وقد يحيا بها جميع الجوارح وإن لم يَرَ تلك القوة. فكذلك هذا. ويحتمل أيضا على ما روي في القصة أنه يُمازَج مع النطفة شيءٌ من التراب، فيؤمر الملك بأن يأخذ شيئًا من التراب من المكان الذي حُكم بأن يدفن فيه، فيُخلَط بالنطفة فيصير علقة ومضغة؛ فإنما نسبهم إلى التراب لهذا. ويحتمل النسبة إلى التراب وإن لم يكونوا من التراب لما أن أصلهم من التراب؛ وهو آدم.

وقوله تعالى: **ثم قضى أجلا وأجل مسمى**؛ فالقضاء يتوجه إلى وجوه كلها ترجع إلى معنى انقطاع الشيء وتمامه. وقد يكون لابتداء فعل وإنشائه،[5] كقوله تعالى: فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ.[6] ويقال: قضيت هذا الثوب، أي عملته وأحكمته. وقد يكون بمعنى الأمر، قال الله تعالى: وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ،[7] أي أمر ربك؛ لأنه أمر قاطع محتَم. وقد يكون بمعنى الإعلام، قال تعالى: وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ،[8] أي أعلمناهم إعلامًا قاطعًا. وقد يكون لبيان الغاية والانتهاء عنه والختم، كقوله تعالى: **ثم قضى أجلا**، أي ختم ذلك وأتمه.[9] وقد يكون[10] غير ما ذكرنا.

---

[1] ع: خلقنا.

[2] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿فلينظر الإنسان مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب﴾ (سورة الطارق، ٨٦/٥-٧). وانظر أيضا: الأنبياء، ٢١/٣٠؛ والنور، ٢٤/٤٥؛ والفرقان، ٢٥/٥٤؛ والسجدة، ٣٢/٨.

[3] ع: خلقنا.

[4] ع م: وإن لم يره.

[5] ك ن - سورة الأنعام بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض الحمد هو الثناء عليه بما صنع إلى خلقه من الخير... -إلى قوله- ...فالقضاء يتوجه إلى وجوه كلها ترجع إلى معنى انقطاع الشيء وتمامه وقد يكون لابتداء فعل وإنشائه.

[6] يقول الله تعالى حاكيا قول السحرة لفرعون: ﴿قالوا لَنْ نُؤْثِرَكَ على ما جاءنا من البينات وَالذي فَطَرَنَا فَاقْضِ ما أنت قاضٍ إنما تَقْضِي هذه الحياة الدنيا﴾ (سورة طه، ٢٠/٧٢).

[7] سورة الإسراء، ١٧/٢٣.

[8] ﴿وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لَتُفْسِدُنَّ في الأرض مَرَّتين ولَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كبيرًا﴾ (سورة الإسراء، ١٧/٤).

[9] ك ن ع - ويقال قضيت هذا الثوب أي عملته وأحكمته وقد يكون بمعنى الأمر قال الله تعالى وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه أي أمر ربك لأنه أمر قاطع محتم وقد يكون بمعنى الإعلام قال تعالى وقضينا إلى بني إسرائيل أي أعلمناهم إعلامًا قاطعًا وقد يكون لبيان الغاية والانتهاء عنه والختم كقوله تعالى ثم قضى أجلا أي ختم ذلك وأتمه؛ ك ع + ويكون بيان الغاية ويكون الأمر؛ ن + ويكون بيان الغاية.

[10] ك ن ع: ويكون.

ثم قوله: **قضى أجلاً**، يحتمل هذا كله سوى الأمر. ثم قوله: **قضى أجلا**، قيل: هو الموت. **وأجل مسمى**، يوم القيامة. أَطْلَعَنَا على أحد الأجلين، وهو الموت؛ لأنا نرى من يموت ونُعاين؛ ولم يطلعنا على الآخر، وهو الساعة والقيامة. وقيل: **قضى أجلاً**، أجل الدنيا مِنْ خَلْقِك إلى أن تموت.[1] **وأجل مسمى عنده**، يوم القيامة.

وقوله[2] عز وجل: **ثم أنتم تمترون**، أي تشكّون وتكذّبون بعد هذا كله.

﴿وَهُوَ اللهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾[٣]

وقوله عز وجل: **وهو الله في السماوات وفي الأرض**؛ هذا -والله أعلم- صلة قوله: اَلْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ.[3] أخبر أنه خالق السماوات والأرض؛[4] فإذا كان خالقهما لم يَشركه أحد في خلقهما كان إله من في السماوات وإله من في الأرض لم يَشركه أحد في ألوهيته ولا في ربوبيته. ويحتمل قوله: **وهو الله في السماوات وفي الأرض**، أي إلى الله[5] تدبير ما في السماوات وما في الأرض، وحفظه إليه؛ لأنه هو المتفرد بخلق ذلك كله، فإليه حفظ ذلك وتدبيره.

وقوله عز وجل: **يعلم سركم وجهركم**، اختلف فيه. قيل: **يعلم سركم**، ما تضمرون في القلوب؛ **وجهركم**، ما تنطقون؛ **ويعلم ما تكسبون**، من الأفعال التي عملت[6] الجوارح. أخبر أنه يعلم ذلك كله ليعلموا أن ذلك كله يحصيها ليحاسبهم على ذلك، كقوله: وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللهُ؛[7] أخبر أنه يحاسبهم بما أبدَوه وما أخفَوه. فعلى ذلك الأول[8] فيه إخبار[9] أن ذلك كله يحصيه عليهم ويحاسبهم في ذلك ليكونوا على حذر من ذلك وخوف. وقيل: **يعلم سركم**، ما خلق فيهم من الأسرار من نحو السمع والبصر وغيرهما؛

---

[1] ن ع م: أن يموت.
[2] ن: قوله.
[3] سورة الأنعام، ١/٦.
[4] ن م - أخبر أنه خالق السماوات والأرض.
[5] ع - الله.
[6] ن: علمت.
[7] سورة البقرة، ٢٨٤/٢.
[8] ن ع م: الأولى.
[9] ك: اختار.

لأن البشر لا يعرفون ماهية[١] هذه الأشياء وكيفيتها، ولا يرون ذلك كما يرون غيرها من الأشياء، ولا يعرفون[٢] حقائقها. أخبر أنه يعلم ذلك وأنتم لا تعلمون. وقوله عز وجل: **وجهركم**، أي الظواهر منكم. **ويعلم ما تكسبون**، من الأفعال والأقوال.

﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾[٤]

وقوله عز وجل: **وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين**، يحتمل **وما تأتيهم من آية من آيات** توحيده، أو **من آيات** إثبات رسالة[٣] محمد ونبوته صلى الله عليه وسلم. ويحتمل[٤] في إثبات البعث والنشور بعد الموت، لما أخبر أنه خلقهم من طين، فإذا ماتوا صاروا ترابًا. فإذا كان[٥] بَدْءُ إنشائهم من طين فإذا عادوا إليه يقدر على إنشائهم ثانيًا؛ إذ ليس إنشاء الثاني بأعسر من الأول. ثم تحتمل[٦] الآيات آيات القرآن. وتحتمل[٧] الآيات ما كان أتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم من الآيات سوى آيات القرآن. ثم أخبر عن تعنتهم ومكابرتهم بقوله: **وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين**، فإذا أعرضوا عنها لم ينتفعوا بها؛ لِيُعْلَمَ أنه إنما ينتفع بالآيات من تأمّلها ونظر فيها لا من أعرض عنها.

ثم سورة الأنعام إنما نزلت في محاجّة أهل الشرك. ولو لم يكن القرآن معجزًا كانت سورة الأنعام معجزة؛ لأنها نزلت في محاجة أهل الشرك في إثبات التوحيد والألوهية لله والبعث.[٨] فكيف وقد جعل الله القرآن آية معجزة أعجز البشر عن إتيان[٩] مثله؟ ولم يكن يومئذ / يُعْرَفُ [٢٠٤و] التوحيد والبعث، كانوا كلهم كفارًا عبدة الأوثان والأصنام. فلا يحتمل[١٠] أن يكون رسول الله

---

[١] ك ن ع: مائية.
[٢] ن: لا يعرفون.
[٣] ن + سيدنا.
[٤] ع م − ويحتمل.
[٥] ع م: فإذا كانوا.
[٦] ن ع م: ثم يحتمل.
[٧] ن ع م: ويحتمل.
[٨] ع: وبالبعث.
[٩] م: عن إثبات.
[١٠] جميع النسخ: لا يحتمل.

ألّف[1] ذلك[2] وأنشأه[3] من ذات نفسه، لِيُعْلَمَ أنه إنما عرف ذلك بالله.

وفيه دلالة إثبات المحاجة في التوحيد والمناظرة فيه؛ لأن أكثرها نزلت في محاجة أهل الشرك، وهم كانوا أهل[4] شرك وينكرون البعث والرسالة، فنزل أكثرها[5] في محاجتهم في التوحيد وإثبات البعث والرسالة.

وفيه أنه إذا ثبت فساد قول أحد الخصمين ثبت صحة قول الآخر؛ لأن إبراهيم لما قَالَ هٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ،[6] أثبت فساد عبادة من يعبد الآفل بالأُفُول.

﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾[٥]

وقوله عز وجل: **فقد كذبوا بالحق لما جاءهم**؛ يحتمل الحق الآيات التي كان يأتي بها رسول الله صلى الله عليه وسلم من آيات التوحيد وآيات البعث. ويحتمل القرآن. ولو لم يكن أتى[7] رسول الله صلى الله عليه وسلم بآية لكانت[8] نفسه آية عظيمة من أول نشأته[9] إلى آخر عمره، لأنه عُصِم حتى لم يأت منه ما[10] يُسْتَسْمَجُ ويُسْتَقْبَحُ قط. فدل [على] أن ذلك إنما كان[11] لما جعله آية في نفسه وموضعًا لرسالته. وعلى ذلك تخرج[12] إجابة أبي بكر رضي الله عنه في أول دعوة دعاه إلى ذلك لما كان رأى منه آيات، فلما دعاه أجابه في ذلك.[13] مع ما كان معه آيات عظيمة وأعلام عجيبة.

---

[1] ع – ألف.
[2] م: ذلك ألف.
[3] جميع النسخ: وأنشأ. وعبارة السمرقندي هكذا: «فلا يحتمل أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم ألف هذه السورة وأنشأها من ذات نفسه وبين فيها دلائل التوحيد والبعث بحيث يعجز عن بيان ذلك من يفنى عمره في التعليم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٤٢و).
[4] ع: هل.
[5] ع م: أكثر ما.
[6] سورة الأنعام، ٧٦/٦.
[7] ع: التي؛ م: يأتي.
[8] جميع النسخ: كانت. والتصحيح مستفاد من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٤٢و.
[9] ك ن ع: نشاه.
[10] م – ما.
[11] ع م – إنما كان.
[12] ن: يخرج؛ ع م – تخرج.
[13] م – في ذلك.

وقوله عز وجل: **فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون**،[١] معناه -والله أعلم- أي **يأتيهم**[٢] وينزل بهم ما نزل بالمستهزئين. وإلا كان: أتاهم أنباء ما نزل بالمستهزئين. ولكن معناه ما ذكرنا، أي ينزل بهم ويحل ما نزل وحل[٣] بالمستهزئين. ويحتمل وجهًا آخر قوله: **فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون**، وهو العذاب؛ لأن الرسل كانوا يوعدونهم أن ينزل بهم العذاب بتكذيبهم الرسل، فعند ذلك يستهزئون بهم، كقوله: عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا،[٤] وكقوله: وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ،[٥] وغير ذلك، وكقوله:[٦] وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ؛[٧] فأخبر أنه ينزل بهم ذلك كما نزل بأولئك.

﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾[٦]

قوله[٨] عز وجل: **ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن**؛ قال الحسن: **ألم يروا**، أ لم يعتبروا **كم أهلكنا من قبلهم من قرن**. وقال أبو بكر الكيساني:[٩] **ألم يروا**، قد رأوا **أنا أهلكنا من قبلهم من قرن**. وهو واحد. قد رأوا آثار الذين أهلكوا بتكذيبهم الرسل وتعنتهم ومكابرتهم، لكنهم لم يعتبروا بذلك.

وقوله عز وجل: **مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم**؛ قال بعضهم: أعطيناهم من الخير والسعة والأموال **ما لم نمكن لكم** يا أهل مكة، أي لم نعطكم. ثم إذا كذبوا الرسل أهلكهم الله تعالى وعاقبهم بأنواع العقوبة. ويحتمل **مكناهم في الأرض** من القوة[١٠] والشدة، كقوله:

---

[١] ن + الآية.
[٢] ع م: أن يأتيهم.
[٣] ع: وجل.
[٤] ﴿وقالوا ربّنا عَجِّل لنا قِطَّنا قبل يوم الحساب﴾ (سورة ص، ١٦/٣٨).
[٥] سورة الحج، ٤٧/٢٢.
[٦] ع م - وكقوله.
[٧] سورة الأنفال، ٣٢/٨.
[٨] ك ع م: وقوله.
[٩] ع: أبي بكر الكسائي.
[١٠] م: القوة.

وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً.[١] ثم مع شدة قوتهم أهلكوا إذا كذبوا الرسل. ويحتمل وجهًا آخر: **مكناهم في الأرض**، أي في قلوب الناس[٢] من نفاذ القول وخضوع الخلق[٣] لهم؛ لأنهم كانوا ملوكا وسلاطين الأرض من نحو نُمْرُود[٤] وفرعون وعاد. مع ما كانوا كذلك أهلكوا إذا كذبوا الرسل. وأنتم يا هؤلاء ليس لكم شيء من ذلك، أفلا تهلكون إذا كذبتم الرسل؟ وإنما حملهم على تكذيب الرسل –والله أعلم– لما كانوا ذا سعة وقوة فلم يروا الخضوع لمن دونهم في ذلك، لما رأوا الأمر بالخضوع لمن دونهم في ذلك[٥] جورًا غير حكمة. وإنما أخذوا ذلك من إبليس اللعين حيث قال عند أمره بالسجود لآدم: قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ.[٦] فعلى ذلك هؤلاء الكفرة رأوا الأمر بالخضوع لمحمد صلى الله عليه وسلم جورًا منه، حتى قالوا: لَوْلَا نُزِّلَ هٰذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ.[٧]

وقوله عز وجل: **وأرسلنا السماء عليهم مدرارًا**؛ قال القُتَبي: **مدرارًا** بالمطر، أي غزيرا،[٨] مِنْ دَرَّ يَدِرُّ.[٩] وقال أبو عوسجة: أي دَرّت عليهم السماء بالمطر، أي كثر ودام وتتابع واحدا بعد واحد في وقت الحاجة. **وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم**؛ أخبر[١٠] عن سعة[١١] أولئك وما أنعم[١٢] عليهم من كثرة الأمطار والأنهار ما لم يكن ذلك لهؤلاء. ثم مع ما كان أعطاهم ذلك أهلكهم إذا كذبوا الرسل.

فإن قيل: ذَكَر إهلاك أولئك[١٣] وخوف هؤلاء[١٤] بذلك[١٥] بتكذيبهم الرسل؛ وقد أهلك الرسل والأولياء من قبل.

---

[١] ﴿فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون﴾ (سورة فصلت، ٤١/١٥).

[٢] ك ن: الخلق.

[٣] ك ن: الناس.

[٤] ك: نمروذ.

[٥] ع م – لما رأوا الأمر بالخضوع لمن دونهم في ذلك.

[٦] سورة الأعراف، ٧/١٢.

[٧] سورة الزخرف، ٤٣/٣١.

[٨] ع: أي غريزا.

[٩] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٥٠.

[١٠] ك ن: يخبر؛ ع: ايخبر.

[١١] ك: عن سفه.

[١٢] م: وأنعم.

[١٣] ع م: هؤلاء.

[١٤] ع م: أولئك.

[١٥] م: ذلك.

قيل: لأن إهلاك[1] أولئك إهلاك عقوبة وتعذيب؛ لأنه كان أهلكهم إهلاك[2] استئصال واستيعاب خارجا من الطبع. وأهلك أولئك الرسل والأولياء لا إهلاك[3] عقوبة خارجا من الطبع. لذلك كان[4] ما ذكرنا.[5]

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾[٧]

وقوله عز وجل: **ولو نزلنا عليك كتابًا في قرطاس فلمسوه بأيديهم**، يخبر بشدة[6] تعنتهم أنهم وإن أُوتُوا[7] ما سألوا من الآيات لم يؤمنوا به؛ لأنهم كانوا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُنَزَّل كتابًا يعاينونه[8] ويقرءونه، كقوله: وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ،[9] وكقوله: لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً.[10] ونحوه[11] من الآيات. يقول: **ولو نزلنا عليك كتابًا في قرطاس**، أي في صحيفة مكتوبة[12] يعلمون أنه[13] لم يكتب في الأرض، ولمسوه بأيديهم وعاينوه لم يؤمنوا[14] به ولا صدقوه، وقالوا: **إن هذا إلا سحر مبين**. يُصبّر[15] رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم لا يؤمنون، ويخبره بشدة تعنتهم أنهم لا يؤمنون وإن جئت بكل آية.

---

[1] : الهلاك.

[2] : ع م: هلاك.

[3] ن ع م: لا هلاك.

[4] ن - كان.

[5] ك ن ع: ما ذكر. وعبارة الشارح هكذا: «فإن قيل: ذَكَر إهلاك أولئك وخوف هؤلاء الكفرة بتكذيبهم الرسل عليهم السلام بذلك، وقد أهلك الأنبياء والرسل عليهم السلام، فإن إهلاك الكل بإهلاك الله تعالى، فما معنى التحذير بالإهلاك؟ قيل: بل الإهلاك في الحقيقة من الله تعالى، لكن من العباد أسباب ذلك. والإهلاك من الله تعالى نوعان أيضا: إهلاك عقوبة وتعذيب، وهو إهلاك الاستئصال والاستيعاب خارجا من الطبع تسليما لهم إلى النار؛ وإهلاك كرامة وتعجيل إلى دار النعمة وإنجاء من محن الدنيا تحقيقا لما رأى من الحكم. والله أعلم» (*شرح التأويلات*، ورقة ٢٤٢ظ).

[6] ن ع م: لشدة.

[7] ن ع م: وإن أتوا.

[8] ك ن م: يعاينوه؛ ع: يعاينوا.

[9] سورة الإسراء، ١٧/٩٣.

[10] سورة الفرقان، ٢٥/٣٢.

[11] ع: ونحو.

[12] جميع النسخ: مكتوب.

[13] أي الكتاب.

[14] ن: ولم يؤمنوا.

[15] يقال: صَبّره وأَصْبَره: أي أمره بالصبر وجعل له صبرا (*القاموس المحيط* للفيروزآبادي، «صبر»).

إذ قد أتاهم من الآيات ما إن تأملوا ولم يتعنتوا[1] لدلتهم على ذلك، لكنهم أعرضوا عنها ولم يتأملوا / فيها لتعنتهم وشدة مكابرتهم. *والله أعلم.* [٢٠٤ظ]

﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ﴾[٨]

وقوله عز وجل: **وقالوا لولا أنزل عليه ملك**؛ إن مشركي العرب كانوا لا يعرفون الرسل ولا الكتب ولا كانوا آمنوا برسول ولا كتاب. فقالوا: لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا،[2] ونحوه من السؤال، يسألون إنزال الملك. ثم يحتمل سؤالهم إنزال الملك لما لم يكونوا رأوا الرسل يكونون من البشر، وإنما رأوا الرسول[3] إن كان يكون ملكا، فقالوا: لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ. ويحتمل أن يكون سؤالهم إنزال الملك سؤال عناد وتعنت لا سؤال طلب الرسول من الملائكة. فقال: **ولو أنزلنا ملكا** على ما سألوا **لقضي الأمر**؛ أي إن الملك إذا نزل على أثر سؤال العناد والتعنت ينزل[4] بالعذاب والهلاك. فهذا يبين أن سؤالهم [كان] سؤال تعنت وعناد.

وقوله عز وجل: **لقضي الأمر ثم لا ينظرون**، أي[5] إنهم كانوا يسألون[6] إنزال الملك آية لصدقه عليه السلام؛ فقال: **ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر ثم لا ينظرون**، أي يُهلَكون، لأن الآيات إذا نزلت على أثر سؤال القوم ثم خالفوا تلك الآيات وكذبوها لنزل بهم العذاب والهلاك. وإن جاءت الآيات على غير سؤال فكذّبوها يُمهَلون ولا يُعذَّبون عند تكذيبهم إياها. *والله أعلم.*

[٢٠٤ظ س٢٠] * فإن قال لنا ملحد في قوله: **لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر**: سألوا أن ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الملك، وقال: **ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر.**[7] وأنتم تقولون: إنه قد أنزل عليه الملك، وهو أخبر لو أنزل عليه الملك لقضي الأمر، ولم يُقْضَ الأمر. كيف لا بان لكم أنه إنما اخترع[8] ذلك من نفسه لا أن الله[9] أنزل عليه[10] ذلك؟[11]

---

[1] ع: ولم يتعينوا.
[2] سورة الفرقان، ٢١/٢٥.
[3] ك م: الرسل.
[4] ع: يترك.
[5] ن ع م – أي.
[6] ن + يسألون.
[7] ك – سألوا أن ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الملك وقال ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر.
[8] ك: إنما اختار.
[9] ك: لأن الله.
[10] ع م: عليك.
[11] ع م – ذلك.

قيل: إنهم إنما سألوا أن ينزل عليهم الملك،[١] وإن لم يذكر في الآية. السؤال ما ذكر في آية أخرى كقولهم: لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا؛[٢] أو سألوا أن تأتيهم الملائكة وتأتيه، قالوا: كيف يُخَصّ هو بإتيان الملائكة دوننا وهو كواحد منا؟ كقوله: لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ.[٣] وهذا جائز أن يكون السؤال[٤] لم يذكر[٥] ويكون في الجواب بيان ذلك على ما ذكرنا من قبل في غير موضع.[٦]* [٢٠٤ظ س٢٧]

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ﴾[٩]

وقوله عز وجل: **ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا**، قيل: آدميًا بشرًا. يحتمل هذا وجوها. أي لو بعثنا الرسول **ملكا لجعلناه** على صورة البشر؛ لأنه لو كان على صورة الملائكة لصعقوا ودهشوا، لأنه ليس في وسع البشر رؤية الملك على صورته. ألا ترى أن جبريل[٧] عليه السلام إذا نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينزل على صورته، ولكن كان ينزل على صورة البشر.[٨] حتى ذكر أنه كان ينزل إليه على صورة دِحْيَةَ الكَلْبِي.[٩] وأنه متى رآه على صورته أُصْعِق[١٠] وتغير حاله، فإذا رأوا ذلك في وجهه قالوا: إنه مجنون.[١١] فقال: **ولو جعلناه ملكًا لجعلناه رجلا**، ويكون فيه ما في رسول الله من اللبس به.

---

[١] ن - لقضي الأمر ولم يقض الأمر كيف لا بان لكم أنه إنما اخترع ذلك من نفسه لا أن الله أنزل عليه ذلك قيل إنهم إنما سألوا أن ينزل عليهم الملك.

[٢] سورة الفرقان، ٢١/٢٥.

[٣] سورة الحجر، ٧/١٥.

[٤] ك ن ع: اسولة؛ م: اسؤلة.

[٥] ك ن: لم تذكر.

[٦] انظر مثلا تفسير الآية من سورة المائدة، ٤/٥.

* ورد ما بين النجمتين في آخر تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هذا الموضع. انظر: ورقة ٢٠٤ظ/سطر ٢٠-٢٧.

[٧] ك: جبرئيل.

[٨] عن مسروق قال: قلت لعائشة رضي الله عنها: فأين قوله: ﴿ثم دنا فتدلّى فكان قاب قوسين أو أدنى﴾ (سورة النجم، ٥٣/٨-٩)؟ قالت: ذاك جبريل. كان يأتيه في صورة الرجل؛ وإنه أتاه هذه المرة في صورته التي هي صورته، فسدّ الأفق (*صحيح البخاري*، بدء الخلق ٦؛ و*صحيح مسلم*، الإيمان ٢٩٠).

[٩] *مسند أحمد بن حنبل*، ١٠٧/٢. وعن أسامة بن زيد رضي الله عنه أن جبريل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أم سلمة. فجعل يحدث، ثم قام. فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأم سلمة: «من هذا؟» قالت: هذا دحية. قالت أم سلمة: ايْمُ الله ما حسبته إلا إياه حتى سمعت خطبة نبي الله صلى لله عليه وسلم يخبر جبريل (*صحيح البخاري*، المناقب ٢٥؛ و*صحيح مسلم*، فضائل الصحابة ١٠٠).

[١٠] ن ع: لصعق.

[١١] لم أجد أن الكفار كانوا يقولون للنبي: إنه مجنون بسبب تغير حالته عند رؤيته لجبريل أو تلقيه للوحي. ولكن روي أن النبي كان يتغير حاله عند الوحي، وكذلك عند رؤية جبريل على صورته الحقيقية. انظر: *مسند أحمد بن حنبل*، ٣٢٢/١؛ و*صحيح البخاري*، بدء الوحي ١، وبدء الخلق ٦؛ و*صحيح مسلم*، الإيمان ٢٥٢-٢٥٧.

والثاني **ولو جعلناه ملكًا لجعلناه** رجلا؛ لأنهم لا يعرفون صدقه[1] فيحتاجون إلى الدلائل والآيات تدلهم على أنه ملك وعلى صدقه. فذلك لا يعرف إلا بالبشر، لأنهم لا يعرفونه ولا صدقه.

وقوله[2] عز وجل: **وللبسنا عليهم ما يلبسون**؛[3] قالوا: لا تجوز[4] إضافة اللبس إلى الله تعالى إلا على المُجازاة لِلَّبْس[5] كالاستهزاء والمكر والخداع. ويحتمل قوله: **وللبسنا عليهم ما يلبسون**، أي **لو جعلناه ملكا... للبسنا عليهم ما** لبس[6] أولئك[7] على ضَعَفَتِهم[8] حيث قالوا: مَا هٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ،[9] ومَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا،[10] وغير ذلك من الكلام؛ لكنا لا نفعل حتى لا يكون ذلك لبسا، إذ ليس في وسعهم النظر إلى الملك، ولو جعلنا ذلك ملكا لكان ذلك لبسًا.*

﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾[١٠]

وقوله عز وجل: **ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون**، يُصبّر رسوله على تكذيب قومه ليعلم أنه ليس هو أولَ مكذب، ولكن قد كذب الرسل الذين من قبلك، ويخبره أنه يلحق هؤلاء بتكذيبك كما لحق أولئك بتكذيبهم الرسل.

وقوله عز وجل: **فحاق**؛ قال أبو عوسجة: **حاق**[11] أي رجع؛ يقال: حاق يحيق حَيْقا، أي رجع عليهم. وقال الكسائي:[12] **حاق بهم**، أي أحاط بهم[13] ونزل.

---

[1] ن: صدقة.
[2] ن: قوله.
[3] ع م + الآية.
[4] ن ع م: لا يجوز.
[5] ك: اللبس.
[6] ع – أي لو جعلناه ملكا للبسنا عليهم ما لبس.
[7] ك + أولئك.
[8] م: على ضعفهم.
[9] سورة المؤمنون، ٢٤/٢٣.
[10] سورة يس، ١٥/٣٦.
* وردت هنا قطعة من تفسير الآية السابقة، فقدمناها إلى ذلك الموضع. انظر: ورقة ٢٠٤ظ/سطر ٢٠-٢٧.
[11] ك – حاق.
[12] ك: الكيساني؛ ع: قال الكيساني.
[13] م: أي حاط.

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[١١]

وقوله عز وجل: **قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين**، ليس على الأمر بالسير في الأرض، ولكن على الاعتبار والتفكر فيما نزل بأولئك بتكذيبهم الرسل. لأنه[١] عز وجل أراهم آيات عقلية وسمعية فلم ينفعهم ذلك، فأراد[٢] أن يريهم آيات حسية ليمنعهم ذلك عن التكذيب والعناد.

﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[١٢]

قوله[٣] عز وجل: **قل لمن ما في السماوات والأرض قل لله**، الآية، يحتمل وجهين. أحدهما أن تخرج مخرج البيان لهم وأنه[٤] له[٥] ليس على الأمر، لأنه لو كان على الأمر لكان يذكر سؤاله لهم، ولم يذكر أنْ سَأَلَهم،[٦] ولا يحتمل[٧] أن [يسأله عنهم] ولا يخبروه[٨] ذلك. فلما لم يذكر سؤاله لهم عن ذلك، ولا يحتمل أن يأمره بالسؤال ثم لا يسأل، أو يسأل هو ولا يخبرونه،[٩] دل[١٠] أنه على البيان خرج لا على الأمر.[١١]

والثاني على أمر سبق، كقوله تعالى: قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ،[١٢]

---

[١] ك + لأنه.
[٢] ك: فأرادا.
[٣] ك ع م: وقوله.
[٤] جميع النسخ: أنه.
[٥] أي للنبي.
[٦] ن ع م: أن سؤالهم.
[٧] جميع النسخ: لا يحتمل.
[٨] جميع النسخ: لا يخبروه. والتصحيحان مع الزيادة من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٤٣ظ.
[٩] ك: ولا يخبروه.
[١٠] جميع النسخ: فدل.
[١١] قال الشارح: «ويحتمل أن يكون هذا على سبيل الإخبار والإعلام لا على سبيل الأمر. أي بين وأعلم الكفرة لمن ما في السماوات والأرض؛ لأن حرف من قد يذكر للاستفهام، وقد يذكر للإخبار، وقد يذكر للشرط. وقوله: ﴿قل لله﴾، أي أخبركم أن السماوات والأرض لله. والدليل على أنه على البيان والإخبار دون الأمر والسؤال أنه لم يذكر في الكتاب ولا ثبت في الأخبار أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للكفرة على سبيل السؤال عنهم: قولوا لمن ما في السماوات والأرض؟ ولو أمره الله تعالى بالسؤال عنهم لكان لا يحتمل أن لا يسألهم. ولا يحتمل أن يسأله عنهم ولا يخبرونه؛ فلو كان لبلغنا ذلك. فدل أن هذا على سبيل الإخبار دون الأمر والسؤال» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٤٣ظ).
[١٢] سورة المؤمنون، ٢٣/٨٤-٨٥.

وكقوله:[1] قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ -إلى قوله- سَيَقُولُونَ لِلَّهِ،[2] وقوله: قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ[3] ونحوه. كان على أمر سبق،[4] فسخرهم[5] عز وجل حتى قالوا: لله؛ كقوله: وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ،[6] ذلك تسخير[7] منه إياهم حتى قالوا: الله.[8] وفي حرف ابن مسعود وأبي بن كعب رضى الله عنهما: "قل لمن ما في السماوات والأرض / قالوا[9] لله". هذا يدل على أنه كان على أمر سبق. [٢٠٥و]

وقال بعضهم: **قل لمن ما في السماوات والأرض قل لله**، أي سلهم، فإن أجابوك فقالوا: **لله**، وإلا فقل لهم أنت: **لله**. وقال قائلون: فإن سألوك **لمن ما في السماوات والأرض قل لله**.

وقوله عز وجل: **كتب على نفسه الرحمة**، قال الحسن: **كتب على نفسه الرحمة** للتوابين أن يدخلهم الجنة، لا أحد يدخل الجنة بعمله، إنما يدخلون الجنة برحمته. وعلى ذلك جاء الخبر عن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا يدخل أحد الجنة إلا برحمته». قيل: ولا أنت يا رسول الله؟ قال:[10] «ولا أنا إلا أن يتغمّدني الله برحمته».[11] وقيل: **كتب على نفسه الرحمة** أن يجمعهم إلى يوم القيامة، أي من رحمته أن يجمعهم إلى يوم القيامة،[12] حيث جعل للعدو عذابا وللولي ثوابا. أي من رحمته أن يجمعهم جميعًا، يعاقب العدو ويثيب[13] الولي.

---

[1] ع: وقوله.

[2] ﴿قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون سيقولون لله﴾ (سورة المؤمنون، ٢٣/٨٨-٨٩).

[3] ﴿قل من رب السماوات والأرض قل الله﴾ (سورة الرعد، ١٣/١٦).

[4] ع + كقوله تعالى.

[5] ع م: فيخبرهم.

[6] سورة لقمان، ٣١/٢٥.

[7] م: تستخير.

[8] ك ن ع: لله.

[9] ك: قل.

[10] ع - قال.

[11] روي الحديث بألفاظ متقاربة. وأقربها إلى ما هنا لفظ: «لن يدخل الجنة أحد إلا برحمة الله...» (*مسند أحمد بن حنبل*، ٣/٥٢). وروي بألفاظ أخرى قريبة. انظر: صحيح *البخاري*، المرضى ١٩؛ وصحيح *مسلم*، صفة القيامة ٧١-٧٥.

[12] ن - أي من رحمته أن يجمعهم إلى يوم القيامة.

[13] ع: ويثبت.

وقيل: أي[١] من رحمته أن جعل لهم الجَمْع،[٢] فأوعد العاصي العذاب ووعد المطيع الثواب ليمنع[٣] العاصي ذلك عن عصيانه وليرغب المطيع في طاعته، وذلك من رحمته. وقال قائلون: **كتب على نفسه الرحمة** لأمة محمد أن لا يعذبهم عند التكذيب ولا يستأصلهم كما عذب غيرهم[٤] من الأمم واستأصلهم عند التكذيب. فالتأخير الذي أخرهم إلى يوم القيامة من الرحمة التي كتب على نفسه.[٥]

وقوله عز وجل: **ليجمعنكم إلى يوم القيامة**، قيل: **إلى** صلة، ومعناه **ليجمعنكم**[٦] **يوم القيامة**. وقيل: **إلى يوم القيامة**، أي ليوم القيامة، كقوله: لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ.[٧] وقال قائلون: قوله: **ليجمعنكم** في القبور **إلى يوم القيامة**، ثم يجمعكم[٨] يوم القيامة والقرونَ السالفة.

وقوله عز وجل: **لا ريب فيه**، أي لا ريب[٩] في الجمع والبعث بعد الموت عند من يعرف أن خلق الخلق للفناء خاصة -لا للبعث والإحياء بعد الموت للثواب والعقاب- ليس بحكمة.

وقوله عز وجل: **الذين خسروا أنفسهم**، قد ذكرنا.

﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[١٣]

وقوله عز وجل: **وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم**، في الآية -والله أعلم- إنباء أن الخلق كلهم تحت قهر الليل والنهار وسلطانهما مقهورين مغلوبين؛ إذ لم يكن لأحد من الجبابرة والفراعنة الامتناع عنهما ولا صرفُ[١٠] أحدهما إلى الآخر، بل يدركانهم شاءوا أو أَبَوا، وسلطانهما جار عليهم؛ ليعلموا أن لِغَيْرٍ فيهما تدبيرا، وأن قهرهما الخلق وسلطانهما كان بسلطانِ مَن له التدبير والعلم. ثم جريانهما على سَنَنٍ واحد[١١] ومجرًى واحدٍ[١٢]

---

[١] ك - أي.
[٢] ك: الجميع.
[٣] ن: فيمنع.
[٤] ع م: غيره.
[٥] ع م - على نفسه.
[٦] ع + إلى.
[٧] ﴿ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه﴾ (سورة آل عمران، ٩/٣).
[٨] ع م: ثم يجمعنكم.
[٩] م - أي لا ريب.
[١٠] ع م: أو صرف.
[١١] ع: واحد.
[١٢] ع م - ومجرى واحد.

يدل على أن منشئهما واحد ومدبرهما عليم حكيم. وقال بعض أهل التأويل: **ما سكن في الليل والنهار**، ما استقر[1] في الليل والنهار من الدواب والطير في البر والبحر، فمنها ما يستقر نهارا وينتشر ليلا، ومنها ما يستقر بالليل وينتشر بالنهار. وعن ابن عباس رضى الله عنه قال: **وله ما سكن في الليل والنهار**، وذلك أن كفار أهل مكة أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقالوا: يا محمد، إنا قد علمنا أنه ما يحملك على هذا الذي تدعو[2] إليه إلا الحاجة، فنحن[3] نجعلك في أموالنا حتى تكون[4] أغنانا رجلا وترجع عما أنت عليه؛ فنزلت:[5] **وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع** -لمقالة أولئك- **العليم**، من أين يرزقهم.[6] لكن الوجه فيه ما ذكرنا آنفا أن الخلق كلهم[7] تحت قهرهما وسلطانهما، وفيهما وجوه من الحكمة أحدها بعض ما ذكرنا لِيُعلَم أن مدبرهما واحد. وفيه نقض قول الفلاسفة، لأنهم يقولون: الظلمة كثافة ستّارة، والنور رقيق درّاك.[8] وفيهما ما ذكر من المنافع بقوله: وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا،[9] وغيره من المنافع.

وقوله[10] عز وجل: **وهو السميع**، لمن دعا له، **العليم**، بمصالح الخلق وحاجتهم.

﴿قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[١٤]

قوله:[11] **قل أغير الله أتخذ وليا**، وفي حرف ابن مسعود رضى الله عنه: "ربا"، كأن هذا صلة قوله: "قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قالوا[12] لِلهِ".[13] فإذا أقررتم أن ذلك كله لله

---

[1] م: وما استقر.
[2] ع م: تدعوا.
[3] ك: ونحن.
[4] ع: يكون.
[5] ن ع م: فنزل.
[6] ذكره القرطبي بدون تفسير الآية. انظر: *تفسير القرطبي*، ٣٩٦/٦.
[7] ك: كله.
[8] ن: درك.
[9] سورة الفرقان، ٤٩/٢٥.
[10] ن – وقوله.
[11] ك م: وقوله.
[12] ك: قل.
[13] سورة الأنعام، ١٢/٦. وقد تقدم أن قراءة ابن مسعود رويت هكذا.

فكيف تتخذون[١] له شركاء فتعبدون[٢] غير الله وهو فاطر السماوات والأرض ومنشئهما ومنشئ ما فيهما؟ كيف صرفتم العبادة إلى غير الله؟

وقوله عز وجل: **وهو يطعم ولا يطعم**، قال أهل التأويل: هو يَرزق ولا يُرزَق، ليس[٣] كمن له عبيد في الشاهد يَرزُقهم بعضَهم [من] بعض،[٤] الموالي من العبيد والعبيد من السادات، ينتفع بعضهم من بعض. فأما الله سبحانه وتعالى خلق الخلق لا لمنفعة نفسه، لأنه غني بذاته والخلق فقراء إليه، كقوله تعالى: أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ.[٥]

وقوله عز وجل: **قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم**. قال الحسن: **أولَ من أسلم** من قومه.[٦] وأصله: **إني أمرت أن أكون أول من أسلم**، أي أمرت أن أسلم[٧] وأخضع أنا أولا، ثم آمُرُكم بذلك. واحتج بعض الناس بظاهر هذه الآية أن الإسلام لا يلزم إلا بالأمر والدعاء إليه، وقالوا: إن من مات قبل أن يؤمر[٨] به وقبل أن يدعى إليه فإنه لا شيء عليه، وعلى ذلك من مات في وقت الفترة وانقطاع الرسل والوحي؛ لأنه قال: **إني أمرت أن أكون أول من أسلم**، أخبر أنه أُمِر بذلك، وإذا لم يكن ثَمَّ أَمْرٌ لم يلزم. لكن الوجه في الآية ما ذكرنا، أي أُمِرت أن أسلم وأخضع أولا، ثم آمر غيري؛ فإذا كان[٩] التأويل هذا بطل أن يكون في ذلك حجة لهم.

﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[١٥]

قوله[١٠] عز وجل: **قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم**، قال ابن عباس رضي الله عنه: **قل**، يا محمد لكفار أهل مكة: **إني أخاف**، أي أعلم،[١١] **إن عصيت ربي**، فعبدت غيره،

---

[١] ع م: يتخذون.
[٢] ن ع م: فيعبدون.
[٣] ع م: وليس.
[٤] جميع النسخ: بعضا.
[٥] سورة فاطر، ١٥/٣٥.
[٦] *تفسير القرطبي*، ٣٩٧/٦.
[٧] ع – أي أمرت أن أسلم.
[٨] ع: أن يأمر.
[٩] ع: فإذا كانت.
[١٠] ك ع م: وقوله.
[١١] قال ابن عباس: ﴿أخاف﴾ هنا بمعنى أعلم (*تفسير القرطبي*، ٣٩٧/٦).

[٢٠٥ظ] **عذاب يوم عظيم**. هذا / التأويل صحيح إن كان ما ذُكر من سؤالِهم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وعرضِهم المال عليه ليعود ويرجع إلى دينهم، فيخرج هذا على الجواب لهم.
وقال بعضهم: قوله تعالى: **إني أخاف إن عصيت ربي**، على الخوف.

لكن لقائل أن يقول: كيف خاف[١] **عذاب يوم عظيم** وقد أخبر أنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟[٢] وكيف قال: **إن عصيت**، وقد أخبر أنه عصمه وغفر له؟

قيل: يحتمل أن يكون المغفرة له على شرط الخوف، غُفر له ليَخاف عذابه.[٣]

﴿مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾[١٦]

وقوله عز وجل: **من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه**، قال بعض المعتزلة: الرحمة ههنا الجنة، لأن الله تعالى جعل في الآخرة دارين، أحدهما النار سمّاها سَخَطه،[٤] والأخرى الجنة سمّاها رحمته. وإنما حملهم على هذا أنهم[٥] لا يصفون الله بالرحمة في الأزل. فعلى قولهم يكون قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إلا أن يتغمدني الله برحمته» [فاسد المعنى]، فيصير تقديره: لا يدخل أحد الجنة إلا بجنته،[٦] [ويصير تقدير قوله: «إلا أن يتغمدني الله برحمته»][٧] أي يثيبني[٨] الجنة. ولكن سميت الجنة رحمة عندنا لما برحمته يدخلون الجنة لا بأعمالهم،

---

[١] ك - خاف؛ ع: اخاف.

[٢] يشير إلى قوله تعالى: ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾ (سورة الفتح، ٢/٤٨).

[٣] قال الشارح: «وقيل: ﴿إني أخاف إن عصيت﴾، على الخوف. والإشكال على هذا إن قال قائل: كيف خاف عذاب يوم عظيم وقد عصمه الله تعالى عن العصيان؟ والجواب أن يقال: إن المغفرة له على شرط الخوف من الله ومن العذاب، وليس معنى التعليق بالشرط في حق الله تعالى أن يوجد عند وجوده وينعدم عند عدمه، بل ذلك في حق العباد الذين لا علم لهم بعواقب الأمور، والله تعالى عالم بعواقب ما يكون وبما لا يكون أن لو كان كيف يكون. لكن في حقه أنه عَلِم في الأزل أنه يوجد ذلك الشرط منه، فيوجد ذلك المشروط، وعَلِم أنه لو لم يوجد ذلك الشرط كان ذلك المشروط أو وجد بدونه. هذا كما روي أن الصدقة تزيد في العمر، كان معناه أن الله تعالى متى علم وجود الصدقة من شخص حَكَم بعمره زائدا بشرط ذلك، مع العلم بأنه لو لم يكن يوجد منه الصدقة كان عمره أي قدر هو. فكذلك ههنا مغفرة الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم... بشرط الخوف. تفسير هذا أنه علم في الأزل أنه خائف من الله تعالى ومن عذابه... فيظهر ما علم على ما علم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٤٤و؛ ونسخة المدينة، ورقة ٢٧٢ظ).

[٤] م: سخطة.

[٥] ع م: لأنهم.

[٦] ك - فيصير تقديره لا يدخل أحد الجنة إلا بجنته.

[٧] الزيادة من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٤٤و.

[٨] ع: ان يثيبني.

لما روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال: «لا يدخل أحد الجنة إلا برحمته»، قيل:[١] ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته».[٢] وعلى قول المعتزلة لا يكون الله بالملائكة رحيما، لأنه لا جنة لهم ولا ثواب. ولكن الوجه فيه ما ذكرنا أنها سميت رحمة لما برحمته[٣] يُدْخَل فيها. وعلى هذا يخرج[٤] ما سمي المطر رحمة[٥] لما برحمته[٦] ينزل، وكذلك كل ما سمي رحمةً في الشاهد يخرج على ما ذكرناه.[٧] *والله أعلم*.

ثم قوله: **من يُصْرَفْ عنه يومئذ**، قيل: **من يصرف عنه** العذاب **يومئذ فقد رحمه**. وكذلك روي في حرف حفصة: "من يصرف عنه العذاب يومئذ فقد رحمه". وفي حرف ابن مسعود: "من يصرف عنه[٨] شر ذلك اليوم فقد رحمه". ويحتمل أن يكون قوله: **من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه**، صلة قوله: قُلْ إِنِّيَ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ.[٩] وكذلك روي عن ابن عباس رضى الله عنه قال في قوله تعالى: قُلْ إِنِّيَ أَخَافُ: قُلْ لكفار أهل مكة حين دعوك[١٠] إلى دينهم على ما ذكر في بعض القصة: إِنِّيَ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ **من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه**.

وقوله عز وجل: **وذلك الفوز المبين**، **وذلك** الصرف يعني صرف العذاب **الفوز المبين**. وإنما ذكره -والله أعلم- فوزًا مبينا لأنه فوز دائم لا زوال له، وليس كفوز هذه الدنيا يكون في وقت ثم يزول عن قريب، ولا كذلك[١١] فوز الآخرة.

﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[١٧]

وقوله عز وجل: **وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير**،

---

[١] ك: فقيل.

[٢] تقدم تخريجه قريبا.

[٣] ع م – وعلى قول المعتزلة لا يكون الله بالملائكة رحيما لأنه لا جنة لهم ولا ثواب ولكن الوجه فيه ما ذكرنا أنها سميت رحمة لما برحمته.

[٤] ك: خرج.

[٥] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحي الأرض بعد موتها﴾ (سورة الروم، ٣٠/٥٠).

[٦] ع + يدخل فيها وعلى هذا يخرج.

[٧] ع م: ما ذكرنا.

[٨] ع م – العذاب يومئذ فقد رحمه وفي حرف ابن مسعود من يصرف عنه.

[٩] سورة الأنعام، ٦/١٥.

[١٠] ك: دعوه؛ ع: دعوة.

[١١] ن م: وكذلك.

فيه إخبار أنّ ما يصيب العبد من الضرر والخير إنما يصيب[1] به.[2] ثم الضر المذكور في الآية لا يخلو[3] مِن أنْ يُراد [به] سَقَمُ النفس أو ضيق العيش أو شدة وظلم يكون من العباد، لا يخلو[4] من هذه الأوجه الثلاثة. فإذا كان كذلك فدلّ إضافةُ ذلك إلى الله تعالى على أنّ لِلّه[5] فيه فعلاً، وهو أنْ خَلَقَ فِعْلَ[6] ذلك منهم. **فهو على كل شيء قدير**، مِن كَشف الضر[7] له والصرف عنه وإصابة الخير، لا يملك ذلك غيره.

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾[١٨]

وقوله عز وجل: **وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير**، في هذه الآية والآية الأولى[8] ذكر أصل[9] التوحيد؛ لأنه أخبر[10] أن ما يصيب العباد من الضر والشدة لا كاشف لذلك[11] إلا هو، ولا يدفع ذلك عنهم ولا يصرف إلا الله، وأن ما يصيبهم من الخير إنما يصيب ذلك بالله،[12] وأخبر أنه على كل شيء قدير. وفي قوله: **وهو القاهر فوق عباده**، إخبار أنه قاهرٌ يَقهر الخلق، عزيزٌ قادرٌ، وله سلطان عليهم، وأنهم أَذِلّاء تحت سلطانه. وفي قوله: **فوق عباده**، إخبارٌ بالعُلُوّ له[13] والعظمة وبالتعالي عن أشباه الخلق. **وهو الحكيم**، يضع كل شيء موضعه، **الخبير**، بما يُسرّون وما يعلنون. إخبارٌ أنْ لا يخفى عليه[14] شيء، وأنه يملك وضع كل شيء موضعه، وأنّ ما يصيبهم من الضر والشدة إنما يكون به، لا يملك أحد صرفه، وأنّ ما ضَرَّ[15] أحدٌ أحدًا في الشاهد

---

[1] ن - العبد من الضرر والخير إنما يصيب.
[2] م: تصيب به؛ ع: تصيب به. أي يصيب بتقدير الله.
[3] ع: لا يخلوا.
[4] ع: لا يخلق.
[5] ع: أن الله.
[6] ع: فعلى.
[7] ع: الضرر.
[8] أي الآية السابقة.
[9] ع م: أهل.
[10] في الآية السابقة.
[11] ع: ذلك.
[12] ك: الله؛ ع - بالله.
[13] ك: بالعلوية.
[14] ن: على الله.
[15] ك: وإن ضر.

أو نَفَعَ أحدٌ أحدًا إنما يكون ذلك بالله في الحقيقة. وفي هذه الأحرف إخبارٌ عن أصل التوحيد وما يُحتاج إليه لما ذكرنا من الوصف له بالقدرة والقهر،[١] والوصف له بالعُلُوّ والعظمة والتعالي عن أشباه الخلق، والوصف له بالحكمة في جميع أفعاله والعلم بكل ما كان ويكون.[٢]

﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَإِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾[١٩]

وقوله عز وجل: **قل أي شيء أكبر شهادة**، كأنّ في الآية إضمارًا[٣] -والله أعلم- أنْ **قل** يا محمد **أي شيء أكبر شهادة**، فيقولون: **الله**، لأنهم كانوا يُقِرّون أنه خالق السماوات والأرض وأنه أعظم من كل شيء، لكنهم[٤] يشركون غيره[٥] في عبادته ويقولون: مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى،[٦] وإلا كانوا يُقِرّون بالعظمة له والجلال، فإذا سُئِلوا:[٧] **أي شيء أكبر شهادة**، فيقولون: **الله**. ويحتمل أيضًا أن يقول لنبيه عليه الصلاة والسلام: إنهم إذا سألوا: **أي شيء أكبر شهادة قل الله**، فإنك إذا قلت لهم ذلك يقولون هم أيضًا.

وقوله عز وجل: **قل الله شهيد بيني وبينكم**، في كل الاختلاف بيننا وبينكم في التوحيد والبعث بعد الموت ونحوه. ويحتمل **قل الله شهيد بيني وبينكم**، في كل حجة وبرهان أتاها الرسول بهم. وفي قوله: **قل أي شيء**؛ دلالة أنه يقال له[٨] "شيء"، لأنه لو لم يجز أن يقال له شيء، لم يُستَثنَ الشيء منه، وكذلك في قوله: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ.[٩] إنه شيء لأنَّ "لا شيء" في الشاهد إنما يقال إما للنفي أو / للتصغير،[١٠] فلا يجوز في الغائب النفي ولا التصغير،[١١] دلّ [٢٠٦و] أنه إنما يراد بالشيء الإثبات لا غير. ***وبالله العصمة.***

---

[١] ع – والقهر.
[٢] ع: وما يكون.
[٣] ن م: إضمار.
[٤] ك: لكن.
[٥] ع: غير.
[٦] سورة الزمر، ٣/٣٩.
[٧] ن ع م: فإذا سألوا.
[٨] أي لله.
[٩] سورة الشورى، ١١/٤٢.
[١٠] ن: اما للتصغير؛ م: أو التصغير.
[١١] ع – فلا يجوز في الغائب النفي ولا التصغير.

ذُكر في بعض القصة في قوله: **قل أي شيء أكبر شهادة**، أن رؤساء[1] مكة أتوا رسول الله فقالوا: يا محمد، أما وجد الله رسولا يرسله غيرك؟ ما نرى[2] أحدا يصدقك بما تقول، ولقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا أنه ليس لك عندهم ذكر ولا صفة[3] ولا نعت،[4] فأرنا من يشهد[5] لك أنك رسول الله كما تزعم.[6] فقال الله سبحانه وتعالى: يا محمد، **قل** لهم **أي شيء أكبر شهادة**، يقول: أعظم شهادة، يعني البرهان. لمحمد[7] حجة وبرهان، ولكل[8] نبي حجة وبرهان.[9] فإن أجابوك فقالوا: الله، وإلا فقل لهم: الله أكبر شهادة من خلقه إني رسوله، **والله شهيد بيني وبينكم** في كل اختلاف بيننا وبينكم[10] في التوحيد وإثبات الرسالة والبعث بعد الموت[11] وكل شيء.[12] وذُكر في هذه القصة أنهم لمَّا قالوا: من يشهد أن الله أرسلك رسولا قالوا: فهَلَّا أُنزل إليك ملك؟ فقال الله[13] لنبيه: **قل** لهم **أي شيء أكبر شهادة**، فقالوا: الله أكبر شهادة من غيره، فقال الله:[14] **قل** لهم يا محمد **الله شهيد بيني وبينكم**، أني رسول الله،[15] وأنه[16] **أوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به، ومن بلغ** القرآن[17] من الجن والإنس فهو نذير له.

---

[1] ن + أهل.

[2] ع: ما ترى.

[3] ن: وصفة.

[4] جميع النسخ: ولا مبعث. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٤٤ظ.

[5] ك ن ع: من شهد.

[6] ن ع م – كما تزعم.   رواه الكلبي. انظر: *روح المعاني* للآلوسي، ١١٧/٧.

[7] جميع النسخ: محمد.

[8] جميع النسخ: وكل.

[9] وعبارة الشارح هكذا: «ويحتمل قوله: ﴿قل الله شهيد بيني وبينكم﴾ في كل حجة [و]برهان أتاهم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم. والشهيد والشاهد المبين لدعوى المدعي. فأمر الله نبيه عليه السلام بأن يحتج عليهم بالله الواحد الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور وخلقهم أطوارا، ويعلمهم بأن شهادة الله بأنه واحد وإقامته للبراهين [على] توحيده أكبر شهادة، وأن القرآن الذي أتى به شهيد له بأنه رسوله. فقال: ﴿قل الله شهيد بيني وبينكم﴾ الذي اعترفتم بأنه خالق هذه الأشياء» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٤٤ظ).

[10] ع – في كل اختلاف بيننا وبينكم.

[11] ك ع م – بعد الموت.

[12] ع – شيء.

[13] ع م – الله.

[14] ك – قل لهم أي شيء أكبر شهادة فقالوا الله أكبر شهادة من غيره فقال الله.

[15] ك ن ع – الله.

[16] ع: من انه.

[17] ع – لأنذركم به ومن بلغ القرآن.

ثم قال لهم: **أإنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى**، قالوا: نعم نشهد، فقال الله لنبيه: **قل لا أشهد** بما شهدتم ولكن أشهد **إنما هو إله واحد وإنني بريء مما تشركون**.

وقوله عز وجل: **وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ**، كأنه قال: **أوحي إلي هذا القرآن**[١] الذي تعرفون[٢] أنه من عند الله جاء؛ لأنه قال لهم: فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ،[٣] فعجزوا عن إتيان[٤] مثله، فدل عجزهم عن إتيان مثله[٥] أنهم عرفوا أنه جاء من عند الله.

وقوله: **لأنذركم به ومن بلغ**، لا يُنذَّر بالقرآن، ولكن يُنذَّر بما في القرآن، لأن فيه أنباءَ ما حلّ بأشياعهم بتكذيبهم الرسل وما يحل بهم من العذاب في الآخرة بتكذيبهم الرسل، وإلا ظاهر القرآن ليس مما يُنذَّر به.[٦]

وقوله عز وجل: **ومن بلغ**، كأنه قال: **وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به** وأنذر[٧] **من بلغ** القرآن. صار رسول الله نذيرا ببلوغ القرآن لمن بلغه. فإذا صار[٨] نذيرا به لمن بلغه وإن كان هو في أقصى الدنيا يصير هو نذيرا في أقصى الزمان في كل زمان. وهو[٩] –والله أعلم–[١٠] كقوله تعالى: وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ،[١١] ورسول الله هاد[١٢] لقومه إلى يوم القيامة.

وفي الآية دلالة أن البِشارة والنذارة يكونان ببعثِ آخَرَ يبشر أو ينذر. وهو دليل لقول[١٣] أصحابنا: إن من حلف: "أي عبد من عبيدي بشّرني بكذا فهو حر" فبشره برسول أو بكتاب[١٤] يكون بشارة.

---

[١] ن – لأنذركم به ومن بلغ كأنه قال أوحي إلى هذا القرآن.
[٢] ع م: يعرفون.
[٣] سورة البقرة، ٢/٢٣.
[٤] ع: ان إتيان.
[٥] ع – فدل عجزهم عن إتيان مثله.
[٦] ع م – وقوله لأنذركم به ومن بلغ لا ينذر بالقرآن ولكن ينذر بما في القرآن لأن فيه إنباء ما حل بأشياعهم بتكذيبهم الرسل وما يحل بهم من العذاب في الآخرة بتكذيبهم الرسل وإلا ظاهر القرآن ليس مما ينذر به.
[٧] ع – وأنذر.
[٨] ك – صار.
[٩] ن – في كل زمان وهو.
[١٠] ع م – أعلم.
[١١] سورة الرعد، ١٣/٧.
[١٢] ن + في كل زمان؛ ع – ورسول الله هاد.
[١٣] ن – لقول.
[١٤] ك: بكتاب أو برسول.

وقوله عز وجل: أ **إنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى،** هذا[1] في الظاهر استفهام ولكنه في الحقيقة إيجاب: **إنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى** بعدما ظهر عندكم آيات وحدانيته وحجج ربوبيته لما عرفتم أنه خالقكم وخالق السماوات والأرض، به تعيشون وبه[2] تحيَوْن وبه تموتون. مع ما ظهر[3] لكم هذا أشركتم **مع الله آلهة أخرى**، وليس ذلك لكم[4] مما تشركون في عبادته وألوهيته.[5] وأنا **لا أشهد، وإنما** أشهد أنه **إله واحد وإنني بريء مما تشركون** في ألوهيته وربوبيته.[6]

﴿اَلَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[٢٠]

وقوله عز وجل: **الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم،** قيل: نزلت سورة الأنعام في محاجّة أهل الشرك إلا آيات نزلت في محاجّة أهل الكتاب، إحداها هذه. وجائز أن يكون أهل الشرك يعرفون أنه رسول **كما يعرفون أبناءهم،** ويكونَ **الكتاب** هو القرآنَ ههنا لما قَرَع أسماعَهم هذا القرآن وأُمِروا أن يأتوا بمثله فعجزوا عنه، وبما كانوا[7] يختلفون إلى أهل الكتاب[8] ويسألونهم عن نعته وصفته ويخبرونهم، فعرف[9] أهل الشرك أنه رسول كما عرف[10] أهل الكتاب بوجود[11] نعته وصفته[12] في كتابهم. وروي عن عمر بن الخطاب أنه قال لعبد الله بن سلام: إن الله[13] قد أنزل على نبيه عليه السلام بمكة: **الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم،** فكيف يا عبد الله المعرفة؟ فقال عبد الله:

---

[1] ك: فهذا.
[2] ع م – وبه.
[3] م: عما ظهر.
[4] ع: لهم.
[5] م: واولوهيته.
[6] ع م – في ألوهيته وربوبيته.
[7] ن م: أو بما كانوا.
[8] ع – الكتاب.
[9] ك ن: يعرف؛ ع: لعرفهم.
[10] ع – كما عرف.
[11] ع – بوجود.
[12] ع م + ويخبرونهم.
[13] م: وإن الله.

يا عمر، لقد عرفته فيكم حين رأيته كما أعرف ابني إذا رأيته مع الصبيان يلعب، وأنا أَشَدّ معرفة بمحمد مني لابني؛ فقال: كيف ذلك؟ فقال: أنا أشهد أنه رسول الله[١] حق من الله، ولا أدري ما صنع النساء أو ما أحدث النساء، وقد نَعَتَه في كتابنا؛ فقال له[٢] عمر: صدقت وأصبت.[٣]

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾[٢١]

وقوله: **ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا**، قال أهل التأويل: لا أحد **أظلم ممن افترى على الله كذبا**. لكن هذا في الحقيقة كأنه سؤال واستفهام، كأنه قال: **من أظلم مِن** الظالمين؟ قال: **مَن افترى على الله كذبًا**، يقال: من فعل هذا؟ قال: فلان؛ أو من قال[٤] هذا؟ قال: فلان، فهو -والله أعلم- على السؤال[٥] والاستفهام.

ثم قيل: الذين افتروا **على الله كذبًا** أن معه شريكا لقولهم:[٦] إن مَعَ اللهِ آلِهَةً أُخرَى.[٧]

وقوله:[٨] **أو كذب بآياته**، قيل: محمد صلى الله عليه وسلم. وقيل: القرآن إنه ليس من الله.[٩] **إنه لا يفلح الظالمون**، قال بعضهم: **إنه لا يفلح الظالمون** بظلمهم. لكن عندنا قوله: **إنه لا يفلح الظالمون**، ما داموا في ظلمهم، أو نقول:[١٠] **لا يفلح الظالمون**،[١١] إذا خُتِموا وماتوا[١٢] على الظلم والكفر.

---

[١] ع م + صلى الله عليه وسلم.

[٢] ع م - له.

[٣] أخرجه الثعلبي من طريق السدي الصغير عن الكلبي عن ابن عباس. وهذا إسناد ضعيف. انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٣٥٧/١. وروي عن ابن جريج في قوله: ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه﴾، قال: زعموا أن بعض أهل المدينة من أهل الكتاب ممن أسلم قال: والله لَنحن أعرف به منا بأبنائنا من الصفة والنعت الذي نجده في كتابنا، وأما أبناؤنا فلا ندري ما أحدث النساء (*تفسير الطبري*، ١٦٥/٧؛ و *الدر المنثور* للسيوطي، ٣٥٦/١).

[٤] ن م: ومن قال.

[٥] ع: عن السؤال.

[٦] ك: كقولهم.

[٧] سورة الأنعام، ١٩/٦.

[٨] ن: قوله.

[٩] ع م - إنه ليس من الله.

[١٠] ن: أو يقول؛ م: ويقول.

[١١] ع - ما داموا في ظلمهم أو نقول لا يفلح الظالمون.

[١٢] ع: وما لوتوا.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾[٢٢]

وقوله عز وجل: **ويوم نحشرهم جميعًا**، المطيع والعاصي والكافر والمؤمنَ، **ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون**. ذكر ههنا: **شركاؤكم**، أضاف ذلك إليهم لأنهم كانوا من جنسهم وجوهرهم، يَفنَوْن كما يَفنَوْن هم.[١] وذكر في آية أخرى: شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ،[٢] أنهم شركائي.

﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾[٢٣]

[٢٠٦ظ] وقوله عز وجل: / **ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين**، قال الحسن: الآية نزلت في المنافقين.[٣] وذلك أنهم كانوا يَكْذِبون في الدنيا فيما بينهم، فظنوا أن يَتَرَوَّج كذبهم في الآخرة كما كان[٤] يَتَرَوَّج في الدنيا. وسمّاهم مشركين[٥] لأنهم كانوا أشركوا في السر فقالوا: **والله ربنا ما كنا مشركين**. وقال غيره من أهل التأويل: الآية نزلت في أهل[٦] الشرك من العرب. وذلك أنهم كانوا يشركون مع الله آلهة، وكانوا ينكرون البعث بعد الموت وينكرون الرسالة، فلما عاينوا[٧] ذلك أنكروا أن يكونوا أشركوا غيره في ألوهيته وربوبيته.

وقوله تعالى: **ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا**، أي لم يكن افتنانهم في الدنيا بافترائهم على الله الكذب وإشراك غيره معه وتكذيبهم آيات الله، **إلا أن قالوا** في الآخرة: **والله ربنا ما كنا مشركين**. وذُكر في بعض القصة أن المشركين في الآخرة[٨] لما رأوا كيف يتجاوز الله عن أهل التوحيد فقال بعضهم لبعض: إذا سئلنا فقولوا إنا كنا موحّدين.[٩] فلما جمعهم الله وشركاءهم فقال: أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ[١٠] في الدنيا بأنهم معي شركاء؟[١١]

---

[١] ع م – هم.
[٢] ﴿ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون﴾ (سورة القصص، ٦٢/٢٨).
[٣] *تفسير القرطبي*، ٤٠٢/٦.
[٤] ع: قال.
[٥] ك + لأنهم كانوا مشركين.
[٦] ع – أهل.
[٧] ن ع م: أن عاينوا.
[٨] ع: في الآخر.
[٩] روي نحو ذلك عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما. انظر: *تفسير الطبري*، ١٦٨/٧؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٢٥٩/٣.
[١٠] سورة الأنعام، ٢٢/٦.
[١١] جميع النسخ: شريك.

ثم لم تكن فتنتهم، قال أهل التأويل: معذرتهم وجوابهم إلا الكذب[1] حين سُئِلوا،[2] فقالوا: **والله ربنا ما كنا مشركين**، تبرءوا من ذلك.

﴿انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾[٢٤]

ثم قال الله: **انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم**، في الآخرة، **ما كانوا يفترون**، من الشرك في الدنيا. قيل: لما أنكروا أن يكونوا مشركين في الدنيا ختم الله على ألسنتهم وشهدت الجوارح عليهم بالشرك. وقيل: **انظر كيف كذبوا على أنفسهم**، يقول: كيف صار وبال كذبهم عليهم. **وضل عنهم**، قيل: واشتغل عنهم، **ما كانوا يفترون**، يقول:[3] يكذبون. وأصله أنه يُذَكِّر نبيّه شدّةَ تَعَنُّتِهم وسفههم أنهم[4] كيف يكذبون عند معاينة العذاب، فإذا كانوا بِنَأْيٍ مِنه وبُعْدٍ كانوا أشد تكذيبًا وأكثر تَعَنُّتًا؛[5] لأنهم يطلبون الرد إلى الدنيا بقوله:[6] فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ،[7] فقال: وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ.[8]

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾[٢٥]

وقوله عز وجل: **ومنهم من يستمع إليك**، كانوا يستمعون إليه ليجادلوه على ما ذَكَر: **حتى إذا جاءوك يجادلونك**، دلّ هذا أنهم كانوا يستمعون إليه للمجادلة معه والخصومة. وقيل في بعض الحكايات: إن الناس كانوا ثلاثة[9] فرق في أخبار الرسل والأنبياء عليهم السلام.

---

[1] ع م: إلا ان الكذب.

[2] م: حين سألوا.

[3] ع م: يقولون.

[4] ع: أنه.

[5] ع م: تعنتهم.

[6] ع م - بقوله.

[7] ﴿هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾ (سورة الأعراف، ٥٣/٧).

[8] سورة الأعراف، ٢٨/٧.

[9] ن: ثلاث.

منهم من يستمع للجمع والاستكثار، **ومنهم من يستمع** ليأخذ عليهم سَقَطَاتِهم وما يجري على لسانهم من الخطأ، **ومنهم من يستمع** ليأخذ الحق منه[1] ويترك الباقي. لكن[2] هؤلاء كانوا[3] يستمعون إليه ليخاصموه[4] في ذلك[5] وليجادلوه، ليعرف[6] قومهم أنهم يستمعون إليه ويعرفون ما يقول،[7] ليصدّوا بذلك[8] أتباعهم. والثاني أنهم[9] يستمعون ويحاجّون في ذلك ليعرفوا أنهم أهل[10] حِجَاج وعلم ليصدّوهم عنه.

ثم يحتمل أن يكونوا أهل نفاق، لأنهم كانوا يُرُونَ ويظهرون الموافقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ويضمرون الخلاف له.[11] ويحتمل أن يكونوا[12] أهل الشرك، أي رؤساءهم، يستمعون[13] إليه ويجادلونه[14] فيما[15] يستمعون إليه.

وقوله عز وجل: **وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرًا**، أخبر أن **على قلوبهم أكنة وفي آذانهم وقرًا**. وقال: صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ،[16] نفى عنهم[17] ذلك لما لم ينتفعوا بذلك كله وإن لم يكونوا في الحقيقة صما ولا بكما[18] ولا عميا[19] ولا ما ذكر، لما لم ينتفعوا بما أنشأ فيهم من السمع والبصر والعقل فنفى عنهم ذلك.

---

[1] ن – منه.

[2] ك: ولكن.

[3] م – كانوا.

[4] م: ليخاصموا.

[5] ع + في ذلك.

[6] ن ع م: لتعرف.

[7] ن: بما يقول.

[8] ن: ذلك.

[9] ع م – أنهم.

[10] ع + أهل.

[11] وقد قال المؤلف في تفسير الآية رقم ٢٨: «قال بعضهم: قوله تعالى: ﴿ومنهم من يستمع إليك﴾، إنها نزلت في المنافقين، يدل على ذلك قوله: ﴿بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل﴾ (سورة الأنعام، ٢٨/٦)».

[12] ن: أن يكون؛ ع م – أن يكونوا.

[13] ك ن ع: ليستمعوا.

[14] جميع النسخ: ويجادلوه.

[15] ك + بينهم.

[16] سورة البقرة، ١٨/٢.

[17] ك – عنهم.

[18] ع: ولا ما بكما.

[19] ك ع م – ولا عميا.

ثم قوله تعالى: **وجعلنا على قلوبهم أكنة**، لا تخلو[1] إضافة ذلك إلى نفسه من أن يكون خلق منهم فعل الكفر أو خلق[2] الظلمة التي في قلوبهم، يعني ظلمة الكفر؛ لأن ظلمة الكفر[3] تستر وتغطي كل شيء، ونور الإيمان ينير منه كل شيء. فإضافة الفعل إليه لا تخلو[4] من أحد هذين الوجهين: إما لخلق فعل الكفر منهم، ففيه دلالة خلق أفعالهم؛ وإما لخلق ظلمة الكفر في قلوبهم، وفيه رد قول المعتزلة لإنكارهم خلق فعل العباد.

وقوله عز وجل: **وفي آذانهم وَقْرًا**، قيل:[5] الوَقْر هو الثِقَل في السمع. يقال: وَقِرَت أُذنه تَوْقَر وَقْرًا فهي مَوْقُورَة. وأما الوِقْر فهو الحِمْل. وقال أبو عوسجة: الوَقْر الصَدْع في العظم أيضًا.[6]

وقوله عز وجل: **وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها**، يحتمل **كل آية**، آية وحدانيته وربوبيته وقدرته على البعث وآيةَ رسالته ونبوته. ويحتمل **كل آية**، سألوا أن يأتي بها. يقول: وإن أتيت[7] بكل آية سألوك لا يؤمنون بك بعد ذلك أبدا، كقولهم: لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا،[8] ونحو ذلك مما سألوا من الآيات. يقول: إنك وإن جئت بما سألوك من الآيات لا يؤمنون بك ولا يصدقونك.

يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين، أي ما **هذا إلا أساطير الأولين**، قيل: أحاديث الأولين. والأُسْطُورَة: الكتاب. يقولون ذلك تَعَنُّتًا منهم، لأنهم كانوا يعرفون أنه حق وأنه ليس بكلام البشر، لأنهم عجزوا عن إتيان مثله. ولو كان هو مفترى على ما قالوا لقدروا هم[9] على أن يأتوا بشيء مثله، حيث قيل لهم: فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ.[10] فعلموا لعجزهم[11] عن إتيان مثله أنه ليس من كلام البشر وأنه سماوي.

---

[1] ن م: لا يخلو؛ ع: لا يخلوا.
[2] ن: اذ خلق.
[3] ن – لأن ظلمة الكفر.
[4] ع: لا تخلوا.
[5] ك ن ع: وقيل.
[6] انظر: *لسان العرب* لابن منظور، «وقر».
[7] ن ع م: وإن أوتيت.
[8] سورة الفرقان، ٢١/٢٥.
[9] ن: لقدروهم.
[10] سورة يونس، ٣٨/١٠.
[11] ك: بعجزهم.

﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾[٢٦]

وقوله عز وجل: **وهم ينهون عنه وينأون عنه، ينهون** الناس عن طريقته ومتابعته، **وينأون عنه،**[١] أي يتباعدون عنه، **ينهون** غيرهم عن اتِّباعه ويتباعدون[٢] / هم. ويحتمل ما ذكر [٢٠٧و] في القصة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان عند أبي طالب يدعوه إلى الإسلام،[٣] فاجتمعت[٤] قريش عنده ليريدوا بالنبي سوء، قال أبو طالب وأنشد فيه:

والله لـن يَـصِلوا إليك بِجَمْعِـهم حتى أُوَسَّد في التراب دَفينا
فاصدع بأمرك ما عليك غَضَاضَةٌ وأَبْشِرْ وقِرَ بِذاكَ[٥] مِنك عُيونا
فدعوتني وزعمت أنك ناصحٌ[٦] ولقد صدقت وكنت ثَمّ أَمينا
وعرضتَ دينًا قد علمتُ بأنه مِن خير أديان البريّة دينا
لولا الملامةُ[٧] أو أُحاذِر[٨] سُبَّةً[٩] لوجدتني سَمْحًا بِذاك مُبِينا[١٠]

كان ينهى الناس عن أذى محمد صلى الله عليه وسلم ويتباعد هو عنه فلا يتبعه في دينه، فنزل[١١] هذا.[١٢]

وقوله عز وجل: **وإن يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون،** أي لا يشعرون[١٣] أنهم بذلك يسعون في هلاك أنفسهم.[١٤]

---

[١] ع م – ينهون الناس عن طريقته ومتابعته وينأون عنه.
[٢] ع م: وتباعدون.
[٣] م: الإسلام.
[٤] جميع النسخ: اجتمعت.
[٥] م: بذلك.
[٦] ك: صابح.
[٧] جميع النسخ: الدمامة. والتصحيح من المصدر الآتي.
[٨] ع: أو أجازر.
[٩] السُّبَّة العار، ويقال: صار هذا الأمر سُبَّةً عليهم بالضم، أي عارا يُسَب به (*لسان العرب* لابن منظور، «سب»).
[١٠] جميع النسخ: متينا. والتصحيح من المصدر الآتي.
[١١] ع م: فترك.
[١٢] رواه مقاتل. انظر: *تفسير مقاتل بن سليمان* ٥٥٦/١. وروي عن ابن عباس أنه قال: ﴿وهم ينهون عنه وينأون عنه﴾، نزلت في أبي طالب، كان ينهى المشركين أن يؤذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتباعد عما جاء به (*تفسير الطبري*، ١٧٣/٧؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٢٦٠/٣).
[١٣] ع م – أي لا يشعرون.
[١٤] م – نفسهم.

﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَالَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٢٧]

وقوله عز وجل: **ولو ترى إذ وقفوا على النار**، عن الحسن قال: سترى **إذ وقفوا على النار**. وفي حرف ابن مسعود رضى الله عنه: "ولو ترى إذ عرضوا على النار"، وكذلك في حرفه:[1] وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ:[2] "إِذْ عُرِضُوا عَلَى رَبِّهِمْ". ولولا ما روي عن ابن مسعود رضى الله عنه: **وُقِفوا** "عُرِضُوا" **على النار**، وإلا يجوز أن يُحمَل قوله: **إذ وقفوا على النار**، أي عند النار أو في النار، "على" مكانَ "عند" أو مكان "في"، وذلك جائز في اللغة. ولكن ما روي عن ابن مسعود رضى الله عنه أَقْنَعَنا عن ذلك.

ثم يحتمل -والله أعلم- أن يكون هذا صلة قوله:[3] إِنْ هٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ،[4] كأنه يقول: **ولو ترى** يا محمد **إذ وُقِفوا على النار** لَرَحِمْتَهم لما كان منهم من القول فيك: إِنْ هٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ،[5] إِنْ هٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ.[6] وهكذا الواجب على كل أحد أن يرحم عدوه إذا كان عاقبته النار والتخلّد فيها، وأن لا يطلب الانتقام منه بما كان منه بمكانة.[7] أو أن يقال: ولو تراهم **إذ وقفوا على النار** من الذل والخضوع لرحمتهم بما كان منهم من التكبر والاستكبار في الدنيا. وهو كقوله: وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُؤُسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ،[8] الآية، أخبر عن ذلهم وخضوعهم في الآخرة بما كان منهم في الدنيا من الاستكبار والاستنكاف، فعلى ذلك يخبر نبيه عما يصيبهم من الذل بتكبرهم في الدنيا. *والله أعلم*.

*وقوله: **ولو ترى إذ وُقِفوا على النار**، يحتمل قوله: **وُقِفوا على النار**،[9] أي حُبِسوا، |٢٠٧و س٢٦

---

[1] ك ع م - حرفه.

[2] ك - إذ عرضوا على النار وكذلك في ولو ترى إذ وقفوا على ربهم. والآية في سورة الأنعام، ٣٠/٦.

[3] ع م - قوله.

[4] سورة الأنعام، ٢٥/٦.

[5] سورة الأنعام، ٧/٦.

[6] ن ع م - كأنه يقول ولو ترى يا محمد إذ وقفوا على النار لرحمتهم لما كان منهم من القول فيك إن هذا إلا سحر مبين إن هذا إلا أساطير الأولين.

[7] ن ع م: بمكانه. قال ابن منظور: «وفي التنزيل العزيز: ﴿اعملوا على مكانتكم﴾ (سورة الأنعام، ١٣٥/٦)، أي على حيالكم وناحيتكم» (*لسان العرب* لابن منظور، «مكن»).

[8] سورة السجدة، ١٢/٣٢.

* ورد ما بين النجمتين ابتداء من هذا الموضع خلال تفسير الآية التالية، فنقلناها إلى هنا. انظر: ورقة ٢٠٧و/سطر ٢٦- ورقة ٢٠٧ظ/سطر ٩.

[9] ع م - يحتمل قوله وقفوا على النار.

إذ الوقوف حَبْس،[١] لَوْ وُقِف حُبِس؛[٢] والنار لا يُوقَف عليها، بل يكون فيها ما قال عز وجل: لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ،[٣] وقال: لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ.[٤] ويحتمل الوقف عندها قبل الدخول في حال الحساب للمُساءلة، كقوله: احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ،[٥] الآية.

ولو ترى، أي ولو ترى ذُلّهم وخضوعهم، كقوله: وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُؤُسِهِمْ.[٦] ولم يبين جواب لَوْ، وقد يُترَك جواب لَوْ لِمَا يُعلَم ربّما[٧] بالتأمل أو بالذكر، كقوله: لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا،[٨] بمعنى ظَنَنْتُمْ، أو على ما ذُكِر في موضع آخر نحو قوله: قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهٰذَا،[٩] وكذلك قوله: وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ،[١٠] وغير ذلك. فلعل معناه: **ولو ترى** ذُلّهم بعد استكبارهم لَرحِمْتَهم على ما هم عليه ولَهَانَ[١١] عليك التصبُّر[١٢] لأذاهم،[١٣] وَلَأشفقتَ عليهم. ويحتمل قوله: **ولو ترى** ما ينزل بهم من نقمة الله ويحلّ بهم[١٤] من عذابه لَعَلِمتَ أن القوة لله جميعًا، وأنه بحلمه[١٥] ورحمته يُملي لهم ويستدرجهم،[١٦] كقوله: وَلَوْ تَرَى[١٧] الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ

---

[١] ك – الوقوف حبس.
[٢] ن – لو وقف حبس.
[٣] سورة الزمر، ٣٩/١٦.
[٤] سورة الأعراف، ٧/٤١.
[٥] ﴿احْشُرُوا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فَاهْدُوهُمْ إلى صراط الجحيم. وَقِفُوهُمْ إنهم مسئولون﴾ (سورة الصافات، ٣٧/٢٢-٢٤).
[٦] سورة السجدة، ٣٢/١٢.
[٧] ع م + يعلم.
[٨] سورة النور، ٢٤/١٢.
[٩] ﴿ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا﴾ (سورة النور، ٢٤/١٦).
[١٠] جميع النسخ + انما يجيب للو. سورة النور، ٢٤/١٠.
[١١] م: ولحان.
[١٢] ع: التصير.
[١٣] ن: أذاهم.
[١٤] ع – من نقمة الله ويحل بهم.
[١٥] م: بحمله.
[١٦] ك م: ويسترجهم؛ ن ع: ويسترجعهم.
[١٧] قرأ من الأئمة السبعة ابن كثير وعاصم وأبو عمرو وحمزة والكسائي: ﴿ولو يرى الذين ظلموا﴾ بالياء، وقرأ نافع وابن عامر: ولو ترى، بالتاء. انظر: *كتاب السبعة* لابن مجاهد، ١٧٤.

أَنَّ الْقُوَّةَ لِلّٰهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللّٰهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ.[١] ويحتمل أن يكون جوابه فيما ذكر[٢] مِن تَمَنِّيهم العَودَ وندامتِهم على ما سلف منهم وشدةِ تَلَهُّفِهم على صنيعهم، [أي] لرأيت ذلك أمرا كافيا وجزاء بالغا لما يكون؛ إذ يكون[٣] ما ينزل بهم أعظم عندك مما تَلْقَى منهم. وقد يخرج الخطاب لرسول الله على تَضَمُّن تنبيه كل مميز، وتذكير[٤] كل متأمل. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **يا ليتنا نُرَدُّ**، قيل: إلى الدنيا؛ وقيل: إلى المحنة، من حيث لا يحتمل كون الدنيا بعد كون الآخرة. لكن هذا تَكلُّفُ تحقيقِ مرادِ قومٍ ظَهَرَ سفهُهم، ولعلّه ليس عندهم هذا التمييز، أو يقولون سفهًا كما قالوا كذبًا بقوله: وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ.[٥]

وقوله[٦] عز وجل: **بآيات ربنا**، قال الحسن: بدين ربنا. وقال قوم: / بحجج ربنا. فيكون [٢٠٧ظ] في الآية اعتراف أنهم على التعنت كذّبوا في الأول[٧] لا على الجهل، وأنه[٨] كان ثَمَّ[٩] آياتٌ عاندوها. وهم قوم قد سبق من الله الخبر عنهم مما فيه العناد منهم، كقوله تعالى: ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللّٰهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ،[١٠] وذلك يدل على تعنتهم في القول ليتخلّصوا عمّا بُلُوا بجميع ما يحتمل وسعهم، لا أن ذلك كذلك في قلوبهم. لذلك -والله أعلم- قال الله تعالى: وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ.[١١]

ثم دل قوله: **ولا نُكذِّبَ بآيات ربنا ونكونَ من المؤمنين**، أنهم قد عرفوا أن الإيمان هو التصديق لوجهين. أحدهما أنهم جعلوا الإيمان مقابل التكذيب،[١٢] فيُعلَم[١٣] أنه التصديق. والثاني أنهم ذكروا الآيات، والآيات يُكذَّب بها ويُصدَّق لا أَنْ يُعمَل.

---

[١] ن + الآية. سورة البقرة، ٢/١٦٥.
[٢] أي في نفس الآية.
[٣] ع: ان يكون.
[٤] ع: وتذكر.
[٥] ﴿بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو رُدّوا لعادوا لما نُهُوا عنه وإنهم لكاذبون﴾ (سورة الأنعام، ٦/٢٨).
[٦] ع م – وقوله.
[٧] أي في الدنيا.
[٨] جميع النسخ: وأن.
[٩] ن: ثمه.
[١٠] سورة الأنعام، ٦/٢٣.
[١١] سورة الأنعام، ٦/٢٨.
[١٢] ع: الكذب.
[١٣] جميع النسخ: ليعلم.

وبعدُ فإن الذي في حدّ إمكان الإتيان ممّا فات هو التصديق؛ إذ الغيرُ لو تُوُهِّم الأمرُ [به] لم يكن[1] لِيُوجِدَ[2] ما سَبق مِن التركِ، والتصديقُ لو أُمِر فهو لِمَا سَبق مِن التكذيب؛[3] على أنه أُجمِع أنْ لا يؤمرُ[4] مَن آمن بقضاء شيء ممّا فات، فثبت أنهم أرادوا به التصديق. وفيه أنه[5] اسم لذلك[6] حتى عرفه أهله وغير أهله[7] معرفة واحدة. **والله أعلم**.*

٢٠٧ظ س٩]

وقوله عز وجل: **فقالوا يا ليتنا نرد ولا نُكَذِّبَ بآيات ربنا ونكونَ من المؤمنين**، تَمَنَّوْا عند معاينتهم العذاب العود والرد إلى الدنيا. ثم فيه دليلان. أحدهما أنهم عرفوا أن ما أصابهم إنما أصابهم بتكذيبهم الآيات وتركهم الإيمان، حيث قالوا: **يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا**.

والثاني أن الإيمان هو التصديق الفرد[8] لا غير؛ لأنهم إنما فزعوا عند معاينتهم العذاب وتمنوا[9] الرد والعود إلى الدنيا[10] أنْ يكونوا[11] من المؤمنين، لم يفزعوا إلى شيء آخر من الخيرات، دلّ أن الإيمان هو التصديق الفرد لا غير، وأنه ضد التكذيب، والتكذيب هو فرد، فعلى ذلك التصديق.

﴿بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[٢٨]

وقوله عز وجل: **بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل**، قيل[12] فيه بوجوه. قال بعضهم: قوله تعالى: وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ،[13] إنها[14] نزلت في المنافقين، يدل على ذلك قوله:

---

[1] ن ع م – لم يكن.

[2] ك ن + لاجل؛ ن: لتوجد.

[3] قال الشارح: «إن الذي في حدّ إمكان الإتيان مما فات هو التصديق؛ لأن التصديق متى وُجد يبطل التكذيب السابق. فأما لو تُوُهِّم الأمرُ بإتيانهم بالعبادات فإن الأعمال في المستقبل لا ترفع الترك في المعاصي، ولا تُجعَل كالحاصل» (*شرح التأويلات*، ورقة ٢٤٦و).

[4] ن: لا يؤمن.

[5] ك – أنه.

[6] يعني أن الإيمان اسم للتصديق.

[7] ن – وغير أهله.

* ورد ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فنقلناها إلى هنا. انظر: ورقة ٢٠٧و/سطر ٢٦–ورقة ٢٠٧ظ/سطر ٩.

[8] ك ن: المفرد.

[9] جميع النسخ: تمنوا.

[10] ك ن + إلى الإيمان.

[11] أي حتى يكونوا.

[12] ن م – قيل.

[13] سورة الأنعام، ٦/٢٥.

[14] ع: إنما.

بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل، وهو سمة أهل النفاق أنهم كانوا يظهرون الموافقة للمؤمنين ويضمرون الخلاف ويخفون العداوة لهم.[١] ويحتمل قوله تعالى: **بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل**، [يعني] رؤساءهم. كانوا عرفوا في الدنيا أنه رسول[٢] وأن ما أُنزل[٣] عليه هو من الله، وعرفوا أن البعث حق، لكنهم أخفوا ذلك على أَتْباعهم[٤] وستروه، ثم ظهر ما كانوا يخفون على أتباعهم.[٥] وقيل [في][٦] قوله: **بل بدالهم ما كانوا يخفون من قبل**، وذلك أنهم حين قالوا: وَاللّٰهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ،[٧]* [أنطق الله جوارحهم، فشهدت عليهم بما كتموه من الشرك، فتمنوا عند ذلك العود إلى دار الدنيا].[٨]

وقوله عز وجل: **بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل**، يخرج على وجوه.[٩] أحدها على[١٠] أن الآية في أهل النفاق، ظَهَرَ ما قد أضمروا من الكفر.

والثاني أن تكون الآية في رؤساء الكفرة العلماء بالبعث وبأن الرسل تكون من البشر وأن لا شريك لله، فبَدَا للأتباع[١١] ما كان[١٢] الرؤساء يخفون في الدنيا. ويحتمل: **وبدا لهم**، من صنيعهم ما قد أسرّوه وأضمروه في أنفسهم، ظنّوا أنه لا يطّلع[١٣] على ذلك أحد.[١٤] وذلك في قوله: يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ،[١٥] وقوله: وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ،[١٦] وغير ذلك. ويحتمل **ما كانوا يخفون**، مِن الخلق. **وبدا**[١٧] **لهم**، ذلك بالجزاء.

---

[١] ن: العداوة بهم.
[٢] ن + الله.
[٣] ك ن ع: ما نزل.
[٤] ع: عن أتباعهم.
[٥] ع: عن أتباعهم.
[٦] من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٤٦و.
[٧] سورة الأنعام، ٢٣/٦.
* وردت هنا قطعة طويلة من تفسير الآية السابقة، فنقلناها إلى هنالك. انظر: ورقة ٢٠٧و/سطر ٢٦- ورقة ٢٠٧ظ/سطر ٩.
[٨] من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٤٦و.
[٩] ع: على الوجوه.
[١٠] ن - على.
[١١] ك: الأتباع.
[١٢] ع: وما كان.
[١٣] م: أن لا يطلع.
[١٤] ع: احد.
[١٥] سورة الطارق، ٩/٨٦.
[١٦] سورة العاديات، ١٠/١٠٠.
[١٧] ك ع م: أو بدا.

[٢٠٧ظ س ٣٦] *ويحتمل **بدا لهم**، ظهر لهم، **ما كانوا يخفون**، من نعت محمد وصفته صلى الله عليه وسلم

[٢٠٧ظ س ٣٧] في الدنيا وكتموه. *والله أعلم*.*

[٢٠٨و س ١١] *وقوله عز وجل: **ولو ردوا**، قيل: إلى الدنيا. ولكن: **ولو ردوا**، إلى المحنة ثانيا، **لعادوا لما نهوا عنه**.*

وقوله عز وجل: **ولو ردوا**، أي إلى ما تَمَنَّوْا أن يُرَدّوا إليه،[1] **لعادوا لما نُهوا عنه**. أخبر الله عن علمه بما قد أسرّوه في ذلك الوقت. إنما كان في علمه أنْ سيكونُ[2] وإن كان مِن حُكمه أن لا يُرَدُّوا.[3] وفي ذلك[4] أن الآية[5] لا تضطرّ[6] صاحبها.[7] ***ولا قوة إلا بالله***.

وقال قوم: إن الخلود يَلزم في النار بما[8] في علم الله أنهم يَلزمون ما هم عليه لو مكثوا للأبد. وقال قوم: إذْ لم يجز لزوم العذاب، بما يعلم الله من العناد مِن أحدٍ لو امتُحن، بلا محنة ولا خلاف فعلى ذلك[9] أمر الخلاف.[10] لكن الآية في خاص منهم، وهم الذين اعتدوا وعاندوا[11] الحق بعد الوضوح، على ما ذُكر في كثير من الكفرة أنهم لا يؤمنون أبدًا ثم أَمهلهم على ذلك. وهذا يبين أن ليس تُمنَع الإعادة لما يعودون له لو كان يحتمل في الحكمة الإعادة، إذ قد أَمهل وأَبقى على العلم بذلك، فعلى ذلك الإعادة، لكنه أخبر عن تعنتهم.[12]

---

* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه في تفسير الآية، فنقلناه إلى هنا. انظر: ورقة ٢٠٧ظ/سطر ٣٦-٣٧.

* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه في تفسير الآية، فنقلناه إلى هنا. انظر: ورقة ٢٠٨و/سطر ١١-١٢.

[1] م - إليه.

[2] جميع النسخ: يكون.

[3] ك: أن لا يرد.

[4] ن ع م: في ذلك.

[5] ع: لأن الآية.

[6] ع م: لا يضطر.

[7] قال الشارح: «مع أنهم عاينوا الآيات [يوم القيامة] وحصل لهم المعرفة عن اضطرار بثبوت الصانع وتوحيده لم يؤمنوا وعادوا لما نهوا عنه من الكفر» (*شرح التأويلات*، ورقة ٢٤٦ظ).

[8] جميع النسخ + هم.

[9] ن - فعلى ذلك.

[10] قال الشارح: «ولكن هذا فاسد؛ لأن الله تعالى أخبر أن النار جزاء ما يوجد منهم من الذنب، وأنه لا يُعذِّب في الآخرة أحدٌ بغير ذنب. ولا يجوز أن يعذب بما يعلم من العناد والتعنت من أحد أنه لو امتحنه وكلّفه بشيء لَخالفَه ولم يمسك بأمره من غير أن امتحنه ووُجد منه الخلاف، فيكون تعذيبا بلا صُنْعٍ وُجِد مِن جهته» (*شرح التأويلات*، ورقة ٢٤٧و، ونسخة المدينة، ورقة ٢٧٥و).

[11] جميع النسخ: وعندوا. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٤٧و.

[12] قال الشارح: «وبهذا يبيّن أنْ ليس منعُ إعادتهم إلى الدنيا لِمَا علم منهم أنهم لا يؤمنون لو كان في الحكمة يحتمل الإعادة؛ لأنه مع علمه أنهم لا يؤمنون أبدا أمهلهم في الدنيا. فردُّهم ثانيا ليس إلا زيادةٌ في الإمهال وإن علم أنهم لا يميلون إلى الإيمان بل يعودون إلى ما هم عليه من الكفر، لكن هذا إخبارٌ منه عن تعنتهم» (*شرح التأويلات*، ورقة ٢٤٧و، ونسخة المدينة، ورقة ٢٧٥و).

ثم ظنت[١] المعتزلة أن الله لو علم أنهم يؤمنون[٢] لردّهم إلى ذلك، إذ بين أنهم لا يؤمنون. فيستدلون بهذا أنْ ليس لله قبضُ روحٍ يعلم أنه لو لم يقبضه يؤمن يومًا من الدهر. وقد بيّنّا نحن أنّ ذلك لا يوجب وإن كان[٣] في علم الله[٤] أن يعودوا إلى ذلك، بما قد يَترك في الدنيا مَن يَعلم أنه يَلزم الكفر، ويُنجي عن المهالك من يَعلم أنه يعود، ثم قد يَترك من يعود إلى الكفر على وجود ما به النجاة عنه. ***والله أعلم***. وبعدُ فإن الله تعالى قال: وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ،[٥] فبين أنه لم يبسط[٦] لئلا يبغوا. وقال: وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمٰنِ،[٧] الآية. ثم قد جَعل لكثيرٍ ممّن ضَلّ بهم قومٌ نحو الفراعنة و[بَسَط الرزق] لكثيرٍ منهم وقد بَغَوْا في الأرض، إذ لو لم يكن البسط لفرعون لم يكن لِيدّعي الإلهية، لكن الأول طريق الفضل يتفضل به،[٨] والثاني طريق العدل وما يجوز في الحكمة، فعلى ذلك الإمهال. يبين ذلك[٩] ما كان الله يأمر بقتل من لعله يؤمن لو أُمهل بما ندب إلى القتال، ولا يحتمل أن يأمر في قتل من ليس له قبض روحه. وقد يُبقي من به يُهلَك ويُضَلّ، وإنْ قَبَضَ كثيرًا منهم بما يُضل به لو أُبقي، كما قال: فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا.[١٠] ***والله أعلم***.

---

[١] ع: ثم ظنت.

[٢] ن ع م: لا يؤمنون.

[٣] ك ع م + أولئك؛ ع م: ان كان.

[٤] ع م – الله.

[٥] سورة الشورى، ٤٢/٢٧.

[٦] ن ع: لو يبسط.

[٧] ﴿ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سُقُفا من فضة ومعارج عليها يظهرون. ولبيوتهم أبوابا وسُرُرا عليها يتكئون. وزخرفا وإن كل ذلك لما متاعُ الحياةِ الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين﴾ (سورة الزخرف، ٤٣/٣٣-٣٥).

[٨] ك ع م: يفضل به.

[٩] ك ن: يبين لك.

[١٠] ﴿وأما الغلام فكان أبواه مؤمنَين فخشينا أن يُرهِقَهما طُغيانًا وكُفرًا فأردنا أن يُبْدِلَهما ربهُما خيرًا منه زكاة وأقرب رُحمًا﴾ (سورة الكهف، ١٨/٨٠-٨١). قال الشارح: «أما ما ذكرت المعتزلة ففاسد؛ فإن الله تعالى وإن أخبر أنه لو ردهم لعادوا لما علم فيهم ذلك ولكن هذا لا يوجب أنه إنما لم يردهم لأنه لو ردهم لعادوا إلى الكفر. فإنا نرى أن الله تعالى قد يترك و يُبقي حيًا من يعلم منه أنه يكفر في آخر عمره، فلا يكون إبقاؤه مصلحة في حقه، ولو أماته على الإسلام في الحال كان أصلح؛ كما أنه قد يُبقي كافرا لما يعلم أنه يؤمن آخر عمره. فأحدهما طريق العدل وما يجوز في الحكمة، والآخر طريق الإفضال يُفْضِل به على من يشاء. ألا يُرى أن الله تعالى قال: ﴿ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض﴾، فبين أنه لم يبسط لئلا يبغوا، وقال: ﴿ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة﴾، أخبر أنه لو جعل الكفار في سَعة وغَناء على الكمال... =

وظنت[1] الخوارج بهذه الآية أنّ كلّ من يرتكب كبيرة يَظهر منه كذبُه فيما وعد أنه لا يَفعل،[2] إذ الله سمّاهم[3] كَذَبَةً بما في علمه أنهم يعودون إلى ذلك؛[4] فإذا تَقرّر عندنا مِن أحدٍ ركوبُ ما كان في عهده[5] وإيمانه أنه [لا] يرتكب يَظهر به كذبُه. وذلك خطأ؛ لِماَ لو كان كذلك لكان [شأن] الصغائر والكبائر واحدًا، ومَن كَذب في أمر الصغائر في العهد أو رَدّ يَكفُر. ومن ارتكب الصغيرة[6] لم يَصِرْ كذلك، فعلى ذلك الكبائر.

لكن الآية تخرج على وجوه. أحدها أنها في قومٍ أرادوا بذلك دفع العذاب، لا أنْ عزموا على ما ذكروا؛ دليله فتنتهم بقوله: وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ.[7] والثاني أنه ذكر كذبهم. [فلمّا كَذَبوا] أَنْطَقَ الله جوارحهم فشهدت عليم بما كتموا من الشرك،[8] فتمنوا عند ذلك العود والرد.*

وقوله تعالى: **ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون**، تعلق بظاهر هذه الآية الخوارج والمعتزلة. أما المعتزلة فإنهم قالوا: إنهم لما طلبوا الرد ولم يردهم لما علم أنهم لو ردهم[9] لعادوا إلى التكذيب ثانيا، ولو علم منهم أنهم لا يعودون لكان يردهم،[10] فدل أنه[11]

= لَكَفَرَ بعض المسلمين لِضَعْفِ قلوبهم. ثم قد جعل الله تعالى لكثيرٍ ممّن ضلّ وبقي في الأرض بسوطة اليد في الدنيا من نحو الفراعنة من نمرود وفرعون، إذ لو لم يكن البسط لفرعون ونحوه لم يكن ليدعي الألوهية؛ لكن الأول طريق الفضل، والثاني طريق العدل. فعلى ذلك الإمهال والإبقاء في حق البعض يكون مصلحةً فَضْلاً منه، وفي حق البعض مفسدةً عَدْلاً منه، وهو في كل ذلك حكيم يتصرف في ملكه كيف ما شاء. تقرير ما قلنا أن الله أمر بقتل الكفار مطلقًا بقوله: ﴿فاقتلوا المشركين﴾ (سورة التوبة، ٩/٥)، ولا يحتمل أن يأمر بقتل من ليس له قبض روحه، فدلّ أن ما قالوه فاسد» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٤٦ظ).

[1] ع: وظننت.

[2] سيعيد المصنف كلام الخوارج بعد قليل بعبارة أوضح من هذه.

[3] ع: نماهم.

[4] ع + إلى ذلك.

[5] ك: عهده.

[6] ك ن ع – الصغيرة.

[7] سورة الأنعام، ٦/٢٣.

[8] يشير إلى قوله تعالى: ﴿حتى إذا ما جاءوها شَهِد عليهم سمعُهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون. وقالوا لجلودهم لِمَ شهدتم علينا قالوا أَنْطَقَنَا الله الذي أَنْطَقَ كلّ شيء وهو خَلَقَكم أوّل مرة وإليه تُرجعون (سورة فصلت، ٤١/٢٠-٢١).

* وقعت هنا عبارة متعلقة بتفسير أول الآية، فنقلناها إلى هنالك. انظر: ورقة ٢٠٧ظ، ٣٦-٣٧.

[9] م: لو ردوهم.

[10] م: لا يردهم.

[11] ع: أنهم.

إنما لم يردهم لما علم منهم أنهم يعودون إلى ما كانوا من قبل. فيستدلون / بظاهر هذه الآية [٢٠٨و] على أن الله لا يفعل بالعبيد[١] إلا الأصلح لهم في الدين.[٢] وقالوا: لو علم منهم الإيمان لكان لا يجوز له أن لا يردهم.[٣] ومن قولهم: إنه إذا علم من كافر أنه يؤمن في آخر عمره لم يجز له أن يميته، وغير ذلك من المخاييل والأباطيل.

وقالت الخوارج: أخبر أنه لو ردهم[٤] لعادوا لما نهوا عنه، وسماهم بهذا القول[٥] كاذبين لما في علمه[٦] أنهم لا يفعلون بما يقولون. فعلى ذلك كل صاحب كبيرة إذا كان في اعتقاده الذي أظهره أنه لا يأتي[٧] بها فإذا أتى بها يصير[٨] فيما اعتقده أن لا يأتي بها كاذبًا. ولذلك[٩] يجعلون أصحاب الكبائر كَذَبَةً في[١٠] القول الأول أنهم لا يأتون بها. وعلى ذلك كانت[١١] المبايعة بقوله: يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللهِ،[١٢] الآية، فإذا سَرَقْنَ صِرْنَ كاذباتٍ في البيعة، كما جُعل من ذُكر كاذبًا في الوعد إذا أخلف، وعلى ذلك يجعلونه[١٣] كافرا.[١٤]

وقوله عز وجل: **وإنهم لكاذبون**، يحتمل **لكاذبون**، أي ليكذبون لو رُدّوا. أو **إنهم لكاذبون** في قولهم: وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ،[١٥] أي يضمرون أنهم لا يؤمنون. كقوله تعالى:

---

[١] ن: بالعبد.

[٢] ع: في الدنيا.

[٣] ع: لا تردهم.

[٤] ع: لو ردوا هم.

[٥] جميع النسخ: بالقول. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٤٦و. والمقصود بهذا القول هو قولهم في الآية السابقة: ﴿يا ليتنا نُرَدُّ ولا نُكذِّبَ بآيات ربنا ونكونَ من المؤمنين﴾.

[٦] ك ن ع: بما في علمه.

[٧] م: لا تأتي.

[٨] ن: تصير.

[٩] ع: لذلك.

[١٠] ن + في.

[١١] ع م - كانت.

[١٢] ﴿يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم﴾ (سورة الممتحنة، ١٢/٦٠).

[١٣] ع: يجعلون.

[١٤] والمقصود أن صاحب الكبيرة يخالف الوعد الذي وعد الله به عند إيمانه. فإيمانه الذي أظهره بمثابة قوله: إني أعد الله أن لا أرتكب ما يخالف أمره. فإذا خالف أمر الله فقد خالف وعده وصار كافرا.

[١٥] سورة الأنعام، ٢٧/٦.

إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ -إلى قوله- وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ،[1] يقولون: إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ، لكنهم لما أضمروا خلاف ذلك في قلوبهم سمّاهم[2] كاذبين. فعلى ذلك هؤلاء لمّا أضمروا في أنفسهم التكذيب وإن رُدّوا فهم[3] كاذبون في ذلك.*

والثاني أنه ذكر كذبهم بما اعتادوا العناد وظهر منهم الجحود في القديم، فبذلك سمّاهم كَذَبَةً كما سمّى أهلَ النار كفرة بما كان[4] من كفرهم قبل أن يصيروا[5] إليها، فعلى ذلك هذا.

والثالث أن يكون على الخبر عن عاقبتهم أنهم يصيرون كاذبين لو رُدّوا وعُرض عليهم ذلك،[6] وبُعث إليهم الرسل بالآيات، لا أن يكذبوا في ذلك الوعد.

﴿وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾[٢٩]

وقوله عز وجل: **وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين**، قوله تعالى: **إن هي**، يحتمل **هي** الحياة الدنيا، ويحتمل **هي** الدنيا. ثم هذا القول يحتمل أن يكون من الدهرية،[7] لأنهم ينكرون البعث والحياة بعد الموت، ويقولون: إن هذا الخلق كالنبات ينبت[8] ثم يتلاشى؛ فعلى ذلك[9] الخلق يموتون ويصيرون ترابًا ثم يحيون في الدنيا، كقوله:[10] نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ.[11] ويحتمل أن هذا القول كان من مشركي العرب لما لم يروا إلا الدهر ولم يشاهدوا غيره، فظنوا أنه ليس يهلكهم إلا ذلك الدهر الذي تدور[12] الدنيا عليه. فإن كان ذلك منهم فإنما كان ذلك[13] من كبرائهم ورؤسائهم على علمٍ منهم بذلك أي بالبعث،

---

[1] ﴿إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون﴾ (سورة المنافقون، ١/٦٣).

[2] ن: سماعون.

[3] م: انهم.

* وقعت هنا عبارة متعلقة بتفسير أول الآية، فنقلناها إلى هنالك. انظر: ورقة ٢٠٨و/سطر ١١-١٢.

[4] ع م: بما كانوا.

[5] م: أن تصيروا.

[6] م - ذلك.

[7] ع: من الدهرة.

[8] ع: يثبت.

[9] ن: فعلى هذا.

[10] ن: كقولهم.

[11] سورة الجاثية، ٢٤/٤٥.

[12] ك: يدور.

[13] ن - منهم فإنما كان ذلك.

يَلْبِسون ذلك على السَّفَلَة والأَتْباع ليكونوا أشد اتِّباعًا لهم وانقيادًا؛ لأنهم لو أعلموا الأَتْباع بالبعث بعد الموت لعلهم يتركون طاعتهم واتِّباعهم[1] لما يشتغلون بالاستعداد لذلك والعمل له، ففي ذلك تَرْكُ اتِّباعهم وطاعتهم.

﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هٰذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾[٣٠]

وقوله: **ولو ترى إذ وقفوا على ربهم**، أي لربهم، كقوله تعالى: يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ،[2] وكقوله تعالى: وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ،[3] أي للنصب.[4] وأصله ما روى في حرف[5] ابن مسعود رضى الله عنه: **ولو ترى إذ وقفوا** "إذ عُرِضُوا" **على ربهم**.

وقوله عز وجل: **قال أليس هذا بالحق**، يحتمل قوله: **أليس هذا بالحق**، أي البعثُ بعد الموت، لأنهم كانوا ينكرون البعث ويقولون: إنه باطل. ويحتمل بما كانوا أُوعِدُوا العذابَ[6] أن لم يؤمنوا فكذَّبوا ذلك،[7] فقال: **أليس** ما أُوعِدتم في الدنيا حقًّا،[8] فأقروا فقالوا: **بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون**، في الدنيا.

﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾[٣١]

وقوله عز وجل: **قد خسر الذين كذّبوا بلقاء الله**، يحتمل قوله تعالى: **كذّبوا بلقاء الله**، أي **كذّبوا** لقاءَ[9] وعدِ الله ووعيده في الدنيا. وعلى هذا يخرج قوله: مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللهِ،[10] أي يرجو[11] لقاء وعد الله ووعيده. خسروا في الآخرة بتكذيبهم ذلك في الدنيا.[12]

---

[1] ع: واقتضاؤهم.
[2] سورة المطففين، ٨٣/٦.
[3] سورة المائدة، ٥/٣.
[4] ك: أي النصب.
[5] ن – في حرف؛ صح هـ.
[6] ن ع م: بالعذاب.
[7] م – ذلك.
[8] ك ن م: حق؛ ع: احق.
[9] م + الله.
[10] سورة العنكبوت، ٢٩/٥.
[11] ك ن: أي يرجوا.
[12] ع م – وعلى هذا يخرج قوله من كان يرجو لقاء الله أي يرجو لقاء وعد الله ووعيده خسروا في الآخرة بتكذيبهم ذلك في الدنيا.

وعلى ذلك يخرج ما روي في الخبر: «من أحبَّ لقاء الله»[1] أي أحبّ لقاء ما وعد[2] الله له، «ومن كره لقاء الله» أي كره لقاء ما وُعد له. وأصله مَن أحب الرجوع إلى الله أحب الله رجوعه، ومَن كره الرجوع إلى الله[3] كره الله رجوعه إليه. والمحبة لله اختيار أمره وطاعته. وعلى ذلك ما روي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الدنيا جنة الكافر، يلعب فيها ويرتكض في أمانيها، وسجن المؤمن، وراحته[4] بالموت».[5] وأصله أنها سجن المؤمن، لأن المؤمن يمنعه دينه من قضاء شهواته لما يخاف هلاكه، ويُحذّره[6] عمّا يُفضيه إلى الهلاك، والكافر لا يمنعه شيء من ذلك عمّا يريد من قضاء شهواته في الدنيا، فتكون له[7] كالجنة وللمؤمن كالسجن على ما ذكرنا. ويحتمل وجها آخر وهو أن الكافر عند الموت يُعايِن مكانه وما أُوعِد له في النار، فيصير عند ذلك الدنيا كالجنة له ويكره[8] الرجوع، والمؤمن يُعايِن موضعه في الجنة فيصير الدنيا[9] كالسجن له.

وقوله عز وجل: **حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة**، قيل: سميت القيامة ساعة لسرعتها، [فهي] ليست كالدنيا؛ لأن في الدنيا يتغيرّ فيها على المرء الأحوال، يكون نُطْفَةً ثم يصير عَلَقَةً ثم مُضْغَةً ثم يصير خَلْقًا آخر ثم إنسانا[10] ثم يكون طفلاً ثم رجلاً، يتغير عليه الأحوال. وأما القيامة فإنها لا تقوم على تغير الأحوال، فسُمِّيَت **الساعة** لسرعتها بهم. وقيل: سُمِّيت القيامة **الساعة**[11]

---

[1] قال النبي عليه الصلاة والسلام: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه» (*صحيح البخاري*، الرقاق ٤١؛ وصحيح *مسلم*، الذكر ١٤).

[2] ك: ما عد.

[3] ك ن: إليه.

[4] م: وراحتها.

[5] لم أجده بهذا اللفظ. ولكن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» (صحيح *مسلم*، الزهد ١؛ وسنن *الترمذي*، الزهد ١٦). وروي بزيادة: «الدنيا سجن المؤمن وسَنَته، فإذا فارق الدنيا فارق السجن والسَّنة» (*مسند أحمد بن حنبل*، ١٩٧/٢). والمراد بالسَّنة الجَدْب. انظر: كشف *الخفاء* للعجلوني، ٤٩٤/١. وذكر الهيثمي أن رجاله ثقات. انظر: مجمع *الزوائد*، ٢٨٩/١٠.

[6] أي ويحُذّر المؤمنَ دينُه.

[7] ك ن: فيكون له.

[8] جميع النسخ: يكره.

[9] ك ع م - الدنيا.

[10] ع م: ثم أنشأنا. أي يتقلب الجنين في بطن أمه من مرحلة إلى أخرى حتى يصير إنسانا كامل الأعضاء ويولد كذلك. يقول الله تعالى: ﴿ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ (سورة المؤمنون، ١٤/٢٣).

[11] م: ساعة.

لأنها تقوم في ساعةٍ، وهو / كقوله: وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ.[١] وقيل: [٢٠٨ظ] سُمِّيت **الساعة** لما تقوم ساعةً فساعةً.[٢]

وقوله عز وجل: **بغتة**، أي فجأة.

وقوله عز وجل: **يا حَسْرَتَنا على ما فرَطنا فيها**، قيل: التفريط هو التضييع. فيحتمل قوله: **ما فرَطنا فيها**، أي ما ضيعنا في الدنيا من المحاسن والطاعات. ويحتمل ما ضيعنا في الآخرة من الثواب والجزاء الجزيل بكفرهم في الدنيا.

وقوله عز وجل: **وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم**، هو -والله أعلم- على التمثيل، ليس على التحقيق. وهو[٣] يحتمل وجهين. يحتمل أنه أخبر أنهم **يحملون أوزارهم على ظهورهم**، بما لزموا **أوزارهم** وآثامهم لم يُفارقوها قط وَصَفَهم بالحَمل على الظهر. وهو كقوله تعالى: وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ،[٤] لا يكون طائره في عنقه،[٥] ولكن لما لزم ذلك صار كأنه في عنقه. والثاني إنما ذكر الظَّهر لما بالظهر يُحمَل ما يُحمَل، فكان كقوله: فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ،[٦] وبِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ؛[٧] لأن الكفر لا يُكتسَب بالأيدي ولا يُقدَّم بها، لكن اكتساب الشيء وتقديمه لمّا كان باليد ذكر اكتساب اليد وتقديمه. وكقوله: فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ،[٨] أنهم لمّا تركوا العمل به والانتفاع صار كالمنبوذ وراء الظهر، لأن الذي يُنبَذ وراء الظهر هو الذي لا يُعبأ به ولا يُكتَرث إليه. ويحتمل وجها آخر، [وهو] ما ذكر[٩] في بعض القصة أنه يأتيه عمله الخبيث على صورة قبيحة، فيقول له: كنت أحملك في الدنيا باللّذات والشهوات، فأنت[١٠] اليوم تحملني، فيركب ظهره، فذلك قوله تعالى: **وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء ما يزرون**.[١١]

---

[١] سورة النحل، ٧٧/١٦.
[٢] ك ن ع – لما تقوم ساعة فساعة؛ ك + قوله.
[٣] ع: فهو.
[٤] سورة الإسراء، ١٣/١٧.
[٥] ع م – لا يكون طائره في عنقه.
[٦] سورة الشورى، ٣٠/٤٢.
[٧] سورة آل عمران، ١٨٢/٣.
[٨] ﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم﴾ (سورة آل عمران، ١٨٧/٣).
[٩] ع م: ما ذكره.
[١٠] ع م: وأنت.
[١١] روي ذلك عن السدي. انظر: *تفسير الطبري*، ١٧٩/٧؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٢٦٢/٣-٢٦٣.

﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[٣٢]

وقوله عز وجل: **وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو**، يحتمل أن يكون هذا صلة قوله: وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ.[١] قال: **وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو**،[٢] أي[٣] **الحياة الدنيا** للدنيا خاصة، لأن العمل إذا لم يكن لعاقبةٍ تُتَأَمَّل[٤] فهو عبث، كَبَانٍ يَبْنِي[٥] بِناءً لا لعاقبةٍ يَتأمّل ويَقصد ببنائه[٦] فهو لَعِبٌ وعبث،[٧] فعلى ذلك **الحياة الدنيا** لا لدارٍ أخرى تُتأمّل وتُرجَى به[٨] الثواب والعقاب ليس بحكمة، وإنما هو[٩] **لعب ولهو**. وعلى ذلك يخرج قوله تعالى: أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا،[١٠] الآية،[١١] أخبر أنّ خَلْقَه إياهم إذا لم يكن للرجوع إليه فهو عبث؛ فعلى ذلك **الحياة الدنيا** إذا لم يكن هناك بعث ولا حياة[١٢] بعد الموت للثواب والعقاب فهو **لعب ولهو**. واللَّهْو ما يُقصَد به قضاء الشهوة خاصة، ولا يقصد به[١٣] العاقبة؛ واللَّعِب هو الذي لا حقيقة له ولا مقصد.

وقوله عز وجل: **وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون**، أي الدار **الآخرة خير للذين يتقون**، الشرك والفواحش كلّها من الحياة الدنيا.[١٤] وأصله أن **الحياة الدنيا** على ما عند أولئك الكفرة **لعب ولهو**؛ لأنّ عندهم أنْ لا بعث ولا ثواب ولا عقاب، فإذا كان عندهم هكذا فيصير لعبًا ولهوًا، لأنه يحصل إنشاءٌ لا عاقبةَ له، فيكون كَبِنَاء البَنَّاء الذي ذكرنا إذا كان عاقبتُه غيرَ مقصودة، فهو لا لإنتفاعٍ به.[١٥]

---

[١] سورة الأنعام، ٦/٢٩.
[٢] ن م – يحتمل أن يكون هذا صلة قوله وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين قال وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو.
[٣] ع – يحتمل أن يكون هذا صلة قوله وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين قال وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو أي.
[٤] جميع النسخ: يتأمل.
[٥] م: بني.
[٦] ن ع م: بنيانه.
[٧] م: عبث.
[٨] جميع النسخ: يتأمل ويرجى به.
[٩] ع – هو.
[١٠] سورة المؤمنون، ٢٣/١١٥.
[١١] ك – الآية.
[١٢] ك – ولا حياة.
[١٣] جميع النسخ: لا يقصد به.
[١٤] ن + لكم.
[١٥] ك ن: فهو الانتفاع به؛ ع – فهو لانتفاع به.

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾[٣٣]

وقوله عز وجل: **قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون،** هذا -والله أعلم- إخبارٌ مِنه نبيّه عليه الصلاة والسلام أنه عن علمٍ مِنه بتكذيبهم إياك بَعَثَك إليهم رسولاً، وأَمَرَك بتبليغ الرسالة إليهم، وكان عالمًا بما يلحقك من الحزن بتكذيبهم إياك، ولكن بعثك إليهم رسولاً مع علمٍ منه بهذا كله لِتُبَلِّغَهم. يذكر هذا -والله أعلم- لِيَعلم رسولُه أنْ لا عذر له في ترك تبليغ الرسالة وإن كذَّبوه[1] في تبليغها.

ثم الذي[2] يَحمله على الحزن يحتمل وجوهًا. يحتمل يُحزِنُه افتراؤهم وكذبهُم على الله. أو كان[3] يحزن لتكذيب[4] أقربائه وعشيرته إياه، فإذا كذّبه عشيرته[5] انتهى الخبر إلى الأَبْعَدِين فيُكذِّبونه فيَحزن لذلك. أو يَحزن حُزنَ طَبْعٍ، لأنّ طبعَ[6] كلّ أحدٍ يَنفر عن التكذيب. أو كان[7] يَحزن إشفاقًا عليهم بما يَنزل عليهم[8] من العذاب بتكذيبهم إياه وأذاهم له، كقوله تعالى: لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ،[9] الآية، وكقوله تعالى: فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ.[10]

وقوله عز وجل: **فإنهم لا يكذبونك،** اختُلف في تلاوته. قرأ بعضهم بالتخفيف وبعضهم بالتشديد والتثقيل.[11] فمن قرأ بالتخفيف **لا يُكْذِبُونَكَ،** أي لا يَجِدونك كاذبًا قط. ومن قرأ بالتثقيل **لا يُكَذِّبُونَكَ،** أي لا يَنسبونك إلى الكذب، **ولا يُكَذِّبُونَكَ** في نفسك. ويحتمل قوله: **لا يكذبونك،** في السر، **ولكن** يقولون ذلك في العلانية. والتكذيب هو[12] أن يقال: إنّك كاذب.

[1] ع: وإن كذبوا.
[2] ع: هو الذي.
[3] ع: اذ كان.
[4] ن ع: التكذيب.
[5] ع: عشيرة.
[6] ع – لأن طبع.
[7] ع: أو كانوا.
[8] ك ن: ينزل بهم.
[9] ﴿لعلّك باخعٌ نفسك ألاّ يكونوا مؤمنين﴾ (سورة الشعراء، ٣/٢٦).
[10] سورة فاطر، ٨/٣٥.
[11] قرأ من الأئمة السبعة ابن كثير وعاصم وأبو عمرو وحمزة وابن عامر: لا يُكَذِّبُونَكَ، مُشَدَّدَة، وقرأ نافع والكسائي: لا يُكْذِبونَكَ، خفيفة. انظر: *كتاب السبعة* لابن مجاهد، ٢٥٧.
[12] ع – هو.

ولكن الظالمين، أي عادة **الظالمين** التكذيب **بآيات الله**. و**الظالمين** يحتمل وجهين. أحدهما **الظالمين** على نِعَمِ الله، عادتهُم التكذيب **بآيات الله**. أو **الظالمين**[1] على أنفسهم، لأنهم وضعوها في غير موضعها.

﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾[٣٤]

وقوله عز وجل: **ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا**، يخبر نبيّه عليه الصلاة والسلام ويُصبّره على تكذيبهم إيّاه وأذاهم بتبليغ الرسالة. يقول: لست أنت بأول مُكذَّب مِن الرسل، بل[2] كُذِّب إخوانك مِن قَبلِك على تبليغ الرسالة،[3] **فصبروا على ما كذبوا وأوذوا**، ولم يتركوا تبليغ[4] الرسالة مع تكذيبهم إياهم؛ فعلى ذلك لا عذر لك في ترك تبليغ الرسالة وإن كذّبوك في التبليغ ويؤذوك. وهو ما ذكرنا أنه يخبره أنه بعثك رسولاً على علمٍ منه بكل الذي كان منهم من التكذيب والأذى.

وقوله عز وجل: **فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى آتاهم نصرنا**، أخبر الله أنه نَصَر رسله. ثم يحتمل ذلك النصر وجوهًا. أحدها نصرهم: أي[5] / أظهر حججه وبراهينه حتى علموا [٢٠٩و] جميعًا أنها هي الحجج والبراهين، وأنهم رسل الله، لكنهم تعاندوا وكابروا. ويحتمل النصر لهم بما جعل آخر أمرهم لهم وإن كان قد أصابهم[6] شدائد في بدء الأمر. أو نصرهم لما استأصل قومهم وأهلكهم بتكذيبهم الرسل، وفي استئصال القوم وإهلاكِه إياهم وإبقاءِ الرسل نَصْرُهم. وكذلك قوله تعالى: إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا،[7] وقوله: إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ،[8] يخرج على الوجوه التي ذكرنا.

وقوله: **ولا مبدل لكلمات الله**، هو ما ذكرنا من النصر لهم واستئصال قومهم وما أوعدهم[9] من العذاب، فذلك **كلمات الله**. ويحتمل قوله: **كلمات الله**، حججه وبراهينه،

---

[1] م: والظالمين.
[2] ك – بل.
[3] ن – يقول لست أنت بأول مكذب من الرسل بل كذب إخوانك من قبلك على تبليغ الرسالة.
[4] ك ع م: بتبليغ.
[5] م + أي.
[6] ع: قد أصاب.
[7] سوة المؤمن، ٤٠/٥١.
[8] سورة الصافات، ٣٧/١٧٢.
[9] ن: واما أوعدهم.

كقوله: وَيُحِقُّ اللهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ،[١] أي بحججه وآياته، وكقوله تعالى: قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي،[٢] أي لحجج[٣] ربي.

وقوله عز وجل: **ولقد جاءك من نبأ المرسلين،** يحتمل[٤] ما ذكرنا من إهلاك القوم وإبقاء الرسل، قد جاءك ذلك النبأ. ويحتمل قوله تعالى: **ولقد جاءك من نبأ المرسلين،** من تكذيب قومهم لهم[٥] وأذاهم إياهم، فإن كان هذا ففيه تصبير رسول الله صلى الله عليه وسلم.

﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾[٣٥]

وقوله: **وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغي نفقا في الأرض،** كان يشتدّ على رسول الله صلى الله عليه وسلم[٦] ويَشُق عليه كُفْرُ قومِه وإعراضهم عن الإيمان حتى كادت نفسه تتلف وتهلك لذلك إشفاقا عليهم، كقوله:[٧] فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ،[٨] وقوله: لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ،[٩] ونحو ذلك من الآيات، [وكان] يُشفِق عليهم بتركهم الإيمان لما يُعذَّبون[١٠] أبدا في النار بذلك،[١١] فعلى ذلك قوله: **وإن كان كبر عليك إعراضهم.** أو كان يَكبرُ عليه ويَثقُل **إعراضهم** لما كانوا يطلبون منه الآيات حتى إذا جاء[١٢] بها لا يؤمنون، مِن نحو ما قالوا: وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ،[١٣] وغير ذلك من الآيات التي سألوها. فطَمِع رسول الله صلى الله عليه وسلم في إيمانهم إذا جاء بما سألوا من الآيات،

---

[١] سورة يونس، ٨٢/١٠.
[٢] سورة الكهف، ١٠٩/١٨.
[٣] ع: أي الحجج؛ م: أي حجج.
[٤] ك + هو.
[٥] ك – لهم؛ م + لهم.
[٦] ع م – وقوله وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغي نفقا في الأرض كان يشتد على رسول الله صلى الله عليه وسلم.
[٧] ع: قوله.
[٨] سورة فاطر، ٨/٣٥.
[٩] سورة الشعراء، ٣/٢٦.
[١٠] ع: لما يعذبوه.
[١١] ع م – بذلك.
[١٢] ع: حتى جاء.
[١٣] سورة الإسراء، ٩٣/١٧.

فكان الله عالما بأنه وإن جاءتهم آياتٌ لم يؤمنوا، وإنما يسألون سؤالَ تَعنُّت لا سؤالَ طلبِ آياتٍ لِتَدُلَّهم على الهدى، فقال عند ذلك: **فإن استطعت أن تبتغي نفقا في الأرض أو سلما في السماء**. أو أن يكون قوله: **فإن استطعت أن تبتغي نفقا في الأرض**،[1] نهيًا عن الحزن عليهم، أي لا تحزن عليهم كلّ هذا الحزن بما ينزل بهم وقد تَعلم صَنيعَهم وسوءَ مُعاملتِهم آياتِ الله. وكذلك روي في القصة عن ابن عباس رضي الله عنه أن نفرًا من قريش قالوا: يا محمد، ائتنا بآية[2] من عند الله[3] كما كانت الأنبياء تأتي[4] قومها بالآيات إذا سألوه، فإن أتيتنا آمنّا بك وصدّقناك. فأبى[5] الله أن يأتيهم بما قالوا، فأعرضوا عنه، فكَبُر ذلك عليه وشَق، فأنزل الله: **فإن استطعت**، يقول: إن قدرت،[6] **أن تبتغي**، يقول: أن تطلب، **نفقا في الأرض**، يقول:[7] سِرْبًا[8] في الأرض كنَفَق اليَرْبُوع[9] نافذا أو مَخْرَجًا فَتَوَارَى فيه[10] منهم،[11] **أو سُلَّمًا في السماء**، يقول:[12] سببًا إلى صعود **السماء فتأتيهم بآية**، التي سألوها[13] فافعل.[14] قال القتبي: النَّفَق في الأرض المَدْخَل وهو السِّرْب، والسُّلَّم **في السماء** المَصْعَد.[15] وقال أبو عوسجة: النَّفَق الغار، والأَنْفَاق الغِيران، والغار واحد.

---

[1] ك + أو سلما في السماء أو أن يكون قوله فإن استطعت أن تبتغي نفقا في الأرض.

[2] ع: ياته.

[3] ع: عند ذلك؛ م: من عند ذلك.

[4] ع: يأتي.

[5] جميع النسخ: فيأبى.

[6] ك ن: يقول قدرت.

[7] ك + يقول.

[8] السِّرْب هو الطريق، والسِّرْب كذلك جُحْر الوحشي من الحيوانات (*لسان العرب* لابن منظور، «سرب»).

[9] دابة أكبر من الفأرة قليلا (*لسان العرب* لابن منظور، «ربع»). وهي دابة معروفة من دواب الصحراء.

[10] ن ع م: فتوارى منه. أي فتوارى: تستتر.

[11] ن – منهم.

[12] ع م: يكون.

[13] ن: سألوكها.

[14] ذكره الآلوسي دون تفسير الآية، و لم يعزه إلى أحد. انظر: *روح المعاني* للآلوسي، ١٣٨/٧. وروي عن ابن عباس في قوله: ﴿وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغي نفقا في الأرض﴾، والنفق: السِّرْب، فتذهب فيه فتأتيهم بآية، ﴿أو﴾ تجعل لهم ﴿سُلَّمًا في السماء﴾ فتصعد عليه ﴿فتأتيهم بآية﴾ أفضل مما أتيناهم به فافعل (*تفسير الطبري*، ١٨٤/٧؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٢٦٥/٣). وأخرج الطستي عن ابن عباس أن نافع بن الأزرق قال له: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿تبتغي نفقا في الأرض﴾، قال: سِرْبًا في الأرض، فتذهب هربا (*الدر المنثور* للسيوطي، ٢٦٦/٣).

[15] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٥٣.

وقوله عز وجل: **ولو شاء الله لجمعهم على الهدى**، قال الحسن: أي **لو شاء الله** لقهرهم **على الهدى** وأكرههم كما فعل بالملائكة، إذ من قوله: إن الملائكة مجبورون مقهورون على ذلك.[1] ثم هو يُفَضِّل الملائكة على البشر ويجعل لهم مناقب لا يجعل ذلك لأحد من البشر. فلو كانت الملائكة مجبورين مقهورين على ذلك لم يكن في ذلك لهم كبير منقبة، ففي قوله اضطراب. وأما تأويله عندنا **ولو شاء الله لجمعهم على الهدى**، أي لجعلهم[2] جميعًا بحيث اختاروا الهدى وآثروه على غيره، ولكن لمّا عَلِم منهم أن يختاروا الكفر على الهدى لم يشأ أن يجمعهم **على الهدى**.[3] وقد ذكرنا هذا فيما تقدم أنْ لا يكونُ الهدى في حال القهر والجبر، وإنما يكون في حال الاختيار.[4]

وقوله عز وجل: **فلا تكوننّ من الجاهلين**، يحتمل وجوها. يحتمل **فلا تكونن من الجاهلين**،[5] عن قضاء الله وحكمه. ويحتمل **لا تكونن من الجاهلين**، عن إحسانه وفضله، أي مِن إحسانه وفضله[6] يَجعل لهم الهدى. ويحتمل **لا تكونن من الجاهلين**، أنه يؤمن بك بعضهم، وبعضهم لا يؤمن.

قال أبوبكر الكيساني في قوله: **ولو شاء الله لجمعهم على الهدى**: أي **لو شاء الله**[7] ابتلاهم بدون ما ابتلاهم به لِيَخِفّ عليهم فيجيبون بأجمعهم، أو يقول: **لو شاء**[8] لَوفّقهم جميعًا للهدى فيهتدون، وهو قولنا،[9] لكن لم يشأ لما ذكرنا أنه لم يوفّقهم لما علم منهم أنهم يختارون الكفر.[10]

وقوله: **فلا تكونن من الجاهلين**، بأن الله قادر، لو شاء لجعلهم جميعًا مهتدين. ثم معلوم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان معصومًا لا يجوز أن يقال: إنه يكون **من الجاهلين** أو من الشاكّين[11] على ما ذكر؛ ولكن ذَكَر هذا -والله أعلم- لِيُعلَم أن العصمة لا ترفع الأمر والنهي والامتحان، بل تزيد، لذلك كان ما ذُكر. ***والله أعلم***.

---

[1] ن ع م - على ذلك.
[2] ع: أي جعلهم.
[3] ك: على ذلك.
[4] انظر مثلا تفسير الآية من سورة البقرة، ٢/٢٥٧.
[5] ن - يحتمل وجوها يحتمل فلا تكونن من الجاهلين.
[6] ع م - وفضله.
[7] ك ن - الله.
[8] ك ن + الله.
[9] ن: قوله.
[10] ع م: الكفرة.
[11] ن: ومن الشاكين؛ ع م: أو من الشاكرين.

﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾[٣٦]

وقوله عز وجل: **إنما يستجيب الذين يسمعون**، معناه -والله أعلم- **إنما يستجيب الذين** ينتفعون بما **يسمعون**، وإلّا كانوا يسمعون جميعًا، لكن الوجه فيه ما ذكرنا أنه إنما يجيب الذين ينتفعون بما يسمعون. وهو كقوله تعالى: إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ،[١] كان النبي صلى الله عليه وسلم ينذر من اتبع الذكر ومن لم يتبع، لكن انتفع بالإنذار من اتبع الذكر ولم ينتفع من لم يتبع.[٢] وهو ما ذكر عز وجل: وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ،[٣] أخبر أن الذكرى تنفع / المؤمنين ولا تنفع[٤] غيرهم. [٢٠٩ظ]

وقوله عز وجل: **والموتى يبعثهم الله**، اختلف فيه. قال بعضهم: **والموتى يبعثهم الله**، على الابتداء، **يبعثهم الله ثم إليه يرجعون**. وقال قائلون: أراد بالموتى الكفار. سُمّي الكافر ميتًا والمؤمن حيًّا في غير موضع من القرآن، كقوله: أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ.[٥] فهو -والله أعلم- أنْ جَعَل لكلّ بشرٍ سمعَين وبصرَين وحياتَين، سَمْعٌ أبدي في الآخرة، وبَصَرٌ أبدي في الآخرة. وكذلك جَعَل لكلّ أحدٍ حياتَين، حياةٌ أبدية،[٦] وهي حياة[٧] الآخرة، وحياةٌ مُنْقَضِيَة،[٨] وهي حياة الدنيا. وكذلك سَمْعٌ أبدي، وهو سمع الآخرة، وسمعٌ ذو مدّة لها انقضاء، وهو سمع الدنيا. ثم نَفَى السمع والبصر والحياة عمن لم يُدرِك بهذا السمع والبصر والحياة التي جَعَل له في الدنيا ولم يُبْصِر سَمْعَ[٩] الأبدية وبَصَرَ الأبدية[١٠] والحياةَ الأبدية؛ لأنه إنما جعل لهم هذا في الدنيا ليدركوا بهذا ذاك.[١١] وكذلك العقول التي رُكّبت في البشر إنما رُكّبت لِيُدرِكوا بها ويُبصِروا ذلك الأبدي.

---

[١] سورة يس، ٣٦/١١.
[٢] ع: ولم يتبع.
[٣] سورة الذاريات، ٥١/٥٥.
[٤] ع: لا تنفع.
[٥] سورة الأنعام، ٦/١٢٢.
[٦] ن: أبدي؛ ع م - أبدية.
[٧] ك + في؛ ك ع م - وهي حياة.
[٨] ع م: منقبضة.
[٩] أي نَفَى عنه سَمْعَ الأبدية...
[١٠] م - وبصر الأبدية.
[١١] ك: ذلك.

وإلّا لو كان[1] تركيب[2] هذه العقول في البشر لهذه الدنيا خاصة لا لِعواقبَ تُتَأَمَّل[3] للجزاء والعقاب فالبهائم قد تُدرِك بالطبع ذلك القَدْر، وتعرف ما يؤتَى ويُتَّقَى وما يَصلُح لها وما لا يَصلُح.[4] فدلّ أنّ تركيبَ العقول في مَن رُكِّب إنما رُكِّب[5] لا لِمَا يُدرِك هذا، إذ[6] يُدرِك ذلك المقدارَ بالطبع مَن لم يُركَّب فيه، وهو البهائم التي ذكرنا. والسمع والبصر والحياة قد جُعل في الدنيا لمعاشهم ومعادهم. وكذلك جُعل لهم اللسان لينطق بحوائجهم في الدنيا ويعرفَ بعضهم من بعضٍ حاجتَه، وكذلك السمع والبصر ليعرف بعضهم من بعضٍ حاجتَه[7] في الدنيا ويُدرِكَ به الأزلي. فإذا لم ينتفعوا بذلك أزال عنهم ذلك وَسمّاهم العُمْي والصُمّ والبُكْم؛ ألا ترى أنه قال: صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ،[8] لِمَا لم ينتفعوا بذلك. ألا ترى[9] أنه إذا لم يدرك الأزلي والأبدي من ذلك سمّاه أعمى حيث قال: رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا.[10] والحياة حياتان؛ حياةٌ[11] مُكتَسَبة، وهي الحياة التي تُكتسَب بالهدى والطاعات؛ وحياةٌ مُنشَأَة، وهي حياة الأجساد. فالكافر له حياة الجسد وليس له حياة مكتسبة، وأما المؤمن فله حياتان جميعًا المكتسبة والمنشأة. فسَمَّى كُلًّا بالأسماء[12] التي اكتسبها، فالمؤمن اكتسب أفعالًا طيبة فسَمَّاه بذلك، والكافر اكتسب أفعالًا قبيحة فسَمَّاه بذلك.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٣٧]

وقوله عز وجل: **وقالوا لو لا نُزِّل عليه آيةٌ من ربه قل إن الله قادر على أن يُنزِّل آية،**

---

[1] ع م: لو كانت.
[2] ك: تركبت.
[3] ع م: يتأمل.
[4] ن + لها؛ ع م – وما لا يصلح.
[5] ع + هذا.
[6] ع – لما يدرك هذا إذ.
[7] ن ع م – وكذلك السمع والبصر ليعرف بعضهم من بعض حاجته.
[8] سورة البقرة، ١٨/٢.
[9] ك: ألا يرى.
[10] سورة طه، ١٢٥/٢٠.
[11] ك ع م – حياة.
[12] ع م: بأسماء.

هؤلاء قومٌ هِمَّتُهم[1] العناد والمُكابَرة، وإلَّا[2] قد كان أُنزل عليه آيات عقليات وسمعيات وحسيات. فأما الآيات العقليات هي ما ذَكر:[3] ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾[4] الآية. وأما الآيات السمعيات هي ما أنبأهم عن أشياء كانت غائبة عنه مِن غيرِ أنْ كان له اختلافٌ إلى مَن يَعلَمها ويُنَبِّئُه[5] عنها.[6] والآيات الحسيات[7] هي ما سَقَى أقوامًا كثيرةً بِلَبَنٍ قليلٍ من قَصْعَة،[8] وما قَطَع مسيرة شهرين بليلة واحدة،[9] ونُطْقُ العَنَاق الذي شُوي له،[10] وحَنِينُ المنبر،[11] وغير ذلك من الأشياء مما يكثُر ذكرها. لكنهم عاندوا، وكانت هِمَّتُهم العناد.

وقوله عز وجل: **قل إن الله قادر على أن ينزل آية**، التي سألوك، **ولكن أكثرهم لا يعلمون**، يحتمل وجهين. يحتمل[12] أنّ **أكثرهم لا يعلمون**، أنه إذا أَنزل[13] آيةً على إثْر السؤال أَنزل[14] عليهم العذاب واستأصلهم إذا عاندوا. ويحتمل قوله تعالى: **ولكن أكثرهم لا يعلمون**،

---

[1] ك م: همهم.

[2] ع م - وإلا.

[3] ن: ما ذكرنا.

[4] سورة الإسراء، ١٧/٨٨.

[5] ك ع م: وينبوها؛ ن: وينبؤها.

[6] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وما كُنْتَ بجانب الغَرْبِيّ إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنتَ من الشاهدين. ولٰكِنّا أنشأنا قرونًا فتَطَاوَلَ عليهم العُمُر وما كنتَ ثاويًا في أهل مَدْيَنَ تتلو عليهم آياتنا ولٰكِنّا كُنّا مُرسِلين. وما كنتَ بجانب الطور إذ نادَينا ولكن رحمةً من ربك لتنذر قومًا ما أتاهم مِن نذيرٍ مِن قَبلك لعلّهم يتذكّرون﴾ (سورة القصص، ٢٨/٤٤-٤٦)، ونحو ذلك من الآيات.

[7] ك - والآيات الحسيات.

[8] ورد ذلك في حديث طويل. انظر: *صحيح البخاري*، الرقاق ١٧؛ و*سنن الترمذي*، صفة القيامة ١٧.

[9] يشير بذلك إلى معجزة الإسراء من مكة إلى بيت المقدس. انظر: سورة الإسراء، ١٧/١. ولتفاصيل معجزة الإسراء انظر: *صحيح البخاري*، مناقب الأنصار ٤٢؛ و*صحيح مسلم*، الإيمان ٢٥٩.

[10] ن - له. لعله يشير إلى تقديم اليهود الشاة المسمومة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وإخبار الشاة له بأنها مسمومة. انظر: *سنن الدارمي*، المقدمة ١١.

[11] عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب إلى جِذْع، فلما اتخذ المنبر تحوّل إليه، فحَنَّ الجِذْع، فأتاه فمسح يده عليه (*صحيح البخاري*، المناقب ٢٥؛ و*سنن ابن ماجه*، إقامة الصلاة ١٩٩؛ و*سنن الترمذي*، الجمعة ١٠).

[12] ع م + أن يكون.

[13] ع م: أنه أنزل.

[14] جميع النسخ: لأنزل.

أنه لا يُنزل الآيةَ إلا عند[1] الحاجة[2] إليها. ويحتمل أنْ لا يسألون الآية ليعلموا، ولكن يسألون ليتعنّتوا. أو إذا أُنزل[3] عليه[4] آيةً على إثْر سؤالٍ[5] فلم يقبلوها ولم يؤمنوا بها أَهلكهم على ما ذكرنا مِن سُنَّتِه في الأولين، لكنّه وَعَد إبقاء هذه الأمة[6] إلى يوم القيامة.

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾[٣٨]

وقوله عز وجل: **وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم،** يشبه أن يكون هذا صلة قوله: قُلْ إِنَّ اللهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً؛[7] لأنه ذَكر **دابة،** والدابة[8] كل ما يَدِبّ على وجه الأرض من ذي الروح، وذَكر الطائر وهو اسم كُلّ ما يطير في الهواء، لَمّا كان قادرًا على خلق هذه الجواهر المختلفة وسَوْق رزق كلٍّ منهم إليهم [فإنه] لقَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً، [وإذًا] لَاضطرّوا جميعًا إلى القبول لها والإقرار بها، ولكنه لا يُنزل لِمَا ليست لهم الحاجة إليها، والآيات لا تنزل إلا عند وقوع الحاجة بهم إليها.[9] وعلى هذا يخرج[10] قوله: وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ.[11]

ومن الناس[12] من[13] استدل بهذه الآية على أن البهائم والطير ممتحنتان حيث قال: **إلا أمم أمثالكم،** ثم قال: وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ.[14] ثم اختلف في قوله تعالى: **إلا أمم أمثالكم.** عن أبي هريرة رضي الله عنه قال في قوله تعالى: **إلا أمم أمثالكم،**

[1] ع م: الآية عند.
[2] ن ع م + بهم.
[3] ن + الله.
[4] ن ع م - عليه.
[5] ن: السوال.
[6] ك ع م: الآية.
[7] سورة الأنعام، ٦/٣٧.
[8] ن - والدابة.
[9] ع - إليها.
[10] ك + يخرج.
[11] سورة الأنعام، ٦/٣٧.
[12] ك ع م: من الناس.
[13] ع م - من.
[14] سورة فاطر، ٣٥/٢٤.

أي إلّا سيُحشَرون يوم القيامة كما تُحشَرون،[1] ثم تَقتصّ[2] البهائم بعضها من بعض، ثم يقال لها: كوني ترابًا، فعند ذلك يَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا،[3] كالبهائم.[4] وعن ابن عباس قال: **وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم**، أي يَفْقَهُ بعضها من بعض كما يفقه بعضكم من بعض، **وأمم أمثالكم**، في معرفة ما يُؤتَى ويُتَّقَى. ويحتمل **إلا أمم أمثالكم**، في الكثرة والعدد والخَلْق والصنوف، تُعرَف بالأسامي كما تُعرَفون أنتم. وأصله أنّ ما ذكر من الدواب والطير **أممٌ أمثالُكم**، سَخَّرها لكم، لم يكن منها[5] ما يكون منكم من العناد والخلاف[6] والتكذيب للرسل والخروج عليهم، بل [كانوا][7] خاضعين لكم [٢١٠و] مُذلَّلين، تنتفعون بها. ويحتمل قوله: **إلا أمم أمثالكم**، في حق معرفة وحدانيته وألوهيته، / أو حق الطاعة لله كقوله تعالى: وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ.[8]

وقوله عز وجل: **ما فرّطنا في الكتاب من شيء**، اختلف فيه. قال بعضهم: **ما فرّطنا**، أي ما تركنا شيئا إلا وقد ذكرنا أصله في القرآن. وعن ابن عباس رضى الله عنه قال: ما تركنا شيئًا إلا قد كتبناه **في** أم **الكتاب**؛[9] وهو اللوح المحفوظ. وقيل: **ما فرطنا**، ما ضيعنا، **في الكتاب**، ما قد يقع لكم الحاجة إليه أو [لكم] منفعةٌ [فيه][10] إلّا قد بيّناه لكم في القرآن. **ثم إلى ربهم يحشرون**، قيل: الطير والبهائم **يُحشَرون** مع الخلق. وقيل: **إلى ربهم يحشرون**، يعني بني آدم.

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَأِ اللهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[٣٩]

وقوله: **والذين كذبوا بآياتنا**، قال الحسن: **بآياتنا**، ديننا. وقال غيره: **كذبوا بآياتنا**، حُجَجِنا؛

---

[1] ن: كما يحشرون؛ م - كما تحشرون.
[2] ك: ثم ينتص؛ م: ثم يقتص.
[3] سورة النبأ، ٧٨/٤٠.
[4] *تفسير الطبري*، ٧/١٨٨-١٨٩؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٣/٢٦٧-٢٦٨.
[5] ن ع م: منهم.
[6] ع م - والخلاف.
[7] من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٤٨ظ.
[8] سورة الإسراء، ١٧/٤٤.
[9] *تفسير الطبري*، ٧/١٨٨؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٣/٢٦٧.
[10] من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٤٨ظ.

حُجج وحدانيته وألوهيته، وحُجج الرسالة والنبوة. ويحتمل آيات البعث. كَذّبوا بذلك كلّه. وقد ذكرنا هذا في غير موضع.[١]

وقوله عز وجل: **صم وبكم**، هو ما ذكرنا[٢] أنه نَفَى عنهم السمع واللسان والبصر لما لم يعرفوا نعمة السمع ونعمة البصر ونعمة اللسان. ولا يجوز أن يَجعل[٣] لهم السمع والبصر واللسان ثم لا يُعلِّمهم ما يَسمعون بالسمع وما يَنطقون باللسان؛ دلّ أنه يُحتاج إلى رسولٍ يسمعون منه[٤] ويستمعون إليه وينطقون ما عَلَّمهم. فإذا لم يفعلوا صاروا كما ذكر: صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ،[٥] لما لم ينتفعوا به ولم يعرفوا نعمته التي جعل لهم فيما ذكر. أو نفى عنهم السمع والبصر واللسان لما ذكرنا أن السمع والبصر والحياة على ضَرْبَين: مُكتَسَب ومُنشَأ، فنفى عنهم السمع[٦] المكتسب والبصر المكتسب والحياة المكتسبة.

وقوله عز وجل: **في الظلمات**، يحتمل وجهين. يحتمل ظلمات الجهل والكفر. والثاني هم في ظلمات، يعني ظلمات السمع والبصر والقلب. وهم في ظلمتين جميعًا، في ظلمة الجهل والكفر، وظلمة السمع والبصر، كقوله تعالى: ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ.[٧] والمؤمن في النور، كقوله تعالى: نُورٌ عَلَى نُورٍ.[٨]

وقوله: **من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم**، وَصَف عز وجل نفسَه بالقدرة، وجعلهم جميعًا مُتقلِّبين في مشيئته، وأخبر أنه شاء لبعضهم الضلال ولبعضهم الهدى. فمَن قال: إنه شاء للكل الهدى لكن[٩] لم يهتدوا، أو شاء للكل الضلال، فهو خلاف ما ذكره عز وجل؛ لأنه أخبر أنه شاء الضلال لمن ضَلّ، وشاء الهدى لمن اهتدى. وأصله أنه إذا عَلِم من الكافر أنه يختار الكفر شاء أن يَضِلّ وخَلَق فِعل الكفر منه؛ وكذلك إذا علم مِن المؤمن أنه يختار الإيمان والاهتداء شاء أن يهتدي وخَلَق فِعل الاهتداء منه.

---

[١] انظر مثلا تفسير الآية من سورة النساء، ٥٦/٤.
[٢] انظر مثلا تفسير الآية من سورة الأنعام، ٣٦/٦.
[٣] ن: أن يجعلهم.
[٤] ك – منه.
[٥] سورة البقرة، ١٨/٢.
[٦] ع – السمع.
[٧] سورة النور، ٤٠/٢٤.
[٨] سورة النور، ٣٥/٢٤.
[٩] ك – لكن.

﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[٤٠]

وقوله عز وجل: **قل أرأيتكم إن آتاكم عذاب الله**، الذي وعد لكم في الدنيا أنه يأتيكم، **أو أتتكم الساعة**؛ لأنه كان وعد لهم أن يأتيكم العذاب وكان يَعِد لهم أن تقوم الساعة، فقال: **أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون**، في دفع ذلك وكشفه عنكم، **إن كنتم صادقين**، أن معه شركاء وآلهة. أو **إن كنتم صادقين**، أن ما تعبدون شفعاؤكم عند الله، أو تُقرِّبكم[1] عبادتكم إياها إلى الله تعالى.[2]

وقوله تعالى: **أغير الله تدعون**، يحتمل حقيقة الدعاء عند نزول البلاء؛ ويحتمل العبادة، أي **أغير الله** تعبدون على رجاء الشفاعة لكم، وقد رأيتم[3] أنها لم تشفع لكم عند نزول البلايا.

﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾[٤١]

ثم أخبر أنهم لا يدعون[4] غير الله في دفع ذلك وكشفه عنهم، وأخبر أنهم إلى الله يتضرعون في رفع ذلك عنهم. وهو كما ذكر[5] عز وجل: وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ،[6] وكقوله: وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ،[7] وكقوله: فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ.[8] ذكر هذا -والله أعلم- أنكم إذا مسكم الشدائد والبلايا لا تفزعون إلى الذين تشركون في عبادته وألوهيته، فكيف[9] أشركتم أولئك في ربوبيته في غير الشدائد والبلايا؟ **وتنسون ما تشركون**، أي تتركون ما تشركون بالله من الآلهة[10] فلا تدعونهم أن يكشفوا عنكم.

---

[1] ك: أو يقربكم.

[2] يشير إلى قوله تعالى: ﴿ويعبدون مِن دون الله ما لا يضرّهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شُفعاؤنا عند الله﴾ (سورة يونس، ١٠/١٨)، وقوله تعالى: ﴿والذين اتّخذوا مِن دونه أولياءَ ما نعبدهم إلا ليقرّبونا إلى الله زُلْفَى﴾ (سورة الزمر، ٣٩/٣).

[3] ع: قد رأيتم.

[4] م: لا تدعون.

[5] جميع النسخ: ما ذكر.

[6] سورة الإسراء، ١٧/٦٧.

[7] سورة الزمر، ٣٩/٨.

[8] سورة العنكبوت، ٢٩/٦٥.

[9] جميع النسخ: كيف.

[10] ع: الآلهة.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾[٤٢]

وقوله عز وجل: **ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء**، اختلف فيه. قال بعضهم: **البأساء** الشدائد التي تصيبهم من العدو، **والضراء** ما يَحِلّ بهم من البلاء والسَّقَم السماوي. وقال بعضهم: **البأساء** هو ما يَحِلّ بهم من الفقر والقحط والشدة. وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قوله:[١] **فأخذناهم بالبأساء**، الزَّمَانة[٢] والخوف، **والضراء** البلاء والجوع. **لعلهم يتضرعون**، أي ابتلاهم بهذا وامتحنهم[٣] **لعلهم يتضرعون** ويرجعون عما هم عليه.

﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٤٣]

وقوله عز وجل: **فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا**، يذكر[٤] في ظاهر هذا أنه قد أصابهم البلاء والشدة و لم يتضرعوا، **ولكن قست قلوبهم**؛ ويذكر في غيره من الآيات أنه[٥] إذا أصابهم البلاء والشدائد تضرّعوا ورجعوا عما كانوا عليه، وهو كقوله تعالى: وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ،[٦] وقوله: فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ[٧] وغيرهما من الآيات. لكن يحتمل هذا وجوها. [يحتمل] أن هذا كان[٨] في قومٍ، والأولَ كان في قومٍ آخرين. وذلك أنَ الكفرة كانوا على أحوال[٩] ومنازل. منهم من كان على حالٍ [مَن] إذا[١٠] أصابه خير اطمأنّ به، وإذا زال عنه وتحوّل تغيّر،[١١] وهو[١٢] كقوله تعالى: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ،[١٣] الآية.

[١] ك ن – قوله.
[٢] الزمانة: العاهة والآفة كالمرض الدائم.
[٣] م: أو امتحنهم.
[٤] ع م: تذكر.
[٥] م – أنه.
[٦] سورة الإسراء، ٦٧/١٧.
[٧] سورة العنكبوت، ٦٥/٢٩.
[٨] ع م: ان كان هذا.
[٩] ع: عن أحوال.
[١٠] جميع النسخ: فإذا.
[١١] ع: تغيره.
[١٢] ع – وهو.
[١٣] ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين﴾ (سورة الحج، ١١/٢٢).

ومنهم من يتضرع ويَلِين قلبُه إذا أصابه الشدة والبلاء، وعند السّعة والنعمة [يكون][1] قاسيَ القلب معاندًا، وهو كقوله: دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ،[2] إلى آخر الآية، وكقوله تعالى: وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ. / ومنهم من كان فَرِحًا عند الرحمة والنعمة،[3] [٢١٠ظ] وعند الشدة والبلاء كفورًا[4] حزينًا، كقوله تعالى: وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ.[5] ومنهم مَن كان لا يخضع ولا يتضرع في الأحوال كُلّها، لا عند الشدة والبلاء ولا عند الرخاء والنعمة، ويقولون: إن مثل هذا يصيب غيرنا، وقد كان أصاب آباءنا وكانوا أهل الخير والصلاح، وهو كقوله: وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ.[6] كانوا على أحوال مختلفة ومنازل متفرّقة. فيشبه[7] أن يكون قوله: **فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم**، في القوم الذين لم يتضرّعوا عند إصابتهم الشدائد والبلايا. وجائز أن يكونوا[8] تضرّعوا عند حلول الشدائد، فإذا انقطع ذلك وارتفع عادوا إلى ما كانوا من قبل، كقوله: فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ.[9] ويشبه أن يكون قوله: لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ،[10] وقوله: دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ، فيما بينهم وبين ربهم،[11] وهذا فيما بينهم وبين الرسل؛ لأن الرسل كانوا يدعونهم[12] إلى أن يقرّوا برسالتهم ويصدّقوهم فيما يقولون لهم ويخبرون، فتكبّروا عليهم وأقرّوا لله[13] وتضرّعوا إليه، تكبّروا عليهم و لم يتكبّروا على الله. ويحتمل أن يكون قوله: **فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا**، في الأمم السالفة، إخبارٌ عنهم أنهم لم يتضرعوا. ويحتمل قوله أيضًا: **فلولا إذا جاءهم بأسنا تضرعوا**، وجهين. أحدهما أنهم لم يتضرعوا إذ جاءهم بأس الله،

---

[1] من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٤٩و.
[2] ﴿فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون﴾ (سورة العنكبوت، ٦٥/٢٩).
[3] ك ع م − والنعمة.
[4] م: كفور.
[5] سورة هود، ٩/١١.
[6] سورة الأعراف، ٩٥/٧.
[7] ن: ويشبه.
[8] ع: أن يكون.
[9] سورة العنكبوت، ٦٥/٢٩.
[10] سورة الأنعام، ٤٢/٦.
[11] م + وهذا فيما بينهم وبين ربهم.
[12] جميع النسخ: يدعون.
[13] م: الله.

ولكن عاندوا وثبتوا على ما كانوا عليه. والثاني تضرّعوا عند نزول بأسه، لكن إذا ذهب ذلك وزال عادوا إلى ما كانوا، فيصير كأنه قال: **فلولا** لزموا التضرّع **إذ جاءهم بأسنا**.

وقوله عز وجل: **وزَيَّن لهم الشيطان ما كانوا يعملون**، أي **زين لهم** صنيعَهم الذي صنعوا، ويقولون: إن هذا كان يصيب أهل الخير ويصيب آباءنا وهم كانوا أهل خير وصلاح. أو **زين لهم الشيطان ما كانوا يعملون**، من الشرك والتكذيب ويقول لهم: إن الذي أنتم عليه حق.

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾[٤٤]

وقوله عز وجل: **فلما نسوا ما ذكروا به**، يحتمل ابتداء تَرْكٍ، أي تركوا الإجابة إلى ما دُعوا، وتَركوا ما أُمروا به. ويحتمل **نسوا ما ذكروا به**، مِن الشدائد والبلايا. **فتحنا عليهم أبواب كل شيء**، يحتمل وجهين. يحتمل **أبواب كل شيء**،[1] مما يحتاجون إليه، **حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة**. ويحتمل **فلما نسوا ما ذكروا به**، أي تَركوا ما وُعظوا به، يعني بالأمم الخالية ممّا دعاهم[2] الرسل فكذبوهم. **فتحنا عليهم**، أي أنزلنا عليهم، **أبواب كل شيء**، من أنواع الخير بعد الضر والشدة الذي كان نزل بهم. **حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون**، اختلف فيه. قال بعضهم: [المبلس] الآيس من كل خير. قال القتبي: المُبْلِس الآيس المُلْقِي[3] بِيَدَيه.[4] وقال أبو عوسجة: المُبْلِس هو الحزين المُغتَمّ الآيس من الرحمة وغيرها من الخير.[5] وقال الفراء: المُبْلِس هو المُنقَطع الحجةِ.[6] وقيل: لذلك سُمّي إبليسُ لعنه الله "إبليسَ" لِمَا أيس من رحمة الله.

﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٤٥]

وقوله عز وجل: **فقطع دابر القوم الذين ظلموا**، قيل: استؤصل **القوم الذين ظلموا** بالهلاك جميعًا. والظلم ههنا[7] هو الشرك. وقيل: **فقطع دابر القوم الذين ظلموا**، أي أصلهم.

---

[1] ن – يحتمل وجهين يحتمل أبواب كل شيء.

[2] ك م: فما دعاهم.

[3] ع – المبلس الآيس الملقي.

[4] ك: بيدنه. *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٥٣.

[5] ن – من الخير.

[6] *معاني القرآن* للفراء، ١/٣٣٥.

[7] ن – ههنا.

وقيل: **دابر القوم**، أي آخرهم.[1] وكله[2] واحد. وذلك أنه إذا أُهلك آخرهم وقُطعوا فقد استؤصلوا. ويشبه أن يكون قوله: **فقطع دابر القوم الذين ظلموا**، أي قُطع افتخارُهم وتكبرُهم[3] الذي كانوا يفتخرون به ويتكبرّون.

وقوله عز وجل: **والحمد لله رب العالمين**، الحمد في هذا الموضع على إثر ذكر[4] الهلاك يخرج على وجوه. وإلّا الحمد إنما يُذكَر على إثْر ذِكْرِ[5] الكرامة والنعمة. لكن ههنا [أنّ إهلاك الكفار][6] وإن كان نِقْمةً وإهلاكًا فيكون للأولياء كرامة ونعمة، لأن هلاك العدو يُعَدّ من أعظم الكرامة والنعمة من الله. فإذا كان في ذلك شر للأعداء وانتقام[7] فيكون خيرًا[8] للأولياء وكرامة. وما من شيء يكون شرًا لأحد إلا ويجوز[9] أن يكون في ذلك خير[10] لآخر. فيكون الحمد في الحاصل في الخير والنعمة. والثاني أنه يجوز أن يكون[11] في الهلاك نفسِه الحمد إذا كان الهلاك بسبب الظلم،[12] لأنه إهلاكٌ[13] بحقّ؛ إذ لِلّه أن يُهلكهم، ولم يكن الإهلاك[14] على الظلم خارجًا عن الحكمة، فيُحمَد عز وجل في كلّ فعلٍ [له فيه][15] حكمة.[16] والثالث يقول:[17] **والحمد لله رب العالمين**، على إظهار حججه بهلاكهم.

---

[1] ك: أي أخيرهم.
[2] ن: وكل.
[3] ع: ويكبرهم.
[4] ك ن ع: ذلك.
[5] ع: ذلك.
[6] من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٤٩ظ.
[7] ع م: والانتقام.
[8] ك: خير.
[9] ن: وإلا ويجوز.
[10] ع: خيرا.
[11] م - أن يكون.
[12] جميع النسخ: بالظلم.
[13] جميع النسخ: هلاك.
[14] جميع النسخ: الهلاك.
[15] والتصحيحات السابقة مع هذه الزيادة من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٤٩ظ.
[16] ك: الحكمة.
[17] ع: يكون.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلٰهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾[٤٦]

وقوله عز وجل: **قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من إله غير الله يأتيكم به**، اختلف فيه. قال بعضهم: يُراد بأخذ السمع والبصر والختم على القلوب أَخْذُ منافع هذه الأشياء؛ أي إن أخذ[1] منافع سمعكم ومنافع بصركم ومنافع عقولكم، **من إله غير الله يأتيكم به**، أي **يأتيكم**[2] بمنافع سمعكم ومنافع بصركم[3] ومنافع عقولكم.[4] فإذا كانت الأصنام والأوثان التي تعبدون من دون الله وتشركون في ألوهيته وربوبيته لا تملك[5] رد تلك[6] المنافع التي أخذ الله عنكم فكيف تعبدونها وتشركون في ألوهيته؟ وقيل: يُراد بأخذ السمع والبصر وما ذُكر أَخْذُ أَعْيُنِها وأَنْفُسِها، أي لو **أخذ الله سمعكم** وبصركم وعقولكم لا يملك ما تعبدون ردّ هذه الأشياء إلى ما كان، لا يملكون ردّ السمع إلى ما كان، ولا رد البصر والعقل الذي كان إلى ما كان، فكيف[7] تعبدون دونه وتشركون في ألوهيته؟ يُسَفِّهُ[8] أحلامهم لما يعلمون أن ما يعبدون ويجعلون لهم الألوهية لا يملكون نفعًا ولا ضرًّا، فمع ما يعرفون ذلك منهم يجعلون لهم آلهة معه.

وقوله عز وجل: **انظر كيف نصرف الآيات**، أي نبين لهم **الآيات** في خطئهم في عبادة هؤلاء وإشراكهم / في ألوهيته، **ثم هم يصدفون**، أي يُعرضون عن تلك الآيات. [٢١١و]

﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾[٤٧]

وقوله عز وجل: **قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة هل يهلك إلا القوم الظالمون**، معناه -والله أعلم- أنهم يعلمون أن العذاب لا يأتي ولا يأخذ إلا الظالم، ثم إنهم[9] مع علمهم أنهم[10] ظَلَمَة لعبادتهم غير الله -مع علمهم أنهم لا يملكون نفعًا ولا ضرًّا-

---

[1] جميع النسخ: قد أخذ.
[2] م - أي يأتيكم.
[3] ك ع: وبصركم.
[4] ك ع: وعقولكم؛ ن + من إله غير الله يأتيكم به أي يأتيكم بمنافع سمعكم وبصركم وعقولكم.
[5] ك ع م: لا يملكون؛ ن: لا تملكون.
[6] جميع النسخ: ذلك.
[7] ع: كيف.
[8] ك: تسفه؛ ن ع م: لسفه.
[9] ك - إنهم.
[10] ك ع م - مع علمهم أنهم.

يسألون العذاب، بقوله: سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ،[1] وقوله: وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ،[2] وقوله: عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ.[3]

﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٤٨]

وقوله عز وجل: **وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين،** أخبر أنه لم يرسل الرسل إلا مع بِشارة لأهل الطاعة ونِذارة لأهل المعصية.[4] وفيه أن الرسل ليس إليهم الأمر والنهي، إنما إليهم إبلاغ الأمر والنهي. ثم بين البشارة فقال: **فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون؛ لا خوف عليهم،** لما ليس لذلك فَوْت ولا زوال، ليس كثواب الدنيا ونعيمها أنه على شَرَف[5] الفوت والزوال؛ **ولاهم يحزنون،** لأنه سُرورٌ لا يَشُوبُه حزن،[6] ليس كسرور الدنيا يكون مَشُوبًا بالحزن والخوف.

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾[٤٩]

والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون، هذه هي النِذارة. وقوله: **يمسهم العذاب،** ذكر المس -والله أعلم- لما لا يفارقهم العذاب ولا يزول عنهم. والفسق في هذا الموضع[7] الكفر والشرك، وما ذُكر من الظلم[8] هو ظلمُ شركٍ وكفرٍ.

﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾[٥٠]

وقوله عز وجل: **قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب،** لم يحتمل ما قال ابن عباس رضى الله عنه حيث قال: إنهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم:

---

[1] سورة المعارج، ١/٧٠.
[2] سورة الحج، ٤٧/٢٢.
[3] سوة ص، ١٦/٣٨.
[4] ك ن م: معصيته.
[5] هو على شَرَف أمر، أي قرب منه، والشَّرَف القرب من الخطر (*لسان العرب* لابن منظور، «شرف»).
[6] ن ع: ولا يشوبه الحزن.
[7] ك: في هذه المواضع.
[8] أي في الآية السابقة.

لم[1] يُنزل الله عليك[2] كنزًا تَستغني به،[3] فإنك محتاج، ولا جَعَل لك جنةً تأكل منها فتشبع من الطعام، فإنك تجوع، فنزل عند ذلك. هذا لا يحتمل أن يقولوا له ذلك فيقول لهم: إني **لا أقول لكم إني ملك**، وليس **عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب**. فإن كان من السؤال شيءٌ من ذلك فإنما يكون على سؤالٍ سألوا لأنفسهم، كقوله: لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا،[4] ونحو ذلك من الأسئلة[5] التي سألوه لأنفسهم، فنزل عند ذلك ما ذُكر. فهذا لعمري يحتمل، فيقول لهم:[6] ليس **عندي خزائن الله** فأجعلَ لكم هذا، **ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك إن أتبع**، أي ما أتبع،[7] **إلا ما يوحى إلي**. والثاني جائزٌ أن يكون النبي عليه السلام أَوعدهم بالعذاب وخوّفهم، فسألوا العذاب استهزاءً وتكذيبًا، فقالوا: متى يكون؟ كقوله:[8] وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ.[9] فقال عند ذلك: **قل لا أقول لكم عندي خزائن الله** ومفاتيحه أُنزل عليكم العذاب متى شئت، **ولا أعلم الغيب**، متى وقت نزول العذاب عليكم، **ولا أقول لكم إني ملك**، نزلتُ من السماء بالعذاب، إنما أنا رسول بشر مثلكم ما **أتبع إلا ما يوحى إلي**. هذا محتملٌ جائزٌ أن يكون على إثْر ذلك نزل. ويحتمل وجها آخر، وهو أنه يخبر ابتداءً، أي **لا أقول لكم عندي خزائن الله**؛ لأني لو قلت: **عندي خزائن الله** وأنا **أعلم الغيب وإني ملك**، كان ذلك أشدّ اتّباعًا لي[10] وأرغب وأكثر لطاعتي؛ لكن أقول:[11] إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ، ما **أتبع إلا ما يوحى إلي**،[12] لتعلموا أني صادق في قولي،[13] ومُحِق فيما أدعوكم إليه.

---

[1] ن – لم.
[2] ع م: عليكم.
[3] ع: يستغنى به.
[4] سورة الإسراء، ١٧/٩٠-٩١.
[5] ن ع: من الاسولة؛ م: من الاسؤلة.
[6] ك + لأنه.
[7] ك ع – أي ما أتبع.
[8] جميع النسخ: كقولهم. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥٠و.
[9] سورة يونس، ١٠/٤٨.
[10] ك ع م – لي.
[11] جميع النسخ: نقول.
[12] م + ما أتبع إلا ما يوحى.
[13] ع م – في قولي.

وقوله: **قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك**، يُعلَم بالإحاطة أن هذا ونحوه يخرج[١] على الجواب لأسئلةٍ[٢] كانت منهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم، لكن[٣] لسنا نعلم ما كانت تلك الأسئلة[٤] التي[٥] كانت من أولئك حتى كان هذا جوابًا لهم، فلا نُفسّر ولكن نَقِف مَخافةَ الشهادة على الله. ويحتمل أن يكون جوابًا لما ذُكر في آية أخرى، وهو قولهم: لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ،[٦] فقال عند ذلك: **لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب**، جوابًا[٧] لسؤال وقت الساعة أو وقت نزول العذاب. وقوله: **ولا أقول لكم إني ملك**، جوابٌ لقولهم: أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ.[٨] فقال عند ذلك: **لا** أقول:[٩] إني **أعلم الغيب**، حتى أعلم[١٠] وقت نزول العذاب أو قيام الساعة، **ولا أقول لكم إني ملك**، حتى أرقى في السماء.

وقوله: **قل هل يستوي الأعمى والبصير أفلا تتفكرون**، أي تعرفون أنتم أنه لا يستوي **الأعمى**، أي مَن عَمي بصرُه، **والبصير**، أي مَن لم يَعمَ بصرُه، كيف لا تعرفون أنه لا **يستوي** مَن عَمي[١١] عن الآيات[١٢] ومَن لم يَعمَ عنها؟ أو نقول: إذا لم يستو[١٣] **الأعمى والبصير** كيف **يستوي** مَن يَتَعَامَى عن الحق ومَن لم يَتَعَامَ؟[١٤] **أفلا تتفكرون**، أنهما لا يستويان؟

وقوله عز وجل: **أفلا تتفكرون**، في آيات الله وما ذَكَّرَكُم. أو نقول: **أفلا تتفكرون**، في وعظ[١٥] الله تعالى [إياكم].[١٦]

---

[١] ن ع م: خرج.
[٢] ع: لاسولة؛ م: لاسؤلة.
[٣] م – لكن.
[٤] ن ع: الاسولة؛ م: الاسؤلة.
[٥] ن ع م – التي.
[٦] سورة الإسراء، ١٧/٩٠-٩١.
[٧] ك: جواب.
[٨] سورة الإسراء، ١٧/٩٣.
[٩] ن + لكم.
[١٠] ع + الغيب؛ م – حتى أعلم.
[١١] ن + عن الإيمان.
[١٢] ن: والآيات.
[١٣] ع م: لم يستوي.
[١٤] ن: لم يتعامى.
[١٥] جميع النسخ: في وعظكم.
[١٦] التصحيح السابق مع هذه الزيادة مستفاد من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥٠و.

﴿وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[٥١]

وقوله[١] عز وجل: **وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع**، اختلف فيه. قال بعضهم: هو صلة قوله: قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ،[٢] الآية.[٣] أَيْأَسَ الكَفَرَةَ عمَّا سألوا من الأشياء رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، ثم أَمَر بالإنذار **الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم**، وهم المؤمنون، أي يعلمون أنهم **يحشرون إلى ربهم** وأن **ليس لهم... ولي**،[٤] يَدفع عنهم ما يَحِلّ بهم، **ولا شفيع**، يَسأل لهم ما لم يُعطَوْا. وجائزٌ أن يكون تخصيص الأمر بإنذار[٥] المؤمنين لِمَا كان الإنذار ينفعهم ولا ينفع غيرهم، وليس فيه أنه[٦] لا ينذِر / غيرهم. وهو كقوله: إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمٰنَ بِالْغَيْبِ،[٧] ليس فيه أنه لا ينذِر من لم يتبع الذكر ولا خشي الرحمن، ولكن[٨] أنبأ أنه إنما ينتفع[٩] هؤلاء؛ كقوله: وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ،[١٠] أخبر أن الذكرى تنفع المؤمنين ولا تنفع أولئك. يُنذِر الفريقين، مَن اتَّبع ومَن لم يتّبع، ومَن نفع ومَن لم ينفع، ويكون قوله: **ليس لهم... ولي**، يعني ليس[١١] لأولئك أولياء ولا شفعاء؛ لأنهم يَقُولُونَ هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ،[١٢] وَمَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى،[١٣] ونحوه. أخبر أنه[١٤] ليس لهم **ولي ولا شفيع** دونه. [٢١١ظ]

---

[١] ع – وقوله.
[٢] سورة الأنعام، ٦/٥٠.
[٣] ع: الآيات.
[٤] ك – ولي.
[٥] ك ن ع: بالإنذار.
[٦] ك ع م – أنه.
[٧] سورة يس، ٣٦/١١.
[٨] م – ولكن.
[٩] ك ن ع: إنما ينفع.
[١٠] سورة الذاريات، ٥١/٥٥.
[١١] ع – ليس.
[١٢] سورة يونس، ١٠/١٨.
[١٣] سورة الزمر، ٣٩/٣.
[١٤] ن ع م: أخبر أن.

﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[٥٢]

وقوله عز وجل: **ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي**، يُذكَر في بعض القصة أن رجالاً من أصحاب رسول الله كانوا يَسبِقون إلى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجلسون قريبًا منه، فيجيء أشراف القوم وسادتهم[١] وقد أخذ[٢] أولئك المجلس، فيجلس هؤلاء ناحيةً، فقالوا: نحن نجيء فنجلس ناحية؟ فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: إنا ساداتُ قومِك وأشرافُهم، فلو أدنيتنا مِنك المجلسَ؟ فهَمّ أن يَفعل ذلك، فأنزل الله هذه الآية يُعاتِب نبيَّه صلى الله عليه وسلم بقوله:[٣] **ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي**، الآية.[٤] وإلى هذا يذهب عامة أهل التأويل، لكنه بعيد. يَنسِبون رسولَ الله صلى الله عليه وسلم إلى أَوْحَشِ فِعْلٍ[٥] وأَفْحَشِه، ما لو كان كان[٦] فيه إسقاطُ نبوتِه ورسالتِه؛ إذ لا يحتمل أن يكون النبي[٧] صلى الله عليه وسلم يُقرِّب أعداءَه ويُدني مجلسَهم منه ويُبعد الأولياء. هذا لا يفعله سفيهٌ فَضلاً أنْ يفعلَه رسولُ الله المصطفى على جميع بريّته، أو يَخطُرَ بِبَالِه شيءٌ من ذلك. وكان فيه ما يجد الكفرة عليه[٨] مَطْعَنًا، يقولون: يدعو[٩] الناس إلى التوحيد والإيمان به والاتّباع له، فإذا فعلوا ذلك وأجابوه طردهم وأبعد مجلسَهم منه. هذا لَعَمْري مدفوعٌ في عقل كلِّ عاقل. ولكن إن كان فجائزٌ أنْ يكونَ منهم طلبُ ذلك، طَلَبوا منه أن يُدني مجلسَهم ويُبعد أولئك، هذا يحتمل. وأما أنْ يَهُمّ أن يفعل ذلك أو خطر بباله شيء من ذلك فلا يحتمل.

---

[١] ك: وساداتهم.

[٢] ع م: وقد أخذوا.

[٣] ك ن – بقوله.

[٤] أخرجه عبد بن حميد وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن الربيع بن أنس. انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٢٧٤/٣-٢٧٥. وقد وردت روايات كثيرة في نفس المعنى. عن سعد قال: نزلت هذه الآية فِينا سِتّةٍ فِيَّ وفي ابن مسعود وصُهَيب وعمّار والمِقداد وبلال. قال: قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إنّا لا نرضى أن نكون أتْباعًا لهم، فاطردهم عنك. قال: فدخل قلبَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم مِن ذلك ما شاء الله أن يدخل. فأنزل الله عز وجل: ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه﴾، الآية (*صحيح مسلم*، فضائل الصحابة ٤٦؛ وسنن *ابن ماجه*، الزهد ٧).

[٥] ن – فعل.

[٦] ك م – كان.

[٧] ك ن – النبي.

[٨] ك: فيه.

[٩] م: يدعوا.

وجائزٌ أن يكون هذا من الله ابتداءَ تأديبٍ وتعليمٍ، يُعلِّم رسولَه صُحبةَ أصحابِه، ومعاملتَه معهم -كقوله: وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ،[١] ونهَى أن يَمُدّ عينيه[٢] إلى ما مَتَّع أولئك، كقوله: وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ،[٣] الآية- ويخبره عن عظيمِ قَدْرِهم[٤] عند الله. وقد ذكرنا[٥] أنّ العصمة لا تمنع النهي[٦] والحظر،[٧] بل العصمة تَزيد في النهي والزجر. وأخبر أنْ ليس عليه **من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء**، فإنما عليك البلاغ وعليهم الإجابة، وهو كقوله: فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ.[٨]

وقوله عز وجل: **يدعون ربهم بالغداة والعشي**، يُشبِه أن يكونوا[٩] يجتمعون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في كلّ غداةٍ ومساءٍ فيسمعون منه ثم[١٠] يفترقون، على ما عليه أَمْرُ الناس من الاجتماع في كلّ غداةٍ و مساءٍ عند الفقهاء وأهل العلم. وجائزٌ أنْ يكونَ ذِكرُ **الغداة والعشي** كنايةً عن الليل كلّه وعن النهار جُملةً. كقوله: وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى،[١١] ليس يريد بالضحى الضَّحْوَة[١٢] خاصة، ولكن النهار كله؛ ألا ترى أنه قال: وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى، ذَكَر الليل، دلّ أنه كان الضحى كنايةً عن النهار جُملةً. فعلى ذلك **الغداة والعشي** يجوز أن يكون كنايةً عن الليل والنهار جُملةً.[١٣] ***والله أعلم***. وجائزٌ أنْ يكونَ[١٤] أصحابُ الحِرَف والمكاسِب لا يتفرّغون للاجتماع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والاستماع[١٥] منه في عامّة النهار،

---

[١] سورة الكهف، ١٨/٢٨.
[٢] جميع النسخ: عينه. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥٠ظ.
[٣] ﴿ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى﴾ (سورة طه، ٢٠/١٣١).
[٤] ك: قدرتهم.
[٥] انظر تفسير الآية من سورة النساء، ٤/١٠٥.
[٦] ع م - النهي.
[٧] م: الحظر.
[٨] سورة النور، ٢٤/٥٤.
[٩] ن: أن يكون.
[١٠] ع - ثم.
[١١] سورة الضحى، ٩٣/١-٢.
[١٢] الضحوة ارتفاع أول النهار (*لسان العرب* لابن منظور، «ضحو»).
[١٣] ع م: وجملة.
[١٤] ن ع م: أن يكونوا.
[١٥] ك: والاستمتاع.

ولكن يجتمعون إليه ويستمعون[1] منه **بالغداة والعشي**، فكان ذكر **الغداة والعشي** لذلك،[2] أو لما ذكرنا. وجائزٌ أنْ يكونَ المرادُ بذكر **الغداة والعشي** صلاةَ الغداة وصلاةَ العشاء؛ يقول: **لا تطرد** مَن يَشهَد هاتَين الصلاتَين، وإنما كان[3] يَشهَدهما أهل الإيمان، وأما أهل النفاق فإنهم كانوا[4] لا يَشهَدون هاتَين الصلاتَين، ويحتمل ما ذكرنا.

وقوله عز وجل: **فتَطردَهم فتكونَ من الظالمين**. الظلم على وجوه. ظلمُ كفرٍ وظلمُ شركٍ، وظلمٌ يكون بدونِه، وهو أن يمنع أحدًا حقه أو أَخذَ مِنه حقًّا بغير حق، فهو كلّه ظلم. والظلم ههنا -والله أعلم- يُشبِه أن يكون هو[5] وَضْعَ الحِكمةِ في غير أهلها؛ لأنه لو كان منه ما ذُكِر مِن طَرْدِ هؤلاء[6] وإدناءِ أولئك، فأولئك[7] لم يكونوا أهلاً للحكمة. ويجوز أنْ يوصَف واضع الحكمة في غير موضعها بالظلم، على ما روي في الخبر أنّ مَن وَضَعَ الحكمة في غير أهلها فقد ظلمها، ومَن منعها عن أهلها فقد ظلمهم.[8]

﴿وَكَذٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهٰؤُلَاءِ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾[٥٣]

وقوله عز وجل: **وكذلك فتنا بعضهم ببعض**؛ وقوله: **وكذلك**، لا يُتكلَّم [به] إلا على أَمْرٍ سَبَق، فهو -والله أعلم- يحتمل أن يقول لَمَّا قالوا: يا محمد، أرضيت بهؤلاء الأَعْبُد مِن قومِك، أَفَنحن نكون[9] تَبَعًا لهؤلاء ونحن سادة القوم وأشرافهم؟ فقال عند ذلك:

---

[1] ك: ويستمتعون.
[2] ع: كذلك.
[3] ع م - كان.
[4] ن ع م - كانوا.
[5] ن - هو.
[6] ك ن ع - هؤلاء؛ م: أولئك.
[7] ك ن ع: وأولئك؛ م - فأولئك.
[8] لم أجده بهذا اللفظ. لكن روي مرفوعا: «طلب العلم فريضة على كل مسلم. وواضِع العلمِ عند غير أهله كمُقَلِّد الخنازيرِ الجوهرَ واللؤلؤَ والذهبَ» (*سنن ابن ماجه*، المقدمة ١٧). وضعّف إسناده البُوصيري؛ انظر: *مصباح الزجاجة* للبوصيري، ١/٣٠. وأخرج ابن عساكر عن عمرو بن قيس قال: قال عيسى بن مريم: إن منعت الحكمة أهلها جهلت، وان منحتها غير أهلها جهلت؛ كن كالطبيب المداوي، إن رأى موضعا للدواء وإلّا أمسك (*الدر المنثور* للسيوطي، ٢/٢١٣).
[9] ع: يكون.

وكذلك فتنا بعضهم ببعض، أي كما فضّلتكم على هؤلاء في أمر الدنيا فكذلك[1] هؤلاء[2] فضّلتهم عليكم في أمر الدين، ويكونون[3] هُم المُقرَّبين إلى رسول الله[4] صلى الله عليه وسلم والمُدنَى[5] مجلسُهم إليه، وأنتم أَتْبَاعُهم في أمر الدين وإن كانوا هُم أَتْبَاعَكم في أمر الدنيا، وكذلك امتحان بعضهم ببعض. ويحتمل وجهًا آخر، وهو أن يقال: كما كان له امتحانُ كلٍّ في نفسِه ابتداءَ مِحنةٍ،[6] كقوله: وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً،[7] / وكقوله: وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ،[8] وقوله: وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ،[9] الآية، فعلى ذلك له أن يمتحن بعضكم ببعض. وأشدّ المِحَن أن يُؤمَر[10] المتبوعُ ومَن يرى لنفسه فضلاً بالخضوع للتابع ومَن هو دونه عنده؛ يَشتدّ ذلك عليه ويتعذّر، لِمَا كانوا يرون هُم لأنفسهم الفضل والمنزلة في أمر الدنيا، فظنّوا أنهم كذلك يكونون في أمر الدين.[11] وعلى ذلك يخرج ما امتحن[12] إبليس بالسجود لآدم [حين][13] رأى لنفسه فضلاً عليه فقال: أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ،[14] ولم يَرَ الخضوعَ لمن دونه عدلاً وحكمةً، فصار ما صار. فعلى ذلك هؤلاء لم يَرَوْا أولئك الضَّعَفَة أن يكونوا متبوعين عدلاً وحكمةً، وظنّوا أنهم لَمَّا كانوا مُفَضَّلين في أمر الدنيا وكان لهؤلاء إليهم حاجة يكونون في أمر الدين[15] كذلك، ويقولون: لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ،[16] ونحوه من الكلام.

[٢١٢و]

---

[1] ك ن ع: فلذلك.
[2] ع م – هؤلاء.
[3] جميع النسخ: ويكون. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥٠ظ.
[4] ن – الله.
[5] جميع النسخ: والمدنين. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥٠ظ.
[6] زاد الشارح: «بالبلاء ليصبروا، وبالنعماء ليشكروا» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥١و).
[7] سورة الأنبياء، ٣٥/٢١.
[8] سورة الأعراف، ١٦٨/٧.
[9] سورة البقرة، ١٥٥/٢.
[10] جميع النسخ: أن يأمر. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥١و.
[11] ع: الدنيا.
[12] م: لما امتحن.
[13] من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥١و.
[14] ﴿قال أنا خيرٌ مِنه خَلَقْتَنِي مِن نارٍ وخَلَقْتَهُ مِن طِين﴾ (سورة الأعراف، ١٢/٧).
[15] ع: الدنيا.
[16] سورة الأحقاف، ١١/٤٦.

وقوله عز وجل: **ليقولوا أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا**، قال بعضهم: هو موصول بالأول بقوله: **فتنا بعضهم ببعض ليقولوا**، يقول الكافر قول الكفر والمؤمن قول الإيمان. ثم ابتدأ فقال: **أهؤلاء**، أي يقول الكفرة: **أهؤلاء من الله عليهم من بيننا**. وقال بعضهم: قوله: **أهؤلاء من الله عليهم من بيننا**، ليس بمفصولٍ[1] مِن[2] قوله: **ليقولوا**، ولكن موصول به؛ **ليقولوا**، يعني الكفرة: **أهؤلاء من الله عليهم من بيننا**.

ثم يحتمل قوله: **أهؤلاء من الله عليهم من بيننا**، بالحفظ والفهم، أي يَفهم هؤلاء منه ولا نفهم[3] نحن؟ والثاني **أهؤلاء من الله عليهم من بيننا**،[4] بالتقريب والإدناء في المجلس وجَعْلِهم متبوعين **من بيننا** بعد ما كانوا أَتْباعًا لنا.[5] فقال عند ذلك: **أليس الله بأعلم بالشاكرين**، أي عَرَفَ هؤلاء نعمة الله تعالى ووَجَّهوا شكر نِعَمِه إليه، وأنتم وَجَّهتم شكر نِعَمِه[6] إلى غيره بعد ما عرفتم أنه هو المنعم عليكم والمُسْدِي إليكم.[7]

﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٥٤]

قوله[8] عز وجل: **وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم**، هذا يدل على أن النهي عن الطرد ليس للإبعاد خاصة في المجلس ولكن في[9] كل شيء، في بَشَاشَة الوجه واللُّطْفِ في الكلام وفي كل شيء؛ لأنه قال: **فقل سلام عليكم**.

وقوله: **كتب ربكم على نفسه الرحمة**، قال بعضهم: **كتب ربكم على نفسه الرحمة**، هو أن يبدأهم بالسلام، فذلك الذي كتب **على نفسه الرحمة**. وقال بعضهم: قوله: **كتب ربكم على نفسه الرحمة**،[10] أي لم يأخذهم[11] في أول ما وقعوا في المعصية،

[1] ع: بمفضول.
[2] ع – من.
[3] ن + منه.
[4] ع م – والفهم أي يفهم هؤلاء منه ولا نفهم نحن والثاني أهؤلاء من الله عليهم من بيننا.
[5] ع – لنا.
[6] ع: شكرا نعم.
[7] زاد الشارح: «والله تعالى قد علم في الأزل الشكر والكفر من البعض فظهر على ما علم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥١و).
[8] ك ع م: وقوله.
[9] ن – في؛ صح هـ.
[10] ك – هو أن يبدأهم بالسلام فذلك الذي كتب على نفسه الرحمة وقال بعضهم قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة.
[11] ع م: لم يأخذ.

ولكن أَمْهَلَهم إلى وقتٍ وجَعَل[1] لهم المَخْرَج من ذلك بالتوبة. وعلى ذلك ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: فتح الله للعبد التوبة إلى أن يأتيه الموت.[2]

وقوله عز وجل: **أنه من عمل منكم سوء بجهالة**، قُرئ بكسر الألف: إِنَّهُ، وقُرئ بالنصب: أَنَّهُ.[3] فمَن خَفَضَ حَمَله على الابتداء مِن قولِه:[4] **إنه من عمل منكم سوء بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فإنه غفور رحيم**، أي كلّ **من عمل سوء بجهالة ثم تاب من بعد** ذلك **وأصلح** إنه يغفر له ما كان منه. ومن قرأها بالنصب عَطَفَه على قوله: **كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوء بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فأنه غفور رحيم** لذلك. وجائزٌ أنْ يكونَ قولُه: **كتب ربكم على نفسه الرحمة**، أي **كتب** على خلقه **الرحمة**، أن يرحم بعضهم بعضا. وجائزٌ[5] ما ذكرنا[6] أنه كتب **على نفسه الرحمة**، أي أوجب أن يرحم ويغفر لمن تاب.

وقوله: **من عمل منكم سوء بجهالة**، جائزٌ أنْ تكونَ[7] الآيةُ في الكافر، إذا تاب يَغفر اللهُ له ما كان منه في حال الكفر والشرك، كقوله: وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ،[8] الآية، وقوله: إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ.[9] وجائزٌ أنْ تكونَ[10] في المؤمنين. ثم ذكر عَمَلاً **بجهالة**، وإن لم يكن يعمل بالجهل،[11] لأن الفعلَ فعلُ الجهل

---

[1] ك: جعل.

[2] لم أجده. لكن روي عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله يَقبل توبة العبد ما لم يُغَرْغِرْ». وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب (*سنن ابن ماجه*، الزهد ٣٠؛ و*سنن الترمذي*، الدعوات ٩٨).

[3] قرأ من الأئمة السبعة ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي: ﴿إنه من عمل منكم سوء بجهالة فإنه غفور رحيم﴾ مكسورَي الألف. وقرأ عاصم وابن عامر: ﴿أنه من عمل منكم سوء بجهالة فأنه﴾ بفتح الألف فيهما. وقرأ نافع: ﴿أنه من عمل﴾ بنصب الألف، ﴿فإنه غفور﴾ كسرًا. انظر: *كتاب السبعة* لابن مجاهد، ٢٥٨.

[4] ع م – أنه من عمل منكم سوء بجهالة قرئ بكسر الألف إنه وقرئ بالنصب أنه فمن خفض حمله على الابتداء من قوله.

[5] ن + أن يكون.

[6] ن – ما ذكرنا.

[7] ع م: أن يكون.

[8] سورة آل عمران، ١٣٥/٣.

[9] سورة الأنفال، ٣٨/٨.

[10] جميع النسخ: أن يكون.

[11] وعبارة السمرقندي هكذا: «فإن قيل: ذكر سوء الجهالة والكافر يعمل عن عمد وقصد. قيل: بلى إن الكافر إنما يفعل عن عمد، لكن الفعل فعل جهل...» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥١و).

وإن كان فعله لم يكن على الجهل. وكذلك ما ذُكر من النسيان والخطأ في الفعل، لأن فِعلَه فعلُ ناسٍ وفعلُ مخطئٍ وإن لم يفعله الكافر على النسيان والخطأ. وإلاّ لو كان[1] على حقيقة الخطأ والنسيان لكان لا يؤاخذ به، كقوله: وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ.[2] لكن الوجه ما ذكرنا أنّ الفعلَ فعلُ نسيانٍ وخطإٍ وإن لم يكن ناسيًا ولا مخطئًا فيه. وعلى ذلك الفعلُ[3] فعلُ جهلٍ وإن لم يكن جاهلاً، والفعلُ فعلُ جهلٍ وإن لم يكن بالجهل. والمؤمنُ جميعُ ما يتعاطى من المساوئ يكون لجهالةٍ؛ لأنه إنما يعمل السوء إمّا لِغَلَبَةِ[4] شهوةٍ، أو للاعتماد على كَرَم الله[5] بالعفو عنه والصفح عن ذلك، أو يعمل السوء على نية التوبة والعزم عليها[6] في آخره. على هذه الوجوه الثلاثة يقع المؤمن في المعصية، وأما على التعمّد[7] فلا يعمل.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾[٥٥]

وقوله: **وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين**، قُرئ بالياء[8] والتاء جميعًا. فمن قرأ بالتاء نَصَبَ السبيل بِجَعْلِ الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم، أي لِتَعرفَ **سبيلَ المجرمين**. ومن قرأ بالياء رَفَعَ السبيل، كأنه قال: **نفصل الآيات**، أي نبين الآيات لِيتبين **سبيلُ المجرمين**.[9] وقرأ بعضهم على إسقاط الواو: **ليستبين**[10] **سبيل المجرمين**.

ثم يحتمل قوله: **نفصل الآيات**،[11] وجوهًا. أي نبين **الآيات** التي يَعرف[12] السامعون أنها آياتٌ مِن عندِ الله غيرُ مُختَرَعةٍ مِن عندِ الخَلْق ولا مُفتَراةٍ [على] ما يُبين **سبيلَ المجرمين** مِن سبيلِ المهتدين.

---

[1] ع: إلا لو كان.

[2] سورة الأحزاب، ٥/٣٣.

[3] ع م – الفعل.

[4] ع م: إما لغبة.

[5] ك ن: كرم ربه؛ ع: كرم به.

[6] ن – عليها.

[7] ع: على التغمد.

[8] ن + رفع السبيل.

[9] قرأ من الأئمة السبعة ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر: ولتستبين، بالتاء، سبيلُ، رفعًا، وكذلك حفص عن عاصم. وقرأ نافع: ولتستبين: بالتاء، سبيلَ، نصبًا. وقرأ حمزة والكسائي وروى أبو بكر عن عاصم: وليستبين، بالياء، سبيلُ، رفعًا. انظر: *كتاب السبعة* لابن مجاهد، ٢٥٨.

[10] ن: لتستبين.

[11] ع – أي نبين الآيات ليتبين سبيل المجرمين وقرأ بعضهم على إسقاط الواو ليستبين سبيل ثم يحتمل قوله نفصل الآيات؛ م – ليتبين سبيل المجرمين وقرأ بعضهم على إسقاط الواو ليستبين سبيل ثم يحتمل قوله نفصل الآيات.

[12] جميع النسخ: ما يعرف.

والثاني **نفصل الآيات**، أي نبين من الآيات[١] ما بالخلق حاجةٌ إليها وإلى معرفتها. والثالث نبين من **الآيات** ما نبين بين المختلفين، أي بين **سبيل المجرمين** وبين سبيل المهتدين.

ولتستبين سبيل المجرمين، تأويله ما ذكرنا أنّ مَن قَرأه[٢] بالتاء حَمَله على خطابِ رسول الله صلى الله عليه وسلم، أي نُبين من **الآيات** لتعرف **سبيلَ المجرمين** بالنصب. ومَن قَرأ بالياء [أي] نُبين مِن **الآيات** / لِيَتبين **سبيلُ المجرمين** مِن سبيلِ غير المجرمين. ***والله أعلم.*** [٢١٢ظ]

﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾[٥٦]

وقوله عز وجل: **قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله**، معناه -والله أعلم- **إني نهيت**، بما أُكرمتُ مِن العقل واللُّب، **أن أعبد الذين** تعبدون[٣] **من دون الله**. أو يقول:[٤] **إني نهيت**، بما أُكرمتُ مِن الوحي والرسالة، **أن أعبد الذين تدعون من دون الله**.

[وقوله تعالى]:[٥] **قل لا أتبع أهواءكم قد ضللت إذًا وما أنا من المهتدين**؛ ثم أخبر أن ما يعبدون هم[٦] من دون الله إنما يعبدون اتّباعًا لهوى أنفسهم، وأن ما يعبد هو ليس [لأنه] يتبع هوى نفسه، ولكن إنما يتبع الحجة والسمع وما يستحسنه العقل. ألا ترى[٧] أنه قال: قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي،[٨] أي على حجة من ربي. يخبر أنّ ما يعبد[٩] هو إنما يعبد[١٠] اتّباعًا للحجة والعقل، وما يعبدون [إنما يعبدون] اتّباعًا لهوى أنفسهم. وما يَتبَع بالهوى يجوز أن يَترَك[١١] اتّباعه ويَتبَع غيرَه لِمَا تَهوى نفسه هذا، ولا تهوى الأول؛ وأما ما يَتبع بالحجة والسمع وما يُحسِّنه العقل[١٢] فإنه لا يجوز أن يَترك[١٣] اتّباعَه ويَتبع غيرَه.

---

[١] ع م – أي نبين من الآيات.
[٢] ك م: من قرأ.
[٣] ن: تدعون.
[٤] ن: ويقول.
[٥] من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥١ظ.
[٦] ع: ما يعبدونهم.
[٧] ك: ألا يرى.
[٨] سورة الأنعام، ٥٧/٦.
[٩] ع م: ما يعبدهم.
[١٠] ن – إنما يعبد؛ ع م: ان يعبد.
[١١] ن ع م: أن ينزل.
[١٢] ع + فانه العقل.
[١٣] ن ع: أن ينزل.

وفيه تعريض تسفيههم، لأنه قال: **قل لا أتبع أهواءكم قد ضللت إذا وما أنا من المهتدين**، أي لو اتبعت[1] هواكم[2] لضلَلْت إذًا، وأنتم إذا اتَّبعتم أهواءكم لعبادتكم[3] غيرَ الله ضُلَّالٌ ولستم **من المهتدين**؛ فهو تَعريضُ[4] التَّسْفيهِ لهم والشَّتْمِ مِنه.

﴿قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾[٥٧]

وقوله عز وجل: **قل إني على بينة من ربي وكذبتم به**، قيل: **على** بيان **من ربي** وحجة. وقيل: **على** دين **من ربي**.

وقوله عز وجل: **وكذبتم به**، قيل:[5] بالقرآن، وقيل: العذاب، أي[6] ما أَوْعَدْتُكُم. ويحتمل **وكذبتم**، ما وَعَدْتُكُم.[7]

وقوله عز وجل: **ما عندي ما تستعجلون به**، أي العذاب،[8] كقوله تعالى: وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ،[9] وغيره؛ فقال: **ما عندي ما تستعجلون به** مِن العذاب.[10] ثم هذا يدل على أن قوله: قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ،[11] أن المراد بالخزائن العذاب، أي ليس عندي ذلك، إنما ذلك إلى الله،[12] وعنده ذلك. وهو قوله: **إن الحكم إلا لله**، أي ما **الحكم** والقضاء **إلا لله**.

[وقوله]:[13] **يقص الحق وهو خير الفاصلين**، اختلف في تلاوته وتأويله. قرأه[14] بعضهم بالضاد وآخرون بالصاد.[15] فمَن قرأ بالصاد **يَقُصُّ** يقول: يُبين **الحق**، لأن القَصَص هو البيان،

---

[1] ع: أي اتبعت.
[2] ن: اهواكم.
[3] ع م: لعبادكم.
[4] ع: تعرض.
[5] ك: أي.
[6] ن ع م – أي.
[7] ع + ويحتمل كذبتم ما وعدتكم.
[8] م: من العذاب.
[9] سورة الحج، ٤٧/٢٢.
[10] ك – كقوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب وغيره فقال ما عندي ما تستعجلون به من العذاب.
[11] سورة الأنعام، ٥٠/٦.
[12] ع – الله.
[13] من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥١ظ.
[14] ن ع: قرأ.
[15] قرأ من الأئمة السبعة ابن كثير ونافع وعاصم: يَقُصّ، بالصاد. وقرأ أبو عمرو وحمزة وابن عامر والكسائي: يَقْضِي، بالضاد. انظر: *كتاب السبعة* لابن مجاهد، ٢٥٩.

وقال آخره:[1] **وهو خير الفاصلين،** أي خير المُبيّنين. ومَن قرأ بالضاد "يَقْضِي" يقول:[2] يحكم. ثم اختُلف فيه. قال بعضهم: أي يقضي بالحق. وكذلك روي في حرف ابن مسعود رضي الله عنه أنه قرأ "يقضي بالحق".[3] وقيل: فيه إضمار، أي يقضي ويحكم وحكمه **الحق وهو خير الفاصلين،** أي القاضين. والفصل[4] والقضاء واحد، لأنه بالقضاء يُفصَل. ***والله أعلم.***

﴿قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾[٥٨]

وقوله عز وجل: **قل لو أن عندي ما تستعجلون به لقضي الأمر بيني وبينكم،** عن ابن عباس رضي الله عنه: **لو أن عندي ما تستعجلون به،** من العذاب، **لقضي الأمر بيني وبينكم،** لأهلكتكم. وقيل: **لقضي الأمر بيني وبينكم،** أي لعجّلتُه لكم بالقضاء فيما بيننا. يخبر[5] عن رحمة الله وحلمه؛ أي لو كان بيدي لأَرسلتُ [العذاب] عليكم، لكن الله بفضله ورحمته يؤخِّر ذلك عنكم.

ثم فيه نَقْضٌ على المعتزلة في قولهم بأن الله لا يفعل للعبد[6] إلا الأصلح في الدين؛ لأنه قال: **قل لو أن عندي ما تستعجلون به لقضي الأمر بيني وبينكم،** ثم لا يحتمل أنّ تأخيرَ العذاب والهلاك خيرٌ لهم وأصلح ثم هو يُهلكهم ويكون عظةً لغيرهم وزجرًا لهم. ثم إن الله تعالى أَخَّر ذلك العذاب عنهم وإن كان[7] فيه شرٌّ لهم، فدلّ أن الله قد يفعل بالعبد ما ليس ذلك بأصلح له في الدين.[8]

وقوله عز وجل: **والله أعلم بالظالمين،** أي عليم بمَن الظالم مِنّا، وهُم كانوا ظَلَمَةً.

---

[1] ك ن ع – آخره؛ م: آخر.

[2] جميع النسخ: يقول يقضي.

[3] *تفسير الطبري*، ٧/٢١١؛ و*المصاحف* لابن أبي داود السجستاني، ٦١.

[4] ن: والفضل.

[5] ك: ما بيننا الخير؛ ن ع: ما بيننا الخبر.

[6] ك ن ع: بالعبد.

[7] ع: وكان.

[8] قال الشارح: «ثم فيه نَقْضُ قولِ المعتزلة في قولهم: إن الله تعالى لا يفعل بالعبد إلا الأصلح له في الدين؛ لأنه قال: ﴿قل لو أن عندي ما تستعجلون به لقضي الأمر بيني وبينكم﴾. أخبره الله تعالى حتى أخبر لهم أنه لو كان عنده العذاب لعجل لهم ولأرسله [عليهم] للحال ولم يؤخر، لكن الله تعالى يؤخر عنكم. ولو كان تأخير العذاب لهم مصلحةً وأنه واجبٌ على الله تعالى على طريق الحكمة لم يحتمل أن يقول النبي صلى الله عليه وسلم: لو كان الأمر بيدي لأرسلت العذاب عليكم ولعذبتكم، والمصلحة في التأخير، وهي الحكمة التي بدونها يوصف الله تعالى بالسفه. دلّ أن الأصلح ليس بواجب على الله تعالى، وأنه يفعل ما يشاء، شرًا كان للعبد أم خيرًا. كيف وقد نصّ الله تعالى على أن التأخير شرٌّ لهم بقوله: ﴿إنما نُملي لهم ليزدادوا إثمًا ولهم عذابٌ مُهين﴾ (سورة آل عمران، ٣/١٧٨)» (*شرح التأويلات*، ورقة ٢٥١ظ؛ ونسخة المدينة، ورقة ٢٨٠و).

﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[٥٩]

وقوله عز وجل: **وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو**، هذا -والله أعلم- يحتمل أن يكون صلةَ قوله: قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ،[١] وصلةَ قوله:[٢] مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ.[٣] كانوا يطلبون منه صلى الله عليه وسلم ويسألونه أشياء مِن التوسيع في الرزق وغير ذلك[٤] مما كان يَعِدهم[٥] مِن الكرامة والمنزلة والسَّعة، وكان يُوعِدهم بالعذاب ويُخوِّفهم بالهلاك فيستعجلون ذلك منه ويطلبون منه[٦] ما وعد لهم، فقال: **وعنده مفاتح الغيب**، ليس ذلك عندي، لا يعلم ذلك **إلا هو**. **ومفاتح** مِن المَفْتَح ليس مِن المِفْتَاح[٧] [الذي] يكون جمعه مفاتيح. والمَفْتَح يقال في النصر والمعونة. يقال: فتح الله عليه بلدة كذا، أي نصره وجعله غالبًا عليهم، ويقال فيما يُحدّثه ويستفيد منه:[٨] فتح فلانٌ على فلانٍ بابَ كذا، أي عَلَّمه عِلْمَ ذلك.[٩]

وقوله عز وجل: **مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو**، أي مِن عندِه يُستفَاد ذلك، ومنه يكون. ومَن نَصَر آخرَ إنما يَنصر به، ومن عَلَّم آخرَ عِلْمًا إنما يُعَلِّمه به، ومن وَسَّع على آخرَ رزقًا[١٠] إنما يوسعه بالله. كلّ هذا يُشبِه أنْ يَخرجَ تأويلَ الآية.

وقوله عز وجل: **ويعلم ما في البر والبحر**، هذا يحتمل وجوها. يحتمل **ما في البر والبحر**، أي **ويعلم ما في البر والبحر**، مِن الدوابّ وما يَسكن فيها من ذي الروح، كَثْرَتَها وعددها وصغيرها وكبيرها،[١١] لا يخفى عليه شيء. والثاني **ويعلم ما في البر والبحر**،

---

[١] سورة الأنعام، ٦/٥٠.
[٢] ع: قوما.
[٣] سورة الأنعام، ٦/٥٧.
[٤] ن – وغير ذلك؛ صح هـ؛ ن + والله أعلم.
[٥] ع: يعبدهم.
[٦] ع م – ويطلبون منه.
[٧] ن – ليس من المفتاح.
[٨] ك ن ع + يقال.
[٩] يقول ابن منظور: «المَفْتح والمِفْتح: قناة الماء. وكل ما انكشف عن شيء فقد انفتح عنه وتفتَّح. ... والفَتْح: النصر. ... والمَفْتح: الخزانة. الأزهري: وكل خزانة كانت لصنف من الأشياء فهي مَفْتح. والمفتح: الكنز. ... قال الليث: جمع المفتاح الذي يُفْتَح به المغلاق: مفاتيح، وجمع المَفْتح الخزانةِ: المفاتح» (*لسان العرب* لابن منظور، «فتح»).
[١٠] ك + رزقا.
[١١] ع م – وكبيرها.

أي **يعلم** رزق كلّ **ما في البر والبحر**،[١] ويعلم حاجته ثم يسوق إلى كلٍّ مِن ذلك رِزقَه. يخبر[٢] هذا -والله أعلم- لِيَعلموا أنه لَمَّا ضَمِن للخلق لِكلٍّ مِنهم رِزقَه، يَسوق إليه رِزقَه مِن غيرِ تَكلُّفٍ ولا طلبٍ،[٣] كما يسوق[٤] أرزاق كلّ[٥] **ما في البر والبحر**[٦] مِن غير طلبٍ ولا تَكلُّفٍ لا يَضيق قلوبهُم لذلك، فما بَالُكم تَضيق[٧] قلوبُكم على ذلك وقد ضَمِن ذلك لكم كما ضَمِن لأولئك. / والثالث **ويعلم ما في البر والبحر**، مِن اختلاط الأقطار بعضها ببعض، ومن دخول بعضٍ في بعض. يخرج هذا على الوعيد، [أي] إنه لَمَّا كان عالمًا بهذا كلّه يَعلم[٨] بأعمالكم ومقاصدكم. [٢١٣و]

فإن قيل: هذا الذي ذُكر كلُّه في الظاهر[٩] دعوى، فما الدليل على أنه كذلك؟

قيل: اتِّساق التدبير في كلّ شيءٍ وآثارُه فيه يدلّ على أنه كان بتدبيرٍ واحدٍ؛ لأن آثارَ التدبير في كلّ شيءٍ واتِّساقَه على سَنَنٍ واحدٍ ظاهرةٌ باديةٌ، فذلك يدلّ على ما ذُكر.

وقوله: **ولا رطبٍ ولا يابسٍ إلا في كتاب مبين**،[١٠] يحتمل[١١] الكتاب ههنا التقدير والحكم، [أي كلّ ذلك بتقديري وحكمي].[١٢] واختُلف[١٣] فيه. قال[١٤] بعضهم: قوله: **إلا في كتاب مبين**، أي محفوظ كلّه عنده. يقول الرجل لآخر: عَملُك[١٥] كلّه عندي[١٦] مَكتوبٌ، يُريد الحِفظ،

---

[١] ك: البحر والبر.
[٢] ع: يخير.
[٣] ك: ولا تكلف.
[٤] ن – إلى كل من ذلك رزقه يخبر هذا والله أعلم ليعلموا أنه لما ضمن للخلق لكل منهم رزقه يسوق إليه رزقه من غير تكلف ولا طلب كما يسوق.
[٥] ك ن ع – كل.
[٦] ع م: البحر والبر.
[٧] ع: تضييق.
[٨] ع: يعمل.
[٩] ن + كله.
[١٠] ع م + الآية.
[١١] جميع النسخ: ويحتمل.
[١٢] من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥٢و.
[١٣] جميع النسخ: اختلف.
[١٤] م – قال.
[١٥] ن – عملك.
[١٦] ع: عبدي.

أي محفوظٌ[1] عندي، وذلك جائز في الكلام.[2] وقيل: الكتاب ههنا هو اللَّوح المحفوظ، أي كلّه مُبيَّنٌ فيه. وقال الحسن رحمه الله: إن الله يُخرج كتابًا[3] في كلّ ليلةِ قَدْرٍ[4] ويدفعه[5] إلى الملائكة، وفيه مَكتوبٌ كلُّ ما يكون في تلك السنة، لِيَحفظوا[6] على ما يكون،[7] أو كلامٌ نحو هذا. *والله أعلم*.

﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٦٠]

وقوله عز وجل: **وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار**، قال بعض أهل الكلام: إن لِكلّ حاسّةٍ[8] مِن هذه[9] الحواسّ روحًا يُقبَض عند النوم ثم يُرَدّ إليها سِوى روح[10] الحياة فإنه لا يُقبَض؛[11] لأنه يكون أصمّ[12] بصيرًا مُتكلِّمًا ناطقًا، ويكون أعمى سميعًا، ويكون أخرس سميعًا بصيرًا. فثبت أن لِكلّ حاسّةٍ مِن حواسّ النفس روحًا على حِدَةٍ يُقبَض عند النوم ثم يُرَدّ[13] إليها إذا ذهب النوم.[14] وأما الروح الذي به يَحيَى[15] النفسُ فإنه لا يُقبَض ذلك مِنه إلا عند انقضاءِ أَجَلِه، وهو الموت. وقالت الفلاسفة: الحواسّ هي التي تُدرِك صُوَرَ الأشياء بِطِينَتِها.

وقوله: **وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار**، فيه دلالةٌ [على] أنْ ليس [في] ذِكْرِ الحكم في حالٍ أو تخصيصِ الشيء في حالٍ دلالةٌ [على] سقوط ذلك في حالٍ أخرى؛

---

[1] ع: أي محفظ.
[2] ن: في الكلام جائز.
[3] ن – كتابا.
[4] جميع النسخ: القدر.
[5] جميع النسخ: ويدفع.
[6] ك ن: ليحفظوا هم؛ ع م: ليحفظوهم. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥٢و.
[7] عن ربيعة بن كلثوم قال: قال رجل للحسن وأنا أسمع: أرأيت ليلة القدر أفي كل رمضان هي؟ قال: نعم، والله الذي لا إله إلا هو إنها لفي كل رمضان، وإنها الليلة التي يُفْرَق فيها كلّ أمرٍ حكيم، يقضي الله كلّ أَجَل وخَلْق ورِزْق إلى مثلها (*تفسير الطبري*، ٢٥/١٠٨؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٧/٤٠٠).
[8] ك: حاسية.
[9] ن – هذه؛ صح هـ.
[10] ن – روح.
[11] ك: فإنها لا تقبض.
[12] ع: لاصم.
[13] ك: ثم ترد.
[14] ع: اليوم.
[15] م: تحيى.

لأنه قال: **ويعلم ما جرحتم بالنهار**، ليس فيه أنه لا يَعلم ما جَرَحنا بالليل، بل يَعلم ما يكون مِنّا بالليل والنهار جميعًا، [وقال: **وهو الذي يتوفاكم بالليل**] وليس فيه أنه لا يَتَوَفّانا بالنهار وأنْ لا يُجرَحُ[1] بالليل، لكنه ذَكَر الجَرْح بالنهار والوفاةَ بالليل لِمَا أنّ الغالبَ أنْ يكونَ النومُ بالليل والجَرْحُ بالنهار. فهو كقوله تعالى: وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا،[2] ليس [فيه] أنْ لا يُبصَرُ بالليل، لكن ذَكَر النهارَ لِمَا أنّ الغالبَ[3] مما يُبصَر إنما يكون[4] بالنهار. فعلى ذلك الأول.

ثم فيه دلالةٌ [على] أنّ النائمَ غيرُ مُخاطَب في حال نومه، حيث ذكر الوعيد فيما يجرحون[5] بالنهار و لم يذكر بالليل.

وقوله: **ويعلم ما جرحتم بالنهار**، قال بعضهم: **جرحتم**، أي أثمتم **بالنهار**. وقيل: **يعلم ما** كسبتم **بالنهار**.

وقوله: **ثم يبعثكم فيه**، يَستدلّ بقوله: **يتوفاكم بالليل... ثم يبعثكم فيه**، على الإحياء بعد الموت؛ لأنه يُذهِب أرواحَ هذه الحواسّ ثم يَردّها إليها مِن غير أنْ بَقي لها أثر، فكيف تُنكرون البعث بعد الموت وإن لم يَبْقَ مِن أثر الحياة شيء؟[6] ثم القول في الجَمْع بعد التفرّق مما الخَلْقُ يَفعل ذلك ويَقدر عليه، نحو ما يَجمع [الإنسان][7] مِن التراب المتفرِّق فيَجعله[8] طينًا، ورَفْعِ البناء مِن مكان ووَضْعِه في مكان آخر، وغير ذلك مِن جَمْع بعضٍ إلى بعضٍ وتركيبِ بعضٍ على بعضٍ. فدلّ أنّ الأعجوبة في ردّ ما ذهب كلّه حتى لم يَبْقَ له أثر، لا في جَمْع ما تفرّق. ***والله أعلم***.

وقوله: **ثم يبعثكم فيه**، أي[9] يُوقِظكم ويَرُدّ إليكم أرواحَ الحواسّ، **لِيُقْضَى أجلٌ مسمى**، أي مُسَمَّى العمر إلى الموت. **ثم إليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون**، خرج هذا على الوعيد لما ذكرنا ليكونوا على حذر.

---

[1] ك: لا نخرج؛ ن ع: لا يخرج.
[2] ﴿هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا﴾ (سورة يونس، ٦٧/١٠).
[3] ك - النوم بالليل والجرح بالنهار فهو كقوله تعالى وجعل النهار مبصرًا ليس أن لا يبصر بالليل لكن ذكر النهار لما أن الغالب.
[4] ك: أن يكون.
[5] ن ع: فيما يخرجون.
[6] ك ع م - شيء.
[7] من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥٢و.
[8] ك: فتجعله.
[9] ع - أي.

وقوله: **ويعلم ما جرحتم بالنهار**، وقوله: وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ،[1] [أي] يَعلم كلَّ ما يَغيب عن الخلق ولا يخفى عليه شيء؛ لأنه عالمٌ بذاته لا يَحْجُبُه[2] شيءٌ، ليس كعِلْمِ مَن يَعلم بغيره،[3] فيحول بينه وبين العلم بالأشياء الحُجُب والأستار. فأما الله سبحانه وتعالى عالمٌ بذاته لا يَعْزُبُ[4] عنه شيء، ولا يكون له حجابٌ عن شيء.

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾[٦١]

وقوله: **وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة**، فيه جميع ما يحتاج أهل التوحيد في التوحيد، لأنه أخبر أنه قاهرٌ لِخَلْقِه وهم مقهورون، ومن البعيد أن يُشبِه القاهرُ المقهورَ بشيء، أو يشبه المقهورُ القاهرَ بوجه، أو يكونَ المقهورُ[5] شريكَ القاهر في معنى، لأنه لو كان شيء من ذلك لم يكن قاهرا[6] من جميع[7] الوجوه، ولا كان الخلق مقهورًا في الوجوه كلها. فإذا كان[8] الله قاهرًا بذاته الخَلْقَ كلَّه حتى[9] كان آثارُ قهرِه فيهم ظاهرة، وأعلامُ سلطانِه فيهم بادية،[10] دل على تعاليه عن الأشباه والأضداد، وأنه كما وصف: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ.[11]

وقوله: **وهو القاهر فوق عباده**، يكون على وجهين. أحدهما **وهو القاهر** وهو **فوق عباده**. والثاني على التقديم والتأخير: وهو فوق عباده القاهر. ويحتمل قوله: **فوق عباده**، بالنصر لهم والمعونة والدفع عنهم، كقوله: يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ،[12] أي بالنصر والمعونة والعظمة والرِفْعَة والجلال ونفاذ السلطان والربوبية.

---

[1] سورة الأنعام، ٦/٦٠.
[2] ك: ولا يحجبه.
[3] ك ن ع: بغير.
[4] معناه لا يغيب عن علمه شيء، وفيه لغتان، عَزَب، يَعزِب ويَعزُب: إذا غاب (*لسان العرب* لابن منظور، «عزب»).
[5] ع م – المقهور.
[6] ع: قاهر.
[7] ع: في جميع.
[8] ع: فإذ كان.
[9] ع م – حتى.
[10] ن: بادئة.
[11] سورة الشورى، ٤٢/١١.
[12] سورة الفتح، ٤٨/١٠.

وقوله: **ويرسل عليكم حَفَظَة**، أخبر أنه القاهر فوق عباده، وأنه أرسل عليهم الحَفَظَة، ليعلموا أن إرسال الحفظة عليهم لا لِحاجةٍ له، ولكن لِحاجةٍ لهم[1] في ذلك، لِمَا أخبر أنه قاهرٌ فوقَ عباده، ولو كان ذلك لِحاجةٍ له[2] لم يكن قاهرا، لأنّ كلّ مَن وقعت له حاجة صار مقهورا تحت قهرٍ آخر. فالله تعالى يَتعالى عن أن تمسّه حاجة أو يصيبه شيء مما يصيب الخلق، بل إنما أرسلهم عليهم لحاجة الخلق؛ إمّا امتحانًا مِنه للحَفَظَة على محافظة أعمال العباد والكتابة / عليهم [٢١٣ظ] من غير أن تقع[3] له في ذلك حاجة، يمتحنهم على ذلك، ولله أن يمتحن عباده بما شاء من أنواع المحن، وإن أكرمهم ووصفهم بالطاعة في الأحوال كلها بقوله: لَا يَعْصُونَ اللّٰهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ،[4] وغير ذلك من الآيات. والثاني يرسلهم[5] عليهم بمحافظة[6] أعمالهم والكتاب عليهم ليكونوا على حَذَرٍ في ذلك. وذلك في الزجر أبلغ وأكثر، لأن مَن عَلِم أنّ عليه رقيبًا في عمله وفِعله كان أحذر في ذلك[7] العمل وأنظر[8] فيه، وأحفظ له ممّن لم يكن عليه ذلك، وإن كان يعلم كل مسلم أن الله عالم الغيب لا يَخفى عليه شيء، عالمٌ بما كان منهم وبما يكون[9] أنْ كيف[10] يكون ومتى يكون.

ثم اختلف في الحَفَظَة ههنا. قال بعضهم: هم الذين قال الله [فيهم]: وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ،[11] يكتبون أعمالهم ويحفظون عليهم. وقال آخرون: هم الذين يحفظون أنفاس الخلق ويَعُدُّون عليهم إلى وقت انقضائها وفنائها، ثم تُقبَض منه الروح ويموت؛ ألا ترى[12] أنه قال على أثره: **حتى إذا جاء أحدكم الموت توفّته رسلنا وهم لا يُفرّطون**، دل على أن الحَفَظَة ههنا هم الذين سُلِّطوا على حفظ الأنفاس والعَدّ عليهم إلى وقت الموت. ***والله أعلم***.

---

[1] ك – ولكن لحاجة لهم.
[2] ع م – ولكن لحاجة لهم في ذلك لما أخبر أنه قاهر فوق عباده ولو كان ذلك لحاجة له.
[3] ك: أن يقع.
[4] سورة التحريم، ٦٦/٦.
[5] جميع النسخ: يرسله.
[6] ك ن: على محافظة.
[7] ك – وذلك في الزجر أبلغ وأكثر لأن من علم أن عليه رقيبا في عمله وفعله كان أحذر في ذلك.
[8] ع: إذ نظر.
[9] ع: وبما كان.
[10] ع م – كيف.
[11] سورة الانفطار، ٨٢/١٠-١٢.
[12] ع: الى ترى.

ثم في[1] قوله: **حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا**، دلالة خلق أفعال[2] العباد، لأنه ذكر مجيء الموت وتوفيَ الرسل وقال: خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ.[3] ومجيء الموت هو بتوفي الرسل، وتوفي الرسل[4] هو مجيء الموت.[5] ثم أخبر أنه خلق الموت،[6] دل أنه خَلَقَ تَوَفِّيَهم.[7] فاحتال بعض المعتزلة في هذا وقال: إن الملك هو الذي ينزع الروح ويجمعه في موضع،[8] ثم إن الله يُتلفه ويُهلكه. فلإن كان ما قال فإذًا لا يموت بِتَوَفِّي الرسل أبدا، لأنهم إذا نَزَعوا وجمعوا [الروح] في موضع يزداد حياة الموضع الذي جمعوا فيه، لأنه اجتمع كلّ روح النفْس في ذلك الموضع،[9] فإن لم يكن دلّ أنّ ذلك خيال، والوجه فيه ما ذكرنا من الدلالة، وهو ظاهر بحمد الله، يَعرفه كلّ عاقل يتأمل فيه و لم يعاند.[10] ***وبالله التوفيق.***

ثم اختُلف في قوله: **توفته رسلنا**، قال بعضهم: هو ملك[11] الموت وحده، وإن خرج الكلام مخرج العموم بقوله: **رسلنا**، والمراد منه الخصوص؛ ألا ترى[12] أنه قال في آية أخرى: قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ،[13] أخبر أنه هو المُوكَّل والمُسلَّط على ذلك. وقال آخرون: يتوفاه أعوان ملك[14] الموت [وينزعون الروح إلى موضع الخروج]،[15] ثم يَقبضه ملك الموت ويتوفاه. وقال قائلون:[16] يكون معه ملائكة تقبض الأنفس،[17] ويتوفاه ملك الموت.

---

[1] م – في.
[2] ع – أفعال.
[3] ﴿تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾ (سورة الملك، ٦٧/١-٢).
[4] ع م – وتوفي الرسل.
[5] ن: الوقت.
[6] ن + والحياة.
[7] ع: توفهم.
[8] ك – موضع.
[9] ن ع م – الموضع.
[10] ع: و لم يعاندوا.
[11] ك: ذلك.
[12] ك: ألا يرى.
[13] سورة السجدة، ٣٢/١١.
[14] ك: ذلك.
[15] من شرح *التأويلات*: ورقة ٢٥٢ظ.
[16] ك: آخرون.
[17] ع م: الأنفاس.

لكن ذلك لا ندري[1] أن كيف هو، وليس بنا إلى معرفة ذلك حاجة، ولكن إلى معرفة ما ذكرنا.

وقوله: **وهم لا يُفَرِّطون،** فيه إخبار عن شدة طاعة الملائكة ربهم، وأن الرأفة لا تأخذهم فيما فيه تأخير أمر الله وتفريطه، لأن من دخل على من في النَّزْع أَخذَتْه مِن الرَّأْفة ما لو مَلَكَ حياته لَبَذَلَ له. فأخبر[2] عز وجل[3] أنهم لا يُفرِّطون فيما أُمروا به[4] ولا يؤخرونه لتعظيمهم أمرَ الله وشدةِ طاعتهم له. وعلى ذلك وَصَفَهم: غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ،[5] وقال[6] عز وجل: لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ،[7] وقال: لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ.[8]

﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾[٦٢]

وقوله عز وجل: **ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق،** ذكر الرد إلى الله وأنه[9] مولاهم الحق وإن كانوا في الأحوال كلها مردودين إلى الله وكان مولاهم الحق في الدنيا والآخرة. وكذلك قوله: وَبَرَزُوا لِلهِ جَمِيعًا،[10] وكذلك قوله: لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلهِ،[11] كان الملك له في الدنيا والآخرة، وكانوا بارزين له جميعًا في الأوقات كلها، لِمَا كانوا أصحابَ الشكوك، فارتفع ذلك عنهم وخَلَصَ بُروزُهم ورَدُّهم إلى الله خالصًا لا شك فيه. وكذلك كان المُلْكُ له[12] في الدنيا والآخرة وفي الأيام[13] كلها، لكن نازَعَ غيرُه في المُلك في الدنيا، ولا أحدَ يُنازِعه في ذلك اليوم في الملك،[14] فقال: لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ.[15] وعلى ذلك قوله: **مولاهم الحق،**

[1] ن: لا تدري.
[2] ك: وأخبر.
[3] ن: عن رجل.
[4] ع م – به.
[5] سورة التحريم، ٦٦/٦.
[6] ن + الله.
[7] سورة الأنبياء، ٢١/٢٧.
[8] سورة الأنبياء، ٢١/١٩.
[9] ن – وأنه.
[10] سورة إبراهيم، ١٤/٢١.
[11] سورة المؤمن، ٤٠/١٦.
[12] ن م – له.
[13] جميع النسخ: وهي الأيام.
[14] ن – في الملك.
[15] سورة المؤمن، ٤٠/١٦.

كان مولاهم الحق في الأوقات كلها والأحوال، ولكن عند ذلك يَظهر لهم أنه كان مولاهم الحق.

وقوله: **ثم رُدُّوا إلى الله مولاهم الحق،**[١] يحتمل رُدُّوا[٢] إلى ما وَعد لهم وأَوعد.

وقوله عز وجل: **ألا له الحكم،** يحتمل قوله: **ألا له الحكم،** في تأخير الموت والحياة وقَبْضِ الأرواح وتَوَفّي الأنفس. ويحتمل قوله:[٣] **له الحكم،** في التعذيب في النار والثواب والعقاب، ليس يَدفع ذلك عنهم دافعٌ سِواه، ولا يُنازِعه أحدٌ في الحكم.

وهو أسرع الحاسبين، عن الحسن[٤] قال: هو[٥] سريع العقاب، لأنه إنما يحاسب ليعذب، كما روي: «مَن نُوقِش الحسابَ عُذِّب».[٦] **وهو أسرع الحاسبين،** لأنه لا يحاسب عن حِفظ ولا تَفكُّر، ولا يَشْغَلُه شيءٌ، وأمّا غيرُه فإنما يحاسب عن حِفظ وتَفَكُّر وعن شُغْل، فهو **أسرع الحاسبين،** إذ لا يشغله[٧] شيء.

﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾[٦٣] ﴿قُلِ اللّٰهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾[٦٤]

وقوله عز وجل: **قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر،** ليس هذا على الأمر له[٨] ولكن على المُحاجّة؛ كقوله تعالى: قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ،[٩] ليس على الأمر بالسَّير في الأرض، ولكن على الاعتبار بأولئك الذين كانوا مِن قَبْلُ، والنَّظَرِ في آثارهم وأعلامهم أنْ[١٠] كيف صاروا بتكذيبهم الرسل وماذا أصابهم بذلك.

---

[١] ن + كان مولاهم الحق في الأوقات.

[٢] ن – ردوا.

[٣] ك ن – قوله.

[٤] ن: وعن الحسن.

[٥] ن – هو.

[٦] عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن حُوسِب يوم القيامة عُذِّب»، فقلت: أليس قد قال الله عز وجل: ﴿فسوف يُحاسَب حِسابًا يَسِيرا﴾ (سورة الانشقاق، ٨/٨٤)؟ فقال: «ليس ذاك الحِساب، إنما ذاك العَرْض، مَن نُوقِش الحِساب يوم القيامة عُذِّب» (*صحيح البخاري*، الرقاق ٤٩؛ وصحيح مسلم، الجنة ٧٩). والآية التي احتجت بها عائشة رضي الله عنها في شأن مَن أُوتِيَ كِتابه بِيَمِينه هي قول الله تعالى: ﴿فأمّا مَن أُوتِيَ كِتابه بِيَمِينه فسوف يُحاسَب حِسابًا يَسِيرا﴾ (سورة الانشقاق، ٨٤/٧-٨).

[٧] ع م: وإذ لا يشغله.

[٨] ن – له.

[٩] سورة الروم، ٤٢/٣٠.

[١٠] م – أن.

فعلى ذلك هذا فيه[1] الأمر بالمحُاجّة معهم في آلهتهم أنه **من ينجيكم من ظلمات البر والبحر**، آلهتُكم التي تعبدون من دون الله وتشركونها في ألوهيته وربوبيته أو اللهُ الذي / خلقكم؟ فسَخَّرهم حتى قالوا:[2] هو الذي ينجينا من ذلك. فقال: **قل الله ينجيكم منها** [٢١٤و] **ومن كل كَرْب**، فإذا كان هو الذي ينجيكم مِن هذا لا آلهتكم التي تعبدونها فكذلك هو الذي ينجيكم من كل كَرْب ومن كل شدة. ويحتمل قوله تعالى: **قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر**، أي لا أحدَ **ينجيكم من ظلمات البر والبحر**،[3] كقوله: وَمَنْ أَظْلَمُ،[4] أي لا أحد أظلم. [ثم إنكم] تخافون[5] على آلهتكم[6] الهلاك كما تخافون على أنفسكم، فلا أحدَ سِواه ينجيكم من ذلك ومن كل كرب. قال أبو بكر الكيساني:[7] هم عرفوا في الدنيا أنه هو الذي ينجيهم من ذلك كله، وهو الذي يعطي لهم ما أُعْطُوا، بما قامت عليهم الحجج، ولم يعرفوا أنه هو الذي ينجيهم في الآخرة ويهلكهم. وهو هكذا، عرفوا الله في الدنيا ولم يعرفوه في الآخرة.

ثم اختلف في **ظلمات البر والبحر**. قال بعضهم: الظلمات هي الشدائد والكروب التي تصيبهم بالسلوك في البر والبحر. وقال آخرون: الظلمات هي الظلمات،[8] لأن أسفار البحار والمَفاوِز[9] إنما تُقْطَع بأعلام السماء، فإذا أظلم السماء بَقُوا مُتحيّرين، لا يعرفون إلى أيِّ ناحيةٍ يَسلُكون، ومِن أيِّ[10] طريقٍ يأخذون،[11] فعند ذلك يدعون الله **تضرعًا وخُفية**. قال الحسن: التضرع هو ما يُرفَع به الصوت، والخُفية هي[12] ما يُدعَى سِرًّا، وهو من الإخفاء.[13]

---

[1] ن: وفيه.

[2] ن ع + الله هو الذي خلقكم فسخرهم حتى قالوا.

[3] ع – أي لا أحد ينجيكم من ظلمات البر والبحر.

[4] ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته إنه لا يفلح الظالمون﴾ (سورة الأنعام، ٦/٢١).

[5] جميع النسخ: ممن تخافون. والتصحيح مع الزيادة من *شرح التأويلات*، ورقة ٢٥٣و.

[6] ع: على على آلهتكم.

[7] ك: اليساني.

[8] ع م – هي الظلمات.

[9] جمع مَفازَة بمعنى الصحراء والبَرِّيَة التي لا ماء فيها، سميت بذلك تفاؤلا بالفوز والنجاة منها (*لسان العرب* لابن منظور، «فوز»).

[10] م – أي.

[11] ع: تأخذون.

[12] ك ن: هو.

[13] *روح المعاني* للآلوسي، ١٧٩/٧.

وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه: "تدعونه تضرعا وخِيفَة"،[١] وهي[٢] من الخوف. قال الكَلْبي: في خَفضٍ[٣] وسُكونٍ وتضرعٍ إلى الله.

وقوله عز وجل: **لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين،** قال أبو بكر: قوله:[٤] **لنكونن من الشاكرين،** أي لا نُوجّه الشكرَ إلى غيرك.[٥] والشكر ههنا هو التوحيد، أي **لئن أنجيتنا من هذه لنكونن** مِن الموحّدين لك مِن بَعْد، لأنهم كانوا يوحّدون الله في ذلك الوقت، لكنهم إذا نَجَوا مِن ذلك أشركوا غيره في ألوهيته؛ ألا ترى أنه قال: **قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون.**

وقوله عز وجل: **ثم أنتم تشركون،** بَعْدَ عِلمِكم أنّ الأصنام التي تعبدونها لم تملك الشفاعة لكم ولا الزلفى إلى الله. يَذكُر سَفَهَهم في عبادتهم الأوثان على عِلمٍ مِنهم أنها لا تَشفع لهم،[٦] ولا تملك دفع شيء عنهم.

﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾[٦٥]

وقوله عز وجل: **قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابًا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعًا ويذيق بعضكم بأس بعض،** اختُلف في نزول الآية فيمن نزلت. قال بعضهم: نزلت في مشركي العرب، وهو قول أبي بكر[٧] الأصم، لأنها نزلت على أثر آيات نزلت في أهل الشرك، مِن ذلك قولُه: قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ،[٨] وقولُه: قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ،[٩] الآية، وقولُه: وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً -إلى قوله تعالى- ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ.[١٠] هذه الآيات كلها نزلت في أهل الشرك،

[١] ن: وخفية؛ صح ه؛ ع م: وخفية. نسبت هذه القراءة إلى الأعمش. انظر: *تفسير القرطبي*، ٨/٧.
[٢] ك ن: وهو.
[٣] ن: في حفظ.
[٤] ك ن - قوله.
[٥] ع: إلى غير.
[٦] ع م - لهم.
[٧] ع: أبو بكر.
[٨] سورة الأنعام، ٥٠/٦.
[٩] سورة الأنعام، ٤٦/٦.
[١٠] سورة الأنعام، ٦١/٦-٦٢.

فهذه كذلك نزلت فيهم، لأنها ذُكِرت على أثرها، ولأن سورة الأنعام نزل أكثرها في مُحاجّة أهل الشرك، إلا آيات منها نزلت في أهل الكتاب، وسورة المائدة نزل أكثرها في مُحاجّة أهل الكتاب، لأنه يُذكَر فيها: قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ.[١] ومنهم من يقول: نزلت في أهل الإسلام، وهو قول أبي بن كعب، وقال: هنّ أربع، فجاء منهن ثنتان بعد وفاة رسول الله[٢] صلى الله عليه وسلم، أَلْبَسَهم شِيَعًا، وأُذِيق بعضُهم بأسَ بعض. أمّا لَبْس الشِيَع هي الأهواء المختلفة، **ويذيق بعضكم بأس بعض**، هو السيف والقتل، هذان[٣] قد كانا في المسلمين، وبقي ثنتان لا بُدّ واقعتان.[٤] ومنهم من يقول: كان[٥] ثنتان في المشركين من أهل الكتاب، وثنتان في أهل الإسلام، وهو قول الحسن، قال: قد ظهر في أهل الإسلام الأهواء المختلفة والقتل والفتن، وأمّا اللذان في أهل الشرك من أهل الكتاب هو الخسف في الأرض والحجارة من السماء.[٦]

ثم اختلف في قوله: **عذابًا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعًا ويذيق بعضكم بأس بعض**، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: **عذابًا من فوقكم**، أي مِن أمرائكم، **أو من تحت أرجلكم**، أي مِن سَفَلَتِكم، لأن الفتن ونحوها إنما تَهِيج مِن الأمراء الجائرة[٧] ومِن أتباعهم. وقوله: **أو يلبسكم شيعًا**، قال: الأهواء المختلفة. وقوله تعالى: **ويذيق بعضكم بأس بعض**، أي يُسلِّط[٨] بعضكم[٩] على بعض بالقتل[١٠] والعذاب.[١١]

ومَن قال بأن الآية نزلت في أهل الشرك يقول: كان في أَشْياعِهم ذلك كُلُّه. أمّا العذاب مِن الفوق هو الحَصْب بالحجارة كما فُعِل بقوم لوط، ومِن تحت أرجلهم هو الخَسْف[١٢]

---

[١] سورة المائدة، ٥/٥٩، ٦٨، ٧٧.
[٢] ك: النبي.
[٣] ع: هذاان.
[٤] وفسر الثنتين الباقيتين بالخسف والمسخ، وقيل: الرجم. انظر: *تفسير الطبري*، ٧/٢٢٢؛ والدر المنثور للسيوطي، ٣/٢٨٤.
[٥] ع – كان.
[٦] عن الحسن في قوله: ﴿عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم﴾، قال: هذا للمشركين، ﴿أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض﴾، قال: للمسلمين. انظر: *تفسير الطبري*، ٧/٢٢٥؛ والدر المنثور للسيوطي، ٣/٢٩٠.
[٧] ن: الجابرة.
[٨] ن ع: أي تسلط؛ م: أي نسلط.
[٩] جميع النسخ: عليهم.
[١٠] جميع النسخ: القتل.
[١١] *تفسير الطبري*، ٧/٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢؛ والدر المنثور للسيوطي، ٣/٢٨٣.
[١٢] جميع النسخ: وهو الخسف.

كما فُعِل بقارون ومَن معه. وقوله: **أو يلبسكم شيعًا**، يقول: فِرَقًا وأحزابًا، وكانت اليهود والنصارى فِرَقًا مختلفة، اليهود فِرَقًا والنصارى[1] كذلك، كقوله: وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ،[2] وقوله: فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.[3] وقوله: **ويذيق بعضكم بأس بعض**، هو الحرب والقتال. وقول الحسن ما ذكرنا، أنه ظَهَر في أهل الإسلام الأهواء المختلفة وظَهَر[4] الحرب والقتال،[5] وأمّا الخَسْف والحَصْب[6] فلم يَظْهَر، فهو في أهل الشرك.

ويحتمل قوله: **عذابًا** [**مِن فوقكم**، أي عذابا][7] من السماء أرسلها عليكم،[8] لأنهم قد أقرّوا أنه هو[9] رَفَع السماء،[10] فمَن قَدَر على رفع شيء يَقدر على إرساله. وقوله: **أو مِن تحت أرجلكم**، [هو طَيّ الأرض والخَسْف بهم]،[11] لأنهم عرفوا أنه بَسَط الأرض،[12] ومَن مَلَكَ بَسْطَ شيء يَملك طَيّه ويَخسف بهم.

وقوله عز وجل: **انظر كيف نُصَرِّف الآيات**، قيل: أي نُرَدِّد الآيات، لِيَعلم[13] كلُّ مَن دبَّرها،[14] أو نقول:[15] **كيف نصرف الآيات**، ليعلم كلٌّ صِدْقَها وحقيقتَها أنها مِن الله جاءت. **لعلهم يفقهون**، يحتمل وجوهًا. صَرَّفها لِيَفقهوا، / وذلك يرجع إلى المؤمنين خاصة. والثاني **لعلهم يفقهون**، أي ليلزمهم[16] أن يفقهوا، وقد ألزم الكل أن يفقهوا، [٢١٤ظ]

---

[1] ع: وفرقا النصارى.
[2] سورة المائدة، ٦٤/٥.
[3] سورة المائدة، ١٤/٥.
[4] ن: واظهر.
[5] ك ع م: والقتل.
[6] ع: والخصب.
[7] من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥٣و.
[8] جميع النسخ: عليهم.
[9] ن ع م – هو.
[10] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سألتهم مَن خلَق السماوات والأرض لَيقولُنّ الله﴾ (سورة لقمان، ٢٥/٣١)، ونحو ذلك من الآيات.
[11] من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥٣ظ.
[12] لعله يشير إلى الآية المذكورة في الحاشية آنفا، ونحو ذلك من الآيات.
[13] ن ع م – ليعلم.
[14] جميع النسخ: من دجره.
[15] م: أو يقول.
[16] ك: أي لزمهم.

لكن من لم يفقه إنما لم يفقه لأنه نظر إليه بعين الاستخفاف.[1] والثالث **نصرف الآيات**، أي نصرف [الآيات] للرسول[2] ويُبَلِّغُها[3] إليهم على رجاء[4] أن يفقهوا، [أي] لكي يفقهوا إن نظروا فيها وتأمّلوها، وذكر "لعل" لأن منهم مَن فَقِه ومنهم مَن لم يَفْقَه.

*وفي قوله: **أو يلبسكم شيعًا ويذيق بعضكم بأس بعض**، دلالةُ نَقْضِ[5] قول[6] المعتزلة، [٢١٤ظ س١١ لأنّا نَعلم أنّ للخَلْق حقيقةَ الفعل في القتل والحرب والأهواء المختلفة، ثُم أضاف ذلك إلى نفسه، دلّ أنّ له صُنْعًا في أفعالهم، وليس كما تقول المعتزلة: إنّه[7] لا يملك ذلك. وكذلك ما ذكر مِن إضافة تلبيس الشِّيَع إليه رَدٌّ لقولهم، لأنهم يقولون: هم يختلفون، وقد أَخبر أنّه هو يَجعلهم شِيَعًا. وذلك ظاهر النقض عليهم، لأنّه أَخبر أنه يُذيق بعضَهم بأسَ بعض، وهم يقولون: هو لا[8] يُذيق، ولكن ذلك القاتل أو الضارب أو المُعذِّب هو يُذيقهم دون رب العالمين. وكذلك قوله: قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ،[9] وهم يقولون: هو لا[10] يعذبهم، ولكن الخَلْق يُعذِّبونهم. وكذلك قوله: أَنْ يُصِيبَكُمُ اللهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا،[11] وهم يقولون: هو لا[12] يملك تعذيبهم بأيديهم، وذلك رَدٌّ[13] لظاهر الآية، وتركُها جانبا.[14]* ٢١٤ظ س١٨]

﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾[٦٦]

وكذب به قومك، يحتمل به، بالقرآن، ويحتمل بما ذكر من الآيات، ويحتمل الإيمان به والتوحيد.

---

[1] ك: الاستحقاق.
[2] جميع النسخ: الرسول.
[3] ك ع م: ونبلغها.
[4] ع: على جاء.
[5] ن: تنقض.
[6] ع م – قول.
[7] ع م: لأنه.
[8] ن: هؤلاء.
[9] سورة التوبة، ١٤/٩.
[10] ن ع: هؤلاء.
[11] سورة التوبة، ٥٢/٩.
[12] ع م: هؤلاء.
[13] ع: ردا.
[14] ن: جانيا؛ ع: خائنا؛ م: جانيا.
* ورد ما بين النجمتين خلال تفسير الآية ٦٧، فنقلناها إلى هنا. انظر: ورقة ٢١٤ظ/سطر ١١-١٨.

[٢١٤ظ س١١] *ويحتمل قوله: **وكذب به قومك**، أي بما كان وَعد وأَوعد. *والله أعلم*.*

وهو الحق،[١] [أي] **وكذب به قومك** وهم أَحَق أن يُصدّقوك بما جئت به وأنبأتهم،[٢] لأنك نشأت بين أظهرهم فلم يؤخذ[٣] عليك[٤] كذبٌ قط، ولا رأوك أنْ تختلف[٥] إلى أحدٍ يُعلّمك، فهم أحق أن يُصدّقوك بما جئت به وأنبأتهم.[٦] *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **قل لست عليكم بوكيل**، قال عامة أهل التأويل: الوكيل الحفيظ، والوكيل هو القائم في الأمر، أي لستُ بقائم عليكم لأُكْرِهَكم[٧] على التوحيد والإيمان شئتم أو أبيتم، ولستُ بحافظ على أعمالكم، إنما علَيّ التبليغ، كقوله: مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ.[٨]

﴿لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[٦٧]

وقوله عز وجل: **لكل نبأ مستقر**، قال بعضهم: لكل أمر حقيقة. وقيل: لكل خبر[٩] غاية ينتهي إليه. ويحتمل أن يكون صلة قوله: لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ؛[١٠] **لكل نبأ مستقر**، أي لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ،[١١] لكن **لكل نبأ مستقر**، في أنْ أغنمَ أموالَكم وأَسْبِي ذَرَارِيَكم، كقوله: لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ.[١٢]

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[٦٨]

وقوله عز وجل: **وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره**،

---

* ورد ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فنقلناها إلى هنا. انظر: ورقة ٢١٤ظ/سطر ١١.

[١] ك ن + ثم قوله.

[٢] ن: وأنبائهم؛ ع: وأبنايهم.

[٣] ن ع م: فلم يأخذ.

[٤] ع م - عليك.

[٥] ع: أن يختلف.

[٦] ن: وأنبائهم؛ ع: وأبنائهم.

[٧] ن - لأكرهكم.

[٨] سورة المائدة، ٩٩/٥.

[٩] ن: خير، + عاقبة؛ ع: خيرا.

[١٠] الآية السابقة.

[١١] ع - لكل نبأ مستقر أي لست عليكم بوكيل.

[١٢] سورة الغاشية، ٢٢/٨٨-٢٣.

يُشبه أن يكون قوله: **يخوضون في آياتنا،**[1] أي يكفرون بها ويستهزئون بها، كما قال في سورة النساء: وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا،[2] فيكون خوضهم[3] في الآيات[4] الكفر بها والاستهزاء بها؛ ويكون قوله تعالى: **فأعرض عنهم،** أي لا تقعد معهم، كما قال:[5] فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ.[6]

وقوله عز وجل: **فأعرض عنهم،** يحتمل النهي عن القعود معهم، على ما ذكرنا من قوله: فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ. ويحتمل الإعراضُ الصفحَ عنهم وترك المجازاة لمساوئهم، كقوله تعالى: فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ،[7] وكقوله[8] تعالى: فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا،[9] وفيه الأمر بالتبليغ، فيُنهَى عن القعود معهم ويُؤمَر[10] بالتبليغ.

وقوله عز وجل: **وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين،** معناه -والله أعلم- أن الشيطان إذا أنساك القعود معهم فلا تقعد بعد ذكر الذكرى. ومعنى النهي بعد ما أنساه الشيطان أي لا تكن[11] بالمحلّ الذي يجد الشيطان إليك سبيلا في ذلك.

﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرَى لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[٦٩]

وقوله عز وجل: **وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء،** قيل: فيه رخصة الجلوس معهم، وهو كقوله: مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ،[12] ثُم نُسِخ ذلك بقوله تعالى: وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ،[13] وكان النهي عن مجالستهم

---

[1] ك + أن يكون.
[2] سورة النساء، ١٤٠/٤.
[3] ع م: الخوض.
[4] ع م: في آيات.
[5] ع + الله تعالى.
[6] سورة النساء، ١٤٠/٤.
[7] سورة الزخرف، ٨٩/٤٣.
[8] م: كقوله.
[9] سورة النساء، ٦٣/٤.
[10] ن ع م: والأمر.
[11] ك: لا يكن.
[12] سورة الأنعام، ٥٢/٦.
[13] سورة النساء، ١٤٠/٤.

ليس للجلوس[1] نفسه، ولكن ما ذكرنا مِن خوضهم في آيات الله بالاستهزاء بها والكفر بها[2] هو الذي كان يحملهم على ذلك، ليس أنْ لا يجوز أن تجالسوهم.[3] وكذلك ما نهانا أن نَسُبَّهم[4] ليس أنْ لا يجوز لنا أن نَسُبَّهم، ولكن لِمَا كان سَبُّنا[5] إيّاهم هو الذي يحملهم على سب الله.

ولكن ذكرى لعلهم يتقون، يحتمل النهي عن القعود معهم[6] وجوها. [أحدها] نُهي هؤلاء عن القعود معهم[7] لِمَا كان أهل النفاق يجالسونهم ويستهزئون بالآيات ويكفرون بها، فنُهي هؤلاء عن ذلك ليرتدع أهل النفاق عن مجالستهم.[8]

والثاني أنه نَهى المؤمنين عن مجالستهم ليمتنعوا عن صنيعهم حياءً منهم، لأنهم لو امتنعوا عن مجالستهم فيمنعهم ذلك عن الاستهزاء بها والكفر بها لِمَا كانوا[9] يرغبون في مجالسة المؤمنين، فيتذكرون عند قيامهم عنهم، فيتقون الخوض والاستهزاء. أو لِمَا يخافون[10] أن يُعرَفوا[11] في الناس بترك مجالستهم المؤمنين، فيحملهم ذلك على الكفّ عن الاستهزاء بالآيات وبرسول الله صلى الله عليه وسلم.

﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذْ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾[٧٠]

وقوله عز وجل: **وذر الذين اتخذوا دينهم لعبًا ولهوًا**، أي وذر الذين اتخذوا لعبًا ولهوًا دِينًا،

---

[1] جميع النسخ: الجلوس.

[2] ن - والكفر بها.

[3] ك: أن يجالسوهم. وعبارة الشارح هكذا: «وكان النهي عن مجالستهم ليس للجلوس نفسه، ولكن ما ذكرنا مِن خوضهم في آيات الله بالاستهزاء والكفر بها؛ حتى إذا كان المرء يمكنه الإنكار عليهم في صنيعهم ودعوتهم إلى الحق لا يُنهَى عن ذلك، بل يُؤمَر به، ولكن لمّا كان لا قدرة له على الإنكار عليهم يصير جلوسه معهم كالحامل لهم على الاستهزاء بآيات الله تعالى والاستخفاف بها ليَسمعه فيتأ لمّ به، فيُنهَى عن ذلك» (*شرح التأويلات*، ورقة ٢٥٤و).

[4] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿ولا تَسُبُّوا الذين يَدعُون مِن دون الله فيَسُبُّوا الله عَدْوًا بِغيرِ عِلْم﴾ (سورة الأنعام، ١٠٨/٦).

[5] ع: سببا.

[6] ع: عن العقود ومعهم.

[7] ن - معهم.

[8] ع: في مجالستهم.

[9] ع: بما كانوا.

[10] م: ولا يخافون.

[11] ع: أن يعرفون؛ م: أن يعرفوك.

على التقديم والتأخير. والثاني اتخذوا اللعب واللهو دينهم حتى لا[1] يفارقوا[2] اللعب واللهو، لأن الدين[3] إنما يُتَّخَذ للأبد، فعلى ذلك اتخذ أولئك / اللعب واللهو للأبد كالدين. ثم هو[4] [٢١٥و] يخرج على وجوه. أحدها[5] **اتخذوا دينهم** عبادةَ ما لا ينفع ولا يضر ولا يبصر ولا يسمع ولا يعلم. ومَن عَبَد مَن[6] هذا وَصْفُه واتخذ ذلك دينا فهو عابث لاعب.

والثاني **اتخذوا دينهم** ما هَوَتْه أنفسُهم ودَعَتْهم الشياطينُ إليه، ومن اتخذ دينه بهوى نفسه وما دعته نفسه إليه فهو عابث لاعب.

والثالث صار دينهم لَعِبًا وعَبَثًا، لأنهم كانوا لا يؤمنون بالبعث، ومن لم يَقصِد بدينه الذي دان به عاقبةً فهو عابث مبطل، كقوله: أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا،[7] الآية، صَيرّ عدمَ الرجوع إليه عَبَثًا.

وقوله: **وغَرّتهم الحياة الدنيا**، أي شَغَلهم ما اختاروا من الحياة الدنيا والمَيْل إليها عن النظر في الآيات والبراهين والحجج. أو أن يكون قوله: **وغرتهم**، أي اغترّوا **بالحياة الدنيا**، أضاف التغرير إلى الحياة الدنيا لِمَا بها[8] اغترّوا. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **وذَكِّرْ به أنْ تُبسَلَ نفسٌ بما كسبت**، قيل: **وذكر به قبل أن تبسل نفس بما كسبت**. وقيل: **وذكر به أن لا تبسل نفس بما كسبت**.[9] وإنما يُذَكِّرهم[10] بهذا لأنْ لا يقولوا غدًا: إِنَّا كُنَّا عَنْ هٰذَا غَافِلِينَ.[11] وأصل الإبسال الإهلاك أو الإسلام للجناية والهلاك. ثم اختُلف في قوله: **أن تبسل نفس بما كسبت**، عن ابن عباس قال: أنْ تُفضَح نفس بما كسبت.[12]

---

[1] ع – حتى لا.
[2] ع: أن يفارقوا.
[3] ع: الذي.
[4] ك – هو.
[5] ع: أحدهما.
[6] ك: ومن عبدهن؛ ن ع: ومن عند من؛ م: ومن عندهن.
[7] ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا تُرجَعون﴾ (سورة المؤمنون، ١١٥/٢٣).
[8] ك – لما بها.
[9] ك ع م – وقيل وذكر به أن لا تبسل نفس بما كسبت.
[10] ع: يذكر.
[11] اقتباس من قوله تعالى: ﴿وإذ أخذ ربُّك مِن بني آدم مِن ظهورهم ذريَّتهم وأشهَدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أنْ تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين﴾ (سورة الأعراف، ١٧٢/٧).
[12] *تفسير الطبري*، ٢٣٢/٧؛ والدر المنثور للسيوطي،٢٩٤/٣.

وقيل: **تُبسَل**، تؤخذ وتُحبَس، وهو قول قتادة،[1] وكذلك قال[2] في قوله: **أُبسِلوا بما كسبوا**، أي حُبسوا بما كسبوا. وعن ابن عباس رضي الله عنه: **أُبسِلوا**، أي فُضحوا، على ما قال في **تُبسَلَ.**[3] وعن الحسن: **تُبسَلَ** تُسلَم.[4] وعن مجاهد كذلك.[5] قال أبو عَوْسَجة: **تُبسَل نفس**، أي تُسلَم، وذلك أنّ الرجل يَجني جناية فيُسَلَّم إلى أهل الجناية. وقال القتبي: **تُبسَل**،[6] أي تُسلَم لِلهَلَكَة.[7] وعن الكسائي: **تُبسَل**، تُجزَى نفس بما كسبت. وقال الفراء: **تُبسَل**، تُرْتهَن.[8] وأصل الإبسال هو الإسلام. وتفسيره[9] ما ذكر على أثره، وهو قوله: **ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع**، كما يكون بعضهم[10] شفيعًا لبعض في الدنيا وأعوانًا لهم وأنصارًا في دفع المضار والمظالم عنهم وجَرِ المنافع إليهم، وأمّا في الآخرة فإن كل نفس تُسلَم بما كسبت، لا شفيعَ لها ولا ولي، كقوله: يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ،[11] وكقوله: وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً،[12] وغير ذلك من الآيات، تُسلَم كل نفس إلى كَسْبِها، لا شفيعَ لها ولا ولي.

وقوله: **وذكّر به**، يحتمل بالقرآن والآيات. ويحتمل **به**، أي بالله، أي عِظْ به أنْ تهُلَك نفس بما كسبت.

وقوله عز وجل: **وإن تَعْدِلْ كلَّ عَدْلٍ لا يؤخذ منها**، اختلف فيه. قال بعضهم: العَدل الفداء، يقول: وإن فَدَتْ نفسٌ[13] كلّ الفداء لتتخلّص[14] ممّا حلّ[15] بها لم يؤخذ[16] ولم يُقبَل منها ذلك.[17]

---

[1] *تفسير الطبري*، ٢٣٢/٧؛ والدر المنثور للسيوطي، ٢٩٥/٣.
[2] ن – قال.
[3] *تفسير الطبري*، ٢٣٥/٧؛ والدر المنثور للسيوطي،٢٩٤/٣.
[4] *تفسير الطبري*، ٢٣١/٧.
[5] *تفسير الطبري*، ٢٣٢/٧.
[6] ع م – تسلم وعن مجاهد كذلك قال أبو عوسجة تبسل نفس أي تسلم وذلك أن الرجل يجني جناية فيسلم إلى أهل الجناية وقال القتبي تبسل.
[7] والهلكة: الهلاك. *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٥٤.
[8] جميع النسخ: توهن.
[9] ك – وتفسيره، صح هـ.
[10] ن: بعضكم.
[11] سورة عبس، ٣٤/٨٠.
[12] سورة البقرة، ١٦٧/٢.
[13] ك – نفس.
[14] ن ع م: ليتخلص.
[15] ع م: ما حمل.
[16] ع: يؤخذ.
[17] م – ذلك.

وقال الحسن: العَدْل كل عمل البر والخير، أي[١] وإن عَمِلَتْ كل عمل البر والخير من الفداء والتوبة لم يُقبَل منها ذلك. يخبر أنّ الدار الآخرة ليست بدار العمل ولا يُقبَل فيها الرِّشَى[٢] كما يُقبَل[٣] في الدنيا، وأخبر أنْ لا يكونُ شفعاء يشفعون لهم ولا أولياء ينصرونهم؛ ليس كالدنيا، لأن مَن أصابه في هذه الدنيا شيء أو حَلّ به عذاب أو غَرامة فإنما يَدفعه[٤] بإحدى هذه الخلال الثلاثة، إمّا[٥] بشفعاء يشفعون له[٦] أو بأولياء ينصرونه أو بالرِّشَى. فأخبر أنّ الآخرة ليست بدارٍ تُقبَل[٧] فيها الرِّشَى فتدفع ما حل بهم، أو أولياء[٨] ينصرونهم في دفع ذلك عنهم، أو شفعاء يشفعون لهم.[٩]

فإن قيل: ما معنى ذِكْرِ العَدْل والفِداء وليس عنده ما يَفْدِي ولا [ما] يَبْذُل،[١٠] وما يُمَكَّن[١١] مِن العمل؟

قيل: معناه -والله أعلم- أي لو مُكِّن لهم مِن الفِداء ما يَفْدُون في دفع ذلك[١٢] عن أنفسهم ومُكِّن لهم مِن العمل ما لو عَمِلوا لم يُقبَل ذلك منهم.

وقوله عز وجل: **أولئك الذين أُبسِلُوا بما كسبوا**، قد ذكرنا الاختلاف في الإبسال، وأصله الإسلام، يُسْلَمون لِمَا اكتسبوا، لا يكون لهم شفعاء ولا أولياء، ولا يُقبَل منهم الرِّشَى.

وقوله عز وجل: **لهم شراب من حميم**، قيل: الحميم هو ماء حارّ قد انتهى[١٣] حَرُّه، يغلي ما في البطن إذا وصل إليه، فيُشبِه أن يكون لهم مِن الشراب ما ذكر لِمَا تناولوا في الدنيا مِن الشراب المُحَرَّم،

---

[١] ن: الذي.
[٢] ن ع: البرشى.
[٣] ك م: كما تقبل.
[٤] جميع النسخ: فإنما يدفع.
[٥] ن ع م: واما.
[٦] جميع النسخ: يشفعونه.
[٧] ن: يقبل.
[٨] ن: وأولياء.
[٩] جميع النسخ: يشفعونهم.
[١٠] ك ن: ولا يترك.
[١١] ك ن ع: وما ذكر.
[١٢] ع - عنهم أو شفعاء يشفعون لهم فإن قيل ما معنى ذكر العدل والفداء وليس عنده ما يفدي ولا يبذل وما يمكن من العمل قيل معناه والله أعلم أي لو مكن لهم من الفداء ما يفدون في دفع ذلك.
[١٣] ع م: ينتهي.

فكان لهم في الآخرة الحميم مكان ذلك، والعذاب الأليم لِمَا أَعْطَوْا أنفسهم في الدنيا مِن الشهوات و اللذّات جزاءَ ذلك.

﴿قُلْ أَنَدْعُوا مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٧١] ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[٧٢]

وقوله عز وجل: **قل أندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا**، يحتمل هذا وجوها.[١] يحتمل أن يكون أولئك الكفرة دَعَوْا رسولَ الله أو المؤمنين إلى عبادة الأصنام التي كانوا[٢] يعبدونها، فقال عند ذلك: أَ نعبد[٣] **مِن دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا** بعد ما عبدنا الله الذي يملك نَفْعنا وضُرّنا. أو كان أهل الكفر يدعون أهل الإسلام إلى عبادة الأصنام[٤] والأوثان[٥] التي كانوا يعبدونها، إمّا طَمَعًا بشيء يبذلون لهم[٦] ليرجعوا إلى عبادة الأصنام[٧] والأوثان[٨] عن عبادة الله أو تخويفًا منهم لهم، فقال: **قل** يا محمد **أندعو من دون الله** مالا يملك نَفْعنا إن عبدناه ولا يملك ضُرّنا إن تركنا عبادته بعد ما عبدنا الذي يملك نَفْعنا إن عبدناه ويملك ضُرّنا إن تركنا عبادته. وعن ابن عباس رضي الله عنه: **قل أندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا**، هذا مَثَلٌ ضَرَبَه الله للأصنام التي عبدوها دون[٩] الله ومَن يدعو[١٠] إليها وللدعاة[١١] الذين يدعون إلى الله وإلى عبادته، كمَثَل رجلٍ ضَلّ به الطريق تائهٍ[١٢] ضالّ إذا ناداه مُنادٍ:[١٣]

---

[١] ع + يحتمل هذا وجوها.
[٢] ع – كانوا.
[٣] ع: أتعبد؛ م: أتعبدون.
[٤] ك ع م – الأصنام.
[٥] ك ع م: الأوثان.
[٦] جميع النسخ: يبذلونهم.
[٧] ك ن – الأصنام.
[٨] ك ن: الأوثان.
[٩] ع: من دون.
[١٠] ك ع: ومن يدعوا.
[١١] ع: للدعاة.
[١٢] م: فإنه.
[١٣] ن: مناديا.

يا فلان بن فلان، هَلُمّ إلى الطريق.[1]

وقوله عز وجل: **ونُرَدّ على أعقابنا**، في الكفر والشرك.[2] / **بعد إذ هدانا الله كالذي** [٢١٥ظ] **استَهْوَتْهُ الشياطين في الأرض حَيْران**، يقول [السُّدّي]:[3] مَثَلُهم أنْ كفروا[4] بعد الإيمان كمَثَلِ رجلٍ كان مع قومٍ على الطريق، فضَلّ الطريق،[5] فحَيّرته الشياطينُ واستَهْوَته[6] في الأرض، وأصحابه على الطريق، فجعلوا يدعونه[7] إليهم يقولون: ائتنا، فإنّا على الطريق، قال: فلم يأتهم، فذلك مَثَل مَن تَبِعَهم[8] بعد المعرفة بمحمد، ومحمد صلى الله عليه وسلم هو الذي[9] يدعوهم إلى الطريق، وهو الهدى.[10] ويحتمل أن يكون المَثَل الذي ضَرَبَه مِن وجه آخر، وهو أنّ مَثَل هؤلاء كمَثَل مَن كان في بعض المَفاوِز[11] والبراري، فضَلّ الطريق،[12] فذهب به الغِيلان[13] حتى أَوْقَعُوه في الهَلَكة، وهو الذي تقدم ذكره. ويُشبِه أن يكون قوله:

---

[1] ك + وله أصحاب يدعونه يا فلان هلم إلى الطريق. عن ابن عباس: ﴿قل أندعو من دون الله﴾، هذا مَثَل ضَربه الله للآلهة وللدعاة الذين يَدعون إلى الله، كمَثَل رجل ضلّ عن الطريق تائها ضالّا إذ ناداه مناد: فلان بن فلان، هَلُمّ إلى الطريق، ﴿وله أصحاب يدعونه﴾، يا فلان بن فلان هَلُمّ إلى الطريق، فإن اتّبع الداعي الأول انطلق به حتى يُلقِيه في هَلَكَة، وإن أجاب مَن يدعو إلى الهدى اهتدى إلى الطريق، وهذه الداعية التي تدعو في البَرِيّة الغِيلان. يقول: مَثَل مَن يعبد هذه الآلهة مِن دون الله فإنه يَرى أنه في شيء حتى يأتيه الموت، فيستقبل الهَلَكة والندامة. وقوله: ﴿كالذي استهوته الشياطين في الأرض﴾، يقول: أضلّته، وهُم الغِيلان يَدعونه باسمه واسم أبيه وجدّه، فيتبعها ويرى أنه في شيء، فيصبح وقد ألقته في هَلَكة، وربّما أكلته، أو تُلقيه في مَضِلّة مِن الأرض، يهلك فيها عَطَشًا، فهذا مَثَل مَن أجاب الآلهة التي تُعبَد من دون الله. انظر: *تفسير الطبري*، ٢٣٦/٧؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٢٩٥/٣-٢٩٦.

[2] ع: والشكر.

[3] من مصادر الرواية.

[4] أي بأنهم كفروا.

[5] ع – فضل الطريق.

[6] ع م – واستهوته.

[7] ع: يدعون.

[8] جميع النسخ: من تبعكم.

[9] ن – هو الذي.

[10] روي هذا عن السُّدّي. انظر: *تفسير الطبري*، ٢٣٦/٧؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٢٩٦/٣.

[11] جمع مَفازَة بمعنى الصحراء والبَرِّيّة التي لا ماء فيها، سميت بذلك تفاؤلا بالفوز والنجاة منها (*لسان العرب* لابن منظور، «فوز»).

[12] ك + به.

[13] ع: فذهب الغيلان. والغيلان جمع الغُول، وهي جِنس مِن الشياطين والجن، كانت العرب تزعم أن الغُول في الفَلاة تتراءى للناس فتَتغوّل تَغوُّلا، أي تتلوّن تلوُّنا في صُوَر شتّى، و تَغُولهم أي تُضِلّهم عن الطريق وتُهلكهم (*لسان العرب* لابن منظور، «غول»).

كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا، أنه ما مِن أحدٍ مِن مشرك ومؤمن إلّا وله أصحاب يدعونه. أمّا المؤمن فله أصحاب من الملائكة يدعونه إلى الهدى، والكافر له شياطين يدعونه إلى الشرك؛ هذا أَشْبَه[1] أن يُحمَل عليه، لكن أهل التأويل حملوا على ما ذكرنا.[2] قال قتادة: هذه خصومة عَلَّمَها اللهُ محمدًا يُخاصِم بها[3] أهلَ الشرك،[4] لأن سورة الأنعام نزل أكثرها في مُحاجّة أهل الشرك. قال ابن عباس رضي الله عنه: **استهوته** أضلّته.[5] وقال[6] أبو عوسجة:[7] أي ذهبت به، **استهوته** وأَهْوَتْه واحد، أي دَعَتْه إلى الهَلَكَة، وقيل: أضلّته. وقوله: **ونُرَدّ على أعقابنا**، أي نرجع[8] عن الإيمان إلى الشرك بعد إذ هدانا الله.

وقوله عز وجل: **قل إن هدى الله هو الهدى**، قيل: بيان الله هو البيان. وقيل: إن دين الله **هو الهدى**، وهو الدين.

وقوله عز وجل: **وأُمرنا لنسلم لرب العالمين**، قيل: هذا صِلَة قوله: **قل أندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا... وأُمرنا لنسلم لرب العالمين**، ولِنُقِيم الصلاة ولِنَتَّقِيَه.[9] وقال بعضهم: ليس على الصِّلَة، ولكن على الابتداء: **أُمرنا لنسلم لرب العالمين**، وقُل لهم: **أقيموا الصلاة واتقوه**.

وهو الذي إليه تحشرون، قد ذكرنا.[10]

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾[٧٣]

وقوله عز وجل: **وهو الذي خلق السماوات والأرض بالحق**، قيل: قوله: **بالحق**، أي خلق السماوات والأرض بالحق لم يخلقهما باطلا، كقوله سبحانه: وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا،[11]

---

[1] ع: يشبه.

[2] «لكن أهل التأويل حملوا على ما ذكرنا من محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥٤ظ).

[3] ك: يخاصمها.

[4] *تفسير الطبري*، ٢٣٧/٧؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٢٩٦/٣.

[5] *الدر المنثور* للسيوطي، ٢٩٦/٣.

[6] م: قال.

[7] ك: ابن عباس.

[8] ن: أي يرجع.

[9] جميع النسخ: وليقيموا الصلاة وليتقوه. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥٤ظ.

[10] انظر تفسير الآية من سورة المائدة، ٩٦/٥.

[11] سورة ص، ٢٧/٣٨.

قيل: لم يخلقهما باطلا ولكن خَلَقهما بالحق. وهو يحتمل وجوها. قيل: خلقهما للعاقبة، لأنّ كلّ أمرٍ لا عاقبة له فهو باطل ليس بحق، فإنما خَلَق السماوات والأرض وما بينهما للعاقبة، وذلك لأمر عظيم، كقوله:[١] لِيَوْمٍ عَظِيمٍ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ.[٢] وقيل: قوله: **بالحق**، أي خلقهما ليمتحن [مَن] فيهما[٣] ولمِحنَة سُكَّانِهما، لم يخلقهما لغير شيء. وقيل: **بالحق**، أي خَلَقهما بالحكمة، مَن نَظر فيهما وتَدبر لَدَلّاه على أنّ لهما خالقا ومُدبِرا، ولَدَلّاه على أنّ مُدبِرهما ومُنشِئهما واحد، فإذا كان كذلك فكان[٤] خَلْقُهما بالحق: بالحكمة والعلم.

وقوله عز وجل: **كن فيكون**، قد ذكرنا[٥] أنّ قوله: **كن**، هو أوجز كلام في لسان العرب يُعبَّر به، فيُفهَم منه لا أنْ كان مِن الله كاف أو نون، لكنه ذكر [هذا] -والله أعلم- لِيَعلموا[٦] أنْ ليس على الله في الإحياء والإنشاء بعد الموت مُؤنة كما لم يكن على الخلق في التكلُّم[٧] بِكُنْ مُؤنة، ولا يَصعُب عليهم ذلك؛ فعلى ذلك ليس على الله في البعث بعد الموت مُؤنة ولا صُعوبة. والثاني ذكر هذا لسرعة نفاذ البعث، كقوله: مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ،[٨] أخبر أنّ خَلْقَهم[٩] وبَعْثَهم ليس إلّا كخَلْق نفس واحدة وبعث نفس[١٠] واحدة؛ وكقوله: وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ،[١١] يخبر بسرعة[١٢] نفاذ الساعة وبَعْثِهم. وذلك أنّ الرجل قد يَلمَح البصر وهو لا يشعر به، فعلى ذلك القيامة قد تقوم وهم لا يشعرون. والثالث يَذكُر هذا[١٣] -والله أعلم- أنّ البعث[١٤] بعد الموت والإحياء إعادة، وإعادة الشيء عندكم أَهْوَن من ابتداء إنشاء، وعلى ذلك يخرج قوله:

---

[١] ع: لقوله.
[٢] ﴿ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾ (سورة المطففين، ٨٣/٤-٦).
[٣] م: ليمتحن فيها. «أي خلقهما بخلق المتحنين فيهما» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥٤ظ).
[٤] ك: كان.
[٥] انظر تفسير الآية من سورة البقرة، ٢/١١٧.
[٦] ك: ليعرفوا.
[٧] ك: في الكلمة.
[٨] سورة لقمان، ٣١/٢٨.
[٩] م: أن قولهم.
[١٠] ع - نفس.
[١١] سورة النحل، ١٦/٧٧.
[١٢] ن ع م: لسرعة.
[١٣] ن + وهم لا يشعرون.
[١٤] أي لأن البعث.

وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ،[1] أي هو أهون عليه عندكم.

وقوله عز وجل: **قوله الحق**، يحتمل **قوله الحق**، أي البعث بعد الموت حق، على ما أخبر. ويحتمل **قوله الحق**، أي ذلك القول منه حق، يكون كما ذكر.

وقوله عز وجل: **وله الملك**، مُلك ذلك اليوم، كقوله: لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ،[2] وكقوله: اَلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ،[3] ذكر هذا –والله أعلم– لِمَا لا يُنازِعه أحد في مُلك ذلك اليوم، وقد نازعه الجبابرة في المُلك في الدنيا وإن لم يكن لهم مُلك ولا أُلوهيّة. ويحتمل قوله: **وله الملك**، أي مُلك[4] جميع الملوك له في الحقيقة، كقوله: مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ.[5]

وقوله عز وجل: **يوم يُنفَخ في الصور**، قال بعضهم: النَّفْخ[6] هو الروح، والروح مِن الريح، والروح إنما تَدخل[7] بالنفخ، [قال الله تعالى]: فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا.[8] وقال بعضهم: لا يكون هناك[9] في الحقيقة نَفْخ، ولكن يذكر [النفخ في الصور][10] لسرعة نفاذ الساعة، لأن الرجل قد يتنفّس وهو لا يشعر به، فذكر هذا لسرعة[11] نفاذ الساعة، لأنه ليس شيءٌ أسرعَ جرياناً ونفاذاً مِن الريح.[12] وقال بعضهم:[13] هو على حقيقة النفخ، وهو[14] ما ذكرنا.

وقوله عز وجل: **في الصور**، قال بعضهم: في صُوَر الخَلْق.[15] وقال آخرون:[16] **الصور** قَرْنٌ

---

[1] ﴿وهو الذي يبدأ الخَلْق ثم يُعيده وهو أهون عليه﴾ (سورة الروم، ٣٠/٢٧).

[2] سورة المؤمن، ٤٠/١٦.

[3] سورة الحج، ٢٢/٥٦.

[4] ع – أي ملك.

[5] سورة آل عمران، ٣/٢٦.

[6] لعل المصدر هنا بمعنى المفعول، أي النفخ بمعنى المنفوخ، فالمنفوخ هو الروح.

[7] ن ع م: إنما يدخل.

[8] سورة التحريم، ٦٦/١٢. وعبارة الشارح: «وقوله تعالى: ﴿يوم يُنفَخ في الصور﴾، أي يُدخل الروح في البدن؛ إلّا أنّ الروح جسم لطيف، وهو الريح، فإنما يدخل الروح بالنفخ؛ قال الله تعالى: ﴿فنفخنا فيه من روحنا﴾، فكذلك قال: ﴿يُنفَخ في الصور﴾» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥٥و).

[9] ك: هنالك.

[10] من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥٥و.

[11] ع: السرعة.

[12] «... فاستعار ذكر النفخ عن السرعة» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥٥و).

[13] ع – بعضهم.

[14] ع م: هو.

[15] «... والصور أصله الصُوَر، إلّا أنه خُفِف بمنزلة الأُذُن والأُذْن والأُكُل والأُكْل» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥٥و؛ ونسخة المدينة، ورقة ٢٨٣ظ).

[16] ك: بعضهم.

يَنفُخ فيه إسرافيل.[1] فلا ندري كيف هو، وليس لنا إلى معرفة ذلك حاجة، سِوى أنّ فيه ما ذكرنا مِن سرعة نفاذ البعث.[2]

وقوله عز وجل: **عالمُ الغيب**، أي يَعلم ما يُغَيِّب الخَلْق بعضُهم مِن بعض، **والشهادة**، ما يُشهِد بعضُهم بعضًا. ويحتمل **عالم الغيب**، أي يَعلم ما يكون إذا كان كيف كان، ويَعلم[3] وقت كونه، **والشهادة**، ما كان وشُوهِد. يخبر أنه لا يَغيب عنه شيء ولا يَعزُب منه. **وهو الحكيم**، في خَلْق[4] السماوات والأرض وخَلْق ما فيهما، **والحكيم** في بَعْثِهم، والحكيم[5] هو واضع الشيء مَوْضِعَه، **الخبير**، بكل شيء.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[٧٤]

وقوله عز وجل: **وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر**، قيل: **آزر**،[6] هو اسم أبي إبراهيم عليه السلام. والحسن يقرأ "آزرُ" بالرفع،[7] ويجعله اسم أبيه. وقال آخرون: هو اسم / صنم، فهو على التقديم [٢١٦و] والتأخير، كأنه قال: وإذ قال[8] إبراهيم لأبيه أتتخذ آزر[9] أصناما آلهة. وقوله: **أتتخذ**، استعظامًا لِمَا يَعبد مِن الأصنام دون الله، لأنّ مِثل هذا إنما يقال على العظيم مِن الفعل. وقال أبو بكر الكيساني:[10] قوله: **آزر**، قيل: هو اسم عيب[11] عندهم، كأنه قال: يا ضالّ أتتخذ أصناما آلهة، كقول الرجل لآخر: يا ضالّ. وليس لنا إلى معرفة ذلك حاجة، كان اسمَ أبيه أو اسمَ صنم.

وفي الآية دلالة أنّ أباه كان مِن رؤساء قومه، بقوله: **إني أراك وقومك في ضلال مبين**. وفيه[12] دلالة أنْ لا بأس للرجل أن يَشتِم أباه لمكان ربه، لأن إبراهيم عليه السلام سمّاه ضالًّا.

---

[1] انظر للنقاش حول هذه المسألة: *لسان العرب* لابن منظور، «صور».

[2] ع م – وقوله عز وجل في الصور قال بعضهم في صور الخلق وقال آخرون الصور قرن ينفخ فيه إسرافيل فلا ندري كيف هو وليس لنا إلى معرفة ذلك حاجة سوى أن فيه ما ذكرنا من سرعة نفاذ البعث.

[3] ع م: أو يعلم.

[4] ع: وفي خلق.

[5] ك – والحكيم.

[6] ن ع – قيل آزر.

[7] ن – بالرفع. *تفسير الطبري*، ٢٤٣/٧.

[8] ع: وإذا قال.

[9] ع: آزر أتتخذ.

[10] م: الكيسائي.

[11] ن ع م: عبث.

[12] أي في قوله.

وفي الآية[1] دلالة أنّ الإيمان والتوحيد يَلزَم أهلَ الفترة في حال الفترة، لأنّ إبراهيم عليه السلام سمّاهم ضُلاّلاً، وهو لم يكن في ذلك[2] الوقت رسولا، إنما بُعِث رسولا مِن بَعد. *والله أعلم.*

وقوله عز جل: **إني أراك وقومك في ضلال مبين،** أي ضَالًّا[3] لا شكّ فيه ولا شبهة. وهو ما ذَكر في آية أخرى حيث عَبد ما ذَكر حيث قال: يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا،[4] هذا الضلال المبين.[5]

﴿وَكَذٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوْقِنِينَ﴾[٧٥]

وقوله: **وكذلك نري إبراهيم،** ذكر "كذلك" -والله أعلم- على معنى كما أريناك ملكوت السماوات والأرض والآيات كذلك كنا أرينا إبراهيم، **ونُري** بمعنى أرينا، وذلك جائز في اللغة. و"كذلك" لا تُذكَر[6] إلا على تقدّم شيء، لكن الوجه فيه ما ذكرنا: كما أريناك[7] مِن الآيات والحجج والبراهين كذلك كنا أرينا إبراهيم.

وقوله: **ملكوتَ السماوات والأرض،** اختُلف فيه. قال بعضهم: سلطان السماوات والأرض. وقيل: الشمس والقمر والكواكب. وقيل: فُرجت له السماوات السبع حتى نظر إلى ما تحت العرش وما فيهن، وكذلك فُرجت له الأَرَضُون حتى رأى ما فيهن.[8] وقيل: **ملكوت السماوات والأرض:** خُبِّئَ[9] إبراهيم صلوات الله عليه مِن الجبابرة في سِرْب، فجعل الله في أصابعه رزقًا، فإذا مصّ إصبعًا مِن أصابعه وجد فيها رزقًا، فلما خرج أراه الله الشمس والقمر، فكان ذلك ملكوت السماوات،[10] وملكوت الأرض الجبال[11] والبحار والأشجار.

---

[1] ن ع م: وفيه.
[2] ن م - ذلك.
[3] ع م - وهو لم يكن في الوقت رسولا إنما بعث رسولا من بعد والله أعلم وقوله عز جل إني أراك وقومك في ضلال مبين أي ضالا.
[4] سورة مريم، ٤٢/١٩.
[5] ك ن م: البين.
[6] ك: لا يذكر.
[7] ع + ملكوت السماوات والأرض؛ م + من السماوات والأرض.
[8] ع: فيهن.
[9] ن ع: جنى.
[10] ع م + والأرض.
[11] ع: والجبال.

وقيل: نظر إلى مُلك الله فيها[1] حتى نظر إلى مكانه ورأى الجنة، وفُتحت له الأَرَضُون حتى نظر إلى أسفل الأَرَضِين، فذلك قوله: وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا.[2] قيل:[3] أُرِي مكانَه في الجنة، وقيل: أجره الثناء الحسن. وقال أبو عَوْسَجة: **ملكوت السماوات والأرض**، مِن المُلك، وكذلك قال أبو عُبَيد، وهو كجَبَروت ورَحَموت ورَهَبوت، فكذلك ملكوت، وأصله ما ذكر من الآيات والعجائب. *والله أعلم*.[4]

وقوله: **وليكون من الموقنين**، الإيقان بالشيء هو العلم بالشيء حقيقة بعد الاستدلال والنظر فيه والتدبُّر، ولذلك[5] لا يُوصَف الله باليقين، ولا يجوز لِله أن يقال: "مُوقِن"، لِمَا ذكرنا [أن اليقين] هو العلم الذي يَعقُب[6] الاستدلال، وذلك مَنهِيّ عنه.[7]

وقيل في قوله: **وكذلك نُرِي إبراهيم**، أي كما أنبأتُك ملكوت ما ذُكر، فقوله: **نُرِي** بمعنى[8] أريناه. وقوله: **وكذلك**، له وجهان.[9] أحدهما أنه كما أريناك ما أيقنتَ به أنّ الربوبية لله وأنه الواحد لا شريك له مِن الآيات والأدلة أريناه[10] أيضًا ما ذُكر حتى أيقن. فهو -والله أعلم- على التسوية بين الأسباب الدالة[11] على الوحدانية لله والربوبية في المعنى وإن كانت لِأعيانها مختلفة، وعلى أنّ طريق المعرفة الاستدلال بما أنشأ الله مِن الدلالة لا السمع والحِسُّ،[12] وإن كان في حجة السمع تأكيده.[13]

والثاني أن يكون **وكذلك**[14] نُريه على ما أَظهر مِن الحُجج على قومه،[15] وهو كقوله:

---

[1] أي في السماوات.

[2] ﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين﴾ (سورة العنكبوت، ٢٧/٢٩).

[3] جميع النسخ: قال. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥٥و.

[4] ك - والله أعلم.

[5] ن ع: وكذلك.

[6] جميع النسخ: يعقبه.

[7] جميع النسخ + وقوله وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين.

[8] ن - بمعنى.

[9] ع: وجها.

[10] جميع النسخ: أراه.

[11] ن ع م: الدلالة.

[12] ن: والحسن.

[13] ع م: تأكيد.

[14] ع م - وكذلك.

[15] وعبارة الشارح: «والثاني معنى قوله: ﴿وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض﴾، أي كما أريناك من الحجج ما أظهرت على قومك كذلك أرينا إبراهيم عليه السلام من الحجج...» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥٥و-ظ).

وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ،[1] وأعطاه ما أراه وأشعر قلبَه مِن الحُجج التي أَلزم قومَه بما أنطق بها[2] عز وجل لسانَه لِيُلزِم[3] حُجَجه خَلْقَه. *والله الموفق.*

وملكوتَ السماوات والأرض، المُلك في الحقيقة مِن الوجه الذي يكون آية للإيقان ودليلا للإحاطة بالحق. ثم اختلف في وجه ذلك. فمنهم مَن قال: هو ما أرى بصرَه، أعني بصر الوجه، نحو الذي ذُكر مِن فَتْحِ السماء حتى رأى[4] ما فيها من العجائب والآيات إلى العرش أو حيث قَدَر، والأرضِ[5] حتى رأى ما فيها مِن أنواع الخَلْق إلى الثَّرى أو حيث بَلَغ. ومنهم مَن قال: رُفِع إلى السماء[6] حتى كانت الأرض بمن فيها له[7] رَأْيَ العين، وكان له صلوات الله عليه مِثلُ هذا مِن الأمور، نحو أمر النار[8] والهجرة إلى حيث لا ضَرْع ولا زَرْع،[9] وما جُعِل رزقُه في أصابعه،[10] وأَمْرِ بُلوغِ[11] صوتِه في قوله تعالى: وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ،[12] إن كان على ما سُمِع منه.[13] *والله أعلم.* ومنهم مَن قال: هو ما أُرِي بصرُ قلبِه مِن وجوه العِبَر[14] وأنواع الأدلة عند التأمُّل في خلق الله بالفكر،[15] مِن غير أنْ كان في الخلق تغيرٌ عن الأحوال[16] التي كانت عليه،[17]

---

[1] سورة الأنعام، ٨٣/٦.
[2] ع + الله.
[3] ع م: يلزم.
[4] م: حتى ارى.
[5] ن ع: قدروا الأرض.
[6] م: السماء.
[7] ع م – له.
[8] ع م: الناس. لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿قُلنا يا نارُ كُونِي بَرْدًا وسلامًا على إبراهيم﴾ (سورة الأنبياء، ٦٩/٢١).
[9] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿ربنا إني أسكنتُ مِن ذريتي بوادٍ غيرِ ذي زَرْعٍ عند بيتك المحَرَّم﴾ (سورة إبراهيم، ٣٧/١٤).
[10] ع: في أصابغه.
[11] ع: بلوغه.
[12] سورة الحج، ٢٧/٢٢.
[13] عن ابن عباس قال: لمَّا فَرَغ إبراهيم مِن بناء البيت قال: رَبِّ قد فرغتُ، فقال: أَذِّنْ في الناس بالحج، قال: ربّ وما يَبلُغ صوتي؟ قال: أَذِّنْ وعلَيّ البلاغ، قال رَبِّ: كيف أقول؟ قال: يا أيها الناس، كُتِب عليكم الحج إلى البيت العتيق، فسَمِعه مَن بَيْن السماء والأرض، ألا ترى أنهم يجيئون مِن أقصى الأرض يُلَبُّون. انظر: *تفسير الطبري*، ١٤٤/١٧؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٣٢/٦.
[14] ع م: البر.
[15] م: بالكفر.
[16] جميع النسخ: على الأحوال.
[17] أي من غير أن تكون هناك معجزة كنظره إلى ما تحت العرش وما ذكر. انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥٥ظ.

وهو أَحقّ مَن يكون له في الذي كان كفايةٌ عن حدوث[١] أحوال [نَقْضِ العادة] تَدلّ[٢] [على التوحيد]، إذ هي[٣] حُجج[٤] الله. [فهو][٥] يستدل[٦] على قومه مِن الوجه الذي جُعل لجميع الخلق لا مِن جهة خصوص آيات، فثبت أنّ ذلك كان له بهذا الوجه.

ثم هو يخرج على وجوه. منها ما رأى مِن تسخير القمر والشمس[٧] والنجوم، وقَطْعِها في كل يوم وليلة أطراف السماء والأرض جميعا، وسَيْرِها تحت الأرض إلى أن يعود[٨] كلُّ إلى مَطلَعه، يسير[٩] كلُّ ذلك ما فوق الأرض إلى السماء، واستواءِ أحوال ذلك على ما عليه حُدَّ في كل عام وشهر لا يزداد ولا ينقص[١٠] ولا يتقدم ولا يتأخر، مع عظيم ما بها من المنافع لأنواع دوابّ الأرض والطير جميعًا، ما يوقن كلُّ مُتأمِّل أنّ مِثلَ هذا لا يَعمَل بالطِّبَاع إلا أن يكون له مُدبِّر حكيم جَعَل له[١١] ذلك الطّبْع وسَوّاه على ما شاء مِن الحَدّ، وأنْ لا يَتَّسِقُ الأمر على [هذا] التدبير[١٢] والحكمة إلا أن يكون مُدبِّر ذلك بحيث لا يحتاج إلى مُعِين، ولا يجوز أن يكون / له فيه مُنازِع،[١٣] ثم هو بذاته عليم مدبر.[١٤] وما في الأرض [٢١٦ظ] مِن تدبير الليل والنهار يتعاقبان أبدا ويسيران، يقهران ما فيهما[١٥] من الجبابرة والفراعنة، حتى إن اجتهد[١٦] جميع[١٧] أهل الأرض على زيادة[١٨] أو نقصان أو تقديم أو تأخير لِمَا لهم[١٩] مِن الحاجة

---

[١] ع: او حدوث.

[٢] م: يدل.

[٣] جميع النسخ: إذ هو.

[٤] ك: حج.

[٥] الزيادات من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥٥ظ.

[٦] ن ع: مستدل.

[٧] ك: الشمس والقمر.

[٨] ك: أن تعود؛ ع: أن يعقود.

[٩] ك: إلى كل مطلعة تسير.

[١٠] ك: ولا ينتقص.

[١١] جميع النسخ: جعله.

[١٢] جميع النسخ: على التدبر. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥٥ظ.

[١٣] ن ع م: منافع.

[١٤] جميع النسخ: قدير. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥٥ظ.

[١٥] ن ع م: ما فيها.

[١٦] ن: إن اجتمع.

[١٧] ع م: جمع.

[١٨] ك + في واحد؛ ع + ذاوحد.

[١٩] ع: لما عنهم.

أو بما فيهم من القوة والقدرة مع معونة الجميع[١] لهم في ذلك لم يتهيأ[٢] لهم ولا بَلَغَ تَوَهُّمُ أحدٍ في احتمال ذلك حتى يصير عند وجود كلٍ كأنّ[٣] الآخَرَ لم يكن قط، ثم عند العَوْد إليهم كأنه لم يُفارِقهم قط. مع ما لجميع[٤] أهل الأرض بهما مِن المنافع، وعليهم فيهما[٥] أنواعُ مَضارّ، ولهما سلطان على أعمارهم، على ما فيهما[٦] مِن أثر التسخير والتذليل الذي كلٌّ[٧] مَقهورٌ بالآخَر إذا جاء سلطانُه وبَلَغَ حَدَّه،[٨] وليس في واحد منهما امتناعٌ عن قهر الآخَر وإن كان هو الظاهر القوي، جَرَيَا جميعًا على حدّ واحد وسَنَن واحد،[٩] دَلاًّ على[١٠] ما دل عليه الأول.[١١] مع ما فيهما[١٢] مِن أثر البعث[١٣] أمر ظاهر[١٤] لا يحتمل أن يجهله إلا سفيه مُعانِد. *والله أعلم*. ثم النور والظُّلمَة والظِّلّ[١٥] ونحو ذلك الذي ينبسط بساعةٍ[١٦] [في] جميع أطراف السماء والأرض، يَستر[١٧] واحدُ كلَّ شيء ويُبدِي آخَرُ عن كلِّ شيء[١٨] ويحيط الثالث بكل شيء.[١٩] ثم تَعلّق منافع الأهل بها على اختلافها، وبالسماء والأرض[٢٠] على تَباعُد ما بينهما، وبالسهل والجبل والبحر والبر[٢١] على تَضادّ معانيهما،[٢٢] وعلى ذلك جميع الأمور.

---

[١] جميع النسخ: الجمع.
[٢] ع م: لما يتهيأ.
[٣] ع: ما كان.
[٤] ك: اديع.
[٥] ع م: وعليهم فيها.
[٦] ع: ما فيها.
[٧] ن – كل.
[٨] ع م: وحده.
[٩] ع م: واحدة.
[١٠] ك ن + ذلك على.
[١١] ع م: الأولى.
[١٢] م: ما فيها.
[١٣] لعله يقصد بالبعث بعث الله لليل والنهار أحدهما تلو الآخر وخَلْقه لهما.
[١٤] ك ن: أمرا ظاهرا؛ ع م: أمرا ظاهر.
[١٥] ع: الظل.
[١٦] ع: بشاعة.
[١٧] ع: تسير.
[١٨] ع + ويبدي آخر عن كل شيء.
[١٩] أي تستر الظلمة كل شيء ويبدي النور عن كل شيء ويحيط الظل بكل شيء.
[٢٠] م: الأرض.
[٢١] ك ن: والبر والبحر.
[٢٢] ع: زمانينهما؟

فكان صلوات الله عليه بما أُري[١] مِن المعنى وغيره مِن الموقنين أنْ لا إله إلا الله، وَجّه إليه نفسه،[٢] وأنَّ كلَّ شيءٍ نُسِب إليه الألوهية مُحالٌ أنْ يكونَ فيه أو له إمكانُ ذلك.[٣] *ولا قوة إلا بالله*.

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾[٧٦] ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَإِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾[٧٧] ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هٰذَا رَبِّي هٰذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾[٧٨] ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[٧٩]

وقوله عز وجل: **فلما جن عليه الليل رأى كوكبا** -إلى قوله- **وما أنا من المشركين**، تكلموا في تأويل[٤] الآية على أوجه ثلاثة.

[الوجه الأول]: منهم[٥] مَن جَعل الأمر على ما عليه الظاهر أنه [كان] غير عارف بربه حق المعرفة إلى أنْ عَرف من الوجه الذي بان له عند الفراغ مِن آخِرِ ما نَسب إليه الربوبية أنه لا يُعرَف[٦] مِن جهة دَرْك[٧] الحواسّ ووقوعها عليه، ولكن مِن جهة الآيات وآثار[٨] العقل، فقال: **وجّهت وجهيَ للذي فطر السماوات والأرض**، الآية. لكن أهل هذا القول اختلفوا على وجوه ثلاثة.

أ- أحدها[٩] ما رُوي في التفسير أنه رُبِّي في السِّرْب ولم يكن نَظر إلى شيءٍ مِن خَلْقِ السماء، فنَظر عن باب السِّرْب في أول الليل،[١٠] فرأى الزُّهْرَة بضوئها وتَلَألُئِها، وكان في علمه[١١] أنّ له ربًا وأنه يُرَى، فلم يَرَ أَضْوَأَ[١٢] منها ولا أنْوَر، فقال: **هذا ربي فلما أفل**،

---

[١] ن: رأى.
[٢] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿إني وجّهتُ وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين﴾ (سورة الأنعام ٧٩/٦).
[٣] ع - ذلك.
[٤] م - تكلموا في تأويل.
[٥] جميع النسخ: فمنهم.
[٦] أي إلى أن عرف... أن الله لا يُعرَف...
[٧] ك: ذلك.
[٨] ك: وآثا.
[٩] ع: أحدهما.
[١٠] ع - الليل.
[١١] ك: في في علمه.
[١٢] ع م: ضوء.

وله عِلمٌ أنّ الربَ دائم لا يزول، **قال لا أحب**؛[1] بمعنى ليس هذا بربّ، كقوله: مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ،[2] أي ليس لنا؛ وقولِ عيسى حيث قال: سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحقٍ،[3] بمعنى[4] ما قُلتُ[5] ذلك. لكن أهل هذا التفسير حملوا الأُفُول على غَيْبُوبَتِه بنفسه، وهو عندنا على غَيْبوبتِه في سلطان القمر، وقَهْرِ سلطانِ القمرِ[6] لَمّا طَلَعَ[7] سلطانَ النجم، وعنده أنّ الربَ لا يُقهَر وأنّ سلطانه لا يزول، وعلى ذلك أَمْرُ القمر والشمس بظُلمَة الليل. وفي ذلك أنه[8] لو كان عنده[9] أنه لا يُرَى لأَنكر مِن ذلك الوجه أن يكون ربّه، بل أَقرّ به وأَنكر الأُفُول والزوال، وهذا يَنقض قول مَن يَصفه بالزوال والانتقال من حال إلى حال.

ب- ومنهم من يقول: كان هذا منه في وقتٍ[10] لم يكن جَرى عليه القلم،[11] سَمِع الخَلْقَ[12] تَقول[13] في خَلْق السماء والأرض ونحو ذلك، ويَنسبون ذلك إلى الله، وعلى ذلك أَمْرُ جميعِ أهل الشرك، كقوله: وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ،[14] وقولِه: قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ -إلى قوله- مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ،[15] ثم رآهم عبدوا الأصنام وسمَّوْها آلهة،

---

[1] ورد نحو ذلك عن قتادة والسدي ومحمد بن إسحاق. انظر: *تفسير الطبري*، ٧/٢٤٩؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٣/٣٠٣-٣٠٤.

[2] سورة الفرقان، ٢٥/١٨.

[3] سورة المائدة، ٥/١١٦.

[4] ك- بمعنى.

[5] ع: قلت.

[6] ك - وقهر سلطان القمر.

[7] ع م: لما اطلع.

[8] ن - أنه.

[9] م + أن الرب لا يقهر وأن سلطانه لا يزول.

[10] ك: في وقت منه.

[11] أي لم يكن بالغا في هذا الوقت، كما سيأتي في الوجه الثالث.

[12] ن: القول.

[13] ن ع م: يقول.

[14] سورة لقمان، ٣١/٢٥.

[15] ﴿قل لِمَن الأرض ومَن فيها إن كنتم تعلمون. سيقولون لله قل أفلا تَذكَّرون. قل مَن ربّ السماوات السبع وربّ العرش العظيم. سيقولون لله قل أفلا تتقون. قل مَن بِيَده مَلَكوت كلّ شيء وهو يُجير ولا يُجَار عليه إن كنتم تعلمون. سيقولون لله قل فأنَّى تُسحَرون. بل أتيناهم بالحق وإنهم لكاذبون. ما اتَّخذ الله مِن وَلَد وما كان معه مِن إلهٍ إذًا لَذَهَبَ كلّ إلهٍ بما خَلَقَ ولَعَلَا بعضُهم على بعض سبحان الله عما يصفون﴾ (سورة المؤمنون، ٢٣/٨٤-٩١).

فتأمّلها[1] فوجدها لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ولا تضرّ، عَلِم أنّ مِثلَها لا يحتمل أن يكون تَخلق[2] ما ذُكر،[3] وأنّ الذي ذلك فِعْلُه لَعَلِيٌّ عظيم يجب طلبُ معرفتِه مِن العُلْو،[4] بما كان يسمع نسبةَ[5] الملائكة إلى السماء ونزولِ الغيث منها، ومجيءِ النور والظلمة وكلِّ أنواع البركات وغيرِها منها، فصَرَف تدبيرَ الطلب الذي نسب إليه الخلق إليها، ثم أوّل ما أخذ في التأمّل والنظر لم يقع بصره على أحسن وأبْهَى مِن الذي ذُكر، فظَنّ ذلك، ثم لَمّا قُهِر وقد كان عَلِم بأنّ خالقَ مَن ذُكر لا يجوز أن يُقهَر فمِن ذلك عَلِم أنه ليس هو، وقال لِمَن قَهَر ذلك:[6] [إنه ربّه]، إلى أنْ قَهَر[7] الليلُ ضوءَ الشمس أو صارت بحيث[8] لا تَجري لها[9] السلطان، أو رأى في الكلّ آثار التسخير والتذليل ولم يَرَ فيها أعلامَ مَن له[10] الأمر والخلق، فعَلِم أنّ الربّ لا يُدرَك مِن ذلك[11] الوجه، ولا يُعرَف مِن جهة الحواسّ، فرَجع إلى ما سمع مِن أنه خَلَق السماوات والأرض، فوَجّه نفسَه إليه بالعبودية واعترف له بالربوبية، بما في الخلق مِن آثار ذلك وفي القول مِن تسمية مَن له الخَلْق ربًّا وإلهًا، فآمن به، وذلك كان أوّل أحوال احتماله عِلْمَ الاستدلال وبلوغِه المَبْلَغ الذي مَن بَلّغه يَجري عليه الخطاب. ***ولا قوة إلا بالله.***

جـ – ومنهم مَن قال: إنه كان بالغًا قد جَرى عليه القلم، وقد كان رأى ما ذُكر غير مرّة، لكن الله لَمّا أراد أن يَهديه أَلهمه ذلك وأَلقى في نفسه، فانتبه انتباه الإنسان بشيء كان عنه غافلاً مِن قَبْل، فرأى كوكبًا أحمر يَطلع عند غروب الشمس، فراعاه إلى أنْ أَفَل، فازداد[12] مِن الله قُرْبةً، وعَلِم أنّ ربه لا يزول ولا يتغيّر، ففَزِع إليه وقال:[13] **لا أحب الآفلين،**

---

[1] م: فتأمل.
[2] ن ع م: يخلق.
[3] جميع النسخ: ما ذكرت.
[4] م: من الخلق.
[5] ك – نسبة.
[6] م: وذلك.
[7] ن: قهر.
[8] م – بحيث.
[9] ك: لا تجري له؛ ن ع م: لا يجري له.
[10] ك – له.
[11] ك: من هذا.
[12] ك: فازاداد؛ ع م: فاراد.
[13] م:فقال.

وكذا ذَكر في القمر والشمس إلى أنْ عَرف[1] الله، فتَبرّأ[2] مِمَّا كانوا يشركون،[3] ووجّه التوحيد[4] والعبادة / إليه. وإلى هذا[5] التأويل ذهب[6] الحسن، والأول[7] رُوي عن ابن عباس رضي الله عنه، [٢١٧و] والثاني قال به جماعة أهل الكلام.

ونحن نتبرّأ إلى الله أن نجعله رجلاً بالغًا جَرى عليه القلم، وهو كان عن الله بهذه الغفلة حتى يتوهّمه في معنى نجم أو قمر أو شمس، مع ما يَرى فيها الظهور بعد أن لم يكن والأُفولَ بعد الوجود، ثم آثارَ التسخيرِ والعجزِ عن التدبير بما هي[8] في جهد وبلاء ومَن له تَعمل[9] في راحة وسرور؛[10] ثم لا يَرى في شيءٍ مِن العالمَ أنّ له معنى يَدلّ على رجوع التدبير إليه،[11] فيَتحقّق له القول بذلك، والله يَصفه بقوله: إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ،[12] -قيل:[13] سَلِيمٍ عن الشرك، لم يَشُبْه بشيء [منه]- وقال: وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ،[14] وما يذكرونه إنما آتاه على نفسه، إذ هو[15] في الغفلة عنها والجهلِ بمَن له الآيات شريكُ قومه.[16] وقد قال أيضًا: وَكَذٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ،[17] ومعلومٌ أنّ ذلك[18] [ليس] على مُعاينته[19] [لها]، لأن ذلك[20] قد أُري كُلًّا مِنها،

---

[1] ك ن ع: أن عرفه.
[2] جميع النسخ: فيتبرأ.
[3] ع: يشروكون.
[4] جميع النسخ: بالتوحيد. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥٦و.
[5] ع: إلى هذا.
[6] م: يذهب.
[7] جميع النسخ: وإلى الأول.
[8] جميع النسخ: بما هو. والضمير راجع إلى النجم والقمر والشمس.
[9] ك ن م: ومن له يعمل؛ ع: ومن لم يعمل.
[10] أي النجم والقمر والشمس تتحرك وتتعب لمنفعة الإنسان الذي يعيش في راحة ولا يتعب مثل هذه الموجودات.
[11] م - إليه.
[12] ﴿إذ جاء ربه بقلب سليم إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون﴾ (سورة الصافات، ٣٧/٨٤-٨٥).
[13] جميع النسخ: وقيل.
[14] سورة الأنعام، ٦/٨٣.
[15] ن: هو.
[16] إذ هو، يعني إبراهيم لو كان بالغا يكون شريكا لقومه في الغفلة عن الآيات.
[17] سورة الأنعام، ٦/٧٥.
[18] ن - ذلك.
[19] ع م: على معاينة.
[20] جميع النسخ: أو ذلك. والتصحيح مع الزيادتين مستفاد من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥٦و.

ولكن على ما بَيّنتُ مِن الوجهين، وفيهما[1] حقيقة ذلك.[2] وليس في قوله: وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ،[3] دلالة للشك[4] في الابتداء أو الجهل[5] في الحال التي يحتمل العلم[6] به فيما له[7] عز وجل، ولكن على أنه على ذلك الوجه يكون الإيقان[8] بمن لا يقع عليه الحواس، ولا يوجب علمه الضرورات، إنما هو الاستدلال بالآثار أو تلقي الأخبار.[9] **ولا قوة إلا بالله**. وذلك كقوله:[10] اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا،[11] لا عَنْ وَضْعٍ كان،[12] وقولِه: يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ،[13] لا أنْ كانوا[14] مِن قَبْل في الظُّلُمات، وقولِ يوسف: إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ،[15] لا عَنْ كونٍ فيها. وهكذا أَمْرُ[16] الإيمان أن يكون العبد في كل وقت مُوقِنًا بالله وأنْ لا إله غيره، لا عَنْ شَكٍّ فيما تقدّمه مِن الوقت أو الجهل، فمِثلُه أَمْرُ إبراهيم عليه السلام.

---

[1] ك: وفيها.
[2] ع م - ذلك. قال الشارح: «وكذلك قال الله تعالى: ﴿وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض﴾، ولم يُرِد به أنه أَراه أعيانهما، فإنه كان على معاينتهما قبل ذلك، وكذلك قد رأى كِلًا أعيان السماوات والأرض، وإنما أراد على ما شاء مِن الوجهين مِن حيث المعجزة المناقضة للعادة، ومِن حيث الاستدلال بالخَلْق على الخالق. ومع قيام المعجزة المناقضة للعادة ومع الاستدلال الصائب لا يبقى الجهل والشك، بل يتحقق الإيمان والتوحيد» (*شرح التأويلات*، ورقة ٢٥٦و-ظ).
[3] سورة الأنعام، ٧٥/٦.
[4] ك: الشك.
[5] ع م: والجهل.
[6] ع م - العلم.
[7] ك: فيما به؛ ع م - فيما له.
[8] ك: الاتقان.
[9] قال الشارح: «ولا يقال إنه قال: ﴿وليكون من الموقنين﴾، فلا يكون مُوقِنًا قَبْله، لأن الوصف بالإيقان ليس فيه دلالة الشك في الابتداء أو الجهل في الحال التي يحتمل العلم به، إذ الإيقان بمن لا يقع عليه الحواس ولا يوجب علمه الضرورات إنما هو بالاستدلال بالآثار أو تلقي الأخبار، وهو العلم نفسه. والعلم في الحال التي يحتمل الذات العلم لا يستدعي جهلا سابقا، فكان معناه: وليكون من العالِمين بما أرينا له الملكوت بأحد الطريقين، إمّا بطريق المعجزة أو الاستدلال» (*شرح التأويلات*، ورقة ٢٥٦ظ).
[10] ن: بقوله؛ ع: قول الله.
[11] سورة الرعد، ٢/١٣.
[12] أي لم تكن السماوات موضوعة قبل أن يرفعها الله.
[13] ﴿الله ولي الذين آمنوا يُخرِجهم مِن الظُّلُمات إلى النور﴾ (سورة البقرة، ٢٥٧/٢).
[14] ع م: أن قالوا.
[15] سورة يوسف، ٣٧/١٢.
[16] ع: الأمر.

والوجه الثاني مما تُكُلِم[1] في التأويل أن يكون إبراهيم صلوات الله عليه كان مؤمنا في ذلك الوقت عارفا[2] بربه حقّ المعرفة، ولكنه[3] كَلَّم قومَه كلامَ مُستدرِجٍ بإظهار المتابعة لهم على هَواهم فيكونون به أَوْثَق وإليه أَمْيَل، وذلك أَبْلَغ في الحِجاج وأَلْطَف في المَكِيدة، فيُبيّن لهم ما أراد[4] مِن غير جهة النقض[5] والعناد. فبَدأ بتعظيم ما عَظَّموه، إذ هم قومٌ كانوا يُعَظِّمون النجوم، وبالعلم بأمرها أخبروا نمرود بولادة[6] مَن يَهلِك على يَدِه هو ويزول مُلكُه. وهذا كما ذكر:[7] فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ،[8] في مقاييسها[9] وعِلْمِها، لأنه[10] نَظَر إليها ثم قال الذي ذُكر لا مِن حيث عِلْمِ النجوم، ولكن مِن حيث عِلْمِه أنّه يموت، ومَن يموت يَسقَم، لكن أَراهم الموافقة في العلم الذي لهم في ذلك الباب دَعوى، فكذلك ما نحن فيه. وعلى ذلك أَمْرُ البُدّ[11] الذي كان يعبده[12] قوم، فعَظَّمَه[13] الحَوَارِيُّ[14] الذي أُرسِل إليهم حتى اطمأنّوا إليه[15] وصَدَرُوا عَنْ تدبيره. وبُلُوا[16] بِعَدُوٍّ كاد يحيط بهم، فدعاهم إلى دعاء البُدّ ليكشف لهم إذ لِمِثلِه يُعبَد، حتى أَيِسوا، فدعاهم إلى الله فكشف عنهم، فآمنوا به؛ فمِثلُه الأول. وإلى هذا التأويل يذهب القُتَبي. لكنه ذكر أنهم كانوا أصحاب نجوم وكهانة، ومَن ذلك قولُه لا يَعبد النجم ولا يراه ربًّا،

---

[1] ن: بما تكلم.
[2] ك: على رفا.
[3] ن: ولكن.
[4] جميع النسخ: من أراد.
[5] ك: التنقص.
[6] ك ن ع: بولاد.
[7] ك ع م + أنه.
[8] ﴿فنَظَرَ نَظْرَةً في النجوم فقال إنِّي سَقِيم﴾ (سورة الصافات، ٣٧/٨٨-٨٩).
[9] ك م: في مقايسها.
[10] ك: لا انه؛ ن: نه.
[11] البُدّ بيت فيه أصنام وتَصاوير، وهو إعراب بُت بالفارسية... وقال ابن دُرَيد: البُدّ الصنم نفسه الذي يُعبَد، لا أصل له في اللغة، فارسيّ مُعرَّب (*لسان العرب* لابن منظور، «بدد»).
[12] م: يعبدهم.
[13] جميع النسخ: عظمته.
[14] ع + الذي لهم في ذلك الباب دعوى فكذلك ما نحن فيه وعلى ذلك أمر البد الذي كان يعبده قوم عظمته الحواري.
[15] «وعلى ذلك أمر البد، وهو اسم صنم كان يعبده قومه، فأرسل إليهم عيسى عليه السلام واحدا من الحواريين، فعظم الحواري البد ظاهرا على الاستدراج لهم إلى الحق حتى اطمأنوا إليه» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥٦ظ).
[16] ك: وبلو.

كيف أَظهر الموافقةَ بتسمية النجم ربًّا ثم النقض عليه بالأُفول؟ ولكن ذلك[1] لو كان فإنما كان في قومٍ يَعبدون النجوم والشمس والقمر، فألزمهم بالأُفول، إذ فيه تسخيرٌ وغَلَبَةُ سلطانٍ على سلطان.[2]

وهذا الوجه يجوز أن يُظهِر[3] على إضمار معنىً في نفسه مستقيم، كالمُكرَه على عبادة صليبٍ يَقصِد قَصْدَ عبادةِ الله[4] والمُكرَه على شَتْمِ محمدٍ صلى الله عليه وسلم يَقصِد قَصْدَ محمدٍ آخَر يُصوِّره في وَهْمِه، ونحو ذلك. وهو على[5] ما قال: بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ،[6] على جَعْلِ[7] إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ، شَرْطًا في نفسه في قوله: بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هٰذَا.[8] **والله أعلم**.

وقيل في الاستدراج مِن غير هذا الوجه على التسليم أنهم أهلُ كهانةٍ ونجومٍ، وهو أنه لَمّا رآهم يعبدون الأصنام والأوثان دعاهم مِن طريق المُقابَلة، إذ هم مالوا إلى ذلك بما رأوا مِن حُسْنِ ذلك في البصر بما قد زُيِّن بأنواع الزِّيّ وحُلِّيَ بأنواع الحُلِيّ، فأَراهم أنه يَعبد[9] النجم وما ذكر، وأنّ الذي ذكر أحسن وأعظم نورا وضياء،[10] إذ هو بجوهره ونفسه كذلك، وما كانوا يعبدون بما فعلوا به[11] وجعلوه[12] كذلك، لِيُكَرِّهَ إليهم عبادتَهم[13] الأصنام

[1] جميع النسخ: ولكن على ذلك.
[2] ع م – على سلطان.
[3] ن: أن يظهر لهم.
[4] ك + نحوه.
[5] ن: وعلى.
[6] سورة الأنبياء، ٦٣/٢١.
[7] ع + شرطا في نفسه في قوله بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون على جعل.
[8] قال الشارح: «والثاني ذُكِر أنه أَظهر الموافقة لهم و لم يُبيِّن وجها صحيحا يجوز الموافقة بناء عليه، وإنما يجوز له أن يُظهِر الموافقة لهم على إضمار معنى مستقيم في نفسه، لِيَظنوا ذلك منه موافقة وهو في الحقيقة غير موافق لهم ويُعذَّر له... وهو كالمُكرَه على عبادة صليب يَقصِد قَصْدَ عبادة الله تعالى وإن كان يُظهِر الموافقة لهم بالتوجه إليه ظاهرا، وكالمُكرَه على شَتْمِ محمدٍ صلى الله عليه وسلم يَقصِد قَصْدَ محمدٍ آخَر يُضمِره في قلبه ويُصوِّره في وَهْمِه، ونحو ذلك. وعلى ذلك قال إبراهيم عليه السلام: ﴿بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون﴾، فكان كَسَر أصنامهم واتهَموه بذلك، فقال: ﴿بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون﴾، على جَعْلِ ﴿إن كانوا ينطقون﴾ شَرْطًا في نفسه في قوله: ﴿بل فعله كبيرهم هذا﴾، والتعليق بشرط لا يكون حقيقةً أو عادةً يكون إعداما لا تحقيقا، فههنا كذلك لا يجوز إظهار الموافقة إياهم على إضمار معنى صحيح في نفسه و لم يذكر، ووجب الحَمْل على هذا على ما يذكر» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥٦ظ).
[9] جميع النسخ: أنه يعبدوا.
[10] ع م: وضيئا.
[11] ن – به.
[12] ع م: وجعلوا.
[13] ع: عادتهم.

ويَستَنقِذَهم عمَّا اعتادوه[1] بالمعنى الذي ذكرت، ثم أَلزمهم فسادَ ما مالوا[2] إليه وقَبلوا منه قَبْل أنْ يَقِرّ ذلك في قلوبهم وتطمئنّ[3] إلى ذلك أنفسهم، بما أَظهر مِن فساد أنْ يكون الذي بذلك الوصف مِن التسخير أو مُلكُه على شَرَف الزوال [إلهًا]. أو يصير بحيث يُقِرّ [إبراهيم عليه السلام] في قلوبهم عبادةَ مَن لا يَشهَدونه[4] وقت العبادة،[5] فيَلزَمهم على ذلك عبادةُ المستحقّ لها. أو أن يقول:[6] إذا كانت النجوم وما ذُكر مع ضيائها[7] ونورها وكثرة منافع الخلق بها لم تَصلُح[8] لها الألوهية عند الجميع[9] بالأفول والتسخير فالّتي كانوا يعبدونها –على ما سَخّرها وكانت[10] تحت [أيدي][11] البشر أَذِلّاء[12] لا تَسمع[13] ولا تُبصر ولا تَنفع[14]– أحقّ أنْ لا تكون لها[15] الربوبية وأنْ لا تُوَجَّه إليها[16] العُبودَة. ***والله أعلم***. فهذا النوع من الاستدراج فيما لو ظهر أنهم لم يكونوا يتخذون النجوم أربابًا يعبدونها، وكذلك الذي ذكره[17] القُتَبي.

والتأويل الثالث للآية يَخرج مَخرج الإنكار والاستهزاء، ويكون في ذلك معنى الاستدراج، إذ هو الإلزام مِن حيث لا يُشعَر به، أو نَقْضُ أسبابِ الشُّبَه درجةً فدرجةً في حلول المَقْت

---

[1] ك: عما اعتاده.
[2] ع: ما ما.
[3] ك: ويطمئن.
[4] ن: لا لا يشهدونه.
[5] ن: وقتا لعبادة.
[6] ع: وأن يقول.
[7] ع: من ضيائها.
[8] جميع النسخ: لم يصلح.
[9] ك ن ع: جميع.
[10] جميع النسخ: فالذي كانوا يعبدون على ما سخرهم كانوا.
[11] من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥٧و.
[12] ن – أذلاء.
[13] ن: إذ لا يسمع.
[14] جميع النسخ: لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع.
[15] ك: لا تكون له؛ ن ع م: لا يكون له.
[16] جميع النسخ: لا يوجه إليه.
[17] م: ذكر.

/ ولزوم المقصود بتعاطي ذلك الابتداء بالكشف عن الأسباب.[١] ثم قيل في هذا بأوجه. [٢١٧ظ]
أحدها أنهم كانوا يعبدون النجوم[٢] وما ذُكر ويدعون إلى ذلك الأولاد والصبيان، وإبراهيم منهم[٣] فيما كانوا يدعونه إليه، فقال لما رأى النجم: **هذا** الذي تعبدون **ربي**، أي إلى عبادته تدعونني، أي **هذا ربي** الذي تدعونني[٤] إلى عبادته، فلَمَّا رآه طالعا سابحا غائبا ثبت عنده[٥] أنه سُخِّر، فقال: **لا أحب** عبادته؛ لكن ذا قد يكون في خاصّ نفسه متفكرا في الذي دَعَوْه إليه لِيَعرف دَفْعَ قولهم مِن الوجه الذي يُقِرّ ذلك في القلوب إذا قابلهم به، وقد يكون في مَلأٍ منهم يُظهِر لهم قولَه: **هذا ربي**، على إضمار "تدعونني إليه"، لِيُلزِمهم بما بان له فساد الربوبية، فيكون استدراجًا أيضًا، لأنه أَلزَمهم بعد ظهور الوِفاق مِنه لهم. وقد يكون ذَكَر "**هذا** الذي تدعونني إليه[٦] أنه **ربي**" سِرًّا، ويَهزَأ بهم بإظهار الموافقة، يُبيّن لهم ذلك بما أَلزَمهم أنّ الابتداء لم يكن على المساعدة، إذ ذلك المعنى[٧] الذي به أُلزِم كان ظاهرا عنده في الابتداء وعندهم[٨] جميعًا.[٩]

والثاني أن يكون قوله: **هذا ربي**، على ما يقال: هذا فلان الذي تخبرونني عنه؟ بمعنى أهذا هو؟ على إنكار أنه ليس بالمحلّ الذي أخبرتموني عنه، أو على الاستفهام لِيُقَرِّرَه[١٠] عنه.

---

[١] قال الشارح: «والتأويل الثالث وهو أن الآية تَخرج مَخرج الإنكار والاستهزاء من حيث الحقيقة وإن كان من حيث الظاهر للتحقيق بوجود صنعة الاختيار، ويكون في ذلك معنى الاستدارج، إذ الاستدراج هو الإلزام مِن حيث لا يشعر، أو نَقْضُ أسبابِ الشُّبَه درجةً فدرجةً في حلول المراد، قال الله تعالى: ﴿سنَستدرِجهم مِن حيث لا يعلمون﴾ (سورة الأعراف، ١٨٢/٧)، فكذلك الاستدراج للحق بهذا الطريق، وهو يُريهم ظاهرَ الموافقة ويُورِد عليهم الحُجَج الظاهرة على ما يعتقدونه مِن الشُّبَه وَيَحُلُّها مِن حيث لا يشعرون أنّ قَصْدَه إبطالُ دينِهم ونَقْضُ اعتقادِهم» (*شرح التأويلات*، ورقة ٢٥٧و؛ ونسخة المدينة، ورقة ٢٨٦و).

[٢] ن: يعبدونها، صح هـ.

[٣] ع: ومنهم.

[٤] ع: يدعونني.

[٥] ن – عنده.

[٦] جميعالنسخ: تدعونني فيه.

[٧] ك – المعنى.

[٨] ك: او عندهم

[٩] قال الشارح: «والثاني أن يقول: ﴿هذا ربي﴾، على الاستهزاء بهم والإنكار عليهم سِرًّا وإن كان يَتراءى على الظاهر موافقةً ومساعدةً، وهذا مُستعمَل في مُبتدَأ الكلام وفي عُرفِ الناس، كما لو قيل لحاذق... في نوع من العلم: إن فلانا أستاذك، لمن لا يصلح أن يكون أستاذا له، فقال: هذا أستاذي، على وجه الاستهزاء، فهذا مثله. يُبيّن قولُه: ﴿لا أحب الآفلين﴾ أنّ قولَه: ﴿هذا ربي﴾ للابتداء لم يكن على المساعدة بل على الهزء بهم، لأن هذا المعنى الذي أَلزَمهم مِن الأُفول كان ظاهرا عندهم مِن الابتداء» (*شرح التأويلات*، ورقة ٢٥٧و؛ ونسخة المدينة، ورقة ٢٨٦و).

[١٠] ن م: ليقرر.

وأي الوجهين[1] كان فقد هَزَأ بهم[2] وظَهر في المُتعقِّب أن الأوّل كان على الهُزء بهم والإنكار أو الاستفهام.[3] وذلك كقوله: خَلَقُوا كَخَلْقِهِ،[4] على أنهم لم يَخلقوا كخَلْقه، يُوَضِّح [ذلك] قولُه: قُلِ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، وفي الأول:[5] **لا أحب الآفلين**. ويجوز أن يكون هذا أَضمَره[6] في قَلْبِه:[7] **هذا ربي**، أي [أَ]رَبٌّ هذا؟[8] إلى آخر ما ذَكر، ثم رجع إليه عند التقرير[9] عندهم أنه لا تَلِيق[10] الربوبية بالذي ظنّوا أنه ساعدهم عليه.

ثم[11] قد بيّنّا الدليل على أنه لم يكن كافرا في ذلك الوقت، مع ما قد ثبتت[12] عصمة الرسل عن الكبائر، فكيف يُبْلَوْن بالكفر؟ والله يقول:[13] اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ،[14] وكل مُتمكِّنٍ فيه الكفر شريكُ أمثاله، فلا وجه لتخصيص الأهل.

ثم جملة ذلك أن الله سبحانه لو أراد أن يُبيّن حقيقة الحال أو كانت بنا إلى معرفة حقيقة ذلك مِن المراد والوقت والوجه[15] حاجَةٌ[16] في أمر الدين لكان يُبيّن ذلك أو يَرِد في ذلك [خبر] عن رسول الله[17] صلى الله عليه وسلم؛ لكن العلم[18] بحقيقة ذلك إذ هو عِلْم الشهادة بما ليس لنا

---

[1] ع: لوجهين.

[2] ع: فقد هزئهم.

[3] ك: أو استفهام.

[4] ﴿أم جعلوا لله شُركاء خَلَقوا كَخَلْقِه فَتَشَابَه الخَلْق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار﴾ (سورة الرعد، ١٣/١٦).

[5] ع م: في الأول.

[6] ك ن: أضمر؛ ع: ضميرا؛ م: يضمر.

[7] جميع النسخ: في قوله. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥٧و.

[8] جميع النسخ + ربي.

[9] ع م – عند التقرير.

[10] ن ع م: لا يليق.

[11] هذا هو الوجه الثالث من وجوه التأويل الثالث الذي سبق ذكره.

[12] جميع النسخ: قد ثبت.

[13] ن + والله أعلم.

[14] سورة الأنعام، ٦/١٢٤.

[15] ن ع م – والوجه.

[16] ع م: والحاجة.

[17] ك: عن رسوله.

[18] ك: العمل.

وعلينا بالوصول [إليه] عَمَلٌ نُكَلَّف [به]،[١] ولا نُكَلَّف[٢] الشهادة بوقت القول وما يَتمكَّن فيه.[٣] فحَقُّه أنْ يُتأمَّل وجهُ الحكمة في ذكر القصة وما فيها مِن الحُجَة في أمر الدين. فهو -والله أعلم- يخرج على [عشر] وجوه. أحدها على جَعْلِ ذلك حُجَةً لرسالة رسوله [محمد صلى الله عليه وسلم]، إذ هو مِن أنباء الغيب، ونبي الله نشأ بمكة، ولم يكن ثَمَّ[٤] مَن يَعلم ذلك، ولا فَارَقَ قومَه واختَلَف إلى مَن عنده عِلْمُ الأنباء بِتَوَارُثِهم كُتب الأنبياء، ولا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ممّن يَخُطّ بيمينه أو يَقِف على المكتوب، دَلّ أنه عَلِمَه[٥] بالله سبحانه وتعالى. مع ما كان في القصة حُجَجُ التوحيد ودَفْعُ عبادة الأصنام وتسفيهُ أهل ذلك، لم يحتمل أن يكون تعليمُ مِثْلِ ذلك مِن الدافعين لذلك المُدَّعين على إبراهيم اليهودية والنصرانية.[٦] وبَعْدُ فإنّ كُتبهم بغير لسانه، وفي العبارة بلسانٍ [آخر] تَوَهُّم[٧] الاختلاف والتغيير، فلا يحتمل الاحتجاج بمثله بما يحتمل الإنكار والدفع.[٨]

والثاني[٩] استعطاف قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ هُم مِن ذرية إبراهيم عليه السلام بما يدعوهم إلى دين آبائهم؛ مع ما كانوا هُم أصحابَ تقليدِ وحِفظِ آثار الآباء، فألْزَمَهم[١٠] القولُ في آبائهم بما لا مَدفَع لهم القولَ بغير الذي قَلَّدوا، إذ إبراهيم[١١] عليه السلام عند جميع المشركين إمامٌ يُؤتَمّ به، [فهو] أَحَقُّ مِن كلِّ أبٍ. مع ما كان كلُّ مولودٍ على دينه

---

[١] ك ن ع: تكلف؛ م: تخلف.

[٢] ع: ولا تكلف.

[٣] قال الشارح: «... فليس لنا أن نَشهَد على نَفْس شيءٍ مِن ذلك، إذ عِلْمُ الشهادة عِلْمُ الحقيقة، ولم نُعْطَ ذلك، فيكون شهادةً على الله تعالى مع احتمال الكذب، وهو باطل؛ وليس ذلك مِن باب العمل لِيُتَكَلَّفَ الترجيحُ للبعض في حقّ العمل» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥٧و؛ ونسخة المدينة، ورقة ٢٨٦و).

[٤] ن: ثمة.

[٥] ن: أن علمه؛ م: علمه.

[٦] لعل المؤلف رحمه الله يشير بذلك إلى قوله تعالى وإلى سبب نزوله: ﴿ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين﴾ (سورة آل عمران، ٦٧/٣)؛ وانظر: *تفسير الطبري*، ٣٠٧/٣.

[٧] ن ع م: يوهم.

[٨] قال الشارح: «ونَقْلُ الشيء بلسانٍ إلى لسانٍ يُوهِم نوعَ اختلافٍ وتغيُّرٍ، فيُنكِرون عليه التغيُّر بتغيُّر الألفاظ واختلاف اللسان، فلا يحتمل الاحتجاج بمثل هذا الذي يحتمل الإنكار والدفع» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥٧ظ؛ ونسخة المدينة، ورقة ٢٨٦ظ).

[٩] ع - والثاني؛ م: وفيه.

[١٠] ك: وألزمهم.

[١١] ع: إذا إبراهيم.

مذكورا محفوظا في الخلق،[1] ومَن خالفهم فهو ممْحوق الاسم والذكر جميعًا. فكان في ذلك أَعْظَمُ الدليل أنّ هؤلاء مِن الأنبياء أَحَقُّ بالتقليد[2] مِن الذين اتبعوه. وعلى ذلك اتفاق أهل الكتاب على مُوَالاة إبراهيم مِن غير أنْ تهَيَّأ[3] لهم دَفْعُ ما أثبت رسولُ الله مِن توحيده ولا ما قَرَّر عندهم مِن دينه بشيءٍ يجدونه خلافا لذلك في كُتبهم.

والثالث أنّ إبراهيم صلوات الله عليه صَرَف معرفةَ الربّ مِن جهة خَلْقِه، ودان بدِينه مِن جهة النظر في الآيات والبحث عنها، دون أنْ قَلَّد[4] أباه[5] أو قومَه لِيَعرف سبيلَ طلبِ الحقّ، ووَجه أتْباعَه لِيكون ذلك تذكرةً لجميع ذريته.

والرابع أنه ذُكر الخبرُ عن أحواله بمَخرَجٍ ظاهرُه[6] يُوهِم المكروه، وله وجه الصَّرْف إلى ما ليس[7] فيه نِفارٌ عنه للطَّبْع ولا تَأَبِّي للعقل،[8] لِيَمتحن عباده بالقول[9] فيه والوقف في أمره.

والخامس لِيُعلَم أنّ المُحاجة في الدين على قَدْر ما تحتمله[10] العقول لازمةٌ،[11] إذ بها أَفحَم[12] إبراهيم قومه وأظهر دين ربه، فيَبطُل بذلك قولُ كثيرٍ مِن المسلمين الذين يَكرَهون المُناظَرة في الدين ويَرَون في ذلك تقليدَ الأُستاذِين وظَواهِرَ[13] ما جاءت[14] به الآثار التي في اتِّباع أمْثالِها تَناقضٌ عند العقلاء. ***ولا قوة إلا بالله***.

والسادس أنّ المُناظَرة[15] تكون بوجهين: نَصْب[16] الدلالة على تثبيت[17] القول، وبإظهار الفساد

---

[1] ن – في الخلق. قال الشارح: «...إلى قيام الساعة، كسائر الأنبياء الذين مِن نَسْلِه عليهم السلام» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥٧ظ).
[2] ك ن ع: في التقليد.
[3] ع: أن يتهيأ.
[4] ع: قلد.
[5] ك: آباءه.
[6] ع م: ظاهرة.
[7] ك ن ع – ليس.
[8] يقال: تَأَبِّيَ عليه تَأَبِّيًا: إذا امتنع عليه (*لسان العرب* لابن منظور، «أبي»).
[9] ك ن ع: القول.
[10] ن ع م: ما يحتمله.
[11] ع: لازية.
[12] ن ع: اقتحم.
[13] ن ع م: أو ظواهر.
[14] جميع النسخ: ما جاء.
[15] ك: بأن المناظرة.
[16] ن ع م: لطلب.
[17] ن م: في تثبت؛ ع: في على تثبت.

بما يَتمكّن فيه مِن العيب،[١] إذ هو رَدّ ما ادّعَوْا مِن الربوبية فيمن ذكر بما في ذلك مِن آثار التدبير لغيره، وكذلك قال في الأصنام: لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا،[٢] وقال: وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي،[٣] وقال في موضع آخر: اَلَّذِي خَلَقَنِي،[٤] إلى آخر ما أخبر. فمرّةً أَبطَل قولهم بالمعنى / الذي بِضِدِّه احتَجّ في ثَبَاتِه[٥] فيه، وجائزٌ في كلّ ذلك أن يقول لهم: [٢١٨و] ما الدليل على ما تَدّعُون لِمَا تَذكُرون مِن الربوبية؟

والسابع[٦] جواز التسليم بإظهار الموافقة وإن كان المُسَلِّم بحقيقة ذلك مُنكِرًا وله دافِعًا، إذا كان في المساعدة بذلك في الظاهر نَيْلُ الفُرصة والظَّفَر بالبُغْيَة، إذ على ذلك خَرجت[٧] مُناظرتُه[٨] قومَه، وعلى ذلك[٩] تَرْكُه[١٠] ما احتَجّ به في قوله: رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ،[١١] إذ قال خصمه: أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ، وإقبالُه على حُجّةٍ هي أَوْضَحُ مِن ذلك وأَقْهَرُ للعقل[١٢] وأَلْزَمُ في الطَّبع، فقال: فَإِنَّ اللّٰهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ.

والثامن أن يُعلَم أنّ الله لم يُهمِل القوم في شيء مِن الأزمنة دون أنْ جَعَل لهم أدلة للحقّ يَظفَرون بها لو تأمّلوا، ولا أَلْزَم خَلْقَه في زمانٍ مِن الأزمان بشيءٍ لو بُحِث عنه لا يُوقَف عليه ولا يُتهيّأ له، ولذلك[١٣] أظهَر الحُجَج وأَثَار البَيّنات لِيُعلَم أنه جَعَل أَوامِرَه كُلَّها تالِيةً الأدلة والبراهين،

---

[١] وعبارة الشارح هكذا: «فيها بيان أن المناظرة يكون بوجهين: بنصب الدلالة على إثبات القول والدعوى، والثاني بإظهار الفساد والتناقض في دعوى الخصم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥٧ظ).

[٢] سورة مريم، ٤٢/١٩.

[٣] سورة يس، ٢٢/٣٦. لم ترد هذه الآية في شأن إبراهيم عليه السلام بل في نذير القرية الذي ذكر في سورة يس. لكن ورد في شأن إبراهيم عليه السلام قوله تعالى: ﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني فإنه سيهدين﴾ (سورة الزخرف، ٤٣/٢٦-٢٧).

[٤] ﴿الذي خَلَقَنِي فهو يَهدِين. والذي هو يُطعِمُني ويَسقِين. وإذا مَرِضتُ فهو يَشفِين. والذي يُمِيتُني ثم يُحيِين. والذي أَطمَع أن يَغفر لي خطيئتي يوم الدين﴾ (سورة الشعراء، ٢٦/٧٨-٨٢).

[٥] ك ن ع: في ثبات.

[٦] ك: والرابع.

[٧] جميع النسخ: خرج.

[٨] م: مناظرة.

[٩] ع م: وعلى ذكر.

[١٠] ن: نذكر؛ ع م - تركه. أي ترك إبراهيم عليه السلام حجته الأولى وإقباله... الخ.

[١١] ﴿أَلم تر إلى الذي حاجّ إبراهيم في ربه أنْ آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربّي الذي يُحيي ويُميت قال أنا أُحيي وأُميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس مِن المشرق فأت بها مِن المغرب فبُهت الذي كَفَر والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٥٨).

[١٢] ع: وأقهروا العقل.

[١٣] م: وكذلك.

لِيَقطَع بها عُذرَ مَن تَأبَى[1] نفسُه القيامَ بالحق.[2]

والتاسع أن يُعلَم أنه لا أحدَ يقوم بالحِجاج ولا يَنطِق بحُسْن البيان إلا بِعَطِيَّةِ[3] الله وامْتِنانِه عليه بما يُنطِق به لسانَه ويُوفِّقُه للقيام به، بقوله: وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ.[4]

ثم العاشر أن يكون بفضله تُنال[5] الدرجاتُ في أَمْرِ دِينه، ويُرتقَى إلى مَنازِل الفَضْل والشرَف بمشيئته،[6] كما قال: نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ،[7] وأنه متى شاء الرَّفْعَ كان. *والله أعلم*.

وقد قال بعض أصحاب الإمامة في تأويل الآية، زَعَمَ أنهم أَخذُوه مِن شَرْحِ عَلِيّ:[8] إنّ تأويل النجم المأذون، والقمر اللاحق، والشمس الإمام، بمعنى أنه قال للمأذون: **هذا ربي**، عَنَى به ربّ التربية، رَبّاه بالعلم، وقوله عز وجل: **فلما أفل**، أي فَنِيَ ما عنده رَغِب عنه وقال: **لا أحب** هذا، ثم ظَفِر[9] باللاحق، ثم كذلك بالإمام، ثم تَوجّه نحو التالي[10] بالقبول من الرسول،[11] إذ التالي عندهم هو الذي فَطِن[12] ما ذُكر، فلَمّا جاوز درجة المُتِمّ وهو الإمام صار إلى درجة الرسالة، وهو القابلُ مِن الثاني[13] بالخيال، والمُصوِّر للشرائع عندهم، فأَلزَموا بهذا عبادةَ أَرْباب، وأنّ الارتفاع مِن درجة إلى درجة بأولئك. وذلك أَمْرٌ مُتناقِض على المُتأمِّل، لأنه لَمّا فَنِيَ ما عند المأذون صار إلى اللاحق، والمأذونُ كان به مأذونًا، فلم يكن الثاني بما يصير إليه أَحمَدَ مِن الأوّل، إذ كان[14] به صار مأذونًا. ولو كانت[15] ثَمّ[16] درجةٌ أخرى

---

[1] ك: من يأبى.

[2] جميع النسخ: القيام به. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥٨و.

[3] ع: لا بعطية.

[4] سورة الأنعام، ٨٣/٦.

[5] ن ع م: ينال.

[6] ع: بمشية.

[7] سورة الأنعام، ٨٣/٦.

[8] أي تأول بعض الإمامية هذه الآيات على رأيهم الخاص ونسبوا هذا التأويل إلى علي كرم الله وجهه.

[9] جميع النسخ: ثم ظهر. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥٨و.

[10] ك: الثاني.

[11] قال الشارح: «وهو التالي، ويُسمَّى الصامِت، وهو الذي يَقبَل العِلْم مِن الرسول الذي يُسمَّى الناطق عندهم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥٨و).

[12] ن: فظن.

[13] جميع النسخ: من التالي. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥٨و. والثاني هو النفس الناطقة، وهو الذي يُقَوِّي الخيال في قلب الناطق أي الرسول. انظر: المصدر السابق.

[14] ك: إذا كان.

[15] جميع النسخ: ولو كان.

[16] ن: ثمة.

فإمّا أن يكون يَنال[1] تلك في الوقت[2] الذي يُلقِي المأذون ذلك إلى غيره أَوْ لَا، فإن كان لا يَنال فلا أَسْفَهَ مِن المأذون، حيث امتنع عمّا يُقلِّبه إلى الدرجة[3] الثانية وبَلَغ غيرُه؛ أو يَنالُ معه، فإذا صار هو معه في درجة المُتِمّ فكيف قال: لا أُحبّه،[4] وهو آثَر الذي ذلك وَصْفُه؟ ثم كيف قال: لا أُحبّ، وذهاب ما به أخذ بحظه عن الآخذ[5] من الآخر؟[6] أو كيف صار ربّه قَبْل أنْ يُرَبِّيَه،[7] فلَمّا رَبّاه تَبرّأ مِن رُبوبيّته وآثَر رَبًّا آخر؟ فإذًا عاقِبةُ شُكرِه سَعْيَ ربِّه في شأنِه[8] كُفرانُه به، وكذلك درجةً فدرجةً حتى يَكفُر بالثاني،[9] ثم بالعقل، ثم يصير إلى رب العالمين. وهو الربّ في الابتداء والانتهاء، لا ربَّ لأحدٍ سِواه، عز[10] وجل[11] عن الشركاء، إذ إليه حاصلُ الأمْرِ ومَصيرُ الخَلْقِ. ولو كان كلُّ مُرْتَقٍ حَدًّا يَرتقِي آخَر لكانت تلك الحدود تكون[12] أبدًا آخِرَها، فيكون الكل تَوَالِي أو نُطَقاء، ويَبطُل الأَدِلّاء[13] والمأذونون والأئمة جميعًا. وقد كَرّم الله تعالى عَلِيًّا كَرّم الله وجهه عن هذا الخيال، وعَصَمه عن هذا الوَسْواس. والحمد لله.

﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾[٨٠]

[قوله عز وجل]: **وحاجَّه قومُه**، ذَكر مُحاجَّة قومِه[14] ولم يُبيِّن فيما حاجُّوه،[15] لكن في الجواب

---

[1] ن ع م: بيان.
[2] ك: في الوقف.
[3] ع: إلى درجة.
[4] ع: لا احبه.
[5] ع – بحظه عن الأخذ.
[6] ن – الآخر. وعبارة الشارح: «لماذا قال: لا أُحب هذا، وهو في الدرجة مِثلُه، ولأنه بِسبَبه يَصِل إلى هذه الدرجة؟» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥٨و).
[7] ن: أن يربه.
[8] ن: في شأن.
[9] جميع النسخ: بالتالي. والتصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة المدينة، ورقة ٢٨٧و.
[10] ك – عز؛ ن – سواه عز.
[11] ك ن: جل.
[12] ن ع م: يكون.
[13] ك: الادلات. الأدِلّاء جمع دليل بمعنى الهادي إلى الطريق. وأصحاب الدرجات المذكورة يكونون أدِلّاء لمن يعتقدونهم كذلك.
[14] ن – ذكر محاجة قومه.
[15] ك: فيم حاجوه.

بيانُ أنّ المُحاجة فيما كانت،[1] وهو قوله: **قال أتحاجّونّي في الله**. ثم تحتمل[2] المحاجة في الله، في توحيد الله[3] ودينه، وتحتمل[4] في اتِّباع أمر الله وطاعته. وذكر في بعض القصة عن ابن عباس رضي الله عنه قال: **وحاجه قومه** في آلهتهم وخوّفوه بها، وقالوا: أَمَا تخاف[5] آلهتنا وأنت تشتمها ولا تعبدها أن تُخَبِّلَكَ[6] وتُفسدك؟[7] وذلك محتمل، وهو كقول قوم هود لهود عليه السلام: إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ.[8] ثم قال لهم إبراهيم صلوات الله عليه: أَمَا تخافون[9] أنتم منها؟ قالوا: كيف نخاف ونحن نعبدها؟ قال: لأنكم تُسوّون بين الصغير والكبير والذكر[10] والأنثى، أَمَا تخافون الكبير إذ سَوّيتموه[11] بالصغير، وما تخافون الذكر إذ سَوّيتموه[12] بالأنثى؟ ويحتمل أنهم خوّفوه بالله بترك عبادة آلهتهم لِمَا كانوا[13] يقولون:[14] مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى،[15] ويقولون: هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ،[16] فخوّفوا[17] إبراهيم بالله[18] بترك عبادتهم لِمَا كان عندهم أنّ عبادتهم إياها تُقَرِّبهم إلى الله زُلْفَى، وتَرْكَ العبادة لها يُبعِدهم.[19]

فقال: **وقد هدانِ ولا أخاف ما تشركون به**، ويحتمل قوله: **وقد هدان**،[20] الدين والتوحيدَ، وهَداني طاعته والاتِّباع لأمره، فقال: كيف أخاف وقد هداني.

---

[1] ك: فيم كانت.
[2] ن ع م: ثم يحتمل.
[3] ع: في التوحيد.
[4] جميع النسخ: ويحتمل.
[5] م: انا نخاف.
[6] وقد تَخَبَّلَه وخَبَّلَه واختَبَلَه إذا أَفْسَد عَقْلَه وعُضْوَه (*لسان العرب* لابن منظور، «خبل»).
[7] روي نحو ذلك عن ابن جريج. انظر: *تفسير الطبري*، ٧/٢٥٢؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٣/٣٠٧.
[8] سورة هود، ١١/٥٤.
[9] ع م: لما تخافون.
[10] ع – والذكر.
[11] ك ن: إذا سويتموه؛ ع: إذ سميتموه.
[12] ك ن ع: إذا سويتموه.
[13] ن: لما قالوا، صح هـ.
[14] ن – يقولون.
[15] سورة الزمر، ٣٩/٣.
[16] سورة يونس، ١٠/١٨.
[17] ع م: فخوفوها.
[18] م – بالله.
[19] ك: تبعدهم.
[20] ك ن + ما ذكرنا في قوله أتحاجوني في الله وقد هدان.

وقوله عز وجل: **إلا أن يشاء ربي شيئًا**، هذا يحتمل وجهين. يحتمل لا أخاف إلا إن عصيتُ ربي في شيء، فعند ذلك أخاف، وأمّا إذ هداني[1] ربي فإني لا أخاف[2] بتركي عبادتهم. والثاني **إلا أن يشاء ربي**، إلا أنْ يَبتَليني ربي بشيء مِن المعصية، فعند ذلك أكون في مشيئته إن شاء عَذّبني وإن شاء[3] لم يُعذّبني.

/ وقوله عز وجل: **وَسِع ربي كل شيء علمًا**، أي عِلْمُ ذلك كلِّه عنده، عصيتُ أو أطعتُ. [٢١٨ظ]

﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٨١]

وقوله عز وجل: **وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله**، عن ابن عباس:[4] **وكيف أخاف ما أشركتم**،[5] بالله من الأصنام، **ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانًا**، يقول: عُذْرًا في كتابه، **فأيّ الفريقين أحقّ بالأمن**، [أَيْ] أَيُّ أهلِ دِينَين[6] أنا أو أنتم[7] أحق بالأمن، **إن كنتم تعلمون**، أنا أَعبد إلها واحدا، وأنتم تعبدون آلهة شَتّى.[8] وقيل: إنهم كانوا يُخَوِّفونه بتَركِه عبادةَ آلهتهم وإشراكَه[9] إياها في عبادة الله، فقال: **وكيف أخاف ما أشركتم** أنتم بالله من الآلهة، **ولا تخافون** أنتم بما **أشركتم بالله** غيره **ما لم ينزل به عليكم سلطانًا**، أي حُجّة بأن معه شريكا، ثم قال: **فأي الفريقين أحق بالأمن**، أنا أو أنتم،[10] مَن عَبد إلها واحدا أَحَقّ[11] أن يأمن عنده[12] أو مَن عَبد[13] آلهة شَتّى صِغارا وكِبارا ذُكورا وإناثا؟

---

[1] ن م: إذا هداني.

[2] ع م: أخاف.

[3] ك: وإنشاء.

[4] ع – وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله عن ابن عباس.

[5] ك + به من الأصنام ولا تخافون أنكم أشركتم؛ ن + من الأصنام ولا تخافون أنكم أشركتم؛ م – عن ابن عباس وكيف أخاف ما أشركتم.

[6] ن – دينين.

[7] جميع النسخ: وأنتم.

[8] عن ابن جريج قال: ﴿فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون﴾، أَمَنْ يعبد ربًّا واحدا أم مَن يعبد أربابًا كثيرة؟ انظر: *تفسير الطبري*، ٢٥٤/٧.

[9] أي وتركه الإشراك.

[10] ع م: وأنتم.

[11] ع م – أحق.

[12] ك – أن يأمن عنده.

[13] ن ع: ومن عبد.

أو أنْ يُقال: أَنْ كيف أخاف آلهتكم التي تعبدون من دون الله بتركي عبادتها وهي لا تملك ضرًّا إن تركتُ ذلك ولا نفعًا إن أنا فعلتُ ذلك، ولا تخافون أنتم بترككم عبادة إلهي وهو يملك الضرَ إن تركتم عبادته والنفع إن عبدتموه؟ **فأي الفريقين أحق بالأمن**، مَن[1] عَبد إلهًا يملك الضرَ والنفع أو مَن عَبد إلهًا[2] لا يملك ذلك؟

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾[٨٢]

فقيل: رَدَّ عليه قومُه فقالوا:[3] **الذين آمنوا**، بربّ واحد يملك الضرَ والنفع، **ولم يلبسوا إيمانهم بظلم**،[4] قيل: لم يَخلِطوا تصديقهم وإيمانهم بشِرْكٍ ولم يَعبدوا غيره دونه،[5] **أولئك لهم الأمن وهم مهتدون**، مِن الضلالة والشرك. قيل: الظلم ههنا[6] الشرك. رُوي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: لَمَّا نزلت[7] هذه الآية: **الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم**، شَقّ ذلك على المسلمين، فقالوا: يا رسول الله، فأيُّنا لا يَظلم نفسَه؟ قال: «ليس ذلك، إنما هو الشرك، أَوَلَمْ تسمعوا[8] ما قال لُقمان لابنه:[9] يا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ».[10] وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال لأصحابه: ما تقولون في هاتين الآيتين: الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا،[11] **والذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم**؟ فقالوا: الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا، [أي] ثم عَمِلوا له واستقاموا على أمرِه، **والذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم**، أي لم يُذنِبوا، فقال: لقد[12] حَمَلْتموناعلى أمرٍ شديدٍ، **الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم**، بشِرك،

---

[1] ع م – من.

[2] ع + يملك الضر والنفع أو من عبد إلها.

[3] ك: فقال.

[4] يقول علاء الدين السمرقندي: «وقيل: لما قال لقومه: ﴿فأي الفريقين أحق بالأمن﴾ فرد عليه قومه ذلك وعارضوه بمثل ما قال لهم فقالوا: ﴿فأي الفريقين أحق بالأمن﴾ فقال لهم: آمنوا برب واحد يملك الضر والنفع. ﴿ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾...» (*شرح التأويلات*، ورقة ٢٥٨ظ).

[5] ع:دون.

[6] ع: هاهناك.

[7] ع – لما نزلت.

[8] ن: ولم تسمعوا.

[9] ع: لابيه.

[10] سورة لقمان، ١٣/٣١. صحيح *البخاري*، التفسير، ١/٣١؛ وصحيح *مسلم*، الإيمان ١٢٤.

[11] سورة فصلت، ٣٠/٤١.

[12] ع م: ولقد.

والَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا، عليها فلم يَعدِلوا عنها بشِرك ولا غيرِه.[١] فإن ثبتت[٢] هذه الأخبار فهو ما ذُكر فيها أنّ الظلم هو الشرك، وإلّا احتمل الظلم ما دون الشرك، أنّ مَن لم يَظلِم ولم يُذنِب فهو في أَمنٍ[٣] مِن الله، ومَن ارتكب ذَنْبًا أو ظُلْمًا فله الخوف، وهو في مشيئة الله، إن شاء[٤] عَذّبه وإن شاء[٥] غَفَر له وعَفا عنه.

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾[٨٣]

وقوله عز وجل: **وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه**، الآية تَنقُض[٦] قولَ مَن يقول بأنّ إبراهيم كان غيرَ مؤمنٍ في ذلك الوقت ولا عارفٍ[٧] بربه، لأنه أخبر أنه آتاه حُجَجَه على قومه، ولو كان هو على ما[٨] قالوا لكانت الحُجَة التي آتاه عليه، فلَمّا أَخبر أنه آتاه حُجَجَه على قومه دَلّ أنه ليس على ما قالوا، ولكن كان عارفًا بربه مخلصًا له على ما سَبَق ذِكرُه.[٩]

فإن قال قائل: إن الحُجَة التي أخبر الله[١٠] أنه آتاها إبراهيم على قومه هي[١١] قوله: وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ،[١٢] إلى آخِر ما ذَكر.

فيقال: إنّ هذه ليست بمُحاجَة، إنما هو تقرير التوحيد والدين، ألا ترى أنه قال: وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا،[١٣] والمُحاجَة ما ذُكر في قوله: لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ،[١٤] وقوله: إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ،[١٥]

---

[١] *تفسير الطبري*، ٢٥٦/٧، ١١٥/٢٤؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٣٠٨/٣، ٣٢٢/٧.
[٢] جميع النسخ: فإن ثبت.
[٣] ك: آمن.
[٤] ك: انشا.
[٥] ك: وانشا.
[٦] ع م: ينقض.
[٧] ع م: وعارف.
[٨] ن + كان.
[٩] انظر تفسير الآيات من سورة الأنعام، ٧٥/٦-٧٩.
[١٠] ك ع م - الله.
[١١] ك: هو؛ ن: وهو؛ ع م - هي.
[١٢] سورة الأنعام، ٨٠/٦.
[١٣] سورة الأنعام، ٨٠/٦.
[١٤] سورة الأنعام، ٧٦/٦.
[١٥] سورة الأنعام، ٧٩/٦.

وغيرها من الآيات التي فيها وَصْفُ توحيدِ الرب عز وجل وأُلوهيَّتِه وفَسادِ آلهتهم. مِن ذلك قوله: قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ،[١] وقوله: لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا،[٢] وقوله: هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ -إلى قوله- وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ.[٣]

وفيه دليلُ نَقْضِ قولِ المعتزلة، لأنه قال: **وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه**، والإيتاء هو الإعطاء، والنجومُ والشمسُ والقمرُ وما ذُكر قد كانت،[٤] دَلّ أنّ الذي آتَى إبراهيمَ هو مُحاجَّتُه قومَه[٥] بما ذَكرنا واحتِجاجُه عليهم بذلك، دَلّ أنّ له في مُحاجّةِ إبراهيمَ قومَه صُنْعًا حيث أضاف إلى نفسه، وهو أنْ خَلَقَ مُحاجَّتَه قومَه. ***وبالله العصمة.***

وقوله تعالى: **وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه**، [أي على] الذين[٦] كانوا يعبدون الأصنام والأوثان، وهو ما بَيَّن سَفَهَهم في عبادتهم الأصنام حيث قال في غير آيٍ، وعلى نمرود حين قال: أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ،[٧] إلى آخرِ الآية.

وقوله عز وجل: **نرفع درجات من نشاء**، وفيه أيضًا دلالةُ نَقْضِ قولِ المعتزلة، لأنهم يقولون: إن الله قد شاء لِكلّ أحدٍ أنْ يَبلُغ المَبْلَغ الذي إذا بَلَغ ذلك يَصلُح للنبوّة والرسالة، لكنهم شاءوا أن لا يَبلُغوا[٨] ذلك المَبلَغ، يَجعلون المشيئة في ذلك إلى أنفسهم دون الله، والله أخبر أنه يرفع درجاتٍ مَن يشاء، وهم يقولون: لا يقدر أن يَرفع، بل هم يَملكون أن يَرفعوا درجات أنفسِهم، فدلت الآية على أنّ مَن نال درجة أو فضيلة إنما يَنال[٩] بفضل الله ومَنِّه.

ثم قوله: **نرفع درجات**، يحتمل الدرجات وجوهًا. يحتمل النبوة، ويحتمل[١٠] الدرجات في الآخرة أن يَرفع لهم، ويحتمل الذِّكْر والشَّرَف في الدنيا لِمَا يُذكَرون في المَلأِ مِن الخَلْق.

---

[١] سورة الصافات، ٣٧/٩٥-٩٦.

[٢] سورة مريم، ١٩/٤٢.

[٣] ﴿قال هَلْ يَسمَعونكم إذ تَدعُون. أو يَنفعونكم أو يَضُرون. قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون. قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون. أنتم وآباؤكم الأَقْدَمُون. فإنهم عدوّ لي إلا رب العالمين. الذي خلقني فهو يهدين. والذي هو يُطعمني ويَسقين. وإذا مرضت فهو يشفين﴾ (سورة الشعراء، ٢٦/٧٢-٨٠).

[٤] أي قد كانت مخلوقة موجودة قبل إبراهيم عليه السلام، فلا يصح أن يقال: إن الله أعطاه النجوم والشمس والقمر.

[٥] ن - قومه.

[٦] ن ع م: والذين.

[٧] ﴿قال أنا أحيي وأميت. قال إبراهيم فإنّ الله يأتي بالشمس مِن المَشرِق فأتِ بها مِن المَغرِب فبُهِت الذي كَفَر والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٥٨).

[٨] ع: أن يبلغوا.

[٩] ك: إنما نال.

[١٠] ن: وتحتمل.

وقوله عز وجل: **إن ربك حكيم عليم**، أي **حكيم** في خَلْق الخَلَائِق، خَلَق خَلْقًا يَدلّ / على وَحْدانِيَّتِه، ويَدلّ على أنه مُدبِّر ليس بمُبطِل في خَلْقِهم، ثم **عليم** بأعمالهم، **وعليم** [٢١٩و] بمَصالِح الخلق وبما يَصلُح لهم وبما لا يَصلُح، والحكيم هو الذي لا يَلحَقُه الخطأُ في التدبير.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾[٨٤] ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[٨٥] ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[٨٦]

وقوله عز وجل: **ووهبنا له إسحق ويعقوب**، يحتمل ما ذكرنا مِن رَفْعِ الدرجات[١] ما ذَكر مِن هِبَة هؤلاء. وفيه دليل أنّ ما يكون له مِن الفَضْل في هِبَة أولادِه يكون ذلك في أولادِ أولادِه.

وقوله عز وجل: **كُلاًّ هَدينا ونوحًا هدينا مِن قبل**، والهداية هدايتان، هدايةُ[٢] إصابةِ الحق وهدايةُ العلم بالحق، وهي هداية البيان، فهذه الهداية مِمّا يَشتَرِك فيها المسلم والكافر جميعًا، وأما هدايةُ[٣] إصابةِ الحق فهي خاصّةٌ للرسل والأنبياء والمسلمين جميعًا. والهداية ههنا هي إصابة الحق لا العلم بالحق، لأنهم اشتركوا جميعًا في العِلم بالحق الكافر والمسلم.

ومن ذريته داود، قيل: ذرية إبراهيم، وقيل:[٤] ذرية[٥] نوح، [لأنهم][٦] كانوا جميعًا مِن ذرية[٧] نوحٍ، إبراهيم ومَن ذُكر مِن الرسل.

وقوله عز وجل: **وكذلك نجزي المحسنين**، أي كذلك نجزي المحسنين بالذِّكْرِ والشَّرَف والثَّنَاءِ الحَسَنِ إلى يوم القيامة، كما جُزِي هؤلاء الرسل بالذِّكْرِ والشَّرَف والثَّنَاءِ الحَسَنِ في مَلأِ الناس. ويحتمل أن يُذكَروا في مَلأِ الملائكة كما ذُكِروا في مَلأِ الخَلْقِ في الأرض. ويحتمل **وكذلك نجزي المحسنين**، في الآخرة بالثواب ورَفْعِ الدرجات والجزاءِ الجَزِيل.

---

[١] في الآية السابقة.
[٢] ك – هداية.
[٣] ع: أما هداية.
[٤] ن – وقيل.
[٥] ن: وذرية.
[٦] من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٥٩و.
[٧] ع: ومن ذرية.

ثم ذَكر في فريقٍ أنه: **وكذلك نجزي المحسنين**، وذَكر في فريقٍ آخَر: **كُلٌّ مِن الصالِحين**، وذَكر[١] في فريقٍ:[٢] **وكُلًّا فَضَّلنا على العالمين**، وهذا -والله أعلم- ليس على تَخصِيص كُلِّ فريقٍ بما ذَكر مِن الذِّكْر، ولكن على الجَمْع أنهم مُحسِنون صالحون مُفَضَّلون على العالَمين.

ثم يحتمل التفضيل لهم بالنبوّة، أنهم فُضِلُوا على العالمَين بالنبوّة. ويحتمل أنهم كانوا مُفَضَّلين[٣] على العالَمين بالإحسان والصَّلاح لو لم تكن لهم[٤] رسالةٌ ولا نبوّة. ثم يحتمل أنه سمّاهم مُحسِنين باختيارِهم الحالَ التي [بها] كانوا أهْلاً للرسالة والنبوّة، فإن كان هذا فهُم الرسل خاصّة. ويحتمل مُحسِنين باختيارِهم الهداية وإصابةَ الحقّ، فإن كان هذا فهو مِمّا يَشترِك الأنبياء وأهل الإسلام فيه.

﴿وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[٨٧]

وقوله عز وجل: **ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم**، أمّا آباؤهم مَن تَقدَّمهم، **وذرياتهم** مَن تأخّر عنهم،[٥] **وإخوانهم** الذين يُقارِنُونهم. وقيل: **وذرياتهم** محمد صلى الله عليه وسلم، وقيل: المؤمنون[٦] مِن بَعدِهم.

وقوله: **واجتبيناهم**، يحتمل اجتباهم بالنبوة والرسالة، **وهديناهم إلى صراط مستقيم**، فذلك لهم خاصّة. ويحتمل **واجتبيناهم** بالتوحيد ودين الإسلام، فذلك يَعُمّ الأنبياء والمؤمنين جميعًا، لأنه اجتباهم بذلك جميعًا.[٧] ويحتمل اجتباهم بما ذَكر مِن رَفْعِ الدرجات والفضائل، ويكون صِلَة قوله: نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ،[٨] وذلك أيضًا يَعُمّ الرسل والمؤمنين. والله أعلم بذلك.

وفي قوله: **ومن آبائهم وذرياتهم**، الآية، دلالة أنّ مِن آبائهم وذرياتهم مَن لم يَجتبِهم، بقوله: "مِن"، إذ "مِن" هو حرف التبعيض.

---

[١] ن + وذكر.
[٢] ن – في فريق.
[٣] ع م: متفضلين.
[٤] ك ع م: لم يكن لهم؛ ن: لم يكن.
[٥] جميع النسخ: من تأخرهم.
[٦] ك: المؤمنين.
[٧] ن – لأنه اجتباهم بذلك جميعًا.
[٨] سورة الأنعام، ٨٣/٦.

﴿ذَٰلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٨٨]

وقوله عز وجل: **ذلك هُدى الله يهدي به مَن يشاء مِن عِباده**، أي ذلك الهُدى الذي هَدى [به] هؤلاء، فبِهُداه[١] اهتَدُوا. وفي الآية دلالةُ نَقْضِ قولِ المعتزلة، لأنهم يقولون: إن الله قد شاء أنْ يَهدي[٢] الخَلائِق كلَّهم لكن لم يَهتَدوا، وعلى قولهم:[٣] لم يكن مِن الله إلى الرسل والأنبياء مِن الهداية والفضل إلّا كان ذلك إلى جميع الكَفَرة. فالآية تكون مَسلُوبة الفائدة على قولهم، لأنه ذكر أنه **يَهدي مَن يشاء**، وهم يقولون: شاء أن يَهدي الكلّ لكن لم يهتدوا، فإن كان كما ذَكروا لم يكن لقوله: **مَن يشاء**، فائدة، دَلّ أنه مِن الخلائق مَن قد شاء أن لا يَهديهم إذ عَلِم[٤] مِنهم أنهم لا يهتدون ولا يختارون الهُدى. ***وبالله التوفيق.***

وقوله عز وجل: **ولو أشركوا لحَبِط عنهم ما كانوا يعملون**، هذا إنْباءٌ[٥] عن الحكم فيهم لو أشركوا، إلاّ أنهم لا يشركون،[٦] لأنّ الله قد عَصَمهم واختارَهم لِرسالتِه واختَصّهم[٧] لِنبوّتِه، فلا يحتمل أن يُشرِكوا، لكن ذَكر هذا لِيَعلموا أنّ حُكمَه واحدٌ فيمَن أشرك في الله غيرَه، وَضِيعًا كان أو شريفًا.

وقوله: **لحبط عنهم ما كانوا يعملون**، مِن الحسنات والخيرات التي كانت قَبْل الإشراك.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾[٨٩]

وقوله عز وجل: **أولئك الذين آتيناهم الكتاب**، قيل: الكُتب التي أَعطى الرسل، **والحكم**، قيل: العلم والفقه والفهم، وقيل: الأحكام التي أَعطاهم، **والنبوة**، هي أَنْباءُ الغَيب، وقد ذكرنا هذا.[٨]

---

[١] م – فبهداه.
[٢] ك: أن تهدي.
[٣] أي ونَقْضُ على قولهم.
[٤] جميع النسخ: إذا علم.
[٥] م: بناء.
[٦] ك: لا أنهم يشركون؛ ن: إلا أنهم يشركون.
[٧] ع: واختصم.
[٨] م – هذا. لم أجد أن المؤلف فسر النبوة بأنها أنباء الغيب فيما سبق. لكن لتفسير "النبي" عموما انظر: تفسير الآية من سورة البقرة، ٦١/٢. ولعله يقصد تفسير "أنباء الغيب"، وهي جزء من آية. فانظر لذلك تفسير الآية من سورة آل عمران، ٤٤/٣.

وقوله عز وجل: **فإن يكفر بها هؤلاء**، قيل: **بها** كنايةٌ عن أَنْباءِ الغيب والنبوة التي ذَكر. وقيل: **بها** كنايةٌ عن الكتب التي أَنزلها على الرسل. وقيل: هي كناية عن الآيات والحُجَج التي أَعطى رسولَه.

وقوله:[1] **فإن يَكفُر بها هؤلاء فقد وَكَّلْنا بها قومًا ليسوا بها بكافرين**، اختلف فيه. قال بعضهم: **فإن يكفر بها**، يعني أهل مكة، **فقد وكلنا بها قومًا ليسوا بها بكافرين**، أهل المدينة مِن الأنصار والمهاجرين، وهو قول ابن عباس رضي الله عنه.[2] وقيل: **فإن يكفر بها هؤلاء**، يعني أهل قرابتك،[3] **فقد وكلنا بها قومًا ليسوا بها بكافرين**، يعني مَن عَدَّه[4] مِن الرسل والأنبياء. وقيل: **فإن يكفر بها هؤلاء**، يعني أهل قرابتك وأهل وُصْلَتِك، **فقد وكلنا بها قومًا**، مِن غيرِ أهل قرابتك، **ليسوا بها بكافرين**. وقيل: **فإن يكفر بها هؤلاء**، يعني أهل زمانك، **فقد وكلنا بها قومًا**، مَن تَقدَّمهم / مِن آبائهم وأجدادهم،[5] **ليسوا بها بكافرين**. وقيل: **فإن يكفر بها هؤلاء**، يعني أهل الأرض، **فقد وكلنا بها قومًا**، يعني أهل السماء، **ليسوا بها بكافرين**. وقال[6] الحسن رحمه الله: **فإن يكفر بها هؤلاء**، يعني أمتك، فقد وَكَّل الله بها النبيين والصالحين مِن الأُمَم الخالية، **ليسوا بها بكافرين**. والله أعلم بذلك. وهو كما ذكرنا.

[٢١٩ظ]

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ﴾[٩٠]

وقوله عز وجل: **أولئك الذين هَدى الله فبِهُداهُمُ اقْتَدِه**، يحتمل[7] **فبهداهم** الذي[8] [به] هَدَوْا هُم[9] أُمَتَهم اهْدِ أنت أُمَّتَك. ويحتمل[10] **فبهداهم** الذي[11] هُدُوا هُم اهْتَدِ[12] أنت،

---

[1] ن – وقوله.
[2] *تفسير الطبري*، ٧/٢٦٤؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٣/٣١٢.
[3] ك ع م – يعني أهل قرابتك.
[4] ع: من وعد؛ م: من عد.
[5] ن – من تقدمهم من آبائهم وأجدادهم، صح هـ.
[6] م: قال.
[7] ع: ويحتمل.
[8] ن ع م: الذين.
[9] ع م – هم.
[10] ن: يحتمل.
[11] ن ع م: الذين.
[12] ن – اهتد.

يَأمُره عز وجل[1] بالاقتداء بإخوانه الذين مَضَوْا مِن الرسل. والهُدى هو اسم ما يُدان به، ليس هو اسم الأفعال، لا يقال لتارك[2] الصلاة والزكاة والصيام: ضالّ،[3] إنما يقال ذلك لِمَن دان بِضِدّ الهُدى، أَمَر رسولَه أنْ يَقتدِي بهم بذلك. وذلك يدلّ على أنّ الأنبياء والرسل كانوا على دين واحد، وأن الدين لا يحتمل النسخ والتغيير؛ ألا ترى أنه[4] قال في آية أخرى: شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا،[5] أخبر أنه شَرع لنا الدين الذي شَرع لِنُوح،[6] وذلك يدلّ على[7] أنّ الدين واحد لا يحتمل النسخ، وأمّا الشرائع فهي مختلفة، لأنها تحتمل النسخ.

ويحتمل[8] الأمر بالاقتداء بهم ما ذَكر: **قل لا أسألكم عليه أجرًا**، أي اقْتَدِ[9] بمَن تقدّم مِن الرسل ولا تأخذ على تبليغ الرسالة أجرًا كما لم يأخذوا[10] هُم. وفي قوله: **قل لا أسألكم عليه أجرًا**،[11] دليلُ نَقْضِ قولِ مَن يُجيز أَخْذَ الأجر على تعليم القرآن والعلم ورواية الحديث وغيرِ ذلك مِن العبادات، وكذلك[12] قوله: أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ،[13] كأنه[14] –والله أعلم– يَجعل لهم العُذر في ترك الإجابة له[15] بما يَلحَقهم مِن ثِقَل الأجر والغُرْم. ***والله أعلم.***

وفيه أيضًا دلالةُ نَقْضِ مذهبِ[16] القَرامِطَة، لأنهم يَعرِضون مذهبَهم على الناس ويَأخذون مِنهم المَواثيق والجُعْل[17] في ذلك، وإنما أُخِذت[18] المواثيق مِن الرسل على تبليغ الرسالة إلى قومهم،

---

[1] م + بالأمر.
[2] م: التارك.
[3] ع: هناك.
[4] ك: إلى أنه.
[5] سورة الشورى، ١٣/٤٢.
[6] ك ن: نوحا؛ ع م – أنه شرع لنا الدين الذي شرع لنوح.
[7] ن: يدل.
[8] ع: وتحتمل.
[9] ن ع م: أي اقتدي.
[10] ن م: لم يؤاخذوا؛ ع: لم يؤخذوا.
[11] ن – أي اقتد بمن تقدم من الرسل ولا تأخذ على تبليغ الرسالة أجرًا كما لم يأخذوا هم وفي قوله قل لا أسئلكم عليه أجرًا.
[12] ع: وغير كذلك.
[13] سورة الطور، ٤٠/٥٢.
[14] ن + قال.
[15] ن – له.
[16] ن + قول.
[17] جَعَل له كذا شارَطه به عليه، وكذلك جَعَل لِلعامل كذا، والجُعْل... ما جَعَله له على عَمَله... وهو الأجر على الشيء فِعلاً أو قولاً (*لسان العرب* لابن منظور، «جعل»).
[18] جميع النسخ: أخذ.

وأُمِروا بتأليف قلوب الخَلْق، وفي أَخْذِ الجُعْل مِنهم نُفور[1] قلوبهم وطباعهم عن ذلك.

وقوله عز وجل: **إن هو إلا ذكرى للعالمين**، أي ما هذا القرآن **إلا ذكرى**، أي عِظَة وزَجْر **للعالمين**.

﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾[٩١]

وقوله عز وجل: **وما قدروا الله حق قدره**، الآية،[2] قيل: نزلت سورة الأنعام في مُحاجة أهلِ الشرك إلّا آياتٌ نَزلت في مُحاجة أهلِ الكتاب، إحداها[3] هذه: **وما قدروا الله حق قدره**، الآية. وذَكر في مَوضِعٍ آخر: مَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ،[4] وقال في آية أخرى:[5] وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا،[6] الآية. ثم قال بعض أهل التأويل: ما عَرفوا الله حق مَعرفتِه، وقال غيرهم: ما عَظّموا الله حق عَظمتِه؛ ذَكروا أنّ هؤلاء لم يُعظّموا الله حق عَظمتِه ولا عَرفوه[7] حقّ مَعرفتِه.[8] ومَن يَقدِر أنْ يُعظِّم الله حقّ عَظمتِه أو أنْ يَعرفه[9] حقّ مَعرفتِه، أو مَن يَقدِر أنْ يَعبد الله حقّ عبادتِه؟ وكذلك رُوي في الخبر: إنّ الملائكة يقولون يوم القيامة: يا ربّنا ما عَبَدناك حقّ عبادتِك،[10] مع ما أخبر عنهم أنهم لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ،[11]

---

[1] ع: من نفور.

[2] ك م – الآية.

[3] ن ع م: أحدها.

[4] سورة الحج، ٧٧/٢٢.

[5] ع م – ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوي عزيز وقال في آية أخرى.

[6] ﴿وما قدروا الله حق قدره ولأرض جميعا قَبْضَتُه يوم القيامة﴾ (سورة الزمر، ٦٧/٣٩).

[7] م: ولا ولا عرفوه.

[8] ن – وقال غيرهم ما عظموا الله حق عظمته ذكروا أن هؤلاء لم يعظموا الله حق عظمته ولا عرفوه حق معرفته.

[9] ك ع م: أو أن يعرف؛ ن: وأن يعرف.

[10] عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما في السماوات السبع مَوضِع قَدَمٍ ولا شِبْر ولا كَفّ إلا وفيه مَلَك قائم أو مَلَك راكع أو مَلَك ساجد، فإذا كان يوم القيامة قالوا جميعا: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك، إلاّ أنّا لم نُشرك بك شيئا» (*المعجم الكبير* للطبراني، ١٨٤/٢؛ و*المعجم الأوسط* له، ٤٤/٤). قال الهيثمي: «وفيه عُروة بن مروان، قال الدارقطني: ليس بقوي في الحديث، وبقية رجاله رجال الصحيح» (*مجمع الزوائد*، ٣٥٨/١٠). وللحديث شاهدان من حديث عُمر وسَلمان رضي الله عنهما. انظر: *المستدرك* للحاكم، ٩٣/٣، ٦٢٩/٤.

[11] سورة التحريم، ٦/٦٦.

وقال: لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ،[1] فهُم مع هذا كلّه يقولون: ما عبدناك حق عبادتك. ومَن يَقدِر أنْ يَعرفه حقّ مَعرفتِه أو يُعظِّمه[2] حقّ عَظمتِه؟ ولكن تأويلهم -والله أعلم- أي ما عَرفوا الله حقّ المعرفةِ التي تُعرَف[3] بالاستدلال، ولا عَظَّموه حقّ عَظمتِه التي تُعظَّم[4] بالاستدلال. هذا تأويلهم، وإلاّ لا أحدَ يَقدِر أنْ[5] يَعرف الله حقّ معرفتِه، ولا يُعظِّمه[6] حقّ عَظمتِه حقيقةً. وهو يخرج على وجهين. أحدهما **وما قدروا الله حق قدره**، ولا اتَّقَوْه[7] حقّ تَقْواه ممّا كُلِّفُوا به وأَطاقوه وممّا جَرى الأمرُ بذلك، وإنّما تَجري[8] الكُلْفَةُ مِنه على قَدْر الطاقة والوُسْع، وإلاّ لا يَقدِر أحدٌ أنْ يُعظِّم ربّه حقّ عظمتِه، ولا أنْ يَتّقِيَه[9] حقّ تَقْواه، لكن ما ذكرنا ممّا جَرَتْ به[10] الكُلْفَة. والثاني **وما قدروا الله حق قدره**، ولا حقّ تُقاتِه على القَدْر الذي يَعملون لأنفسهم، أي لو اجتهدوا في تقواه وعظمتِه القَدْرَ الذي لو كان ذلك العمل لهم فيَجتهِدون ويَبلُغ جَهْدَهم في ذلك[11] فقد اتَّقَوْا.

وقوله عز وجل: **إذ قالوا ما أنزل الله على بشرٍ مِن شيء**، لو كان هؤلاء في الحقيقة أهلَ الكتاب ما أنكروا الرسل ولا الكتب، لأنّ أهل الكتاب يؤمنون ببعض الرسل وببعض الكتب وإن كانوا يكفرون ببعض، لكن هؤلاء أنكروا الرسل لِمَا كانوا أهلَ نِفاق. ويكونُ مِن اليهود أهلُ نِفاقٍ كما يكون مِن أهل الإسلام؛ كانوا يُظهِرون الموافقةَ لهم ويُضمِرون الخِلافَ لهم والمُوالاة لأهل[12] الشرك، ويُظاهِرون عليهم كما كان يفعل ذلك مُنافقو[13] أهلِ الإسلام، كانوا[14] يُظهِرون الموافقةَ لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويُضمِرون الخِلافَ له ويُظاهِرون المشركين[15] عليه.

---

[1] سورة الأنبياء، ١٩/٢١.
[2] جميع النسخ: أو يعظموه.
[3] ن ع م: يعرف.
[4] جميع النسخ: التي يعظم.
[5] ك - يقدر أن.
[6] ك ن م: ولا عظمه؛ ع: ولا عظموه.
[7] جميع النسخ: ولا اتقوا.
[8] م: يجزي.
[9] جميع النسخ: ولا اتقى.
[10] ع م - به.
[11] ك + ذلك.
[12] ع: أهل.
[13] جميع النسخ: منافقوا.
[14] ع: كما.
[15] ع: المشركون.

فأَطْلَع اللهُ رسولَه[1] على نِفاقهم لِيَعلم قومُهم خِلافَهم، وأنّ ما كان مِن تحريف[2] الأحكام وتغييرها[3] وكِتمانِ نَعْتِ محمدٍ -عليه أفضل الصلوات- وصِفَتِه إنما كان مِن هؤلاء. وذُكر في بعض القصّة أنها نزلت في شأن مالك بن الصيف،[4] وكان مِن أَحْبار[5] اليهود، وكان سَمِينًا، فدَخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم يومًا، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هل تَجد في التوراة أنّ الله يُبغِض كلّ حَبْرٍ سَمِينٍ؟» فقال: نعم، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «فأنت حَبْرٌ سَمِينٌ يُبغِضك الله»، فغَضِبَ[6] فقال: **ما أنزل الله على بَشَرٍ مِن شيء**،[7] أنكر الرسل والكتب جميعًا، فأكذَبه الله تعالى وأَظهَر نِفاقَه عند قومه، فقال: **قُل مَن أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورًا وهُدًى للناس تَجعلونه قَراطِيس تُبدُونها وتُخفُون كثيرًا**. قيل **تجعلونه قراطيس**، يعني صُحُفًا، [أي] ثم كتبتموه في الصُحُف، ثم تنكرون أنه **ما أنزل الله على بشر مِن شيء**، أي / ما الذي كنتم[8] كتبتموه إن [٢٢٠و] لم يُنزل الله على بشر مِن شيء؟ [وقوله]: **تُبدُونها وتُخفُون كثيرا**، يقول:[9] تُظهِرون[10] ما في الصُحُف ما ليس فيه صفةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ونَعْتُه، **وتُخفُون**، ما فيه صفته ونَعْتُه وتُغيِّرون. وقيل: **تُبدُونها**، أي تُظهِرون[11] قراءتها، **وتُخفُون كثيرا**، مِمّا فيه نَعْتُه صلى الله عليه وسلم أو ما فيه[12] مِن الأحكام التي لا تَطِيب بها أنفسُهم مِن أمرِ الرجم والقصاص وغير ذلك.

وقوله: **قُل مَن أَنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورًا وهُدًى للناس**، سمَّى عز وجل جميعَ كُتبِه[13] **نورًا وهدًى**، وهو[14] نور مِن الظُلُمات، أي يَرفع الشُبُهات ويُجَلِّيها،

---

[1] ع: ورسوله.
[2] ع: من تخويف.
[3] ك: وتغيرها.
[4] جميع النسخ: بن الضيف. والتصحيح من مصادر الرواية.
[5] ع: من أحبار.
[6] ك – فغضب.
[7] *تفسير الطبري*، ٢٦٧/٧؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٣١٤/٣. لكن ليس فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: «فأنت حَبْرٌ سَمِينٌ يُبغِضك الله».
[8] جميع النسخ: فالذي كتبتم. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٦٠و.
[9] جميع النسخ: يقولون.
[10] ن ع م: يظهرون.
[11] ع م: أي يظهرون.
[12] م: أي ما فيه.
[13] ع – جميع كتبه.
[14] أي الكتاب.

وهدًى[1] مِن الضَّلَالَات، أي بيانًا ودليلاً مِن الحَيْرة والهلاك. *وبالله العصمة والنجاة*.

وقوله عز وجل: **وعُلِّمْتُم ما لم تَعلَموا أنتم ولا آباؤكم**، قال مجاهد:[2] الآية[3] في المسلمين، يقول: عُلِّموا ما لم يَعلَموا[4] ولا آباؤهم.[5] وقال الحسن: الآية في الكَفَرة، أي **وعُلِّمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم**، مِن تحريف أولئك الكتاب وتغييرِهم إيّاه. وقيل: **وعُلِّمتم** ما في التوراة، **ما لم تعلموا أنتم** ولم يعلمه[6] آباؤكم.[7]

ثم قال: [**قل الله**] **ثم ذَرْهُم**، قال بعضهم: قوله: **قل الله ثم ذَرْهُم**، هو صِلَة قولِه: **قُل مَن أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورًا**، **قُل**[8] يا محمد: **الله** أنزله على موسى. وقيل: صِلَة قولِه:[9] **وعُلِّمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم**، قال: **قُل** يا محمد: **الله** عَلَّمكم. ويحتمل أن يكون عز وجل سَخَّرهم حتى قالوا ذلك، فكان ذلك حُجّةً عليهم.

وقوله[10] عز وجل: **ثم ذَرْهُم في خَوْضِهم يَلعَبون**، هذا يحتمل وجهين. يحتمل **ذَرْهُم**، ولاتُكافِئهم بِصَنيعهم،[11] كقوله: فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ.[12] والثاني أنه[13] قد أَقام[14] عليهم الحُجَج وظَهرت عندهم البراهينُ، لكنهم كابَروا[15] وعانَدوا، فأَمَره أن يَذَرَهُم، لا يُقِيم عليهم الآيات والحُجَج بعد ذلك، ولكن يَدعُوهم[16] إلى التوحيد، لا يَذَرُ[17] دُعاءَهم إلى التوحيد،[18]

[1] ن: هدى.
[2] ع: المجاهد.
[3] م + الآية.
[4] ن ع م: لم تعلموا.
[5] *تفسير الطبري*، ٧/٢٧٠.
[6] ن – ولم يعلمه.
[7] ن: ولا آباؤكم.
[8] ع م – قل.
[9] ع م + قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا قل يا محمد الله.
[10] م – وقوله.
[11] ع: في صنيعهم.
[12] سورة المائدة، ١٣/٥.
[13] ن: والثاني أن.
[14] ن – أقام، صح هـ.
[15] ع: اكابروا.
[16] ع م: تدعوهم.
[17] ع م: لا تذر.
[18] ن – لا يذر دعاءهم إلى التوحيد.

ولكن يَذَرُهم ولا يُقِيم[1] عليهم الحُجَج.

وقوله عز وجل: **في خَوْضِهِم**، أي في باطلهم وتكذيبهم يَعْمَهون.

﴿وَهٰذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾[٩٢]

وقوله عز وجل: **وهذا كتابٌ أنزلناه مبارك**، قيل: القرآن، **أنزلناه مبارك**، سمّاه مَرّة مُبارَكًا، ومَرّة نورًا،[2] ومَرّة هُدى ورحمة،[3] ومَرّة شِفاء[4] ومَجِيدًا[5] وكَرِيمًا[6] وحَكِيمًا،[7] وليس يُوصَف[8] هو في الحقيقة بِنُور ولا مُبارَك ولا رحمة ولا هُدى ولا شِفاء ولا مجيد[9] ولا كريم[10] ولا حكيم، لأنه صِفَة، ولا يكون للصِّفَةِ صِفَةٌ تُوصَف بها، ولو كان[11] هو في الحقيقة نورًا ورحمة[12] وهدى أو ما ذُكر[13] لكان يكون لِكلّ أحدٍ نُورًا وما ذُكر.[14] فلَمّا ذَكَر أنه عَمًى على بعض،[15] وأخبر أنه يَزْدَاد بذلك رِجْسًا إلى رِجْسِهم[16] دَلّ أنه ليس هو في الحقيقة كذلك،

---

[1] ع م: تذرهم ولا تقيم.

[2] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿فآمِنوا بالله ورسوله والنُّور الذي أنزلنا والله بما تعملون خبير﴾ (سورة التغابن، ٨/٦٤)، ونحو ذلك من الآيات.

[3] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿ولقد جِئناهم بكتابٍ فَصَّلْناه على عِلْمٍ هُدًى ورحمةً لقوم يؤمنون﴾ (سورة الأعراف، ٥٢/٧)، ونحو ذلك من الآيات.

[4] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّل مِن القرآن ما هو شفاءٌ ورحمةٌ لِلمؤمنين ولا يَزيد الظالمين إلا خسارا﴾ (سورة الإسراء، ٨٢/١٧)، ونحو ذلك من الآيات.

[5] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿ق والقُرآنِ المَجِيد﴾ (سورة ق، ١/٥٠).

[6] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿إنه لَقُرآنٌ كَرِيم﴾ (سورة الواقعة، ٧٧/٥٦).

[7] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿الر تلك آيات الكتاب الحكيم﴾ (سورة يونس، ١/١٠).

[8] ن - يوصف.

[9] ن م: ولا مجيدا.

[10] م: ولا كريما.

[11] ك: ولكن كان.

[12] ن - ورحمة.

[13] ع: ذكر.

[14] ع م - لكان يكون لكل أحد نورا وما ذكر.

[15] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿ولو جعلناه قُرآنًا أعجميًا لقالوا لولا فُصِّلَتْ آياته أأعجمي وعربيّ قل هو للذين آمنوا هُدى وشِفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وَقْر وهو عليهم عَمًى﴾ (سورة فصلت، ٤٤/٤١).

[16] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وإذا ما أُنزِلَت سورةٌ فمِنهم مَن يقول أيُّكم زادته هذه إيمانا فأمّا الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يَستبشِرون. وأمّا الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رِجْسًا إلى رِجْسِهم وماتوا وهم كافرون﴾ (سورة التوبة، ١٢٤/٩ - ١٢٥).

لأنه لو كان[1] كذلك لكان لِكُلّ أحد. لكن سمّاه بهذه الأسماء، سمّاه نورًا لِمَا يَصِير نورًا للمُسترشِدين، ويَصِير شِفاء ورحمة للمُتّبِعين لِيَشفِي[2] الداءَ الذي يَحِلّ في الدين، وسمّاه رُوحًا لِمَا يُحيِي به الدين، وسمّاه حَكيمًا لِمَا يَصِير مَن عَرف بَواطِنَه[3] واتّبَعه حَكِيمًا؛ وكذلك سمَّاه مَجِيدًا كَريمًا لِمَا يَدعُو[4] الخَلْق إلى المَجْد والكَرَم، فمَن اتّبَعه تخَلَّق بِأخلاقٍ حَميدة فيَصِير مَجيدًا كريمًا؛ وسمّاه مُبارَكًا لِمَا به يُنال كُلُّ بركة؛ والبركة اسم لشيئين، اسم لِكلّ[5] بِرّ وخير، والثاني[6] اسم لِكلّ ما يُثمِر[7] ويَنْمو في الحادث. فمَن اتّبَعه نال به كُلَّ بِرّ وخير وكُلَّ ثمرة ونَمَاء في الحادث. هذا وَجْه الوَصْف بما ذُكر.[8]

وقوله عز وجل: **مُصَدِّقُ الذي بين يديه**، مِن الكتب، لأنه كان يدعو[9] الخَلْق إلى ما كان يدعو[10] سائر الكتب التي أنزلها على الرسل مِن توحيد الله والنهي عن إشراك غيره في الألوهية والربوبية، ويدعو[11] إلى كلّ عدل وإحسان، ويَنهى عن كلّ فاحشة ومُنكَر، وكذلك سائر الكتب دَعَت[12] الخَلْق إلى ما دعا هذا، لم يُخالِف[13] بعضُهم بعضًا، بل كانت مُوافِقةً بعضُها لبعض،[14] لذلك قال: **مصدق الذي بين يديه**. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **ولِتُنذِر أُمَّ القُرى ومَن حَوْلَهَا**، قيل:[15] أُمّ القُرى مكّة. وسمّيت أمّ القُرى لوجهين. أحدهما لأنها مُتقدِّمة،[16] ومِنها دُحِيَت[17] الأرض على ما ذكر أهل التأويل.

[1] ع: كانه.
[2] ك ن م: ليشفوا.
[3] ع: بباطنه.
[4] ع م: لما يدعوا.
[5] ك: كل.
[6] ع م – اسم لشيئين اسم لكل بر وخير والثاني.
[7] ك: ما يتم.
[8] ن ع: بما ذكرنا.
[9] ع: يدعوا.
[10] ك ع: يدعوا.
[11] ع: ويدعوا.
[12] ع: دعته.
[13] ع: لمن يخالف.
[14] ك – بل كانت موافقة بعضها لبعض.
[15] م: وقيل.
[16] وعبارة الشارح: «لأنها أصْلٌ مُتقدِّم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٦٠ظ).
[17] دَحَا الأرض يَدحُوها دَحْوا بَسَطها، وقال الفرّاء في قوله عز وجل: ﴿والأرضَ بَعْدَ ذلك دَحَاها﴾ (سورة النازعات، ٧٩/٣٠)، قال: بَسَطها (*لسان العرب* لابن منظور، «دحو»).

والثاني سُمِّيت أُمّ القُرى لأنها مَقصِد الخَلْق في الحجّ، وفيها تُقضَى المناسك، وإليها يَقصِدون ويَؤُمُّون، وإليها يَتوجّهون في الصلوات،[1] وهي مَقصِد أهل القُرى.

وقوله عز وجل: **ولِتُنذر أُمّ القُرى**، أي أهل أُمّ القُرى.

وقوله عز وجل: **والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به**، فإن قيل: أَخبر أنّ مَن آمن بالبعث يؤمن بهذا الكتاب، وأهلُ الكتاب يؤمنون بالبعث ولا يؤمنون به، فما معناه؟

قيل:[2] يحتمل هذا وجوها. أحدها أنْ يكون هذا في قوم مخصوصين[3] إذا آمنوا[4] بالبعث آمنوا به، كقوله: أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ،[5] هذا في قوم مخصوصين، لأنه قد آمن كثير منهم بالإنذار، فعلى ذلك الأوّل.

والثاني قوله: **والذين يؤمنون بالآخرة**، بالعلم والحُجَج آمنوا بالقرآن، لأن القرآن جاء في تأييد حُجَج البعث وتأكيده، فلا يجوز أن يؤمنوا بما يؤيده[6] القرآن ولا يؤمنوا بالقرآن.

والثالث يحتمل أن يكون إخبارًا عن أوائلهم أنهم كانوا مؤمنين بالبعث بالآيات والحُجَج راغبين فيه، فلَمّا جاء آمنوا به. وأَمْكَنَ أن تكون الآية في المؤمنين، أَخبر أنهم آمنوا بالآخرة وآمنوا بالقرآن؛ ألا ترى[7] أنه قال: **وهم على صلاتهم يحافظون**. ويحتمل أن الذين[8] يؤمنون بالآخرة يحِقّ لهم أن يؤمنوا بالقرآن، لأنه به يُتزوّد للآخرة،[9] ويحتمل ما ذكرنا / مِن الوُجوه. [٢٢٠ظ]

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾[٩٣]

وقوله عز وجل: **ومَن أظلمُ مِمّن افترى على الله كَذِبًا**، هذا في الظاهر استفهامٌ وسؤالٌ

---

[1] ع: في الصلوة.
[2] ن: وقيل.
[3] ع: مخصوص.
[4] ك م: إذ آمنوا.
[5] سورة البقرة، ٢/٦.
[6] ن: بما يؤيد.
[7] ك: ألا يرى.
[8] ع م: الذين.
[9] ع: بالآخرة.

لم يُذكَر له جواب، لكن أهل التأويل فسّروا فقالوا:[١] لا أحدَ **أظلمُ ممّن افترى على الله كَذِبًا**، وهذا جوابٌ له، ليس[٢] هو تفسيره، لكن[٣] تُرِكَ[٤] ذِكرُ الجواب لمعرفة أهل الخطاب به،[٥] وقد يُترَكُ[٦] الجوابُ لمعرفة أهله به.

وقوله: **ومن أظلم**، أكثرهم قد ظَلموا[٧] أو كلّهم قد ظَلموا،[٨] لكن كأنه قال: لا أحدَ أفحشُ ظُلمًا مِمّن افترى على الله، لأنه يتقلّب[٩] في نِعَم الله في ليله ونهاره وإحسانه، فهو أفحشُ ظُلمًا وأوحشُ كَذِبًا.

وقوله عز وجل: **أو قال أُوحِيَ إليّ ولم يُوحَ إليه شيء**، في الآية دلالة أنّ نافي الرسالة عن مَن له الرسالة في الافتراء[١٠] على الله والكَذِب كمُدّعي الرسالة لنفسه وليست له الرسالة، سَواء كِلاهما مُفترٍ على الله كَذِبًا. وكذلك مَن ادّعى أنه يُنزِل **مِثلَ ما أنزل الله**، أو مَن ادّعى أنه لم يُنزل الله شيئًا، فهو في الافتراء على الله كالذي ادّعى أنه يُنزل **مِثل ما أنزل الله**، النافي والمُدّعي في ذلك سَواء شرعًا، فعلى ذلك يكون نافي[١١] الشيء ومُثبِته في إقامة الحُجة والدليل سَواء.[١٢] ***والله أعلم.***

وقد ذَكر[١٣] أهل التأويل أنّ قوله: **أُوحي إليّ ولم يُوحَ إليه شيء**، نَزل في مُسيلمة الكذّاب، ونَزل قوله: **ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله**، في عبد الله بن سعد[١٤] بن أبي سَرْح.[١٥] لكن ليس لنا إلى معرفة هذا حاجة، هُم وغيرهم ومَن ادّعى وافترى على الله كَذِبًا سَواء في الوعيد.

---

[١] ع: قالوا.
[٢] ع م - ليس.
[٣] ع: ولكن.
[٤] ن - ترك.
[٥] ك ن - به.
[٦] ع م: وقد يقول.
[٧] ن: فقد ظلموا.
[٨] ع + أو كلهم قد ظلموا.
[٩] ع: لا يتقلب.
[١٠] ع: في الافترى.
[١١] ع م: في.
[١٢] ك: هو.
[١٣] ك ن ع: وذكر.
[١٤] ك: بن سعيد؛ ع م: بن مسعود.
[١٥] روي ذلك عن عكرمة وغيره. انظر: *تفسير الطبري*، ٧/٢٧٣؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٣/٣١٧. كان عبد الله بن سعد بن أبي سرح يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم، فأزلّه الشيطان، فلحق بالكفار، فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم =

وقوله: **ومَن قال سأنزل مِثل ما أنزل الله**، ادّعى بعضهم أنهم يقولون مِثل ما قال الله إنكارًا منهم له، كقوله تعالى: وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا.[1]

وقوله عز وجل: **ولو ترى إذ الظالمون في غَمَرات الموت والملائكة باسِطو أيديهم أخرِجوا أنفسَكم**، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قوله: **في غمرات الموت**، نَزَعات[2] الموت وسَكَراته وغَشَياته.[3] **والملائكة باسِطو أيديهم**، يقول: مَلَك[4] الموت وأعوانه الذين معه مِن ملائكة[5] العذاب،[6] **باسطو أيديهم**،[7] يقول: ضاربُو[8] أيدِيهم أنفسَهم، يقولون لها: اخرُجي، يعني[9] الأرواح، وهو قوله: **أَخْرِجوا أنفسكم**، وهو عند الموت.[10] وكذلك يقول قتادة.

وقال الحسن: ذلك في النار في الآخرة ضَرْبُ الوجوه والأدبار.[11] وقوله عز وجل: **في غَمَرات الموت**، أي كثرة العذاب وشِدّته، يُقال للشيء الكثير: الغَمْر، وهو كقوله:

= أن يقتل يوم الفتح، فاستجار له عثمان، فأجاره النبي صلى الله عليه وسلم. وله مواقف محمودة في الفتوح. وأمّره عثمان على مصر. ولما وقعت الفتنة سكن عسقلان، ولم يبايع لأحد، ومات بها سنة ست وثلاثين. انظر: *الإصابة* لابن حجر، ٤/١٠٩-١١٠. ويقول الطبري في تفسير الآية: «وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال: إن الله قال: ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء﴾ ولا تمانع بين علماء الأمة أن ابن أبي سرح كان ممن قال: إني قد قلت مثل ما قال محمد، وأنه ارتد عن إسلامه ولحق بالمشركين، فكان لا شك بذلك مِن قِيله مُفتريًا كَذِبًا. وكذلك لا خلاف بين الجميع أن مسيلمة والعَنسي الكذّابَين ادعيا على الله كَذِبًا أنه بعثهما نبيين، وقال كل واحد منهما: إن الله أوحى إليه، وهو كاذب في قيله. فإذا كان ذلك كذلك فقد دخل في هذه الآية كل من كان مختلقا على الله كذبا، وقائلا في ذلك الزمان وفي غيره: أوحى الله إليّ، وهو في قيله كاذب لم يوح الله إليه شيئا. فأما التنزيل فإنه جائز أن يكون نزل بسبب بعضهم، وجائز أن يكون نزل بسبب جميعهم، وجائز أن يكون عني به جميع المشركين من العرب، إذ كان قائلو ذلك منهم فلم يغيّروه، فعيّرهم الله بذلك» (*تفسير الطبري*، ٧/٢٧٣).

[1] ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثلَ هذا إن هذا إلا أساطير الأولين﴾ (سورة الأنفال، ٨/٣١).

[2] ع م: ونزعات.

[3] م: وغشيانه. روي فقط: سكرات الموت. انظر: *تفسير الطبري*، ٧/٢٧٥؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٣/٣٢١.

[4] ع: الملك.

[5] ك + الرحمة وملائكة.

[6] ذكر مَلَك الموت فقط. انظر: *تفسير الطبري*، ٧/٢٧٥؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٣/٣٢١.

[7] ن - يقول ملك الموت وأعوانه الذين معه من ملائكة العذاب باسطو أيديهم.

[8] ك ع: ضاربوا.

[9] ك: بمعنى.

[10] عن ابن عباس: ﴿والملائكة باسطو أيديهم﴾، قال: هذا عند الموت، والبَسْط الضرب، يَضربون وجوههم وأدبارهم. انظر: *تفسير الطبري*، ٧/٢٧٥؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٣/٣٢١.

[11] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكةُ يَضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق﴾ (سورة الأنفال، ٨/٥٠).

وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ،[١] أي أسبابُ الموت، ولو كان هناك موتٌ يموت لشِدّة العذاب. وقوله عز وجل: **باسِطو أيديهم**، بضَرْب الوجوه والأدبار، **أخرجوا أنفسكم**، على حقيقة الخروج منها، كقوله: يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا.[٢] والأوّل[٣] ليس على حقيقة الخروج، ولكن كما يُقال عند نزول الشدائد: أخرِج نفسك.

وقال مجاهد: هذا في القتال يَضرِب الملائكة وجوههم وأدبارهم، يعني الأَسْتَاه،[٤] ولكنه يكون -وهو كقول[٥] ابن عباس رضي الله عنه وقتادة- عند الموت.

وقال[٦] أبو عوسجة: **غَمَراتِ الموت** سَكَراته[٧] وشَدائِده، والغَمْر[٨] هو الماء الكثير، والغِمْر العداوة، والغَمْر الذي لم يُجَرِّب الأمور، والغَمَر الدَّسَم، والغُمَر القَدَح الصغير مِن الخشب، وغَمْرة الحَرْب وَسَطها.[٩]

وقوله عز وجل: **اليوم تُجزَون عذاب الهُون**، قيل: **عذاب الهُون** لا رأفة[١٠] فيه ولا رحمة، أي الشديد، **بما كنتم تقولون على الله غير الحق**، بأن معه شريكًا وآلهة، **وكنتم عن آياته تستكبرون**، أنه لم يُنزل شيئًا ولم يُوحَ إليه شيء وإنما أُوحِيَ إليّ،[١١] وغير ذلك مِن الافتراء الذي ذكروا.[١٢] *وبالله*[١٣] *العصمة*.

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾[٩٤]

وقوله عز وجل: **ولقد جئتمونا فُرادَى كما خلقناكم أوّل مرّة**، يحتمل هذا -والله أعلم- وجوهًا.

---

[١] ﴿ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ﴾ (سورة إبراهيم، ١٤/١٧).

[٢] سورة المائدة، ٥/٣٧.

[٣] أي قول ابن عباس بأن المقصود هو خروج الروح.

[٤] م: الأستاد. الأَسْتاه جمع، ومفرده سَتَه، ويقال: سَه واسْت بمعنى حلقة الدُّبُر أو العَجُز (*لسان العرب* لابن منظور، «سته»).

[٥] م: قول.

[٦] ك ن م: قال.

[٧] جميع النسخ: وسكرات.

[٨] ك: والغمرة.

[٩] انظر: *لسان العرب* لابن منظور، «غمر».

[١٠] ع: لا زاقة.

[١١] ن - وإنما أوحي إلي.

[١٢] ك: ذكر.

[١٣] ع: بالله.

[أحدها] أي أَعَدْناكم وبَعثناكم فُرادَى بلا مُعِين ولا ناصر **كما خلقناكم**[1] **أوّل مرّة**[2] بلا مُعِين ولا ناصر. والثاني أُعيدكم وأَبعثكم فُرادَى بلا أعوان لكم ولا شُفَعاء يَشفعون لكم، يُعين بعضكم بعضًا **كما خلقناكم** في الابتداء فُرادَى لم يكن لكم شُفَعاء ولا أعوان. وقيل: يَبعثكم ويُعيدكم بلا مال ولا شيء مِن الدُّنياوِيّة كما خَلَقَكم[3] في الابتداء و لم يكن لكم مال ولا شيء مِن الدُّنياوِيّة.[4] وجائز أن يكون قوله: **ولقد جئتمونا فُرادَى**، ليس معكم ما تفتخرون به مِن الخَدَم والأموال والقَرابات التي افتخرتم في الدنيا[5] **كما خلقناكم أوّل مرّة**. وجائز أن يكون[6] قوله:[7] **كما خلقناكم أوّل مرّة**، مُنفَصِلاً مِن قولِه:[8] **ولقد جئتمونا فُرادَى**، لكن جواب سؤال أنْ كيف يُبعَثون؟ فقال:[9] تُبعَثون **كما خلقناكم أوّل مرّة**.

وقوله عز وجل: **وتَركتم ما خَوَّلْناكم وراء ظهوركم**، يحتمل وجهين.[10] يحتمل تَركتم [ذلك] وراء ظهوركم، لا تَلتفِتون[11] إليه ولا تنظرون، كالمنبوذ وراء[12] ظهوركم، إنما نَظَرُكم إلى أعمالكم التي قَدّمتموها. والثاني لم تُقدِّموا ما خَوَّلْناكم، ولم تَنتفِعوا منه، بل تَركتم [ذلك] وراء ظهوركم لا تنتفعون به،[13] إنما مَنفعتُكم ما قَدّمتموه وأَنْفَقْتم منه.

وقوله: **خَوَّلْناكم**، قيل: أعطيناكم، وقيل: رزقناكم، وقيل مَكَّنّاكم، وهو واحد.

وقوله عز وجل: **وما نرى معكم شُفَعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء**، إنهم كانوا يجعلون لله شركاء في عبادته وألوهيته، ويقولون: هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ،[14] وَمَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى.[15]

---

[1] ك + وبعثناكم.
[2] ن – يحتمل هذا والله أعلم وجوها أي أعدناكم وبعثناكم فرادى بلا معين ولا ناصر كما خلقناكم أول مرة.
[3] ع: كما خلقتكم.
[4] م: من الدنيا وبه.
[5] ك – من الخدم والأموال والقرابات التي افتخرتم في الدنيا.
[6] ع م – يكون.
[7] ن – قوله.
[8] ع م: قوله.
[9] جميع النسخ + اى.
[10] ع م – يحتمل وجهين.
[11] م: ولا تلتفتون.
[12] ك + وراء.
[13] ع م: لا تنتفعوا به.
[14] سورة يونس، ١٠/١٨.
[15] سورة الزمر، ٣٩/٣.

يقول الله: **وما نرى معكم شُفَعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء** لله في عبادتكم، / وزعمتم [٢٢١و] أنهم شُفَعاؤكم عند الله، بل شُغِلوا هُمْ[١] بأنفسهم. يخبر عن سَفَهِهم وقِلّة نَظَرِهم فيهم.

وقوله عز وجل: **لقد تَقطَّع بَيْنَكم**، قُرئ بالرفع والنصب جميعًا.[٢] فمَن قَرأ[٣] بالرفع يقول: **لقد تَقطَّع** تَواصُلُكم، ومَن قَرأ بالنصب يقول: **لقد تَقطَّع** ما كان بَيْنَكم[٤] مِن الوَصْل. يخبر عز وجل عن قَطْع ما كان بينهم[٥] مِن التواصُل وتَعاوُن بعضِهم بعضًا في هذه الدنيا، فإنهم[٦] كانوا يتعاونون ويتناصرون بعضهم بعضًا، يخبر أن ذلك كلّه ينقطع[٧] في الآخرة ويصير بعضهم أعداء لبعض ويتبرّأ بعضهم مِن بعض، كقوله: إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا،[٨] وكقوله:[٩] اَلْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ،[١٠] وكقوله تعالى: وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً،[١١] وكقوله:[١٢] سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ،[١٣] الآية. يَصير المعبودون أعداء للعابدين، والعابدون أعداء للمعبودين، وتَصير[١٤] الوُصْلة والمَودّة التي[١٥] فيما بينهم في هذه الدنيا عداوة، والرحِم والقرابة التي كانت بينهم مُنقطِعة،[١٦] حتى يَفِرّ بعضهم مِن بعض، كقوله تعالى: يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ،[١٧] الآية.

وقوله عز وجل: **وضلّ عنكم ما كنتم تَزعُمون**، أي ذهب عنكم وبَطل **ما كنتم تَزعُمون** أنهم شفعاؤكم عند الله. *وبالله العصمة والنجاة.*

---

[١] جميع النسخ: بل شغلوهم.

[٢] قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر وحمزة: ﴿لقد تَقطّع بينُكم﴾، رَفعًا، وقرأ نافع والكسائي وعاصم في رواية حفص: ﴿لقد تقطع بينَكم﴾، نَصْبًا. انظر: *كتاب السبعة* لابن مجاهد، ٢٦٣.

[٣] ع: قرئ.

[٤] ك: منكم.

[٥] جميع النسخ: بينكم.

[٦] جميع النسخ: انهم.

[٧] ن: يتقطع.

[٨] سورة البقرة، ١٦٦/٢.

[٩] ع: وقوله.

[١٠] سورة الزخرف، ٦٧/٤٣.

[١١] ن + للمعبودين. سورة الأحقاف، ٦/٤٦.

[١٢] ن: وقوله.

[١٣] سورة مريم، ٨٢/١٩.

[١٤] ن م: ويصير.

[١٥] ن م – التي.

[١٦] جميع النسخ: الذي كان بينهم منقطعا.

[١٧] ﴿يوم يفر المرأ من أخيه. وأمه وأبيه. وصاحبته وبنيه﴾ (سورة عبس، ٣٤/٨٠-٣٥).

﴿إِنَّ اللهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمُ اللهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾[٩٥]

وقوله عز وجل: **إن الله فالق الحب والنوى**، قيل: **فالق الحب والنوى** كما قال الله تعالى: فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ،[١] وكقوله تعالى: الَّذِي فَطَرَكُمْ،[٢] أي خلقكم. يخبر أنه **فالق الحب والنوى**. خصّ **الحب والنوى**[٣] بالذِّكر لِمَا منهما خلَق جميع ما في الدنيا مِن الأَنْزال[٤] والحبوب، كقوله تعالى: خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ،[٥] منه خلق[٦] ما في الدنيا مِن البشر، فأَضاف ذلك إليه. فعلى ذلك لَمّا خلَق هذه الأَنْزال كلّها مِن الحبّ والنوى ومنهما[٧] أخرج [ما ذكر] أَضاف[٨] إليهما ذلك. *والله أعلم*. ويحتمل أن يكون ليس بإخبارٍ عن ابتداءِ إنشاءٍ، ولكن إخبارٌ عن لُطْفه. والفَلْق هو الشَّق. يخبر أنه يَشُقّ النَّواة مع شِدّتها وصَلابتها، ويُخرِج منها نَبْتًا أخضر لَيِّنًا ما لو اجتمع كلّ الخلائق على إنفاذه وإخراج مِثله مِن غير أذى يصيب ذلك النَّبْت ما قدروا عليه. يخبر عن لُطْفه[٩] وقدرته أنّ مَن قدر[١٠] على هذا لَقادر[١١] على إعادة الخَلْق وبعثهم بعد إماتتهم وإفنائهم وإن لم يبق لهم أثر، كما قدر على هذا. يُعَرِّفهم قدرتَه أنها غير مُقَدَّرة بقدرة الخَلْق وبقوّتهم، بل خارجة عن قوّتهم، لأن قوته وقدرته ذاتيّة أزليّة بلا سبب، وقوّتهم وقدرتهم بأسباب. وكذلك ما يَشُقّ الوَرَق[١٢] الضعيف اللَّيِّن [من][١٣] الشجر والنَّخْل مع شِدّته وصلابته ما لو اجتمع الخلائق كلّهم على شَقّ[١٤] ذلك الشجر بذلك الوَرَق مع لِينِه ما قدروا عليه؛

---

[١] سورة الشورى، ١١/٤٢.

[٢] ﴿فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة﴾ (سورة الإسراء، ٥١/١٧).

[٣] ع م – والنوى.

[٤] النُّزْل والنَّزَل بالتحريك رَيْع ما يُزرَع، أي زَكاؤه وبركته والجمع أَنْزال. وأَنزال الناس أرزاقهم (*لسان العرب* لابن منظور، «نزل»).

[٥] سورة النساء، ١/٤.

[٦] ع م: ما خلق.

[٧] ك: ومنها.

[٨] ن – أضاف.

[٩] ك: عن لفظه.

[١٠] م: أي من قدر.

[١١] ع: القادر.

[١٢] جميع النسخ: من الورق.

[١٣] التصحيحان من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٦١ظ.

[١٤] ن: على اشق.

يُعَرِّفهم لُطْفَه وقدرته أنه لا يُعجِزه شيء. وفيه أنّ ذلك فِعلُ واحدٍ، لأنه لو كان فِعلَ عددٍ لكان إذا أراد هذا شَقَّه مَنَع الآخَر عن ذلك. وفيه أنه على تدبيرٍ خَرَج لا جُزافًا، حيث اتَّفَق ذلك في كلّ عامٍ على قَدْرٍ واحد.

وقوله عز وجل: **يُخرج الحي من الميت ومُخرج الميت من الحي**، إنّ الحَبّ والنَّواة التي ذَكر مَيّت، فيُخرِج منهما النبات الأخضر حيًّا، ثم يميت ذلك ويخُرِج منه الحَبّ[١] والنَّواة.[٢] وفيه دلالة البعث بعد الموت. يقول: إن الذي قَدَر على إخراج[٣] النبات الأخضر الحيّ مِن حبّة ميتة أو نَواة ميتة وليس فيها مِن أثر ذلك الحيّ شيءٌ لَقادر أنْ يبعثهم ويحييهم بعد الموت وإن لم يَبْقَ مِن أثر الحياة شيء. وقد ذكرنا هذا فيما تقدم[٤] في غير موضع.

وقوله عز وجل: **ذلكم الله فأَنَّ تُؤفَكون**، أي ذلكم الذي يفعل ذلك هو الله تعالى، لا الأصنام التي تعبدونها وأشركتم في عبادتكم لله وألوهيته، فأيُّ حُجّة[٥] تَصرِفكم عن ما ذُكر، أي لا حُجّة لكم في صرف الألوهية عنه إلى غيره، ولا صرفِ العبادة إلى الأصنام.

وقوله عز وجل: **فأَنَّ تُؤفَكون**، قيل: **فأنى** تُصرَفون عن ما ذَكر مِن دلالات وحدانيّته وألوهيته وربوبيّته. والإفك هو الصَّرْف في اللغة، كقوله: قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا،[٦] أي لِتَصرِفنا.[٧] وقيل: **تُؤفَكون** تَكذِبون، أي[٨] ما الذي حمَلكم على الكذب. والكذب والصرف واحد في الحقيقة، لأن الكذب هو صَرْف قول الحقّ إلى الباطل، وهما واحد.

﴿فَالِقُ ٱلإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱللَّيلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾[٩٦]

وقوله عز وجل: **فالق الإصباح**، هو يحتمل الوجهين اللذين ذكرتهُما في قوله: فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى،[٩] [فيحتمل أنه] خبر عن ابتداء خلقه، ويحتمل الشّقّ، أي يَشُقّ النهار مِن الليل

---

[١] جميع النسخ: حبا؛ ن + وحبا.
[٢] ن: النواة.
[٣] ك: على على إخراج.
[٤] ن – فيما تقدم. انظر تفسير الآية من سورة آل عمران، ٣/٢٧.
[٥] ك ن: أي أي حجة؛ ع م: أي حجة.
[٦] سورة الأحقاف، ٤٦/٢٢.
[٧] ك: أي أي لتصرفنا؛ ع م: ولتصرفنا.
[٨] ع: تكذبون ى.
[٩] سورة الأنعام، ٦/٩٥.

والليلَ مِن النهار بعد ما تَلِف كلّ واحد منهما حتى[1] لم يَبْقَ له أثر. ففيه دليل[2] البعث والإحياء بعد الموت، أي إنّ الذي قَدَر على إنشاء النهار مِن الليل والليل مِن النهار بعد ما تَلِف وذهب أثره لَقادر على إنشاء الخَلْق وبعثهم بعد الموت وذهاب آثارهم.

وقوله عز وجل: **وجعل الليل سَكَنًا**، جعل الله الليل سَكَنًا وراحةً للخَلْق، والنهار مَعاشًا لهم يَتعيَّشون فيه.[3] وجعلهما آيتين مِن آيات ربوبيّته ووحدانيّته مُسَخَّرين، يَغلِبان[4] الخلائق ويَقْهَرانهم ويكونون تحت سلطانهما، ويَجرِيان على سَنَنٍ واحد ومَجْرًى واحد.[5] دَلّ أنّ لهما[6] مُدبِّرًا خالقًا عليما؛[7] ولو كانا يَجرِيان بطباعهما لكان[8] يختلف جَرَيانُهما ولم يَتَّسِق،[9] فدَلّ اتِّساقُهما وجَرَيانُهما مَجْرًى واحدًا أنّ[10] لِغَيْرٍ فيهما تدبيرًا. وكذلك الشمس والقمر جَعَلهما مُسَخَّرين لمنافع الخَلْق، لِنُضْج الأَنْزال ويَنْعِها،[11] ولمعرفة عدد الأيام والشهور والسنين، ويجريان مَجْرًى واحدًا[12] ومَسْلَكًا واحدًا غيرَ مختلف، دَلّ / ذلك أنهما كانا بمُدبِّر عليم حكيم. [٢٢١ظ]

وفي قوله: **فالق الإصباح وجعل الليل سَكَنًا**، دلالةُ نَقْضِ قولِ المعتزلة، لأن الإصباح هو فِعل الخَلْق، لأنه مصدر[13] أصبح، وكذلك السَّكَن هو فِعل الخَلْق، ثم أضاف ذلك كلّه إلى نفسه، دَلّ أنه خالقُ أفعالهم.

وقوله عز وجل: **والشمسَ والقمرَ حُسْبانًا**، اختُلف فيه. قال أبو عبيدة:[14] هو مِن الحساب، وهو جَمْع حساب، يُقال: حِساب[15] وحُسْبان، مِثل شِهاب وشُهْبان؛ وهو كقوله:

---

[1] ع م – حتى.
[2] ك: دلالة.
[3] م: تعيشون فيه.
[4] ن ع: يقلبان.
[5] ن – ومجرى واحد، صح هـ؛ ع م – ومجرى واحد.
[6] ع: دل أنهما.
[7] ع م: عليهما.
[8] ع: لو كان.
[9] ع م: ولو لم يتسق.
[10] ك + ليس.
[11] ك: وينعهما.
[12] ع م: واحد.
[13] م: مصد.
[14] جميع النسخ: أبو عبيد. والتصحيح من *مجاز القرآن* لأبي عبيدة، ١/٢٠١.
[15] ع م – يقال حساب.

هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ.[١] وقيل: **حُسْبانًا**، أي جَرَيانًا، يَجرِيان ويَدُوران أبدًا لا يستريحان، دَلّ أنهما كانا بغيرٍ مُسَخَّرَين للخَلْق، لأنهما لو كانا[٢] بطباعهما لكانا يستريحان. وقيل: **حُسْبانًا**، أي ضياء، كقوله: جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا. والله أعلم بذلك.

وقوله عز وجل: **ذلك تقدير العزيز العليم**، أي **ذلك** الجَرَيان الذي ذُكر، أو[٣] تلك المنافع[٤] التي جُعِلت فيهما، **تقدير العزيز العليم**. قال الحسن: **العزيز** هو الذي لا يُعجِزه شيء، **والعزيز** هو الذي به[٥] يَعِزّ كلّ عزيز. وقال بعض أهل التأويل: **العزيز** المُتَّبَع[٦] في سلطانه، المُنتقِم مِن أعدائه، **العليم** بمَصالح الخَلْق وبما كان ويكون وبحوائجهم. ***وبالله التوفيق***.

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[٩٧]

وقوله عز وجل: **وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظُلُمات البر والبحر**، والمراد منه [حقيقة] الظُلُمات. وذكر في قوله: قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ،[٧] وأراد بالظلمات الشدائد والأهوال التي تصيبهم؛ ألا ترى أنه قال: تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً، عند الشدائد والأهوال كانوا يَدعُون ربهم تضرعًا وخفية، على ما ذَكَّرَهم ههنا عظيمَ سلطانه وقدرته لِمَا يَدفَع[٨] عنهم الشدائد ويُنجيهم[٩] مِن الأهوال[١٠] التي تَنزِل بهم، بما الدافع عنهم ذلك لا هؤلاء[١١] الأصنام التي يعبدونها[١٢] دون الله ويشركونها في عبادته. ويَذكُر في قوله:

---

[١] سورة يونس، ٥/١٠.
[٢] ع: كانا.
[٣] ن: ذكروا.
[٤] ن – المنافع.
[٥] ع م: الذي.
[٦] ع: المنيع.
[٧] ن – والمراد منه الظلمات وذكر في قوله قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر. ﴿قُل مَن يُنجيكم مِن ظُلُمات البَرّ والبحر تدعونه تضرُّعا وخُفيَة﴾ (سورة الأنعام، ٦٣/٦).
[٨] ع: لما تدفع.
[٩] ع م – وينجيهم.
[١٠] ع م: والأهوال.
[١١] ك ن ع: هؤلاء.
[١٢] ع م: يعبدون.

جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر، عظيمَ ما أَنعم عليهم بما جَعل لهم في السماء[1] نجومًا ليهتدوا بها للطرق[2] والمَسالِك في البحار والبَرارِي عند اشتباهها عليهم.

وفيه دليل وحدانيّة الربّ وتدبيره وحكمته، لأنه جعل في السماء أدلة[3] يهتدون بها ويستدلّون على معرفة الطرق مع بُعد ما بينهما مِن المسافة، وتسوية أسباب الأرض بأسباب السماء، وتَعلُّق منافع بعضها ببعض، لِيَعلموا أنه كان بواحدٍ مُدبِّرٍ عليم حكيم، إذ لو كان بِعدد أو بمن[4] لا تدبير له ولا حكمة لم يحتمل ذلك[5] ولم يَتَّسِق ما ذكرنا. دَلَّ أنه كان بالواحد العليم الحكيم، مع عِلْمِهم أنّ الأصنام التي يعبدونها وأشركوا في عبادته لا يَقدِرون على ذلك، لكنهم يعبدونها ويشركونها في ألوهيته سَفَهًا منهم وعنادًا. *والله العصمة والتوفيق*.

وفي قوله: فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى،[6] وقوله: فَالِقُ الْإِصْبَاحِ،[7] وقوله: **جعل لكم النجوم لتهتدوا بها**، وغير ذلك مِن الآيات التي ذَكر تذكيرُ[8] نِعَمِه وإحسانه إليهم، يَسْتَأْدِي بذلك شُكْرَه، وجَعْلَ السَّعْيِ له. وجائز أنْ يُستدَلّ به على تذكير قدرته وسلطانه، أنّ مَن قَدَر على ما ذُكر لا يحتمل أن يُعجِزه شيء.

وفيه[9] تذكير[10] تدبيره وعِلمه وحُكمه على ما ذكرنا مِن اتِّساق الأمور والحال على أمرٍ واحد.

وقوله عز وجل: **قد فصّلنا الآيات**، قيل: صرّفنا الآيات،[11] أي صرّفنا كلّ آية إلى موضعها الذي يكون[12] لهم دليلا عند الحاجة إليها. وقيل: **قد فصلنا الآيات**، قد بيّنّا[13] الآيات. **لقوم يعلمون**، أي لقوم ينتفعون بعلمهم، فإذا انتفعوا بها صارت الآيات لهم، لأنّ مَن انتفع[14] بشيء يصير ذلك له، لذلك ذَكر **لقوم يعلمون**، لأنهم إذا لم ينتفعوا بها لم تَصِر[15] الآيات لهم.

---

[1] ن ع م: من السماء.
[2] ك: الطرق.
[3] ن: اذلة.
[4] ك: أو بواحد.
[5] ن + لم يحتمل ذلك.
[6] سورة الأنعام، ٦/٩٥.
[7] سورة الأنعام، ٦/٩٦.
[8] ع: تذكر.
[9] ك – وفيه.
[10] ك: وتذكير.
[11] ك – قيل صرفنا الآيات.
[12] ك: تكون.
[13] ك ن: بينا.
[14] ن: لا من انتفع.
[15] ع: لم تصرف.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾[٩٨]

وقوله عز وجل: **وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة**، فيه دلالة أنه يُبدئ ويُعيد مِن غير شيء، لأنه أخبر أنه خلَق البَشَر كلّه مِن نفس واحدة، والخلائقُ كلّهم لو اجتمعوا ما احتَملت الأرض، ولم تكن الخلائق بأَجمعِهم في تلك النفس الواحدة، دلّ أنه قادر على الابتداء[١] والإعادة لا مِن شيء، إذ لم تكن[٢] تلك[٣] النفس التي خلَق الخلائق منها تَقدَّمها[٤] شيء.

وقوله عز وجل: **فمُستقَرّ ومُستودَع**، قال الحسن: مُستقَرّ في الآخرة بعمله[٥] الذي ختم به، إن ختم بعمل الخير يبقى أبدًا في الخير، وإن ختم بِشرّ يبقى أبدًا في الشرّ، ومُستودَع في أجَله،[٦] ينتقل مِن وقت إلى وقت ومِن حال إلى حال.[٧] وقيل: مُستقَرّ في أرحام النساء، ومُستودَع في أصلاب الرجال، وهو قول عامة أهل التأويل. وقيل: مُستقَرّ في القبر، ومُستودَع[٨] في الدنيا. ويُشبِه أن يكون مُستقَرّ ومُستودَع في كلّ حال وكلّ وقت، مُستقَرّ[٩] في حال القيام حتى ينتقل إلى حال أخرى، ومُستودَع لِمَا هو على شَرَف الانتقال إلى أخرى. وجائز أن يكون قوله: **فمُستقَرّ ومُستودَع**، مُستقَرّ[١٠] في الآخرة بالجزاء لأعمالهم التي عملوا، ومُستودَع في الدنيا.[١١] ويحتمل مُستقَرّ بالليالي، ومُستودَع[١٢] بالنهار. والأول لبني آدم خاصّة.[١٣]

---

[١] ك ن: على الإبداء.
[٢] ك ع: إذ لم يكن؛ م: إذا لم يكن.
[٣] ك ن ع: لتلك.
[٤] جميع النسخ: تقدمه.
[٥] ك ع: بعلمه.
[٦] ن + الذي.
[٧] ن: إلى وقت.
[٨] ع م – في أرحام النساء ومستودع في أصلاب الرجال وهو قول عامة أهل التأويل وقيل مستقر في القبر ومستودع.
[٩] ك – ومستودع في كل حال وكل وقت مستقر.
[١٠] ع م – لما هو على شرف الانتقال إلى أخرى وجائز أن يكون قوله فمستقر ومستودع مستقر.
[١١] عن الحسن في قوله: ﴿فمستقر ومستودع﴾، مستقر في القبر، ومستودع في الدنيا أَوْشَكَ أنْ يَلْحَقَ بصاحبه. انظر: *تفسير الطبري*، ٧/٢٩١؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٣/٣٣٢.
[١٢] م + في الآخرة.
[١٣] لعله يقصد أن تفسير المستقر بأنه في الآخرة والمستودع بأنه في الدنيا متعلق ببني آدم فقط، أما تفسير المستقر بالليالي والمستودع بالنهار فيمكن أن يشمل غير بني آدم من الحيوانات. والله أعلم.

ثم قوله[1] عز وجل: لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ،[2] **ولقوم**[3] **يفقهون**، الفقه هو معرفة الشيء بمعناه الدالّ على نَظيره والعلم ما يَعرف بنفسه؛ ولهذا لا يقال لله فَقيه، ويقال عالم، لأنه عالم بالأشياء بذاته لا بأغيارها ونَظائرها،[4] والفقيه هو الذي يعرف الأشياء[5] بأغيارها ونَظائرها ودَلائِلها.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[٩٩]

وقوله عز وجل: **وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء**، يُذكِّرهم عز وجل عظيمَ مِنّتِه بما يُنزل مِن السماء مِن الماء، ويُخرِج به نبات[6] كلّ شيء، كما ذَكَّرَهم مِن النِّعَم بما جَعل لهم[7] النجوم ليهتدوا بها[8] في الظُّلُمات واشتِباه الطُّرُق،[9] وما جَعَل الليل للسُّكون والراحة والنهارَ للمَعاش والتقلُّب، وما جَعَل لهم / مِن الشمس والقمر وجَعَل لهم [٢٢٢و] فيهما مِن المنافع مِن نُضْج الأَنْزال والزروع ويَنْعِها ومعرفة عدد السنين والحساب والآجال التي يجعلون للعقود، وغير ذلك مِن النِّعَم التي أَنعمها عليهم، لأنْ لا يُوجِّهوا شُكر هذه النِّعَم إلى غيره ولا يَتّخذوا إلٰهًا[10] سِواه. وقد ذكرنا[11] أن سورة الأنعام نزل أكثرها في مُحاجة أهل الشرك في إثبات الوحدانية[12] والألوهية لله وإثبات الرسالة والنبوة وإثبات[13] البعث بعد الموت، لأنهم كانوا ينكرون ذلك كلّه.

---

[1] ن: وقوله.
[2] سورة الأنعام، ٩٧/٦.
[3] ك: لقوم.
[4] ن: ولا نظيرها.
[5] ك – بذاته لا بأغيارها ونظائرها والفقيه هو الذي يعرف الأشياء.
[6] ن: يخرج نبات.
[7] ع م + من الشمس.
[8] ع م: والنجوم لتهتدوا بها.
[9] ع م: الطريق.
[10] ع م: انها.
[11] ن: وقد ذكر. انظر تفسير الآية من سورة الأنعام، ٦/٤، ٢٠.
[12] ن ع م: الوحدانية له.
[13] ن – وإثبات.

وقوله عز وجل: **فأخرجنا به نبات كل شيء**، يحتمل قوله: **نبات كل شيء**،[١] ما بالخَلْق[٢] حاجة إليه، لِيُعلم أنّ كلّ ما يُخرِج مِن الأرض[٣] أَصْلُه مِن الماء، به يُنبِت ما يكون[٤] غذاء البشر وغذاء الحيوان كلّهم والطيور، كقوله:[٥] وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ،[٦] يُذكِّرهم عظيم ما جَعَل لهم في الماء مِن المنافع على ما أخبر أنه به يُخرِج نبات كلّ شيء وبه حياة كلّ شيء. ثم[٧] مِن الأوقات ما لو نزل مِن السماء ماء لم يُنبِت، دلّ أنه إنما يُنبِت[٨] بتدبير غيرٍ، لا بالماء.

وقوله[٩] عز وجل: **فأخرجنا منه خَضِرا**، قيل: "به" يَخرُج أوّل ما يَخرُج خَضِرا، يكون ابتداء كلّ نَبْتٍ أخضر،[١٠] ثم يتحوّل إلى لون آخر. ومنهم مَن قال: "به" يعني بالماء[١١] يَدوم ويَبقى أخضر،[١٢] لولا الماء وإلاّ يَبِس وتَغيرّ عن حال ابتدائه. **نُخرِج منه حبا مُتراكبا**،[١٣] يخبر عن لُطفه وصُنعه بما يُخرِج مِن الحبّ مُتراكبا بعضه على بعض، ما لو اجتمع الخلائق كلهم لم يقدروا على تركيب مثله، لِيعلموا أنّ لغيرٍ في ذلك تدبيرًا وصُنعًا.

وفيه دلالة أنه قد ينشئ الأشياء مِن لا شيء ولا سبب وإن كان قد أنشأ بعضها بأسباب، نحو أنْ أَخرج[١٤] مِن الحبة والنَّواة نَباتًا أخضر ولم يكن في الحبّ نبات،[١٥] ثم أَخرج[١٦] مِن ذلك النبات الأخضر حُبوبا ولم تكن[١٧] الحُبوب في النبات، لِيعلموا أنه قادر على إنشاء الأشياء لا مِن شيء ولا سبب.

---

[١] ك – يحتمل قوله نبات كل شيء.
[٢] ك: مما بالخلق.
[٣] ن ع م: في الأرض.
[٤] جميع النسخ: مما يكون.
[٥] ك: لقوله.
[٦] سورة الأنبياء، ٢١/٣٠.
[٧] ك – ثم.
[٨] ن – دل أنه إنما ينبت.
[٩] ن: قوله.
[١٠] ن: خضر.
[١١] ن: أنه.
[١٢] ن: خضرا.
[١٣] ع م – آخر ومنهم من قال به يعني بالماء يدوم ويبقى أخضر لولا الماء وإلا يبس وتغير عن حال ابتدائه نخرج منه حبا متراكبا.
[١٤] ك: أن خرج.
[١٥] ك: نباة.
[١٦] ع م – من الحبة والنواة نباتا أخضر ولم يكن في الحب نبات ثم أخرج.
[١٧] ك ع م: ولم يكن.

وفيه نقض قول الدهرية في كون الأشياء في شيء واحد، كما هي لا تحتمل أن تكون[1] عشرة آلاف نَواة أوحبّة في نَواة واحدة أو في حبّة واحدة، أو تكون الشجرة مع طُولها وغِلَظها وعِظَمها في نَواة أو حبّة.

وقوله عز وجل: **ومِن النَّخْل**، أي يُخرِج مِن النخل طَلْعَها[2] بالماء، وفيه مِن عظيم لُطفه وتدبيره أنْ جَعَل النخيل والأشجار تَتشرّب بعُروقها الماء ثم يَنتشِر ذلك[3] في أصلها إلى أغصانها ثم يخرج منه ويظهر خَضِرًا لِيُعلَم عظيمُ تدبيرِه ولُطفِه.

وقوله عز وجل: **قِنْوانٌ دانِية**، قيل: القِنْوان العُذوق يكون فيها التمر[4] والثمار،[5] واحدها قِنْو. وقوله: **دانية**، قال الحسن: دانية بعضها إلى بعض، مجتمعة غير متفرقة على ما يكون من الأعناب والتمر والحبوب، فإن كان هذا فهو في الكلّ. وقال بعضهم: **دانية** قريبة مُلتزِقة بالأرض، يَناله القائم والقاعد جميعًا. وعن ابن عباس: **قِنْوانٌ دانِية**، قِصار النَّخْل اللّاصِقة عُذوقها بالأرض.[6]

وقوله عز وجل: **وجناتٍ من أعناب**، أي أخرج بالماء[7] جنات وكُرومًا. **والزيتونَ والرمّانَ**، قيل: أخرج بالماء أيضًا الزيتون والرمان. وقال بعضهم: **والزيتون والرمان مُشتبِهًا وغير مُتشابه**، أي يُشبِه وَرَق الزيتون في النظر[8] وَرَق الرمان،[9] **وغير متشابه** ثمرتها في اللون والطَّعْم، ولكن هو على الكلّ، على كلّ الثمار، لا يُشبِه[10] بعضها[11] بعضا؛ منها ما يُشبِه ساقُ هذا ساقَ[12] آخَر والثمار والحُبوب مختلف، ومنها ما يُشبِه[13] في اللون والطَّعْمُ مختلف،

---

[1] ك – أن تكون؛ ع م: أن يكون.
[2] ك: طلعا.
[3] ع م – ذلك.
[4] ن: الثمر.
[5] ك: والأثمار.
[6] *تفسير الطبري*، ٢٩٣/٧؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٣٣٣/٣.
[7] ع م: الماء.
[8] ك: في المنظر.
[9] م + وغير متشابه أي يشبه ورق الزيتون في النظر ورق الرمان.
[10] ع م: ولا يشبه.
[11] ن ع م: بعضه.
[12] جميع النسخ: بساق.
[13] ن – ما يشبه.

ومنها ما يُشبِه في الطَّعْم واللون مختلف،[١] لِيَعلموا أنّ لغيرٍ في ذلك تدبيرًا وصُنعًا لَطيفا لم يكن كذلك بالماء، لأنه لو كان كذلك بالماء لكان لا يختلف كلّ هذا الاختلاف في اللون والطَّعْم والساق والورق، دلّ أنه كان كذلك[٢] لغيرٍ عليمٍ[٣] مُدبِّرٍ حكيمٍ أنشأه على ما أراد بلُطفه.

وقوله عز وجل: **انظروا إلى ثمره إذا أثمر ويَنْعِه**، يحتمل الأمر بالنظر وجوها. أي[٤] **انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه**، أنْ كيف يُقلّبها ويُحوّلها مِن حال إلى حال ومِن لون إلى لون، وأنه يخرج في ساعةٍ[٥] لطيفةٍ ما لو اجتمع الخلائق على تقديره ومعرفته أنْ كم تخرج وأيّ مقدارٍ تخرج لم يَقدِروا عليه، لِيَعلموا أنه قادر على إحياء الخلق بمرّة واحدة. وفي إنزال المطر مِن السماء[٦] مع بُعدها آية عجيبة وحكمة بالغة، وهو أن يُنزله واحدا واحدا[٧] حتى لا يختلط بعضه ببعض مع كثرة المطر وازدحامه وبُعد السماء، ما لو اجتمع الخلائق على حفظ مثله ما قَدَروا عليه، دلّ[٨] أنه كان بمُدبّرٍ عليمٍ حكيمٍ.

وقوله عز وجل: **إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون**، قد ذكرنا[٩] أنها تصير[١٠] آيات لمن صدّق بها وآمن، وأمّا مَن عانَد وكابَر عقلَه[١١] ولم يتأمّل فيها لم يَفهم ما فيها مِن عجيب آياته وعظيم مِنّته.

وفي قوله: **انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه**، وجهان آخران مِن الحكمة، أنْ **انظروا إلى ثمره إذا أثمر**، أنه أوّلَ ما يَخرُج يَخرُج على لون واحد وعلى قَدْر[١٢] واحد وعلى طَعْم واحد، ثم تختلف[١٣] ألوانها وطَعْمها، وتَتفاوت[١٤] أقْدارها، لِيَعلموا أنه كان بتدبير واحد عليم حكيم

---

[١] ع – ومنها ما يشبه في الطعم واللون مختلف.
[٢] م – كذلك.
[٣] ك: بغير علم.
[٤] ك + يحتمل.
[٥] ع: من ساعة.
[٦] ع: في السماء.
[٧] ع م – واحدا.
[٨] م + عليه.
[٩] انظر تفسير الآية من سورة الأنعام، ٦/٩٧.
[١٠] ن ع: أنها تغير.
[١١] ع م – عقله.
[١٢] ع: على قدر.
[١٣] ن ع م: ثم يختلف.
[١٤] ن ع م: ويتفاوت.

قادر على خَلْق الأشياء بلا سبب، لأنه لو كان كذلك بسببٍ لا بتدبيرٍ[1] فيه كان سبب[2] هذا كلّه واحدا،[3] فيجيء أنْ يَخرُج كلّه على سَنَن واحد، دلّ أنه خالق بذاته لا بسبب. والثاني[4] أنْ **انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه**، أنه جَعَل[5] ما يَطيب مِنه للبَشر،[6] وعَلَّمهم أسبابًا يَتّخذون بها الطيّبات مِن ذلك، مِن نحو النُّضج والطَّبْخ وغيره، وجَعَل لِغيرهم مِن الحيوان كما هو خارج مِن الأرض، لِيَعلموا أنّ غيرَهم مِن الحيوان والدوابّ إنما جَعَلهم لمنافع البَشر مُسَخَّرين لهم، وأنّ البَشر هُم المقصودون فِي خَلْق الأشياء / كلّها. وبالله الحول والقوة، وله المِنّة والفضل. [٢٢٢ظ]

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ﴾[١٠٠]

وقوله عز وجل: **وجعلوا لله شركاءَ الجن**، أي قالوا: لله شركاء، وكذلك قوله: وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ،[7] أي يقولون: لله البنات. أو وَصَفوا لله[8] [شركاء الجن]،[9] دليلُه ما ذُكر في آخره: سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ، دلّ هذا أنّ قوله: **وجعلوا لله شركاء**، أي وَصَفوه بالشركاء والولد.

وقوله عز وجل: **شركاءَ الجن**، قال بعضهم: [المراد من الجن الملائكة، أي جعلوا الملائكة شركاء له في العبادة]،[10] وهذا[11] كقوله: وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا.[12] وقيل: إنهم لم يعبدوا الجن ولا قَصَدوا قَصْد عبادة الشيطان حيث قال: [أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ] يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ،[13] لأنّ جميع أهل الكفر على اختلاف مذاهبهم يُبغِضون الشيطان ويَلعنون عليه،[14]

---

[1] ع: لا تدبير.
[2] ك: سبت.
[3] ك: واحد.
[4] ك ن م: والثالث.
[5] ع: لانه جعل.
[6] ع: بالبشر.
[7] سورة النحل، ٥٧/١٦.
[8] ك: الله.
[9] من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٦٢ظ.
[10] من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٦٣و.
[11] جميع النسخ: هذا.
[12] سورة الصافات، ١٥٨/٣٧.
[13] سورة يس، ٦٠/٣٦.
[14] ن: ويلعنونه.

ولكن معناه أن الشيطان هو الذي دعاهم إلى عبادة الأصنام والأوثان، فإذا عبدوا الأصنام بدعائه فكأنهم عَبدوه، إذ بأمره[١] وبدعائه[٢] يعبدونها.[٣] أو أن يكون كما روي في الخبر: «إن الشمس إذا طَلعتْ تَطلُع بَيْن قَرْنَيْ شيطان»،[٤] فإذا عبدوها فكأنهم عَبدوا الشيطان، مِثل هذا يحتمل. *والله أعلم*.

فإن قيل: فإذا صاروا كأنهم عبدوا الشيطان ومَن ذكر مِن الجن بدعائهم إلى ذلك وبأمرهم[٥] بذلك حتى[٦] نَسب وأَضاف العبادة إليهم كيف لا صار المؤمنون كأنهم عبدوا الرسل، لأنهم إنما عبدوا الله بدعاء الرسل وبأمرهم؟

قيل: لأن الرسل إنما دَعَوْهم إلى عبادة الله وأَمروهم بذلك لأن الله تعالى أَمرهم بذلك،[٧] وأمّا أولئك إنما دَعَوْهم إلى عبادة مَن ذُكر بذات أنفسهم.

وفي قوله: **وجعلوا لله شركاء الجن**، إخبار لأوليائه وتذكير لهم[٨] حُسْنَ صنيعه إلى أعدائه مِن الإنعام عليهم والإحسان إليهم، وقُبْحَ صنيع أولئك إليه مِن وَصْفِهم إيّاه بالولد والشركاء، لِيُعاملوهم معاملة الأعداء أو معاملة[٩] أمثالهم.[١٠] **وخَلَقهم**، أي يعلمون أنه هو خَلَقهم ثم يشركون غيره في ألوهيته[١١] وعبادته، لا يُوجِّهون شُكر نِعَمه إليه. والثاني[١٢] قوله: **وخَلَقهم**،

---

[١] ع: بأمره.

[٢] ك: ودعائه.

[٣] ن: يعبدون، + الأصنام والأوثان.

[٤] ك ع: الشيطان. عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا طَلَع حاجِب الشمس فدَعُوا الصلاة حتى تَبْرُز، وإذا غاب حاجِب الشمس فدَعُوا الصلاة حتى تَغِيب، ولا تَحَيَّنُوا بصلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها، فإنها تَطلع بَيْن قَرْنَيْ شيطان» (*صحيح البخاري*، بدء الخلق ١١؛ *وصحيح مسلم*، صلاة المسافرين ٢٩٠).

[٥] ن ع: ويأمرهم.

[٦] ك – حتى.

[٧] ن – لأن الله تعالى أمرهم بذلك.

[٨] ك: وتذكيرهم.

[٩] ك ن: ومعاملة.

[١٠] وعبارة الشارح هكذا: «لِيتعلموا أنْ كيف يُعامَل مع الأعداء مِثل المعاملة معهم، والصبر على أذاهم، لِيَحملهم ذلك على الرجوع عن العداوة» (*شرح التأويلات*، ورقة ٢٦٣و).

[١١] ك: وألوهيته.

[١٢] م + معاملة الأعداء أو معاملة أمثالهم وخلقهم أي يعلمون أنه هو خلقهم ثم يشركون غيره في ألوهيته وعبادته لا يوجهون شكر نعمه إليه والثاني.

أي خَلَق هذه الأصنام التي يعبدونها[1] ويعلمون أنها مخلوقة مُسَخَّرة مُذلَّلة، فمع ما يعلمون هذا يشركون في ألوهيته وعبادته، فكيف يكون المخلوق المُسَخَّر شريكًا له؟

وقوله عز وجل: **وخَرَقوا له بنين وبنات بغير علم**، هم كانوا فِرَقًا وأصنافًا، منهم مَن يقول بأنّ عيسى ابنه، وهم النصارى، ومنهم مَن يقول بأن عُزَيْرًا ابنه، وهم اليهود،[2] وقال مشركو[3] العرب: الملائكة بنات الله، فقال: أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى،[4] وقال: أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ،[5] وقال: وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ،[6] فإذا أَنِفْتم[7] أنتم مِن البنات كيف نَسبتم البنات إليه؟

في هذه الآية تصبير رسول الله على أذاهم بِقَولِه: [إنهم] مع كثرة ما كان لهم مِن الله مِن النِّعَم والمِنَن يشركون في عبادته غيره، فأنت إذا لم يكن منك إليهم شيء مِن ذلك أَوْلَى[8] أنْ تَصبر على أذاهم.

وقوله عز وجل: **بغير علم**، أي يعلمون هم أنْ ليس له ولد ولا شريك، ولكن كانوا يُكابِرون.[9] ويحتمل **بغير علم**، على جَهلٍ يقولون ذلك.

وقوله عز وجل: **سبحانه وتعالى عما يصفون**، هو حرف تعظيم وتنزيه جُعِل[10] فيما بين الخَلْق، به يُعظِّمون وبه يُنزِّهون وبه يَنفُون كلّ عيب فيهم، فعلى ذلك ذُكر عند وَصْف الكَفَرة [لله] بالولد والشريك والعيوب، تنزيهًا وتبرئةً عن كلّ عيب وَصفوه وتَعالِيًا عن جميع ما قالوا فيه، وهو -والله أعلم- كما يقال:[11] مَعاذَ الله، تعظيمًا وتَبرِّئًا عن ذلك.

---

[1] ن + ويعبدونها.
[2] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وقالت اليهود عُزَيرٌ ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله﴾ (سورة التوبة، ٩/٣٠).
[3] ك ن ع م: مشركوا.
[4] سورة النجم، ٥٣/٢١-٢٢.
[5] سورة الطور، ٥٢/٣٩.
[6] سورة الزخرف، ٤٣/١٧.
[7] ع م: فإذا أنفقتم.
[8] ك – أولى.
[9] وعبارة السمرقندي هكذا: «ويحتمل أنهم كانوا يعلمون يقينا أن ليس له ولد ولا شريك، ولكنهم يكابرون فيقولون ذلك كذبا، والقول بالشيء كذبا على خلاف ما هو به. والله أعلم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٦٣و).
[10] ك ن ع: جعلهم.
[11] ع: كما يقول؛ م: كما يقولون.

وفي قوله: **سبحانه وتعالى عما يصفون**، نَقْضُ قولِ المعتزلة، لقولهم:[١] إنّ صفات الله ليس إلا وَصْف الواصفين،[٢] فلو لم تكن[٣] إلا وَصْف الواصفين[٤] لا غير لكان لا معنى لِذَمّ بعض الواصفين وحَمْدِ بعضهم، ثَبت أنّ في ذلك صفة سِوى وَصْف الواصفين.[٥]

﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[١٠١]

وقوله عز وجل: **بديع السماوات والأرض أَنّى يكون له ولد**،[٦] قوله: **بديع السماوات والأرض**،[٧] أي أنشأهما بلا احتذاء ولا امتثالٍ بِغَير.[٨]

* قال[٩] الكِسائي: **بديع**[١٠] **السماوات**[١١] وبَادِع السماوات[١٢] واحد، كما يُقال: عليم [٢٢٣و س١٣] وعالم. وبَدَع وابْتَدَع بمعنى واحد. وقال بعضهم: هو مِثل قوله: فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.[١٣]* ٢٢٣و س١٤]

هذا يَردّ على القَرامِطَة قولهم، لأنهم يقولون: خالِق، ولا يقولون:[١٤] مُبدِع، ويقولون: المُبدِع الثاني هو أوّل مخلوق، خَلَق منه جميع العالم. فلو كان أوّل خَلْقٍ خُلِق مُبدِعًا فهو مُبدِع، والإبداع هو إحداث شيء لم يسبق له أصل ولا مثال، ولهذا[١٥] ما[١٦] يقال لمن أحدث في دينه شيئًا: مُبتدِع، لأنه أحدث فيه شيئًا لم يَسبِق له أصل ولا مثال.

---

[١] ك – لقولهم؛ ن: كقولهم.
[٢] ن: الواصفون.
[٣] ن ع م: لم يكن.
[٤] ك ن ع: الواصف.
[٥] وذلك أنّ وراء الوصف معان راجعة إلى الذات مِن صفات النقص وصفات المدح. انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ٢٦٣و.
[٦] ن + هذا.
[٧] ك – أنى يكون له ولد قوله بديع السماوات والأرض.
[٨] ك + وقوله بديع السماوات والأرض أنى يكون له ولد.
[٩] م: قاله.
[١٠] ع م: أي بديع.
[١١] ك + والأرض.
[١٢] ك + والأرض.
[١٣] سورة الشورى، ١١/٤٢.
* ورد ما بين النجمتين في آخر تفسير الآية التالية، فنقلناها إلى هنا. انظر: ورقة ٢٢٣و/سطر ١٣-١٤.
[١٤] ع م – خالق ولا يقولون، + فهو.
[١٥] ع – ولهذا.
[١٦] ك: واحد اما.

وقوله عز وجل: **بديع السماوات والأرض أنى يكون له ولد**، أي مَن قَدَر على إبداع السماوات والأرض لا عن أصلٍ سَبَق ولا عن مِثالٍ تَقدّم فأنّى تَقع له[1] الحاجة إلى الولد؟ والولد في الشاهد إنما يُتّخذ لإحدى[2] خصال[3] ثلاث؛ إما للانتصار على الأعداء والانتقام منهم، وإما لِوَحشةٍ[4] تأخذهم، وإما لحاجةٍ[5] تَمَسّهم. فالله سبحانه يَتعالى[6] عن ذلك كلّه، فأنّى يَتّخذ ولدًا؟ والثاني **أنّى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة**، أي تعرفون أنّ الولد لا يكون في الشاهد إلا عن صاحبة، وليست له صاحبة، فأنّى يكون له ولد؟ كأنّ الخطاب كان في قوم يَنفُون عنه الصاحبة. وإنما الحاجة إلى الصاحبة للشهوات التي مُكِّنَتْ فيهم، فالشهوة هي[7] التي تَقهَر المرء وتَحمِله على الحاجة.

وقوله عز وجل: **وخَلَق كلّ شيء**، فيه نَقْضُ قول المعتزلة، لأنه[8] أخبر أنه خلق كل شيء، وعلى قولهم لم يخَلق جزءً[9] مِن ألفِ / جزءٍ[10] مِن الأشياء، لأنهم يقولون: إن الله لم يخلق أفعال العباد ولا حركاتهم ولا سَكَناتهم[11] ولا قيامهم ولا قعودهم ولا شيئًا مِن ذلك. ثم لا يجوز أن تُصرَف[12] الآية إلى الخصوص وهو يَخرج مَخرج الامتداح، ولو جاز أن يُصرَف هذا على شيء دون شيء لجاز لغيرهم أن يَصرِفوا قوله: **وهو بكل شيء عليم**، إلى شيء دون شيء. [٢٢٣و]

﴿ذٰلِكُمُ اللّٰهُ رَبُّكُمْ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾[١٠٢]

وكذلك قوله: **خالِق كلّ شيء**، على قول المعتزلة هو خالِق بعض الأشياء، ليس هو بخالق الأشياء كلّها على ما أخبر. فَلإن جاز صَرْفُه إلى بعض الأشياء دون بعض لجَاز أيضًا صَرْفُ قولِه: **وهو على كل شيء وكيل**، إلى بعض دون بعض، حَفِظ بعض الأشياء و لم يَحفظ الكلّ.

---

[1] ن ع م: يقع له.
[2] ك – لإحدى.
[3] ك: لخصال.
[4] ع: وإما الوحشة.
[5] ع: وإما الحاجة.
[6] ع: وتعالى.
[7] ن – هي، صح هـ.
[8] ن + لأنه.
[9] ك ن: جزءا.
[10] ع – من ألف جزء.
[11] ك: ولا سكونهم؛ ن – ولا سكناتهم، صح هـ.
[12] جميع النسخ: أن يصرف.

فإن لم يَجُز هذا لأنه خَرج مَخرَج الامتداح فعلى ذلك لا يجوز صَرْف الأوّل إلى بعض دون بعض لأنه امتداح. وَلِإن جاز أن يُقال بأن العبد هو خالق ذلك جاز أن يُقال: هو خالق الكلّ والقادر عليه، فهذا سَمَج بَيِّن. نسأل الله العِصمة عن السَّرَف في القول والزَّيْغ عن الحق، فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله.

وقوله عز وجل: **ذلكم الله ربكم**، أي ابتدع خَلْق السماوات والأرض وما ذَكر مِن أنواع المِنَن والنِّعَم التي أنعمها عليهم مِن نحو ما جَعل لهم مِن النجوم ليهتدوا بها[١] في الظلمات، وما ذَكر أنه أنشأهم مِن نفس واحدة، وما ذَكر مِن إنزال الماء مِن السماء وإخراج ما أُخرج به مِن النبات والثمار والحبوب والأعناب وغير ذلك مِن عجيب حكمته، ذلك كلّه بالله الذي **لا إله إلا هو**، هو[٢] مُنشِئ ذلك كلّه؛ **فاعبدوه**، أي إليه وَجِّهوا شُكر نِعَمه ولا تُوجِّهوا إلى غيره.*

﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[١٠٣]

وقوله عز وجل: **لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار**، قيل: كَنَّى بالأبصار عن الخَلْق، كأنه قال: لا يدركه الخَلْق وهو يدرك الخلق، وإنما كَنَّى بالأبصار عن الخَلْق لِمَا بالأبصار يُدرَك الأشياء ويُحاط بها، لذلك كان معنى الكناية.[٣] *والله أعلم*. وقيل: هو على حقيقة[٤] الأبصار، لكنه بَصَر[٥] القلب لِمَا به تقع المعارف. فإن كان بَصَرَ الوجه ففيه دليل إثبات الرؤية،[٦] لأنه نفى عنه الإدراك، فلو لم يكن يحتمل الرؤية لم يكن[٧] لنفي الإدراك معنى، لأنه لا يدرك ما لا يرى؛ فدلّ نفي الإدراك على أنّ هنالك رؤية. لكنه[٨] لا يُدرَك ولا يُحاط[٩] به على ما ذُكر: وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا؛[١٠] إذ مِن الأشياء الظاهرة -مِمَا يقع عليها البصر-

---

[١] ن - بها؛ م: لتهتدوا بها.
[٢] ع م - هو.
* وردت هنا عبارة متعلقة بتفسير الآية السابقة، فنقلناها إلى هنالك. انظر: ورقة ٢٢٣و/سطر ١٣-١٤.
[٣] ك: الكتابة.
[٤] ك: حقيقة.
[٥] ك: يصير.
[٦] أي إثبات رؤية الله تعالى.
[٧] ع م - يحتمل الرؤية لم يكن.
[٨] أي لكن الله سبحانه.
[٩] ك: ولا تحاط.
[١٠] سورة طه، ٢٠/١١٠.

[ما] يكون لها سِرّ[1] خفي مِن نحو البصر والسمع واللسان[2] والأنف واليد وغير ذلك من الأشياء مِمَّا لا يُدرَك حقيقة ماهيتها[3] وكيفيتها ولا تقديرُها.[4] يُبصَر بالبصر أشياءُ، [لكن] لا يُعرَف حقيقةُ كيفيةِ البصر ولا ماهيتِه،[5] وكذلك السمع لا يُدرَى[6] أنه كيف هو[7] ولا بم يسمع،[8] وكذلك هذا في كلّ جارحة وحاسّة. تجد اليدُ[9] خُشُونَة الشيء الذي تمسّه[10] ولِينَه، [ولكن] لا يُعرَف[11] بم تجد[12] ذلك وتعرفه،[13] وكذلك الكلام مِن اللسان والشَّمّ[14] مِن الأنف لا يُدرَى ما هو وكيف وبم يجد ذلك الرائحة والنَّتْن. فإذا كان مَعارِف الخَلْق في الأشياء الظاهرة التي يقع عليها البصر لا يُدرَك حقيقة ماهيتها[15] ولا يُعرَف كيفيتها ولا يُحاط بها عِلمًا فالله سبحانه الذي بحكمته وَضَع ذلك وبِلُطفه رَكَّب أَبْعَد عن الإدراك وأَحْرَى[16] أنْ لا يُحاط به ولا يُدرَك. وهذا يردّ على المُجَسِّمة[17] مذهبهم، لأنهم يُصوِّرون[18] ربهم في قلوبهم ويُمَثِّلونه، فعلى ذلك يعبدونه، فهم مُشَبِّهة.[19]

---

[1] جميع النسخ + وفيها. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٦٤و.

[2] ع م – واللسان.

[3] ك ن: مائيتها.

[4] وعبارة الشارح هكذا: «... ولأن في الشاهد ترى أشياء ظاهرة مما يقع عليها البصر من نحو البصر والسمع واللسان والأنف واليد وغير ذلك من الأشياء مما لا يدرك حقيقة معانيها وكيفيتها لما فيها من سر خفي...» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٦٤و).

[5] ك ن: ولا مائيته.

[6] ع + ما هو.

[7] ع: وكيف هو.

[8] ك ن: وبم يسمع.

[9] ع م: اليوم.

[10] ع: يمسه.

[11] ن ع م: لا تعرف.

[12] ك: ثم تجد؛ ع: بما تجد.

[13] ك: ويعرفه.

[14] ن: والشتم.

[15] ك ن: مائيتها.

[16] ك: واجري.

[17] ك: على الخبية؛ ن: على الحبية؛ ع: على الجسية. والمجسّمة اسم يجمع فِرَقًا كثيرة، وهم يزعمون أن لله تعالى صفات الأجسام من الأعضاء والحدود، ويختلفون في التفاصيل. انظر: *مقالات الإسلاميين* للأشعري، ٢٠٧/١؛ *والفصل في الملل والأهواء والنحل* لابن حزم، ١٢٧/٢.

[18] ن: لو يصورون؛ ع: لو يصبرون.

[19] المشبّهة صنفان، صنف شبّهوا ذات الباري بذات غيره، وصنف آخرون شبهوا صفاته بصفات غيره، وكلّ صنف من هذين الصنفين مفترقون على أصناف شتّى وأول ظهور التشبيه صادر عن أصناف من الروافض الغُلاة، وقد وقع في التشبيه أيضًا بعض أصحاب الحديث. انظر: *الفرق بين الفرق* للبغدادي، ٢١٤/١؛ *والملل والنحل* للشهرستاني، ١٠٣/١.

وأصله أن الله تبارك وتعالى يُعرَف بالآيات والدلائل لا بالمحسوسات والمُشاهَدات، وكلّ شيءٍ سبيلُ معرفتِه الآيات[١] والدلائل[٢] فهو غير مُحاطٍ به ولا مُدرَك، فهو على ما وَصَف نَفْسَه: وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا،[٣] **ولا تدركه الأبصار**، لأن الإدراك والإحاطة إنما يقع بالمحسوسات لا بما يُعرَف بالآيات والدلائل. وعلى ذلك جاءت دلائل[٤] الرسل،[٥] نحو ما قال موسى حين سأله فرعون: فَمَنْ رَبُّكُمَا يَامُوسَى قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى،[٦] و قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ، و قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ،[٧] دَلّاه[٨] على ألوهيته ووحدانيته مِن جهة الآيات والدلائل لا مِن غيره. وعلى ذلك دَلّ الله الخَلْق على معرفة وحدانيته وربوبيته بقوله: وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا،[٩] وقال: هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ،[١٠] وقال: وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ،[١١] إلى آخر ما ذكر، دَلّهم على ما يعرفون ألوهيته[١٢] ووحدانيته مِن جهة الآيات والدلائل لا مِن جهة ما تقع به الإحاطة والإدراك. ***وبالله الهداية والرشاد.***

وقوله: **وهو اللطيف الخبير**، قيل: **اللطيف** في أفعاله،[١٣] **الخبير** بِخَلْقِه وبأعمالهم. وقيل: **اللطيف** البارّ[١٤] الرحيم. وقيل: **اللطيف** هو العليم بخَفِيّات الأشياء، **والخبير** بظواهر الأشياء. ثم هو[١٥] اللطيف العظيم، والعظيم في الشاهد غير اللطيف واللطيف غير العظيم،

---

[١] ن: بالآيات.
[٢] ع + وعلى ذلك جاءت دلائل الرسل.
[٣] سورة طه، ٢٠/١١٠.
[٤] ع: جاء الدلائل.
[٥] ك ن + به.
[٦] سورة طه، ٢٠/٤٩-٥٠.
[٧] ﴿ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أنْ آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبُهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٥٨).
[٨] ك: دلالة. أي دَلّ موسى وإبراهيم عليهما السلام مُخاطِبَيْهما...
[٩] سورة الأنعام، ٦/٩٧.
[١٠] سورة يونس، ١٠/٥.
[١١] سورة الأنعام، ٦/٩٩.
[١٢] ع: بألوهيته.
[١٣] ك ن: في فعاله؛ ع: أفعاله.
[١٤] ع: البر.
[١٥] أي الله تعالى.

لأن العظيم في الشاهد هو الذي به كثافة، و**اللطيف** ما يَلطُف في نفسه ويَرِق. وكلُّ واحدٍ[1] منهما مما يُناقِض[2] الآخر، لِيُعلَم أنه لطيف عظيم لا مِن الوجوه التي تُعرَف في الخَلْق. وكذلك [٢٢٣ظ] قوله: هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ / وَالْبَاطِنُ،[3] هو أوَلُ آخِر وظاهِرٌ باطنٌ، وفي الخَلْق مَن كان أوّلاً لم يكن آخِرًا ومَن كان ظاهرًا لم يكن باطنًا، لِيُعلَم أنه أوَل وآخِر وظاهر وباطن[4] لا مِن الوجه[5] الذي يُعرَف[6] ويُفهَم[7] مِن الخَلْق ولكن على[8] ما وَصَف نفسه.

﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ [١٠٤]

وقوله عز وجل: **قد جاءكم بصائر من ربكم**، قيل: بينات من ربكم. وقيل: البصائر الهُدَى، **بصائر** في قلوبهم، وليست ببصائر[9] الرءوس، وهو قول عبد الرحمن بن زيد[10] بن أسلم.[11] وقيل: **بصائر**، أي بيان، وهو واحد. وقيل: **بصائر** شَواهِد، أي **قد جاءكم** مِن الله شواهد تدلّكم على ألوهيته. وهو كقوله تعالى: بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ،[12] أي بل الإنسان مِن نفسه بصيرة، أي شاهدة، تَشهَد كلّ جارحة مِنه[13] على وحدانية الله وألوهيته؛ ألا ترى[14] أنه قال: يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ.[15] هذا –والله أعلم– لأنهم كانوا يُقلِّدون آباءهم في عبادة الأوثان والأصنام، ويقولون:

---

[1] ك: كل واحد.
[2] ع: مما يناقد.
[3] سورة الحديد، ٣/٥٧.
[4] ع: أول آخر وظاهر باطن.
[5] ع: لا من الوجوه.
[6] ك ن – يعرف.
[7] ك ن: يفهم.
[8] ع م – على.
[9] ن: بصائر.
[10] ك – بن زيد.
[11] *تفسير الطبري*، ٣٠٤/٧. عبد الرحمن بن زيد بن أسلم المدني العدوي مولاهم (ت. ١٨٢هـ/٧٩٨م)، روى عن أبيه وابن المنكدر، وروى عنه أصبغ وقتيبة وهشام. ضعفوه في الحديث، وله تفسير. انظر: *الكاشف* للذهبي، ٦٢٨/١؛ و*تقريب التهذيب* لابن حجر، ٣٤٠.
[12] سورة القيامة، ١٤/٧٥.
[13] م: منهم.
[14] ك: ألا يري.
[15] سورة النور، ٢٤/٢٤.

مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى،[١] وهٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ،[٢] فيقول: **قد جاءكم بصائر من ربكم**، مِن الآيات والرسل ما لو اتّبعتموهم لكانوا لكم شفعاء عند الله. والثاني **قد جاءكم بصائر**، ما لو تفكّروا وتدبّروا ونظروا فيها لَعرفوا أنها بصائر من الله، لأن البشر أُنشِئوا بحيث[٣] ينظرون في العجيب مِن الأشياء، فكانوا على أمرَيْن:[٤] منهم مَن نظر وتفكّر وعرف أنها بصائر، لكنه[٥] عاند وكابَر ولم يعمل بها، ومنهم مَن ترك النظر فيها فعمي عنها، ما لو تفكّروا ونظروا لَتبيَّن لهم.[٦]

وقوله عز وجل: **فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها**، أي **أبصر** الحقّ والهدى وعمل به **فلنفسه** عَمِل، **ومَن** أبصر **وعمي** عنها، أي ترك العمل، **فعليها** تَرَك، كقوله: مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا.[٧]

فإن قيل: ذكر في آية أخرى: لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ،[٨] أخبر أنّ مَن هلك هلك عن بينة ومن حي حي[٩] عن بينة،[١٠] وهاهنا يقول: **فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها**، ذكر [أنه] عَمِي عنها، فكيف وجه التوفيق بينهما؟

قيل: يحتمل قوله: **عمي**، بعدما تبيّن له فترك العمل به فعليها[١١] ذلك، لأنه أبصرها وعرف أنها من الله، لكنه عانَدها وكابَرها.

وقوله عز وجل: **وما أنا عليكم بحفيظ**، أي **قد جاءكم بصائر من ربكم**، فليس علينا إلا التبليغ، كقوله: مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ.[١٢]

---

[١] سورة الزمر، ٣/٣٩.
[٢] سورة يونس، ١٨/١٠.
[٣] ع: لخبيث.
[٤] ع: وكانوا على أمر.
[٥] ع: لأنها.
[٦] ع: النبيين لهم.
[٧] سورة فصلت، ٤٦/٤١.
[٨] سورة الأنفال، ٤٢/٨.
[٩] ك: ومن حيي حيي؛ م: ومن حيي حي.
[١٠] ع – أخبر أن من هلك هلك عن بينة ومن حي حي عن بينة.
[١١] ن – ذكر عمي عنها فكيف وجه التوفيق بينهما قيل يحتمل قوله عمي بعد ما تبين له فترك العمل به فعليها.
[١٢] ن – وقوله عز وجل وما أنا عليكم بحفيظ أي قد جاءكم بصائر من ربكم فليس علينا إلا التبليغ كقوله ما على الرسول إلا البلاغ. والآية في سورة المائدة، ٩٩/٥.

﴿وَكَذٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[١٠٥]

وقوله عز وجل: **وكذلك نُصَرِّف الآيات**، أي نُرَدِّدُها[١] في الوجوه[٢] التي تتبيّن لقوم يطلبون البيان؛ أو يقول:[٣] **نُصَرِّف الآيات**، أي نضع كل آية ونصرّفها إلى الوجوه التي تكون[٤] بالخلق إليها حاجة.

وقوله عز وجل: **وليقولوا درست**، فيه لغات: دَرَسْتَ ودَارَسْتَ ودَرَسَتْ، قراءات.[٥] ودارَسْتَ تعلّمتَ.[٦] وقيل: دارستَ أهل الكتاب، جادلتَهم. ودَرَسَتْ بالجزم قيل: تقادمت. فهذا الاختلاف فيه لاختلاف[٧] قولٍ كان مِن الكفرة لرسول الله، منهم من يقول: إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ،[٨] فهو تأويل دارستَ، ومنهم من يقول: إِنْ هٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ،[٩] فهذا تأويل قوله: دَرَسَتْ، ومنهم من يقول:[١٠] مَا هٰذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى،[١١] وهو تأويل دَرَسْتَ، فعلى اختلاف أقاويلهم خرجت القراءة.

ثم اختلف في تأويل قوله تعالى: **وليقولوا درستَ**، قال بعضهم: لئلا يقولوا[١٢] درستَ،[١٣] فهو صلة قوله: قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ،[١٤] لئلا يقولوا[١٥] درستَ. وقال الحسن: قوله: **وليقولوا درستَ**، أي قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ،[١٦] ليقولوا درستَ؛ لأنّ مِن قوله: إنه بُعِث الرسل وأُنزِل الكتب ليكون من الكافر قولُ كفرٍ ومن المؤمن قولُ إيمانٍ.

---

[١] ن ع م: أي نردها.

[٢] ع: في الوجو.

[٣] ع: أو نقول.

[٤] ك: يكون.

[٥] م: قران. قرأ من السبعة ابن كثير وأبو عمرو: دَارَسْتَ، بألف؛ وقرأ نافع وعاصم وحمزة والكسائي: دَرَسْتَ، ساكنة السين بغير ألف، وقرأ ابن عامر: دَرَسَتْ، مفتوحة السين ساكنة التاء. انظر: *كتاب السبعة* لابن مجاهد، ٢٦٤.

[٦] ن ع م: تعملت.

[٧] ك ن ع: الاختلاف.

[٨] سورة النحل، ١٠٣/١٦.

[٩] سورة الأنعام، ٢٥/٦.

[١٠] ع م – إنما يعلمه بشر فهو تأويل دارست ومنهم من يقول إن هذا إلا أساطير الأولين فهذا تأويل قوله درست ومنهم من يقول.

[١١] سورة سبأ، ٤٣/٣٤.

[١٢] م: ولا يقولوا.

[١٣] ن ع – قال بعضهم لئلا يقولوا درست.

[١٤] سورة الأنعام، ١٠٤/٦.

[١٥] ن م: ليقولوا.

[١٦] سورة الأنعام، ١٠٤/٦.

وقوله عز وجل: **وليقولوا درست**، يخرج -والله أعلم- على معنى[١] التعجيب،[٢] يُعجّب[٣] أصحاب[٤] النبي صلى الله عليه وسلم عن قبح[٥] صنيع الكفرة وسوء معاملتهم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وقد جاءهم[٦] بصائر من ربهم وبينات وحُجج، ثم هم بعد هذا كله يستقبلونه بالرد والتكذيب. وهو على ما قلنا: إن الله ذكر نعمه عليهم بما أنشأ لهم من الأنعام والجنات المعروشات والزرع والنخيل[٧] وما أخبر عنه، وقد علموا ذلك كله، ثم جعلوا له بعد معرفتهم هذا[٨] ﴿شُرَكَاءَ الْجِنَّ... وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾،[٩] ولا بينة، فهو على التعجيب أنهم كيف جعلوا له شركاء وقد علموا أن الذي جعل هذا كله لهم هو الله. فعلى ذلك هذه الآية أنهم كيف قذفوه بالدراسة وقد تبيّن لهم صِدقُه[١٠] وأنه من عند الله بالآيات والدلائل،[١١] وبما كان[١٢] لا يَخُطّ[١٣] كتابًا[١٤] ولا شهدوه يختلف إلى من عنده عِلمُ ذلك.

وقوله عز وجل: **ولنبينه لقوم يعلمون**، أي **لنبينه** يعني القرآن. وقيل: البصائر التي ذكر،[١٥] **لقوم** ينتفعون بعلمهم.

﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾[١٠٦]

وقوله عز وجل: **اتبع ما أوحي إليك من ربك**؛ فإن قيل: ما معنى قوله: **من ربك**، وإنما أوحي إليه من ربه، ويكفي قوله: **اتبع ما أوحي إليك**؟ ولكن معناه على الإضمار -والله أعلم-

---

[١] ع م: على.
[٢] ع: التعجيبة.
[٣] ك: (يعجب) مختلط الخط.
[٤] ع: أصحابه.
[٥] ن ع: وعن قبح.
[٦] ع م: وقد جاء.
[٧] انظر تفسير الآية من سورة الأنعام، ١٤١/٦.
[٨] م: وهذا.
[٩] سورة الأنعام، ١٠٠/٦.
[١٠] ع: صدقة.
[١١] ن ع م: في الدلائل.
[١٢] ن: وبما كانوا.
[١٣] م: لا يحفظ.
[١٤] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون﴾ (سورة العنكبوت، ٤٨/٢٩).
[١٥] في سورة الأنعام، ١٠٤/٦.

كأنه قال للذي أوحي إليه على يديه:[1] قل: **اتبع ما أوحي إليك من ربك**، ثم أمر نبيه باتباع ما أوحي إليه من ربه، أي اعمل بما أوحي إليك.

ثم الأمر بالعمل يحتمل وجهين. يحتمل الأمر بالاعتقاد بذلك، ويحتمل نفس العمل، أي اعمل. ويشبه أن يكون الأمر[2] بالاتّباع [يرجع إلى اتباع][3] ما أوحي إليه صدقا في الخبر وعدلا[4] في الحكم،[5] كقوله: وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً،[6] قيل: صدقًا في الأخبار وعدلاً[7] في الأحكام، فعلى ذلك أمكن أن يكون الأمرُ بالاتّباعِ اتّباعَ ما أوحي إليه صدقًا في الأخبار وعدلاً في الأحكام. ثم على ما أمر نبيّه باتّباع ما أُوحي إليه وأُنزل مِن ربّه أَمَرَ أمّته كذلك، وهو قوله: اِتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ [٢٢٤و] / وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَولِيَاءَ،[8] أمرهم باتّباع ما أنزل إليهم من ربهم، ونهاهم عن اتباع ما اتّخذوا[9] من دونه[10] أولياء. فعلى ما نهاهم عن اتّخاذ أولياء دونه قال في الآية التي أمر رسوله باتباع ما أوحي إليه من ربه، فقال: **اتبع ما أوحي إليك من ربك لا إله إلا هو**.

وقوله عز وجل: **لا إله إلا هو**، وقوله: وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ،[11] واحد، لأنه أمر باتباع ما أوحي إليه من ربه، ونهى أن يتبع دونه أولياء، لأنه أخبر أنْ لا إله إلا هو.

وقوله عز وجل: **وأعرض عن المشركين**، يحتمل أمره بالإعراض عن المشركين وجوها. يحتمل أنْ لا تُكافِئهم على أذاهم ولكن اصبر. ويحتمل الأمر بالإعراض عنهم النهي[12] عن قتالهم، كأنه نهى عن قتالهم[13] في وقت. ويحتمل أن تكون[14] الآية في قوم خاصّ، قال: أعرض عنهم فإنهم لا يؤمنون،

---

[1] «وهو جبريل عليه السلام أو من شاء الله» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٦٤ظ).

[2] جميع النسخ: بالأمر.

[3] والتصحيح مع الزيادة من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٦٥و.

[4] ن: عدلا.

[5] «أي صَدِّقْ ما أوحي إليك أنه لك من عند الله تعالى، واعمل بما هو حُكم الله تعالى على العدل» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٦٥و).

[6] سورة الأنعام، ١١٥/٦.

[7] ن – قيل صدقا في الأخبار وعدلا؛ ع + قيل صدقا في الأخبار وعدلا.

[8] سورة الأعراف، ٣/٧.

[9] ك: من اتخذ؛ ن: من اتخذوا.

[10] ع – دونه.

[11] سورة الأعراف، ٣/٧.

[12] ك: والنهي.

[13] ع – كأنه نهي عن قتالهم.

[14] ن ع م: أن يكون.

ولا تُقِم عليهم الآيات والحُجج، لِمَا علم منهم أنهم لا يؤمنون.[١] ثم على ما أمر نبيّه بالإعراض عنهم أمر المؤمنين أيضًا بالإعراض عنهم، وهو قوله: وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ.[٢]

﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾[١٠٧]

وقوله تعالى: **ولو شاء الله ما أشركوا**، قالت المعتزلة: المشيئة ههنا مشيئة قهر وجبر، أي لو شاء الله لأعجزهم ومنعهم عن الشرك[٣] على رفع الابتلاء والامتحان. وأما عندنا المشيئة مشيئة[٤] الاختيار[٥] والطوع على قيام الابتلاء والامتحان. وبعدُ فإن مشيئة الجبر هي خِلقَة، وقد كانوا جميعًا غير مشركين بالخلقة، فلا معنى لتأويلهم الذي تأوّلوا في المشيئة. ثم لا يحتمل أن يكون قوله: **ولو شاء الله ما أشركوا**، مشيئة قهر وقَسْر، لأنه لا يكون في حال الجبر والقهر إيمان ولا كفر، إنما يكون ذلك في حال الاختيار والطوع، لأن الجبر والقهر يمنع مِن أن يكون له فعلٌ حقيقةً، بل يُحَوَّلُ[٦] الفعلُ عنه[٧] ويَسقط، ويَثبت لِلذي جَبَر وقَهَر، فذلك بعيد، فدل أنه ما ذكرنا.[٨] *وبالله الرشاد.*

وفي قوله: **ولو شاء الله ما أشركوا**، دلالة أنّ طريق الإسلام الإفضال والإنعام، ولله[٩] أن يخصّ به مَن كان أهلاً للإفضال والإنعام باللطائف التي عنده، ويَحْرِم بعضًا[١٠] ذلك، وله أن يجعل بعضهم أهلا لذلك إفضالاً منه، ولا يجعل البعض عدلاً منه.

وقوله عز وجل: **وما جعلناك عليهم حفيظا وما أنت عليهم بوكيل**، أي لم يؤخذ عليك حفظ أعمالهم، أو لا تُسأَل أنت عن صنيعهم، إنما عليك التبليغ. وهو كقوله: مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ،[١١] وكقوله[١٢] تعالى: فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ،[١٣] ونحوه.

---

[١] ن: لم يؤمنوا.
[٢] سورة القصص، ٢٨/٥٥.
[٣] ع: عن الإشراك.
[٤] م – مشيئة.
[٥] ع م: اختيار.
[٦] ن ع: بل تحول.
[٧] ع م: منه.
[٨] ع: إنما ذكرنا.
[٩] ن: والله.
[١٠] ع م – بعضا.
[١١] سورة الأنعام، ٦/٥٢.
[١٢] ع م: كقوله.
[١٣] سورة النور، ٢٤/٥٤.

وقيل: الحفيظ والوكيل واحد. وقيل: الوكيل هو الكفيل. وقد ذكرنا في غير موضع فيما تقدم.[١]

﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[١٠٨]

وقوله عز وجل: **ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم**، نهانا الله عز وجل عن سب مَن يستحق السبّ مخافةَ سبّ مَن لا يستحق السبّ.[٢]

فإن قيل: كيف نهانا عن سبّ مَن يستحقّ السبّ مخافةَ سبّ مَن لا يستحقّ وقد أمرنا بقتالهم،[٣] وإذا قاتلناهم قاتلونا، وقتل[٤] المؤمن بغير حق من المناكير، وكذلك أَمَر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتبليغ الرسالة والتلاوة عليهم وإن كانوا يستقبلونه بالتكذيب؟

قيل: إن السبّ لأولئك مُباح غير مفروض، والقتال معهم فرض، وكذلك التبليغ فرض،[٥] يُبلِّغ إليهم وإن كانوا ينكرون ما يُبلِّغهم، وكذلك القتال نقاتلهم[٦] وإن كان في ذلك إهلاك أنفسنا. وأصله أنّ ما خرج الأمر به مَخرَج الإباحة فإنه يُنهَى عمّا يتولّد منه ويَحدُث،[٧] وما كان الأمر به أمر فرضٍ ولزوم لا يُنهَى[٨] عن المتولِّد منه والحادث. ويجوز أن يُستدَلّ بهذا على تأييد مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه في قوله: إنّ مَن قطع[٩] يد آخر بقصاص فمات من ذلك[١٠] أُخِذ بالدية، وإذا قطع اليد بحَدٍّ لَزِمَه فمات لم يؤاخَذ به،[١١] لأنه أُبيح له قَطْعُ يده والقصاص لم يُفرَض[١٢] عليه، وفي الحدّ[١٣] يلزم إقامة الحدّ لله، فإذا كان قيامه بفعلٍ أُبيح له الفعل يُنهَى عمّا تولّد[١٤] منه ويؤخَذ به، وإذا كان قيامه بفعلٍ فُرِض عليه لم يؤاخَذ بما تولّد منه.

---

[١] انظر مثلا تفسير الآية من سورة النساء، ٤/١٠٩.
[٢] ك – السب.
[٣] ن + وقد أمر بقتالهم.
[٤] ع م: وقيل؛ م + سب.
[٥] ع – وكذلك التبليغ فرض.
[٦] ن: تقاتلهم.
[٧] أي ينهى في بعض الأحيان عن المباح المأمور به بسبب ما يتولد منه من الشرور.
[٨] ن م: ولا ينهى.
[٩] ع م: إن قطع.
[١٠] ع م: في ذلك.
[١١] م: لم يؤخذ به.
[١٢] ن: يفرض.
[١٣] م: في الحد.
[١٤] ن ع م: يتولد.

وعلى هذا يخرج قوله في الأمر بالختان إذا تولّد من ذلك الموت، لأنه أمر بإقامة السنة، وكذلك الأمر بالحجامة، لأنه يفرض عليه الحجامة في حالٍ إذا خاف عليه الهلاك إذا لم يحتجم، وأما الأمر بالدّقّ وغيره مما يشاكله أمر إباحة لا أمر إلزام، لذلك ضمن ما تولّد منه.[١] فعلى ذلك السبّ الذي يسبّ آلهتهم إذا حملهم ذلك[٢] على سبّ الله عز وجل وسبّ رسوله، لا يسبّون[٣] وإن كانوا مستحقين لذلك؛ [و]لأنه قد يُنهَى الرجل أن يعوّد نفسه السبّ، فعلى ذلك يجوز أن يُنهَوْا عن سبّ آلهتهم مخَافَة الاعتياد، لذلك نهُوا عن سبّ آلهتهم.

ثم ذُكِر في القصة أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يسبّون آلهتهم، فيسبّون الله عدوًا بغير علم.[٤] وذُكِر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذَكَر آلهتهم بسوء، فقالوا: لَتَنتهِيَنَّ عن ذلك أو لَنَهْجُوَنَّ ربّك.[٥] وعن ابن عباس رضي الله عنه: وذلك حين[٦] قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ،[٧] الآية، فقالوا[٨] عند ذلك ما قالوا، فنزل: **ولا تسبوا الذين يدعون**.[٩] ولكن لا ندري كيف كانت القصة، ولكن فيه ما ذكرنا.

وقوله عز وجل: **عَدْوًا بغير علم**، قال الكسائي وأبو عوسجة: **عدوًا** من / الاعتداء، [٢٢٤ظ] وهو مجاوزة[١٠] الحدّ. وقال أبو عمرو: عُدُوًّا[١١] بالرفع،[١٢] وقال: إنما العَدْو مِن عَدْوِ الرِجْلَيْن، وكذلك قال في يونس: عُدُوًّا.[١٣] وقيل: فلما نزل قوله: **ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله**، الآية،

---

[١] أي إذا أمر صاحبُ الثوب القصارَ أن يدقّ ثوبه فتخرّق الثوب فإن القصّار يضمن عند أبي حنيفة، لأن أمر صاحب الثوب أمر إباحة لا أمر وجوب. هذا ما استدل به الإمام الماتريدي للإمام أبي حنيفة في هذه المسألة. وانظر للتفاصيل: *بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع* للكاساني، ٢١١/٤.

[٢] ن – ذلك.

[٣] ع: ولا يسبون.

[٤] *تفسير الطبري*، ٣١٠/٧؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٣٣٩/٣.

[٥] *تفسير الطبري*، ٣٠٩/٧؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٣٣٨/٣.

[٦] ع – حين.

[٧] سورة الأنبياء، ٩٨/٢١.

[٨] ن: وقالوا.

[٩] *روح المعاني* للآلوسي، ٢٥٢/٧.

[١٠] ك: مجاوز.

[١١] م: عدو.

[١٢] قرأ يعقوب من الأئمة العشرة بذلك. انظر: *النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢٦١/٢.

[١٣] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأَتْبَعَهم فرعون وجنوده بَغْيًا وعَدْوًا﴾ (سورة يونس، ٩٠/١٠). لم ينسب الطبري هذه القراءة إلى أحد، ونسبها القرطبي إلى الحسن البصري، وهي قراءة شاذة. انظر: *تفسير الطبري*، ١٦٢/١١؛ *وتفسير القرطبي*، ٣٧٧/٨.

فقال رسول الله لأصحابه:[1] «لا تسبّوا ربكم»، فأمسَكوا عن سبّ آلهتهم.

وقوله عز وجل: **كذلك زينا لكل أمة عملهم**، قال أبو بكر الكيساني:[2] إنه صلة قوله: **ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوًا بغير علم**، أنهم[3] كانوا يعبدون هذه الأصنام والأوثان رَجاءَ أنْ تُقرِّبهم[4] عبادتهم إياها إلى الله، لا أنهم[5] كانوا يعبدونها ويتخذونها آلهة دون الله، فإذا سبُّوا معبودهم فكأنهم سبُّوا الله عدوًا بغير علم، إذ العبادة في الحقيقة لله، فيرجع سبّهم إياها إلى الله، فذلك[6] كان معنى السبّ، فقال: فعلى ذلك رجع قوله: **كذلك زينا لكل أمة عملهم**، حتى امتنعوا عن سبّ الله، فذلك الذي زيّن عليهم.[7] وقال الحسن: قوله: **زينا لكل أمة عملهم**، أي زيّنّا عليهم أعمالهم فيما أُمِروا به وفُرِض ويجب عليهم أن يفعلوا، لا فيما لا يُفرَض ولا يحل لهم أن يفعلوا. وكذلك يقول جعفر بن حرب[8] وغيره[9] من المعتزلة: إنه زيّن عليهم عملهم الذي فرض عليهم أن يعملوا ويأتوا بها، وأما ما لا ينبغي أن يعمل[10] فلا، كقوله: حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ،[11] الآية، ذكر في الإيمان التزيين وفي الكفر التكريه، ويقولون: إنه أضاف التزيين إلى الشيطان بقوله: زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ،[12]

---

[1] ك – لأصحابه.

[2] م: الكسائي.

[3] أي لأنهم...

[4] جميع النسخ: تقرب.

[5] م: لانهم.

[6] جميع النسخ: لذلك.

[7] قال الشارح: «قال أبو بكر الكيساني لدفع الإلزام عن أنفسهم: إن هذه الآية صلة قوله: ﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله﴾ إلى أن قال: ﴿كذلك زينا لكل أمة عملهم﴾؛ فإنهم كانوا يعبدون الأصنام والأوثان رَجاءَ أنْ تُقرِّب عبادتهم إياها إلى الله تعالى، لا أنهم كانوا يعبدونها ويتخذونها آلهة دون الله حقيقة، إذ العبادة في الحقيقة لله تعالى، فإن سبُّوا معبودهم –ومعبودهم في الحقيقة هو الله تعالى– فكأنهم سبُّوا الله تعالى، فنهاهم عن ذلك لما يكون ذلك نهيًا عن سبّ الله تعالى والامتناع عن ذلك. وذلك [هو] العمل الذي زين لهم؛ فذلك يرجع إلى هذا العمل الخاص الذي تقدم ذكره، لا إلى كل عمل، وهذا جنس يجوز أن يوصف بالتزيين» (*شرح التأويلات*، ورقة ٢٦٥ظ).

[8] أبو الفضل جعفر بن حرب الهمذاني المعتزلي العابد. له *كتاب متشابه القرآن*، و*كتاب الاستقصاء*، و*كتاب الرد على أصحاب الطبائع*، و*كتاب الأصول*. وتوفي سنة ٢٣٦هـ/٨٥٠م. انظر: *سير أعلام النبلاء* للذهبي، ١٠/٥٤٩-٥٥٠.

[9] ن ع م: وغيرهم.

[10] جميع النسخ: أن يقول.

[11] سورة الحجرات، ٤٩/٧.

[12] سورة الأنفال، ٨/٤٨.

وقوله: الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ،[١] فالشيطان يزيّن لهم المعاصي والفسوق، فلا يحتمل أن يكون الله يزيّن لهم ما يزيّن لهم[٢] الشيطان، فدلّ أنه إنما يزيّن لهم ما يؤمَرون به ويُفرَض عليهم، ولكن يُضاف إليه التزيين كما[٣] أُضِيف إليه حَرْفُ الإضلال[٤] والإغواء.

وأما عندنا فالتزيين على وجهين: تزيين[٥] في العقول، وهو تزيين[٦] مِن طريق الآيات والبراهين، فذلك لا يحتمل فعلُ الكفر والضلال أن يكون مُزيَّنًا مِن جهة الآيات والحجج. والثاني تزيين[٧] في الطباع بالشهوات والأماني. وفِعلُ كلّ أحدٍ مُزيَّن بالشهوة والحاجة التي مُكّنت فيه. ولا شكّ أنّ كلّ كافر لو سُئِل عن فعله الكفر والضلال فيقول: هذا الذي زُيِّن لي. وليس إضافة فِعلِ التزيين إلى الله بأكبر وأبعد من إضافة الإضلال والإغواء، وقد ذكرنا معنى إضافة الإضلال والإغواء إليه في غير موضع،[٨] فعلى ذلك التزيين. ويقولون أيضا: إن التزيين تزيين[٩] وعد وثواب. فالكافر متى يؤمن بالوعد في الآخرة والثواب فيها وهو ليس يؤمن بالآخرة؟[١٠] فهذا بعيد. ولا يحتمل ما قال الكيساني[١١] أيضا، لأنه لا كل الكفرة كانوا يعبدون الأصنام لِيُقَرِّبهم ذلك إلى الله زُلْفَى، بل أكثرهم لا يعرفون[١٢] أنّ لهم خالقًا وربًّا. ويحتمل إضافة التزيين إلى الشيطان على جهة التمنّي والتشهّي كقوله: وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ،[١٣] وإضافته إلى الله على القدرة عليها والسلطان أو أن يخلق أعمالهم مُزيَّنة عندهم مُسوَّلة، وإضافة فعل الضلال والغِواية إلى الشيطان على الدعاء إليه والترغيب فيه،[١٤] وإضافته إلى الله على أنْ يخلق فعل الضلال منهم.

---

[١] سورة محمد، ٢٥/٤٧.
[٢] ع م: ما يزين.
[٣] جميع النسخ: ما.
[٤] ع: الإضال.
[٥] ك ن ع: تزين.
[٦] ك ن ع: تزين.
[٧] ك ن ع: تزين.
[٨] انظر مثلا تفسير الآية من سورة البقرة، ٢٦/٢.
[٩] ن ع: تزين.
[١٠] ع م – بالآخرة.
[١١] م: الكسائي.
[١٢] ع م – يعرفون.
[١٣] سورة النساء، ١١٩/٤.
[١٤] ن – فيه.

وقوله عز وجل: **ثم إلى ربهم مرجعهم**، قد ذكرنا.[1] **فينبئهم بما كانوا يعملون**، في جزيل الثواب[2] أو في أليمِ عذابٍ، فهو على الوعيد.

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[١٠٩]

وقوله عز وجل: **وأقسموا بالله جهد أيمانهم**، قالوا: **جهد أيمانهم**[3] بالله.[4] فهذا يخرج على وجوه. أحدها أن الحِنْث في اليمين يخرج مخرج الاستخفاف[5] والتهاون وإن كان المسلم[6] لا يقصد قَصْد الاستخفاف[7] بالله تعالى، وكان[8] في اليمين التعظيمُ وفي الحِنْث استخفاف،[9] وفي اليمين بالله جَهْدُ اليمين. ويحتمل وجهين سوى هذا، وذلك ما قيل: إن الكفرة كانوا لا يحلفون بالله إلا عند العظيم من الأمور والجليل[10] منها، كانوا يحلفون بدونه، فسُمِّي اليمين بالله جَهْد اليمين تعظيما لله[11] وتبجيلا. والثاني يحتمل أنهم كانوا يحلفون بأشياء، ويؤكدون اليمين بالله ويشددونه، كقوله: وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا.[12]

وقوله عز وجل: **لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها**، قيل: إنهم كانوا يُقسِمون جَهْد أيمانهم **لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها**، كانوا يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم آياتٍ لئن جاءتهم يؤمنون بها[13] مِن نحو ما قالوا: لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا،[14] وكقولهم: وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُه،[15] وغير ذلك من الآيات. فقال:

[1] انظر تفسير الآية من سورة آل عمران، ٣/٥٥.
[2] ع: الثوابت.
[3] ك + أيمانهم.
[4] «أي غاية أيمانهم ونهايتها هي اليمين بالله تعالى» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٦٦و).
[5] ك ن ع: الاستحقاق.
[6] ن – المسلم.
[7] ك: الاستحقاق.
[8] ع م – المسلم لا يقصد قصد الاستخفاف بالله تعالى وكان.
[9] ك: استحقاق.
[10] ع م: الخليل.
[11] ع – لله.
[12] سورة النحل، ١٦/٩١.
[13] ك: ليؤمنن بها.
[14] سورة الإسراء، ١٧/٩٢.
[15] سورة الإسراء، ١٧/٩٣.

قل -يا محمد- **إنما الآيات عند الله**، هو الذي يرسلها وينزلها، وأنا لا أملك إرسالها ولا إنزالها،[١] كقوله: قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ،[٢] وغير ذلك من الآيات، إنباءً منه أنه لا يملك إنزال ما كانوا يسألونه من الآيات.

ثم قال: **وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون**، اختلف فيه. قال الحسن وأبو بكر الأصم: إنه خاطب بقوله: **وما يشعركم**، أهل القَسَم الذين **أقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها**، فقال: **وما يشعركم**، أي ما يدريكم أنكم تؤمنون إذا جاءتكم آية، ثم استأنف فقال: إنهّا **إذا جاءت لا يؤمنون**، وهكذا[٣] كان يقرؤه الحسن بالخفض: إنهّا **إذا جاءت لا يؤمنون**،[٤] على الاستئناف والابتداء. وقال غيرهم من أهل التأويل: الخطاب لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك أنهم لما قالوا: **لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها**، ظنوا أنهم لما أقسموا بالله جهد أيمانهم أنهم يؤمنون إذا جاءتهم / آية، يفعلون ذلك ويؤمنون [٢٢٥و] على ما يقولون، فقال لهم:[٥] وما يشعركم أنها إذا جاءت يؤمنون،[٦] على طَرْحِ "لا"، أي ما يدريكم أنها إذا جاءت يؤمنون. ويحتمل فيه وجها آخر على الإضمار، كأنه قال: **وما يشعركم** -فاعلموا- **أنها إذا جاءت لا يؤمنون**، على الوقف في قوله: **وما يشعركم**، ثم ابتدأ فقال: اعلموا **أنها إذا جاءت لا يؤمنون**، وهذا كأنه أقرب. ويحتمل وجها آخر؛ وهو أنّ أهل الإسلام قالوا:[٧] إنهم وإن جاءتهم آية لا يؤمنون، فقال عند ذلك: **وما يشعركم**، خاطب به هؤلاء، **أنها إذا جاءت لا يؤمنون**.*

﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[١١٠]

وقوله عز وجل: **ونقلب أفئدتهم وأبصارهم**، أي نقلب أفئدتهم وأبصارهم[٨] بالحجج والآيات ونُرْدِدها، فلا يؤمنون، **كما لم يؤمنوا به أول مرة**. وقال أهل التأويل: **ونقلب أفئدتهم وأبصارهم**،

---

[١] ع: ولا أنزلها.
[٢] سورة الأنعام، ٦/٥٠.
[٣] ك: وهذا.
[٤] قرأ من السبعة ابن كثير وأبو عمرو بذلك. انظر: *كتاب السبعة* لابن مجاهد، ٢٦٥.
[٥] ك - لهم.
[٦] م: لا يؤمنون.
[٧] م: فقالوا.
* وردت هنا قطعة من تفسير الآية التالية، فنقلناها إلى هنالك. انظر: ورقة ٢٢٥و/سطر ٥-٧.
[٨] ع - أي نقلب أفئدتهم وأبصارهم.

أي نَحُولُ[1] بينهم وبين الإيمان لو جاءتهم تلك الآية[2] فلا يؤمنون،[3] كما حُلْنَا[4] بينهم وبين الإيمان أول مرة.[5] ويحتمل[6] وجها آخر؛ وهو[7] أن يُقلِّب في أفئدتهم[8] وأبصارهم آيات وحدانيته وألوهيته، فلا يؤمنون، **كما لم يؤمنوا به أول مرة**.* والثاني أنهم وإن آمنوا بها إذا جاءت فنقلب أفئدتهم مِن بَعد. وعلى هذا التأويل أنْ نَخلَق تَقَلُّبَ أفئدتهم وأبصارهم، كقوله: فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللّٰهُ قُلُوبَهُمْ،[9] أي خَلَق زَيْغَ قلوبهم، فكذلك الأول.*

[٢٢٥و س٥ - ٢٢٥و س٧]

ثم تخصيص الأفئدة والأبصار دون غيرها[10] من الجوارح لأن القلب والبصر لا يقع إلا[11] على ما يشهد كلّ على وحدانية[12] الله وألوهيته.

وقوله عز وجل: **كما لم يؤمنوا به أول مرة**، قال بعضهم: إنّ هؤلاء وإنْ جاءتهم آية فإنهم لا يؤمنون[13] كما لم يؤمن أوائلهم من الأمم الخالية لَمَّا سألوا الآيات قبلهم، فكذلك هؤلاء لا يؤمنون بها وإن جاءتهم الآية بعد السؤال. وقال غيرهم: قوله: **كما لم يؤمنوا به أول مرة**، أي قد جاءتهم آيات قبل هذا على غير سؤال فلم يؤمنوا بها،[14] فكذلك إن جاءتهم[15] بالسؤال فلا يؤمنون بها. ويحتمل وجها آخر؛ وهو أن مشركي العرب كانوا يُقسِمون بالله أنه[16] إن جاءهم[17] نذير يؤمنون به،

---

[1] ن ع: أي يحول.
[2] م: الآيات.
[3] جميع النسخ: افلا يؤمنون.
[4] ن: كما خلنا.
[5] ع – مرة.
[6] ع: يحتمل.
[7] ك – وهو.
[8] ن: أفئدتهم.
[9] سورة الصف، ٦١/٥.
* ورد ما بين النجمتين في آخر تفسير الآية السابقة، فأوردناها هنا كما هي في شرح *التأويلات*، ورقة ٢٦٦ظ. انظر: ورقة ٢٢٥و/سطر ٥-٧.
[10] جميع النسخ: دون غيرهم.
[11] ع: لا يقع إلى.
[12] ك: كل وحدانية.
[13] ع: ما يؤمنون.
[14] ن – بها.
[15] ن م: وإن جاءتهم.
[16] ك – أنه.
[17] ن: جاءهم.

وهو قوله:[١] وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ،[٢] يَعنُون -والله أعلم- اليهود والنصارى، أي لو جاءهم نذير لَيكونوا أهدى من اليهود والنصارى، فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا،[٣] يخبر أنهم كما لم يؤمنوا بالنذير عند سؤالهم النذير[٤] في الابتداء إذا جاءهم نذير فكذلك أيضا لا يؤمنون عند سؤالهم الآيات وإن جاءتهم آيات، يخبر نبيّه أنهم ليسوا يسألون الآيات سؤال استرشاد، ولكن يسألون سؤال عناد[٥] ومكابرة. وهذا التأويل كأنه أقرب.

وقوله عز وجل: **ونذرهم في طغيانهم يعمهون**، إذ علم[٦] أنهم لا يؤمنون تركهم في ظلمات[٧] ضلالتهم يعمهون ويتحيرون. والعَمَه الحَيْرة في اللغة.

﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾[١١١]

وقوله عز وجل: **ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى**، قيل: هذه الآية صلة قوله: وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ -إلى قوله- وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ.[٨] ثم قال: **ولو أننا نزلنا**، الآية، أخبر أنهم وإن نُزّل إليهم الآيات بعد السؤال منهم للآيات[٩] من إنزال الملائكة وتكليم الموتى أنهم لا يؤمنون، إذ سؤالهم[١٠] الآيات سؤال تعنُّت واستهزاء وعناد لا سؤال استرشاد؛ لأنهم قد جاءتهم آيات لو لم يعاندوا لآمنوا بها.[١١] ثم إذ علم منهم أنهم لا يؤمنون وأنّ ما يسألون من الآيات إنما يسألون[١٢] سؤال تعنُّت وعناد جعل فيهم خصالا على الخِذْلان من نحو[١٣] قساوة القلب،

---

[١] م: وهو كقوله.
[٢] سورة فاطر، ٤٢/٣٥.
[٣] دوام الآية المذكورة.
[٤] ع - عند سؤالهم النذير.
[٥] ع: عند.
[٦] م: إذا علم.
[٧] ك ن - ظلمات.
[٨] سورة الأنعام، ١٠٩/٦.
[٩] جميع النسخ: الآيات.
[١٠] ك: لأن سؤالهم.
[١١] ع م - بها.
[١٢] ك - إنما يسألون.
[١٣] ع م - نحو.

حتى أخبر أنّ قلوبهم أقسى من الحجارة،[1] ومن نحو البغض والجهالة،[2] وغير ذلك من الخصال[3] [التي فيها] ما يدل[4] على ما ذكرنا. وهو كقوله:[5] وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ،[6] يخبر[7] عن تعنُّتهم ومكابرتهم.

وفيه دليل أنّ الآيات لا تضطرّ[8] أهلها على الإيمان، لأنه قال: **ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا**؛ لأنه لو كانت آية تضطرّهم إلى الإيمان لكانت هذه. وهذا يدلّ على أنّ معنى قوله: إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ،[9] أنهم لا يؤمنون بالآية، ولكن إذا شاء أن يؤمنوا لآمنوا. ولو كانت الآيات تضطرّ أهلها إلى الإيمان به لكان لا آية أعظم من القيامة ولا أَبْيَنَ منها، ثم أخبر عنهم أنهم لَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ،[10] وقال: ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ،[11] قد كذبوا عند معاينتهم القيامة والعذاب. فهذا يدلّ على أنّ الآية لا تضطرّ[12] أهلها على الإيمان بها، ويدلّ أنّ تأويل قوله: إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ،[13] أنهم يخضعون[14] إذا شاء أن يخضعوا، لا أنّ الآية[15] تضطرّهم على الخضوع بالدلائل التي ذكرنا.

---

[1] ﴿ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة﴾ سورة البقرة، ٧٤/٢. والآية وإن كانت واردة في اليهود فإنها تشمل كل من كان على شاكلتهم ممن رأى الآيات ثم لم يؤمن حق الإيمان.

[2] ع: والجهاد. ﴿قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون﴾ (سورة الزمر، ٦٤/٣٩).

[3] ك: من الخيال (الياء غير منقوطة).

[4] ك - ما يدل.

[5] م: وهو قوله.

[6] ﴿ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلّوا فيه يعرجون. لقالوا إنما سُكِّرَت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون﴾ (سورة الحجر، ١٤/١٥-١٥).

[7] ع م - يخبر.

[8] ن ع م: لا يضطر.

[9] سورة الشعراء، ٤/٢٦.

[10] سورة الأنعام، ٢٨/٦.

[11] سورة الأنعام، ٢٣/٦.

[12] ع: لا يضطر.

[13] سورة الشعراء، ٤/٢٦.

[14] ع: أي يخضعون.

[15] ن: الا أن الآية.

وقوله عز وجل: **إلا أن يشاء الله**، قال الحسن: هذه المشيئة مشيئة القدرة، أي لو شاء الله أن يعجزهم حتى يؤمنوا، وهو كقوله تعالى: وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ،[1] وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ،[2] ونحوه، فهذه[3] المشيئة مشيئة القدرة.[4] لكنّا نقول: إنه أخبر أنه لو شاء أن يسخهم لمسخهم، فقُلْ أيضًا: إنه لو شاء أن يهديهم لهداهم،[5] ولو شاء أن يهتدوا لاهتدوا. وكذلك يقول المعتزلة: إن المشيئة هاهنا مشيئة القهر والجبر. وقد ذكرنا / أنْ لا يكونُ[6] في حال [٢٢٥ظ] القهر والجبر إيمان،[7] فيصير على قولهم: **إلا أن يشاء الله**، أن يؤمنوا فآمنوا فلا يكون إيمانًا.

وقوله عز وجل: **وحشرنا عليهم كل شيء قُبُلا**، اختلف في تلاوته[8] وتأويله.[9] عن الحسن[10] قال: **قُبُلا** عيانا؛ وعن قتادة كذلك: **قُبُلا** عيانا، حتى يعاينوا ذلك معاينة.[11] **ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله**، وهو على ما ذكرنا: **إلا أن يشاء الله** أن يؤمنوا فيؤمنوا. وعن مجاهد: **قُبُلا**، أي أفواجًا قَبِيلا.[12] وفي حرف أبي عمرو بن العلاء: **وحشرنا عليهم كل شيء قُبُلا**، يقول: جيلا فجيلا. وفي حرف أُبيّ: **قُبُلا**، أي قبيلة قبيلة.[13] وقال القُتَبِي: **قُبُلا**، أي جماعة جماعة، وقَبِيلا، أي أصنافا. ويقال: القَبِيل الكفيل، كقوله: أَوْ تَأْتِيَ بِاللهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا،[14] أي ضُمَناء[15] كُفَلاء.[16] قال الكسائي:[17]

---

[1] ﴿ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأنى يبصرون﴾ (سورة يس، ٦٦/٣٦).
[2] ﴿ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مُضِيًا ولا يرجعون﴾ (سورة يس، ٦٧/٣٦).
[3] ع: هذه.
[4] ك ن: قدرة.
[5] ن – لهداهم.
[6] ع: أن لا يكول.
[7] انظر تفسير الآية من سورة الأنعام، ١٠٤/٦.
[8] ن – تلاوته.
[9] ن: تأويله. قرأ من السبعة نافع وابن عامر: قِبَلا بكسر القاف وفتح الباء، وقرأ الباقون: قُبُلا بضم القاف والباء. انظر: *كتاب السبعة* لابن مجاهد، ٢٦٦.
[10] ك – عن الحسن.
[11] *تفسير الطبري*، ٢/٨؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٣٤١/٣.
[12] م: قبلا. *تفسير الطبري*، ٣/٨؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٣٤١/٣.
[13] م – قبيلة.
[14] سورة الإسراء، ٩٢/١٧.
[15] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٥٨.
[16] ن – كفلاء. أي لو أحضرنا لديهم كل شيء تتأتى منهم الكفالة والشهادة بحقية الإيمان لا فُرادى بل بطريق المعيّة ما آمنوا. انظر: *روح المعاني* للآلوسي، ٢/٨.
[17] ك: الكيساني.

من قرأها **قُبُلا** فقد تكون[1] جمع[2] القَبِيل مثل الجَبِيل والجُبُل، وقد يكون القُبُل أيضًا من معنى الإقبال، كقوله: مِن قُبُل ومِن دُبُر؛ ومن قرأها قِبَلا أراد معاينة. وقال أبو عَوْسجة: **كلَّ شيء قُبُلا**، يقال: أتانا الناس قُبُلا، أي كلهم، وقِبَلا من المقابلة.

وتأويله ما ذكرنا أنْ لو فعلنا[3] هذا كلّه من إنزال الملائكة إليهم وتكليم الموتى إياهم **وحشرنا عليهم كل شيء قبلا** فأخبروهم بالذي يقول محمد أنه حق **ما كانوا ليؤمنوا به إلا أن يشاء الله** لهم الإيمان فيؤمنوا. وفيه ما ذكرنا من الدليل أنّ الآيات لا تضطرّ أهلها إلى الإيمان بها إلا أن يشاء الله أن يؤمنوا، فحينئذ يؤمنون.

وقوله عز وجل: **ولكن أكثرهم يجهلون**، أي لكن أكثرهم لا ينتفعون بعلمهم.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾[١١٢]

وقوله عز وجل: **وكذلك جعلنا لكل نبي عدوًا**، قيل: كما جعلنا لكل نبي مِن قَبْلُ[4] عدوا كذلك نجعل[5] لك عدوا. ويحتمل أن يكون صلة قوله: وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ،[6] **وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا**.[7] ثم قوله: **جعلنا لكل نبي عدوا**، قال الحسن: إنّ مِن حُكم الله أن يبعث رسلا، وأنّ كلّ مَن اتّبع رسله يكون وليًا له، ومَن عصى رسله[8] يكون عدوّا له، هذا حكم الله في الكل. وقال جعفر بن حرب والكعبي[9] وغيرهم من المعتزلة: إن قوله: **جعلنا**، أي خلّينا بينهم وبين ما اختاروا من الكفر والعداوة، يقال: جُعل فلان كذا، إذا كان مسلَّطا على ذلك وهو يقدر أن يمنعه عن ذلك. ويصير التأويل على قول المعتزلة: أي لم نجعل لكل نبي عدوا، ولكن هم جعلوا أنفسهم أعداء لكل نبي. وقلنا نحن: إنّ قوله:

---

[1] م: فقد يكون.
[2] ن: جميع.
[3] ك ن: أنا لو فعلنا.
[4] ك – من قبل.
[5] ع م: يجعل.
[6] سورة الأنعام، ٦/١١٠.
[7] ع م – ويحتمل أن يكون صلة قوله ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا.
[8] ن ع م: رسوله.
[9] أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود البلخي الكعبي الخراساني (ت. ٣٢٧هـ/٩٤١م)، من شيوخ المعتزلة، صاحب التصانيف. انظر: *سير أعلام النبلاء*، ١٥/٢٥٥.

جعلنا لكل نبي عدوا، أي خلقنا لكل نبي عداوة كل عدوّ، والجَعْل من الله هو الخَلْق، كقوله: وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا،[1] وقوله: وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ،[2] وقوله: جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا؛[3] كلّ جَعْل أضيف إلى الله فهو خَلْق، فعلى ذلك قوله: **وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا**، أي خلقنا لكل نبي عداوة كل عدوّ. ولو كان الحكم على ما قال الحسن وما قال أولئك من التخلية لكان يجوز أن يضاف فعل الكفر وفعل الضلال إلى الله، وذلك بعيد. والثاني لم يوفّق لهم فِعل الولاية[4] لِمَا علم منهم أنهم يختارون فِعل العداوة على فِعل الولاية.

وقوله عز وجل: **شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورًا**، اختلف فيه. قال بعضهم: الشياطين كلهم تكون من الجن، ثم إنهم يوحون[5] إلى الإنس، فيكونون هم الذين يدعون الخَلْق إلى معصية الله، فيكون من الجن وحيًا إلى الإنس، ومن الإنس إلى الخلق[6] قولًا ودعاءً. وقال بعضهم: يكون من الجن شياطين ومن الإنس شياطين،[7] يدعو[8] شياطين الجن الجن[9] إلى معصية الله والكفر به، ويدعو[10] شياطين الإنس الإنس إلى ذلك، يدعو[11] كل فريق قومه[12] إلى معصية الله. وهكذا من دعا آخر إلى معصية الله[13] فهو شيطان، وكذلك كُبرَاء الكفرة ورؤساؤهم الذين كانوا يدعون أتْبَاعهم وسَفَلتهم إلى الضلال والكفر[14] بالله، فهم شياطينهم. ألا ترى[15] أنه قال: وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا،[16]

---

[1] سورة الأنبياء، ٣٢/٢١.
[2] سورة الإسراء، ١٢/١٧.
[3] سورة طه، ٥٣/٢٠.
[4] ك: الهداية.
[5] ك: يرجعون.
[6] ك: (الخلق) مختلط الخط.
[7] ع م – ومن الإنس شياطين.
[8] ك ن ع: يدعوا.
[9] ع – الجن.
[10] ك ن: ويدعوا.
[11] ن: يدعوا.
[12] ن – قومه.
[13] ع م – والكفر به ويدعو شياطين الإنس الإنس إلى ذلك يدعو كل فريق قومه إلى معصية الله وهكذا من دعا آخر إلى معصية الله.
[14] جميع النسخ: إلى الكفر والضلال.
[15] ك: ألا يري.
[16] سورة الأنعام، ١٢٣/٦.

وقوله تعالى: إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا،[1] وقوله:[2] قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ،[3] وغيره من الآيات. إن كلّ[4] مَن دعا غيره إلى معصية[5] الله[6] والكفر به فهو شيطان. والشيطان هو البعيد من رحمة الله، شَطَن أي بَعُد. وقيل: إنّ إبليس وكّل شياطين[7] بالإنس يُضلّونهم ويدعونهم إلى معصية الله، ووكّل[8] شياطين[9] بالجن يُضلونهم، وهو التأويل[10] الأول.

وقوله عز وجل: **يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا**، أي يزيّن بعضهم لبعض القولَ غرورًا[11] يَغُرّون به. قال[12] القُتَبي رحمه الله: **زخرف القول غرورا**، ما زُيِّن منه[13] وحُسِّن ومُوِّه. وقال: وأصل الزخرف الذهب،[14] يقال: زخرفتُ[15] الشيء أي حسّنتُه.[16] قال أبو عَوْسجة: الوحي أن يَحيَ[17] بعينه أو بشفتيه، وهي إشارة.

وقوله عز وجل: **ولو شاء ربك ما فعلوه**، قال بعضهم: لو شاء[18] ربك لخلقهم خلقًا لم يُركِّب فيهم[19] الشهوات والحاجات حتى أطاعوه ولم يعصوا، كما خلَق الملائكة لم يُركِّب فيهم الشهوات والحاجات والأماني فلم يعصوه. وقالت المعتزلة: لو شاء ربك لأعجزهم وقَهَرهم

---

[1] سورة البقرة، ٢/١٦٦.
[2] ك - وقوله.
[3] سورة الأعراف، ٧/٣٨.
[4] م: أن لكل.
[5] ع م: غيره معصية.
[6] ن ع م - الله.
[7] ك ن ع: شياطينا.
[8] ع م: وكل.
[9] ك ن ع: شياطينا.
[10] جميع النسخ: تأويل.
[11] ك - أي يزين بعضهم لبعض القول غرورا.
[12] ك: وقال.
[13] ك: ما زين به.
[14] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٥٨.
[15] ع م: زخرف.
[16] م: أي حسنه.
[17] وَحَى يَحِيَ وأوحى يوحي يستعملان بنفس المعنى (*لسان العرب* لابن منظور، «وحى»).
[18] ع م - لو شاء.
[19] ن ع: لم يركب.

حتى لا يقدروا على معصية الله والكفر به فآمنوا واهتدَوْا. وعندنا[١] أنه لو شاء ربك لهداهم فاهتدَوْا،[٢] لكن لما علم منهم[٣] أنهم يختارون الضلال على الهدى شاء أن لا يهديهم. وقد ذكرنا قبح تأويلهم الآية في غير موضع.[٤]

وقوله عز وجل: **فذرهم وما يفترون**، هذا يخرج على الوعيد لهم، كقوله: ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا،[٥] وكقوله: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ[٦] كذا، أي ذرهم وما يختارون[٧] فإنك تراهم في العذاب.

﴿وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾[١١٣]

وقوله عز وجل: **ولِتَصْغَى إليه أفئدة الذين [لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه]**، قيل: ولتميل قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة إلى زخرف القول الذي كان يوحي ويُلقِي شياطينُ الإنس والجن، يوحي بعضهم إلى بعض. **ولِيَرْضَوْه**، لِمَا كان الذي أوحى وألقى بعضهم إلى بعض من زخرف القول الذي يوافق هواهم. وكلّ مَن ظفر بما يوافق هواه فإنه يرضى به، كقوله: إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا،[٨] لأنهم كانوا لا يؤمنون بالآخرة ولا يرجون لقاءه، وكان[٩] هَمَّتهم هذه الدنيا رَضُوا بها[١٠] واطمأنوا فيها. ويحتمل قوله: **ولتصغى إليه**، أي إلى الكتاب، **أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة**، أي ليس مَيْلَ[١١] قبولٍ منهم له، ولكن مَيْلَ[١٢] طلب الطعن فيه، وهكذا كانت هَمَّة[١٣] أولئك الكفرة وعادتهم: طلب الطعن فيه. والأول أشبه. ثم إن كان زخرف القول الذي أوحى بعضهم إلى بعض من كبرائهم وعظمائهم فقد أشرك تعالى هؤلاء أولئك في الكذب الذي كان منهم؛

---

[١] ع م – وعندنا.
[٢] ك: لاهتدوا.
[٣] ن – منهم.
[٤] انظر مثلا تفسير الآية من سورة الأنعام، ١٠٤/٦.
[٥] ﴿ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويُلْهِهم الأمل فسوف يعلمون﴾ (سورة الحجر، ٣/١٥).
[٦] ﴿اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير﴾ (سورة فصلت، ٤٠/٤١).
[٧] م: وما وما يختارون.
[٨] سورة يونس، ٧/١٠.
[٩] ع: وكا.
[١٠] ن ع م: ورضوا بها.
[١١] م: بل.
[١٢] م: بل.
[١٣] ع م – همة.

كان من الكبراء الدعاء إلى ذلك ومن الأتباع الرضاء والإجابة، وكان منهم التزيين والزخرفة[١] ومن الأتباع القبول والرضاء به؛ فقد اشتركوا[٢] جميعًا في ذلك الكذب والقول[٣] الغرور.

وقوله:[٤] **وليقترفوا ما هم مقترفون**، اختلف فيه. قال قائلون: قوله: **وليقترفوا**، يعني هؤلاء الأتباع، **ما هم مقترفون**، أي ليكتسبوا[٥] هؤلاء[٦] الأتباع من الكذب ما كان أولئك يكتسبون من الكذب. وقيل: **وليقترفوا**، أولئك المتبوعون[٧] من الكذب، **ما هم**، يعني هؤلاء الأتباع، **مقترفون**، من القول الغرور والزخرف. ثم اختلف في الاقتراف. قال بعضهم: الاكتساب، اكتساب كل شيء. وقال قائلون: الاقتراف هو مواقعة[٨] الذنب والإثم. ***والله أعلم.***

﴿أَفَغَيْرَ اللهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾[١١٤]

وقوله عز وجل: **أفغير الله أبتغي حكما**، كأنّ أولئك الكفرة دَعَوْا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حَكَم يحكم بينهم في منازعة وقعت بينهم، إما في الرسالة وإما في الكتاب، فقال[٩] رسول الله صلى الله عليه وسلم: **أفغير الله أبتغي حكما**، ثم بيّن فقال: **وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا**، يقول:[١٠] كيف أبتغي حَكَمًا غير الله، **وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا**،[١١] مما تعلمون[١٢] أنه[١٣] من عند الله[١٤] نزل ما عَجَز الخلائقُ عن إتيان مثله.

---

[١] ع: الزخرفة.
[٢] ع م: فقد اشركوا.
[٣] ع م: كالقول.
[٤] ن: قوله.
[٥] ع: أي ليكتسبون.
[٦] ع: هو.
[٧] ك: المتبوعين.
[٨] ن ع م: هو موافقة.
[٩] ك: وقال.
[١٠] ع م – يقول.
[١١] ن + بالحجج.
[١٢] ك ع م: ما تعلمون.
[١٣] الهاء ضمير شأن.
[١٤] ع م – من عند الله.

ثم اختلف في قوله: **مفصَّلا**. قيل: **مفصلا**[1] بالحجج والبراهين، مما يعرف[2] كل عاقل لم يكابر عقله[3] أنه من عند الله نزل. وقيل: **مفصلا** بالأمر والنهي والتحليل والتحريم، فيقول: كيف[4] أبتغي حَكَمًا غير ما أنزل الله وقد أنزل كتابًا[5] مفصّلا مبيّنا فيه ما يحل وما يحرم وما يؤتّى وما يُتّقَى، فلا حاجة تقع إلى غير الله. وقيل: **مفصلا** بالوعد والوعيد وما يكون له عاقبة، لأن العمل الذي يكون للعاقبة يكون فيه[6] وعد ووعيد. وقيل: **مفصلا**: مفرّقا،[7] أي أنزله بالتفاريق لم ينزله مجموعا جملة، ما يقع بمسامع كل أحد عِلمُ ذلك وبيانُه، فأنّى يقع لي[8] الحاجة إلى حكم غيره؟

وقوله عز وجل: **والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه مُنزَّل من ربك بالحق**، اختلف فيه. قيل: الذين **آتيناهم الكتاب**، أي أهل[9] التوراة والإنجيل **يعلمون أنه منزل من ربك بالحق**. وقيل: الذين **آتيناهم الكتاب**، يعني مَن أُعطِي هذا الكتاب، **يعلمون أنه منزل من ربك بالحق**، لِما عجزوا[10] عن إتيان مثله وتأليفه.

وقوله عز وجل: **فلا تكونن من الممترين**، يحتمل:[11] لا تكونن من الممترين[12] أنهم قد غيروا ما في كتابهم من الأحكام ومن نعتك وصفتك. ويحتمل **فلا تكونن من الممترين** أنه من عند الله نزل؛ مع عِلمِه أنّ رسوله لا يكون من الممترين، لِيَعلَم الخَلْقُ[13] أنه إذا نهى رسوله عن مثل هذا فغيره أحق. أو أنْ يخاطب[14] مَن طَلَب حُكم غيره، ويقول:[15] لا تكونن من الممترين أنه من عند الله نزل.[16]

---

[1] ع م – قيل مفصلا.
[2] جميع النسخ: ما يعرف.
[3] ن – عقله.
[4] ن ع م – كيف.
[5] ن: الكتاب.
[6] ع م – ما يحل وما يحرم وما يؤتى وما يتقى فلا حاجة تقع إلى غير الله وقيل مفصلا بالوعد والوعيد وما يكون له عاقبة لأن العمل الذي يكون للعاقبة يكون فيه.
[7] ع: ومفرقا.
[8] ن ع م: يقع إلى.
[9] م: إلى أهل.
[10] ك: بما عجزوا.
[11] ن + أن.
[12] ع م – من الممترين.
[13] ن: أن الخلق.
[14] ن: وأن يخاطب؛ م: أن يخاطب.
[15] ك ع: يقول.
[16] «ويحتمل أنّ هذا خطاب لمن طَلَب من النبي صلى الله عليه وسلم حكما غير الكتاب، يقول: ﴿فلا تكونن من الممترين﴾ أنه من عند الله نزل، ولا تطلبن حكما غيره» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٦٧ظ).

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ[١١٥]

وقوله عز وجل: **وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا**، قيل: **صدقًا** في الأنباء والوعد، **وعدلا** في الأحكام؛ **تمت** أنباؤه بالصدق وأحكامه بالعدل حتى يعرف كل أحد صدق أنبائه وعدل أحكامه. وقيل: **وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا**،[١] بالحجج والبراهين، لِمَا يعرف كل من تأمّل فيها ونظر صدقها وعدلها أنها من الله.

[٢٢٦و س٣٧ *وأهل التأويل يصرفون إلى خاصّ من القول. بعضهم يقولون: إنّ قوله: **وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا**، هو قوله: لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ.[٢] وقال آخرون: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاه أهل الكفر إلى عبادة الأوثان، [فنزلت هذه الآية].[٣]

٢٢٦ظ س١] ولكن هو يرجع -والله أعلم- إلى كل نبأ ووعد ووعيد وكل خبر يخبر.*

[٢٢٦و س٣٣ *ويجوز أن يُستدَلّ بقوله: **وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا**، لقول أصحابنا حيث قالوا: من قال لامرأته: أنت طالق أَتَمَّ الطلاق وأَعْدَلَ الطلاق، فإنه يقع بما وافق السنة، ليس يرجع ذلك[٤]

٢٢٦و س٣٥] إلى العدد، لأنه أخبر أنْ تمت كلمته صدقا وعدلا، والموافق للسنة هو الحق وهو العدل.*

وقوله عز وجل: **لا مبدل لكلماته**، هذا تفسير التمام،[٥] أنها تمت تمامًا لا يَرِد عليها النقص[٦] ولا الجور[٧] ولا الخُلف، ليس ككلمات الخَلْق أنها تُبدّل وتُنقّص[٨] وتُمنَع لما يكون فيها من النقصان والفساد، فإنها تُبدّل وتُنقّص[٩] ويعجزون عن وفاء ما وعدوا ويُمنَعون عن ذلك، فالله تعالى يتعالى عن أن يُبدّل كلماته أو يُمنَع عن وفاء ما وعد وأوعد[١٠] وأنبأ أو يجورَ[١١] في حكمه.

---

[١] ن – قيل صدقا في الأنباء والوعد وعدلا في الأحكام تمت أنباؤه بالصدق وأحكامه بالعدل حتى يعرف كل أحد صدق أنبائه وعدل أحكامه وقيل وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا.

[٢] ﴿وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ (سورة هود، ١١/١١٩).

[٣] مستفاد من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٦٧ظ.

* ورد ما بين النجمتين في آخر تفسير هذه الآية، فقدمناه إلى هنا. انظر: ورقة ٢٢٦و/سطر ٣٧ – ٢٢٦ظ/سطر ١.

[٤] ك ن + إلى التمام.

* ورد ما بين النجمتين في خلال تفسير هذه الآية متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا. انظر: ورقة ٢٢٦و/سطر ٣٣–٣٥.

[٥] ن: الطعام.

[٦] ن ع م: النقض.

[٧] ع: ولا يجوز.

[٨] ع م: وتنقض.

[٩] ن: وتنقض.

[١٠] ن ع م – وأوعد.

[١١] ن: اذ لجور؛ ع م: اذ يجوز.

ويحتمل **لا مبدل لكلماته**، أي لا مُبدِّل[١] لوعده ووعيده، يكون ما وعد وأوعد. ويحتمل **لا مُبدّل** لحُجَجِه وبراهينه.

وقوله: **وهو السميع**،[٢] أي السميع بما ألقى الشياطين[٣] وأوحى بعضهم إلى بعض، **العليم** بأفعال هؤلاء وإجابتهم إياهم.*

﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾[١١٦]

وقوله عز وجل: **وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله**، في الآية[٤] دلالة أنّ أكثر أهل الأرض كانوا ضُلَّالًا وعُبَّادَ[٥] الأوثان والأصنام،[٦] لأنه قال: **أكثر من في الأرض**. وقوله عز وجل: **يضلوك**، لأنهم إلى الضلال[٧] كانوا يدعونه.[٨] ثم الخطاب وإن كان لرسول الله في الظاهر فهو لكل[٩] مؤمن، إذ معلوم أنّ رسوله لا يطيعهم فيما يدعون هم[١٠] إليه.[١١] وفيه أنّ في الأرض كان مَن يعبد الله، وكان على دين الأنبياء[١٢] والرسل.

وقوله: **وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله**، ذُكِر في القصة أنّ أهل الكفر دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عبادة الأوثان، و[كانوا] يقولون: إنهم يعبدون الله[١٣] في الحقيقة، كقولهم: مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى،[١٤] ويقولون: هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ.[١٥]

---

[١] ع: أيذ مبدل.
[٢] ك - وهو السميع.
[٣] ن ع م: الشيطان.
* وردت هنا قطعة من تفسير أول الآية، فقدمناها إلى موضعها. انظر: ورقة ٢٢٦و/سطر ٣٧ - ٢٢٦ظ/سطر ١.
[٤] ع م: والآية.
[٥] ع: وعباده.
[٦] ك: الأصنام والأوثان.
[٧] ن ع: إلى أهل الضلال.
[٨] ن: يدعونهم.
[٩] ع م: كل.
[١٠] ن ع م: فيما يدعونهم.
[١١] ع م - إليه + إلى عبادة الأوثان في الأرض.
[١٢] ن: الاسلام.
[١٣] ك - الله.
[١٤] سورة الزمر، ٣/٣٩.
[١٥] سورة يونس، ١٨/١٠.

كأنهم يعبدون الأوثان ويرتكبون الفواحش ويقولون: وَاللّٰهُ أَمَرَنَا بِهَا؛[1] فأخبر رسوله أنك لو أطعت هؤلاء إلى ما يدعونك من عبادة هذه الأصنام أضلوك عن سبيل الله، لأنهم لا يعبدون هذه الأصنام[2] إلا ظنًّا يظنون، كقوله: **إن يتبعون إلا الظن،** أي ما يتبعون إلا الظن، **وإن هم إلا يخرصون،** ما هم إلا يكذبون[3] على الله في قولهم: إن ذلك يقربهم إلى الله زلفى، وقولهم: وَاللّٰهُ أَمَرَنَا بِهَا.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[١١٧]

وقوله عز وجل: **إن ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين،** يعلم من يَزيغ ويَضِلّ عن سبيله، ويعلم من يهتدي به. وفي قوله: **إن ربك هو أعلم من يضل عن سبيله،** دلالة على أنه[4] على علمٍ منه بالضلال والتكذيب بعث الرسل إليهم وأرسل الكتب لا عن جهل منه، لكن صار بَعْثُ ما بعث من الرسل[5] والكتب إليهم حكمةً على علمٍ منه بما يكون منهم، لأنه إنما يبعث لمكان المرسَل إليهم ولحاجتهم.

﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾[١١٨] وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾[١١٩]

وقوله عز وجل: **فكلوا مما ذكر اسم الله عليه إن كنتم بآياته مؤمنين،**[6] صرف أهل التأويل الآية إلى أهل الكفر [الذين] قالوا:[7] ما بالكم تأكلون ذبائحكم التي ذبحتم ولا تأكلون[8] ما ذبح الله وذكّاه؟[9] صرفوا الخطاب به إلى أهل الشرك.[10] والأشبه أن يُصرَف الخطاب به إلى أهل الإسلام،

---

[1] سورة الأعراف، ٢٨/٧.
[2] ع م – أضلوك عن سبيل الله لأنهم لا يعبدون هذه الأصنام.
[3] ع: إلا يكذبوك؛ م: إلا يكذبونك.
[4] ك: دلالة أنه.
[5] ع: بعث الرسل.
[6] ك + ذكر.
[7] جميع النسخ: وقالوا.
[8] ن ع م: ولا تأكلوا.
[9] أي ما أماته الله وتولى قتله.
[10] روي ذلك عن ابن عباس وغيره. انظر: *تفسير الطبري*، ١٦/٨-١٧.

لأنه ذكر في آخره: **إن كنتم بآياته مؤمنين**، ومثل هذا لا يُذكَر في أهل الشرك، إنما يُذكَر[١] لخطاب[٢] أهل الإسلام، كقوله: وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللّٰهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ،[٣] وقوله: وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ،[٤] ونحوه من الآيات، فعلى ذلك الأشبه أن يُصرَف الخطاب بها إلى أهل الإسلام. كأنّ[٥] قومًا من أهل الإسلام[٦] منعوا أنفسهم عن التناول من هذه الذبائح واللحوم، فنُهُوا عن ذلك؛ نحو[٧] ما روي في بعض القصة أنّ نفرًا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم همّوا أن يَخْصُوا أنفسهم وأن لا يعطوا أنفسهم شهواتهم وأن لا يتناولوا[٨] شيئا[٩] من الطيبات، فنُهُوا عن ذلك، وقيل: فيهم نزل قوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللّٰهُ لَكُمْ.[١٠] فيشبه أن يكون قوله: **فكلوا مما ذكر اسم الله عليه** فيهم. أو لِمَا علم [الله تعالى في الأزل][١١] أنّ قومًا من المتقشّفة والمتزهّدة[١٢] يحرّمون ذلك على أنفسهم، فنُهُوا عن ذلك. فإن كان[١٣] ما قال أهل التأويل[١٤] فهو -والله أعلم- كأنه قال: **فكلوا مما ذكر اسم الله عليه إن كنتم بآياته مؤمنين**، بما تعلمون أن الخَلْق[١٥] والأَمْر له،[١٦] وقد أنشأ لكم من الآيات ما تعلمون ذلك، فكيف تحرّمون ما ذُكِر[١٧] اسم الله عليه؟

---

[١] جميع النسخ: إنما ذكر.
[٢] ك ن ع: الخطاب.
[٣] سورة البقرة، ٢/٢٢٨.
[٤] سورة البقرة، ٢/٢٧٨.
[٥] ن ع: وكان.
[٦] ن + كان قوما من أهل الإسلام.
[٧] ك: من نحو.
[٨] ع م: وأن لا يتناول.
[٩] ع م - شيئا.
[١٠] سورة المائدة، ٥/٨٧. وللرواية انظر: *تفسير الطبري*، ٧/١٠؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٣/١٣٩.
[١١] الزيادة مستفادة من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٦٨و.
[١٢] ن ع: والمترصدة.
[١٣] ن - فإن كان.
[١٤] أي إن كانت الآية خطابا للمشركين.
[١٥] ن: أن الحق؛ ع م: الخلق.
[١٦] وعبارة الشارح: «إن كنتم تعلمون وتصدّقون أن الخلق والأمر له» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٦٨و).
[١٧] جميع النسخ: مما ذكر.

ثم أمر بأكل ما ذُكِر[1] اسم الله عليه، وعاتب مَن ترك[2] الأكل مما ذُكِر اسم الله عليه[3] بقوله: **وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه**، ولم يبيّن بم وبأيّ وجهٍ بالذبح أو بغيره، وكذلك قوله: اَلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ،[4] ولم يبيّن مِن أيّ وجه. لكن الناس اتفقوا على صرف ذلك إلى الذبح، فكان الذبح مُضمَرًا فيه، كأنه قال: فكلوا مما ذُبِح بذكر اسم الله عليه، وما لكم ألاّ تأكلوا مما ذُبِح بذكر اسم الله عليه؟ ثم لا يخلو[5] اتّفاقهم بمعرفة ذلك، إما أنْ عرفوا ذلك بالسماع من رسول الله، أو عرفوا ذلك بنوازل الأحكام،[6] إذ ليس في الآية بيان ذلك. فكيف ما كان ففيه دلالة نَقْضِ قول مَن يقول بأنّ مَن عرف نوازل الأحكام أو كان عنده رواية فترك روايته يَفسُق، لأنه لم يُذكَر هاهنا النوازل ولا السماع، دلّ أنه لا يَفسُق.[7]

أو كان[8] قوله: **فكلوا مما ذكر اسم الله عليه**، ذُكِر لمكان قول الثَّنَوِيّة،[9] لأنهم يحرمون الذبائح ويقولون: ليس من الحكمة إيلام مَن لا ذنب له. أو ذُكِر لمكان قول مَن يقول: إنكم[10] أكلتم ما تذبحون بأيديكم،[11] ولا تأكلون ما تولّى الله قَتْلَه.

ثم قوله: **فكلوا مما ذكر اسم الله عليه**، وقوله: وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ[12] وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ،[13] أباح عز وجل من الأنعام ما ذُكِر اسم الله عليه، وحظَر ما لم يُذكَر اسم الله عليه،

---

[1] ع: مما ذكر.
[2] ك: عن ترك.
[3] م – عليه.
[4] ن – ولم يبين بم وبأي وجه بالذبح أو بغيره وكذلك قوله اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم. والآية في سورة المائدة، ٥/٥.
[5] ك ع: لا يخلوا.
[6] ك ن ع – الأحكام.
[7] قال الشارح: «وكيف ما كان ففيه دلالة نَقْضِ قول مَن يقول بأنّ مَن عرف نوازل الأحكام أو كان عنده رواية فترك روايته أو بيان السبب إذا بين الحكم يَفسُق، لأنه لم يُذكَر هاهنا النوازل ولا الرواية، ولا بد من ذلك، ولا يجوز وصف الصحابة الذين عليهم مدار الدين بالفسق، دلّ أن ذلك مما لا يوجب الفسق، وهذا لأن الحاجة ترتفع ببيان الحكم، فلا حاجة إلى الإسناد والرواية» (*شرح التأويلات*، ورقة ٢٦٨و).
[8] م: اذ كان.
[9] الثنوية زعمت أن النور والظلمة صانعان قديمان، والنور منهما فاعل الخيرات والمنافع، والظلام فاعل الشرور والمضار، وأن الاجسام ممتزجة من النور والظلمة. ومن فرقهم المانوية والمزدكية. أما المجوس فإنهم أيضًا آمنوا بإلهين، لكن قالوا بحدوث الظلام. انظر: *الفرق بين الفرق* للبغدادي، ١/٢٦٩؛ و*الملل والنحل*، ١/٢٤٤.
[10] ن ع: بأنكم.
[11] ن – بأيديكم.
[12] ع – وقوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه.
[13] سورة الأنعام، ٦/١٢١.

ونَهَى عن أكله بقوله: وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ،[١] وبقوله: وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ،[٢] جعل المُهَلّ [به] لغير الله ميتةً حرامًا، وجعل المذكور اسم الله عليه[٣] ذَكِيًّا حلالاً. فدلّ أنّ التسمية شرط[٤] في حلّ الذبيحة، لأنه لو لم يكن[٥] شرطا في حلّ الذبيحة[٦] لم يكن المُهَلّ به لغير اسم الله ميتةً حرامًا، ولأنه سَمّى ما لم يُذكَر اسم الله عليه فِسْقًا،[٧] والفسق هو الخروج عن أمر الله، كقوله: فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ،[٨] أي خرج، فدلّ أنّ التسمية[٩] شرط[١٠] فيها. ولهذا ما يحلّ[١١] لنا ذبائح أهل الكتاب إذا سمعناهم يذكرون اسم الله عليه، وإن كانوا / ما يذكرون[١٢] [٢٢٧و] في الحقيقة غير الله، لأنهم لا يعرفون الله حقيقة، ولكن إذا ذكروا اسم الله عليه يحلّ لنا.

ولا يحلّ ذبائح أهل الشرك، لأنّ أهل الشرك لا يرون الذبائح رأسًا، يذهبون مذهب الزنادقة. والزنادقة لا يرون الذبائح، يقولون لنا: إنكم تقولون: إن ربّكم رحيم حكيم، وليس من الحكمة والرحمة أن يأمر أحدًا بذبح آخر وبقتله،[١٣] فيأكلون الميتة، ولا يرون أكل الذبيحة، ويقولون: ليس هذا أمر مَن كان موصوفًا بالرحمة أو بالحكمة. لكنّا نقول: إن كراهة الذبح والنفور عنه نفور طبع، وكراهته كراهة طبع، لا كراهة العقل؛ فما يكرهه[١٤] الطبع وينفر عنه يجوز أن يباح لِمَا يُعقِب نفعًا في المُتعقِّب، نحو ما يباح الافتصاد[١٥] والحجامة والتداوي[١٦] بأدوية كريهة لنفعٍ يَعقُب ويُتأمَّل وإن كان الطبع يكرهه وينفر عنه. وليس هو مما يُقبِّحه العقل،

---

[١] سورة الأنعام، ١٢١/٦.
[٢] ﴿حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به﴾ (سورة المائدة، ٣/٥).
[٣] م – عليه.
[٤] ع: شرطا.
[٥] ك ن: لم تكن.
[٦] ع – لأنه لو لم يكن شرطا في حل الذبيحة.
[٧] ن – فسقا. انظر: سورة الأنعام، ١٢١/٦.
[٨] سورة الكهف، ٥٠/١٨.
[٩] ع + شرطا فيها.
[١٠] ك: شرطا.
[١١] "ما" إما أن تكون مصدرية أو اسم موصول. وهذا الاستعمال كثير عند المؤلف رحمه الله.
[١٢] ع م: لا يذكرون.
[١٣] ن م: ويقتله.
[١٤] ع: فما يكره.
[١٥] ن: الاقتصاد. والافتصاد من افتصد الرجل أي شَقّ عِرقَه ليخرج منه الدم (*لسان العرب* لابن منظور، «فصد»).
[١٦] ع: والتاوي.

أنّ ما لا يجوز[١] [هو] أن يُباح فِعلٌ ويؤمَر به مما يُقبِّحه العقل ويكرهه،[٢] وأما كراهة الطبع ونفوره فإنه يجوز أن يباح لما ذكرنا، ويرتفع[٣] ذلك بالعادة؛ فعلى ذلك الذبيحة كراهته كراهة الطبع لا كراهة[٤] العقل ونفوره. والثاني أنّ هذه الأشياء كلّها[٥] إنما خُلِق لنا وسُخِر لمنافعنا،[٦] لم تخُلَق[٧] لأنفسها؛ فإذا كان كذلك يحلّ لنا ذبحها والتناول منها بأمر الذي أنشأها لنا[٨] وسَخّر[ها] لنا. وبَعدُ فإنّ مِن مذهبهم[٩] أنّ العالمَ إنما كان[١٠] بامتزاج النور والظلمة، والروح من النوراني والجسم من الظلماني،[١١] ففي الذبح استخراج الروح وردّه إلى أصله، إذ مِن قولهم أنه يرجع كلٌّ إلى أصله في العاقبة على ما كان في الأوّل.

وأما جواب[١٢] ما قاله أهل الشرك: أكلتم ما ذبحتم أنتم، وتركتم ذبيحة الله، وجهان. أحدهما ما قاله أهل التأويل: إنّ الخَلْق له، وله الحكم عليهم، فأحلّ لهم هذا، وحرّم عليهم هذا. والثاني تعبّدنا[١٣] بذكر اسمه عليها، فصار فيما ذُكِر[١٤] اسم الله إقامةُ عبادةٍ تعبّدنا بها، وفيما لم يُذكَر لم يكن عبادة، لذلك[١٥] حلّ لنا ما كان في ذلك إقامة عبادة،[١٦] ولم يحل لنا ما لم يكن فيها إقامة عبادة. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **فكلوا مما ذكر اسم الله عليه**، هو في الظاهر أمر، لكن الأمر الذي يرجع إلى شهوات النفس ولذّاتها فإنه يخرج على وجهين: إما أن يخرج على بيان ما يحلّ أو النهيِ[١٧] عمّا لا يحلّ؛

---

[١] أي لأن الذي لا يجوز...
[٢] ن ع م + العقل.
[٣] ن ع: وترتفع.
[٤] ع م – الطبع لا كراهة.
[٥] م – كلها.
[٦] ع: لنافعها.
[٧] ن + لم يخلق؛ ع م: لم يخلق.
[٨] ك ن ع + فشاء.
[٩] ع م: فإن مذهبهم.
[١٠] ع: لما كان.
[١١] م: من الظلمات.
[١٢] ن ع م: وأما الجواب.
[١٣] ع: يعبدنا.
[١٤] ع م – فيما ذكر.
[١٥] ع م: كذلك.
[١٦] ن – عبادة.
[١٧] ع م: والنهي.

فهاهنا خرج على بيان ما يحلّ وتحريم ما لا يحلّ، كأنه قال: كلوا مما ذُكِر اسم الله عليه، ولا تأكلوا مما لم يُذكر اسم الله عليه.

وقوله عز وجل: **وقد فَصّل لكم ما حرم عليكم**، هو صلة قوله: **وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم**، أي ما لكم أن لا تأكلوا كذا وقد بيّن[١] لكم ما حرّم عليكم من الميتة والدم ولحم الخنزير إلا ما اضطُرِرتم إليه، لأن أهل الشرك والزنادقةَ كانوا لا يرون أكلَ الذبيح، ويأكلون الميتة والدم، فلهم خرج الخطاب: ما لكم ألاّ تأكلوا مما ذُكِر اسم الله عليه وقد بيّن لكم ما حرّم عليكم، وهو الميتة والدم.

إلا ما اضطُرِرْتم إليه،[٢] قال الحسن: له أن يتناول من الميتة حتى يشبع، لأنه أحلّ له التناول. وعلى قولنا لا يحلّ له الشِبَع، لأنه إنما أحلّ عند الاضطرار،[٣] وهو غير مضطرّ[٤] إلى[٥] الشِبَع.[٦] ويقول الحسن: لو ترك التناول منها حتى هلك لا شيء عليه، يقول: لأنه إنما أُحِلّت له رخصةً ورحمةً، وليس على من لم يعمل بالرُّخص إثم. ولكن عندنا أنها أُبِيحت في حال الاضطرار، فإذا ترك التناول منها حتى هلك صار[٧] مُلْقِيًا نفسه في التهلُكة،[٨] وقد حرّم الله علينا أن نهلك أنفسنا أو نُلقيها في التهلكة بقوله: وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ.[٩] ولا فرق بين ترك التناول من الميتة -وقد أحلّ لنا التناول[١٠] منها- حتى مات وبين ترك التناول[١١] من غيره من الأطعمة المحلّلة، أو يأتي بأسباب إتلاف النفس، فهما سواء. ويقول أيضا: له أن يتناول عند الاضطرار من مال غيره بلا بدل، وإذا نهى صاحبُه عن ذلك يضمن بدل ذلك بالغًا[١٢] ما بَلَغ.

---

[١] عذ: وقد يبين.

[٢] ع م – لأن أهل الشرك والزنادقة كانوا لا يرون أكل الذبيح ويأكلون الميتة والدم فلهم خرج الخطاب ما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد بين لكم ما حرم عليكم وهو الميتة والدم إلا ما اضطررتم إليه.

[٣] ع: عند الإضطر.

[٤] ع – وهو غير مضطر.

[٥] م – وهو غير مضطر إلى.

[٦] م: لا الشبع.

[٧] ع: صا.

[٨] ع: في التركة.

[٩] سورة البقرة، ٢/١٩٥.

[١٠] ع: التاول.

[١١] ع م – منها حتى مات وبين ترك التناول.

[١٢] ك: بلغ.

فهذا بعيد، لا يجوز أن يتناول من مال[1] غيره ولا يلزمه البدل وإذا نهاه عن ذلك يلزمه البدل، لأنّ مَن كان له حقّ التناول من مال آخر بغير بدل ثم إذا نهى أو منع يلزمه البدل دلّ أنه ليس له التناول إلا ببدل. وقد ذكرنا هذا.

وقوله عز وجل: **وإن كثيرًا ليضلون بأهوائهم بغير علم،** دلّ هذا على أنّ الكلّ منهم لم يكونوا يُضِلّون، ولكن البعض،[2] هم الأئمة منهم والرؤساء، لأنّ الأتباع منهم كانوا لا يُضِلّون الناس، إنما كانوا يُضِلّون الكُبرَاء منهم والعُظَماء.

إن ربك هو أعلم بالمعتدين، وقد ذكرنا[3] هذا فيما تقدم.[4]

﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾[١٢٠]

وقوله عز وجل: **وذروا ظاهر الإثم وباطنه،** اختلف فيه. قيل: وذروا الإثم بظاهر الجوارح[5] وباطنها؛ ظاهر الجوارح[6] من نحو اليد والرجل واللسان والعين، وباطن الجوارح القلوب والضمائر. وقيل: وذروا[7] الإثم في ملأ من الخلق وفي الخلاء منهم. وقيل: **ظاهر الإثم** ما ذكرنا، وباطنه الزنا. قال أبو بكر الكيساني:[8] الزنا لا يحتمل هاهنا، لأن الآية في ذِكر ما يحلّ من الأطعمة وما لا يحل. ولكن يجوز أن يُبتَدأ النَّهي عن الزنا وإن كان أوّل الآية في ذِكر الأطعمة. ويصير قوله: **وذروا ظاهر الإثم وباطنه،** كأنه قال: وذروا المآثم كلها ما ظهر منها وما بطن.

وقوله عز وجل: **إن الذين يكسبون الإثم سيُجزَوْن بما كانوا يقترفون،** لا يُترَكون وما عملوا، ولكن يُجزَوْن جزاء ما عملوا من الإثم، وهو وعيد. وقوله:[9] **يكسبون الإثم،** يُصِرّون[10] عليه ولا يتوبون ولا يَنْقَلِعون عنه[11] حتى ماتوا على ذلك، **سيُجزَوْن بما** ذكر.

---

[1] جميع النسخ: عن مال.
[2] ع: لبعض.
[3] ن ع: قد ذكرنا.
[4] انظر تفسير الآية من سورة الأنعام، ٦/١١٧.
[5] ع: الخوارج.
[6] ع: الخوارج.
[7] ك: ذروا.
[8] م: الكسائي.
[9] م – وقوله.
[10] ك م: ويصرون؛ ن: يصيرون؛ ع: ويصيرون.
[11] ع – عنه.

﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾[١٢١]

وقوله: **ولا تأكلوا مما لم يُذكَر اسم الله عليه**، قال بعضهم: هو الميتة،[١] وهو قول ابن عباس رضى الله عنه.[٢] وقال بعضهم: هو ما أُهِلّ به لغير الله. / وقلنا نحن: هو ما لم يُذكَر اسم الله عليه، لأن الله قد صرّح بتحريم الميتة بقوله: حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ،[٣] وصرّح[٤] بتحريم ما أُهِلّ لغير الله به بقوله: وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ،[٥] فإذا كان للميتة[٦] وما أُهِلّ لغير الله به[٧] تصريح تحريم[٨] في غير هذا لموضع رجع هذا الخطاب إلى تحريم ما لم يُذكَر اسم الله عليه. وكذلك صرّح بتحريم الميتة وما أُهِلّ لغير الله به بقوله: قُلْ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا،[٩] الآية. فقوله تعالى: قُلْ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا، كان لا يجد في ذلك الوقت ثم وجد ما لم يُذكَر اسم الله عليه مُحَرَّمًا في حادث الوقت، وكذلك وجد كل ذي نابٍ من السباع وذي مِخْلَبٍ[١٠] من الطير مُحَرَّمًا في حادث الوقت،[١١] كان لا يجد في ذلك الوقت[١٢] مُحَرَّمًا إلّا ما ذكر، ثم[١٣] وجد أشياء مُحَرَّمة مِن بعد. وقال بعضٌ[١٤] مِن أهل التأويل: نزل[١٥] قوله: **ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه**، حين قالوا: ما قتلتم وذبحتم أنتم فتأكلونه،[١٦]

[٢٢٧ظ]

---

[١] ك – حتى ماتوا على ذلك سيجزون بما ذكر وقوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه قال بعضهم هو الميتة.
[٢] *تفسير الطبري*، ١٩/٨؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٣٤٨/٣.
[٣] سورة المائدة، ٣/٥.
[٤] ع م: وصرح به.
[٥] سورة المائدة، ٣/٥.
[٦] ك: الميتة.
[٧] ع م – فإذا كان للميتة وما أهل لغير الله به.
[٨] ع م – تحريم.
[٩] سورة الأنعام، ١٤٥/٦.
[١٠] المِخلَب ظفر ما يصيد من الطير (*لسان العرب* لابن منظور، «خلب»).
[١١] ك ن: الأوقات. روي عن عدد من الصحابة أنه نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل ذي ناب من السباع وعن كل ذي مِخْلَبٍ من الطير. *صحيح مسلم*، الصيد ١٢-١٦؛ و*سنن أبي داود*، الأطعمة ٣٣؛ و*سنن الترمذي*، الصيد ٩، ١١.
[١٢] ع م: الأوقات.
[١٣] ع: ما ذكرتم.
[١٤] جميع النسخ: بعضهم.
[١٥] ع: الأول؛ م – نزل.
[١٦] ك: تشاكلونه.

وما قتل ربكم فتُحَرِّمونه، وأنتم تُعَظِّمون ربكم. وهو مِن زُخرف القول الذي يوحي بعضهم إلى بعض، وما ذكر:[١] **وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم.** لكنّا نقول: إن ما ذُبِح وقُتِل هو[٢] ذبيح بالله[٣] وقتيل به أيضًا، فقد أذن لنا بأكل بعض الذبيح وحرّم أكْل بعض، ولله أن يفعل ذلك، له أن يأذن في أكل بعض وتحريم أكل بعض، على ما أذن لنا في أكل بعض ما خلق الله من الأنعام و لم يأذن في أكل بعض، فعلى ذلك قد أذن في أكل بعض ما ذُبِح به وقُتِل و لم يأذن في بعض، وهو كلّه ذبيح بالله وقتيل به، وله ذلك. والثاني أنّ الخَلْق كلّه له ملكه، ولا يقال لأحد في ملكه: لم فعلت ذا و لم تفعل ذا؟ إنما يقال ذلك في غير ملكه، كشريك يقول لشريكه: لم تعطني حقي، و لم تُوَفِّرْ عليّ نصيبي،[٤] فأما أن يقول في ذي ملك في ملكه فلا. والثالث ما ذكرنا أنه تعبّدنا بذكر اسم الله عليه، فكان في ذكر اسم الله عليه[٥] إقامة عبادة، لذلك لم يجز هذا.

وقوله عز وجل: **وإنه لفسق،** أخبر أنّ[٦] ما لم يُذكَر اسم الله عليه فِسْق،[٧] كما[٨] أخبر أنّ التناول[٩] من الميتة وما أُهِلّ لغير الله به فِسْق، والفِسْق[١٠] هو الخروج عن أمر الله، والذي تُرِك[١١] ذكر اسم الله عليه خارج عن أمر الله تعالى، كالميتة التي ذكرنا.

فإن قال قائل: إن قول الله: **ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه،** فكيف يجوز لكم أن تطلقوا أكل الذبيحة إذا ترك ذكر اسم الله عليه[١٢] ناسيًا؟

قيل: إنّ الخطاب[١٣] بهذا لم يرجع إلى الذبيحة التي ترك اسم الله عليها[١٤] ناسيا،[١٥]

---

[١] م: وما ذكروا.
[٢] ع م – هو.
[٣] م: الله.
[٤] ن: و لم توفر نصيبي.
[٥] ع م – فكان في ذكر اسم الله عليه.
[٦] ع م: أنه.
[٧] ن – فسق.
[٨] ع – كما.
[٩] ن ع: أخبر التناول.
[١٠] م – والفسق.
[١١] ع: نزل.
[١٢] م – عليه.
[١٣] ك: الخطاب.
[١٤] جميع النسخ: عليه.
[١٥] ع م – قيل إن الخطاب بهذا لم يرجع إلى الذبيحة التي ترك اسم الله عليها ناسيا.

لأن الذبائح إنما هي من عمل القصّابين الصبيان[1] فهم لم يُعَوِّدوا[2] أنفسهم ذِكر اسم الله حتى يؤاخذوا[3] بها على حفظ ذلك. وهذا أصلنا أنّ مَن لم يُعوِّد نفسه فِعلاً يُعذَر في تركه أو ارتكابه[4] في حال السهو والنسيان، كالأكل[5] في شهر رمضان ناسيًا، لأنه عوّد نفسه الأكل والشرب،[6] والصوم[7] هو الكفّ عما اعتاد، فعُذِر في التناول منه والعود إلى العادة على السهو، لأنه يشتدّ على الناس حِفظُ النفس[8] على خلاف العادة. ولأن الله[9] تعالى قال: **وإنه لفسق**، ولا خلاف في أنّ مَن نسي أنْ يُسَمِّي الله على ذبيحته فليس بفاسق، وإنما يَفسُق مَن تركها عامدًا، فدلّ أنّ الخطاب بالآية رجع إلى الذبيحة التي تُركت التسمية [عليها] عمدًا.

فإن قيل: أليس[10] يجوز أن يكون قوله: **وإنه لفسق**، يريد به أنّ الذي يأكل منها إذا لم يسمِّ الله عليها عامدا أو ساهيا فاسق؟ وإن كان هذا هو التأويل فالآية[11] على الأكل.[12]

قيل: الدليل على أنّ[13] قوله: **وإنه لفسق**، إشارة إلى الذبيح الذي تُرِك[14] ذِكر اسم الله عليه عمدًا دون أن يكون ذلك إشارة[15] إلى أن الأكل من تلك الذبيحة فسق قول الله تعالى: قُلْ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ،[16] فكان الإهلال[17] بالذبيحة لغير الله فسقًا لِمَن فَعَله،

---

[1] جميع النسخ: والصبيان. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٦٩ظ.
[2] ن: لم يعدوا.
[3] جميع النسخ: حتى يؤاخذون.
[4] ك ع م: وارتكابه.
[5] ع: كالأدكل.
[6] م - والشرب.
[7] ك ن ع: فالصوم.
[8] ك: السهو.
[9] ك: لأن الله.
[10] م: ليس.
[11] ن + فالآية.
[12] ك ن ع: على الكل.
[13] ك - أن.
[14] ن: نزل.
[15] ك - إلى الذبيح الذي ترك ذكر اسم الله عليه عمدًا دون أن يكون ذلك إشارة.
[16] سورة الأنعام، ١٤٥/٦.
[17] ن ع: الإهلاك.

فوجب أن يكون تَرْكُ اسم الله على الذبيحة فسقًا ممن تعمّده، وذلك[1] يوجب أن يكون قول الله: **ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه،** خاصًا في المتعمّد لترك التسمية.

فإن قيل:[2] كيف لم تجعلوا[3] تارك التسمية ناسيًا كتاركها عامدًا كما قلتم في التكبيرة الأولى في الصلاة: إنّ عمده وسهوه سواء؟

قيل: مِن قِبَل[4] أنّ الذبيحة إذا تعمّد صاحبها تَرْك التسمية عليها إنما حُرِّمت[5] بنصّ القرآن لأنه فسق، فقلنا: متى زال الفسق عن الذابح زال التحريم عن الذبيحة،[6] لأن التحريم إذا وقع لِعِلّة فزالت العِلّة زال[7] التحريم، ولم نَقُل:[8] إنّ صلاة التارك للتكبيرة الأولى فسدت صلاته لأنه فَسَق بتركه[9] التكبيرة عامدًا فيلزمنا أن نفرّق بين سهوها وعمدها، بل فسدت صلاته لأنه صلّى بغير تكبير، فالتارك للتكبير عامدًا كان[10] أو ساهيا تارك، فهما سواء. ورُوي في الخبر ما يؤيد ما قلنا؛ رُوي عن راشد بن سعد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ذبيحة المسلم حلال سَمَّى أو لم يُسَمِّ ما لم يتعمّد».[11] وعن ابن عباس رضى الله عنه في رجل ذبح ونسي أن يذكر اسم الله، قال: اسم الله في قلب كل مسلم، فليأكل.[12]

وقوله[13] عز وجل: **وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم [وإن أطعتموهم إنكم لمشركون]،** أهل التأويل صرفوا تأويل هذا إلى أنّ زُخرف القول الذي يوحي بعضهم إلى بعض في الآية الأولى[14]

---

[1] م: ذلك.
[2] ع م: فإن كيف.
[3] ن ع م: لم يجعلوا.
[4] ك: من قبيل؛ ن – من قبل.
[5] ن: إنما جرت.
[6] ن – عن الذبيحة.
[7] ن: زالت.
[8] ن: ولم يقل.
[9] ن ع م: بتركها.
[10] ك ع م – كان.
[11] أخرجه عبد بن حميد؛ انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٣/٣٤٩. «وروى أبو داود في *المراسيل* عن الصَّلْت رَفَعَه: "ذبيحة المسلم حلال، ذكر اسم الله أو لم يذكر، لأنه إن ذكر لم يذكر إلا اسم الله"؛ وهو مرسل. ورواه البيهقي من حديث ابن عباس موصولا، وفي إسناده ضعف» (*تلخيص الحبير* لابن حجر، ٤/١٣٧).
[12] *الدر المنثور* للسيوطي، ٣/٣٤٩.
[13] ع – وقوله.
[14] ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عَدُوًّا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زُخرف القول غُرورا﴾ (سورة الأنعام، ٦/١١٢).

هو مجادلتهم / في الذبيحة حيث قالوا: ما قتلتم بأيديكم فتأكلونه، وما قتل الله فلا تأكلونه، يَعْنُون: [٢٢٨و] فتلك مجادلتهم إياهم. ولكن يجادلون في هذا وفي وحدانية[1] الله تعالى وفي إثبات الرسالة والبعث بعد الموت وفي كل شيء، حيث قالوا: أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ،[2] فأخبر أنهم لو أطاعوهم إنهم لمشركون، أي لو **أطعتموهم** فيما يجادلونكم ويوحون إليهم **إنكم لمشركون**.

﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[١٢٢]

وقوله عز وجل: **أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورًا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها**، يشبه أن يكون المَثَل الذي ضرب الله للمؤمن والكافر في الآية أنّ مَن كان في ظلمات البطن لا يبصر ولا يسمع ولا يعقل شيئا،[3] ثم أخرج من ذلك فأبصر وسمع[4] وعقل، كمَن تُرِك في تلك الظلمات ولم يخرج منها، لا يبصر ولا يسمع[5] ولا يعقل. يقول -والله أعلم- لا يستوي مَن أُخرِج مِن ظلمات البطن بعد ما كان لا يبصر ولا يسمع ولا يعقل ولا يفهم ثم أبصر وسمع وعقل، والذي تُرِك[6] في تلك الظلمات على الحال التي كان كما هو لا يبصر ولا يسمع ولا يعقل؛ فعلى ذلك لا يستوي المؤمن[7] الذي يبصر الحق ويسمع ويعقل كلَّ خيرٍ ويَعلَمه ويَعمَله،[8] **وجعلنا له نورا يمشي به في الناس** بنوره، له أصحاب[9] يدعون الناس إلى الهدى والخير، والكافر[10] الذي لا يبصر الخير[11] ولا يسمع ولا يعقل، ليس له أصحاب يدعونه إلى الهدى والخيرات. أي ليس هذا كذلك، [ليس] الذي يبصر ويسمع ويعقل كالذي لا يبصر ولا يسمع ولا يعقل.

---

[1] ك: في هذا وحدانية؛ ن ع م: في هذا في وحدانية.
[2] سورة المؤمنون، ٨٢/٢٣.
[3] ع م - أن يكون المثل الذي ضرب الله للمؤمن والكافر في الآية أن من كان في ظلمات البطن لا يبصر ولا يسمع ولا يعقل شيئا.
[4] ع: ويسمع.
[5] ع م - ولا يسمع.
[6] ن: نزل.
[7] ك: من المؤمن.
[8] ك ع م - ويعمله.
[9] ع م: أصحاب.
[10] أي لا يستوي المؤمن... والكافر.
[11] ك: الحق.

وجائز أن يكون المَثَل الذي ضرب الله[1] أن يكون المؤمن والكافر جميعًا حيَّيْن في الجوهر، لكن المؤمن اكتسب ما به يحيى[2] أبدا مِن العلم والقرآن والإيمان، والكافر لم يكتسب من ذلك شيئًا، فهو كالميت الذي لا يبصر ولا يسمع الحق ولا يعقل. ويحتمل هذا المَثَل وجهًا آخر؛ وهو أنّ المؤمن يكتسب في الدنيا الخيرات والأعمال الصالحة، ويكون له نور في الآخرة بالأعمال التي اكتسب في الدنيا، ويمشي بنور ذلك فيما بين الناس في الآخرة، وأما الكافر فإنه لم يكتسب من ذلك شيئًا، فيبقى[3] في الظلمات، كقوله: قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا.[4]

وقوله عز وجل: **وجعلنا له نورًا يمشي به في الناس**، والمعتزلة يقولون: هم[5] جعلوا لأنفسهم نورا يمشون به[6] في الناس. وقد أخبر أنه هو الذي يجعل لهم ذلك النور، فذلك تحريفٌ منهم ظاهرَ القرآن. وكذلك قوله: وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ،[7] وهم يقولون: هو قدير[8] على بعض الأشياء. وقال: خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ،[9] وهم يقولون: هو[10] خالق بعض الأشياء. وقال: وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا فَعَلُوهُ،[11] وهم يقولون: شاء أنْ لا يفعلوا ما فعلوا، ولكن فعلوا غير ما شاء الله. وكذلك قوله: وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ،[12] وهم يقولون: شاء[13] غير الذي فعلوا.[14] وكذلك [قوله]: جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا،[15] وهم يقولون: هو[16] لم يجعل[17] لكل نبيّ عدوًّا،

---

[1] ك ن – الله.
[2] ن ع: تحيى.
[3] ك: فيقر.
[4] ﴿يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالْتَمِسُوا نورا فضُرِب بينهم بسُورٍ له باب باطِنه فيه الرحمة وظاهِره مِن قِبَلِه العذاب﴾ (سورة الحديد، ١٣/٥٧).
[5] ك – هم.
[6] ن ع م – به.
[7] سورة المائدة، ١٢٠/٥.
[8] ن ع م: هو قدر.
[9] سورة الأنعام، ١٠٢/٦.
[10] ك – هو.
[11] سورة الأنعام، ١٣٧/٦.
[12] سورة الأنعام، ١١٢/٦.
[13] ن – أن لا يفعلوا ما فعلوا ولكن فعلوا غير ما شاء الله وكذلك قوله ولو شاء ربك ما فعلوه وهم يقولون شاء.
[14] ن + وفعلوا.
[15] سورة الأنعام، ١١٢/٦.
[16] ك – هو؛ ع م: هم.
[17] ع: لم نجعل.

وهم جعلوا أنفسهم[١] لهم أعداء. وكذلك قوله:[٢] وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا،[٣] وهم يقولون: جعل الأكابر فيها لئلا يمكروا فيها.

وقوله عز وجل: **كذلك زُيّن للكافرين ما كانوا يعملون**، اختلف فيه. قال بعضهم: كما زيّنا للمؤمنين عبادة الله كذلك زيّنا للكافرين عبادة الله، لكنهم تعاندوا وصرفوا العبادة إلى غير الله، وهو تأويل المعتزلة. وقال قائلون: زُيِّن لهم أعمالهم التي يعملونها. ثم اختلف في الذي[٤] زيّنها. قال الحسن: زيّن[٥] الشيطان أعمالهم لهم.[٦] وقال غيره: زيّنها الأكابر على الأصاغر. وقال[٧] قائلون: زيّنها الله، ولكن ما أضيف إلى الشيطان مِن التزيين والإضلال[٨] إنّما يضاف لِمَا يدعوهم[٩] ويحثّهم على ذلك ويوحي إليهم، وما يضاف إلى الأكابر للقول[١٠] والدعاء إلى ذلك. وما يضاف إلى الله من التزيين والإضلال والإزاغة وغير ذلك يضاف للخَلْق، أي خَلَق منهم فِعلَ الضلال وفِعلَ التزيين[١١] وفِعلَ الزيغ، يضاف [ذلك] إلى الله خَلْقًا، وإلى الشيطان والأكابر[١٢] دعاءً ووحيًا وإلقاءً، على هذا يخرج جميع[١٣] الإضافات. *والله أعلم*.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾[١٢٣]

وقوله عز وجل: **وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها**، أي جعل **في كل قرية** مِن أهل الكفر **أكابر مجرميها** وعظماءها، كما جعل في قريتك **أكابر مجرميها**، يُصبِّر رسولَه صلى الله عليه وسلم على ذلك، ليعلم أنه ليس بمخصوص هو بهذا دون غيره[١٤] من الأنبياء.

---

[١] ع: لأنفسهم.
[٢] ع – قوله.
[٣] سورة الأنعام، ١٢٣/٦.
[٤] ع: في الدنيا.
[٥] جميع النسخ: زينها.
[٦] ع م – لهم.
[٧] ن ع م: قال.
[٨] ع: والإضال.
[٩] ع م: إلى ما يدعوهم.
[١٠] ن: القول.
[١١] ك: التزين.
[١٢] م: ووالأكابر.
[١٣] ن: جمع.
[١٤] ن ع م: دون غيرهم.

ثم اختلف في قوله: **جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها**، وقد ذكرنا أقاويلهم في قوله: وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا.[1]

ثم قوله: **جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها**، قالت المعتزلة: لم يجعل الأكابر فيها ليمكروا فيها، ولكن لَمَّا وسّع الدنيا وبسطها عليهم مكروا فيها. وكذلك قالوا في قوله: وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ،[2] لا يجوز أن يخلقهم لجهنم،[3] ولكن لَمَّا عملوا أعمال الكفر والضلال صاروا لجهنم،[4] لا أنه خلقهم[5] لجهنم.[6] وقالوا: هو على الإضمار، كأنه قال: **وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها** لئلا يمكروا فيها، لكنهم مكروا فيها لما ذكرنا.[7] لكن قوله: **جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها**، ليكون[8] أَدْعَى وأَظْهَر للحُجَج، لأنه لو كان بعث الرسل أكابر لكان الناس يتبعون الأكابر وإن لم يأتوا بالحُجج، وغيرهم لا يُتَّبَعون إلا بالحُجج والآيات. ومنهم مَن يقطع قوله: **ليمكروا فيها**، عن قوله: **جعلنا في كل قرية أكابر**، يقول: معناه **وكذلك جعلنا في كل قرية** / مجرميها أكابر، ثم قال: **ليمكروا فيها**، أي ما جعل ذلك لهم ليمكروا. ومنهم من يقول: هو إخبارٌ عمّا إليه[9] صار أمرهم، كقوله: فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا،[10] وهم لم يلتقطوه ليكون لهم عدوًّا وحَزَنًا، إنما التقطوه ليكون لهم وليًّا، لكنه لَمَّا صار في العاقبة عدوًّا لهم أخبر عمّا آل إليه أمره، فعلى ذلك قوله: **ليمكروا فيها**، أخبر عمّا إليه صاروا مِن المكر. [٢٢٨ظ]

وعندنا لا يخلو[11] هذا إمّا أن يُقال: إنه يخلقهم لغير المكر والضلال وهو يعلم أنهم[12] لا يكونون لِمَا يخلقهم، فذلك ليس فِعل حكيم أنْ يعمل عملاً يعلم أنه لا يكون،

---

[1] سورة الأنعام، ٦/١١٢.

[2] سورة الأعراف، ٧/١٧٩.

[3] ع م – لجهنم.

[4] ك – ولكن لما عملوا أعمال الكفر والضلال صاروا لجهنم.

[5] ن: لأنه خلقهم.

[6] ع م – لا أنه خلقهم لجهنم.

[7] أي لِمَا وسّع الدنيا وبسطها عليهم.

[8] ع: وليكون.

[9] ع م: إخبار إليه.

[10] سورة القصص، ٢٨/٨.

[11] ك: لا يخلوا.

[12] ع م: يعلم أن.

نحو مَن يبني بناءً يعلم أنه لا يُسكَن، أو يقصد قَصْد موضعٍ يعلم أنه لا يَصِل إليه، فهو بالقصد عابث ليس بحكيم؛ فعلى ذلك الله سبحانه لا يجوز أن يخلقهم للهدى والعبادة له مع علمه أنهم لا يكونون لِمَا يخلقهم؛ أو أن يخلقهم[١] لذلك وهو لا يعلم أنهم يكونون كذلك، فهو جهل بالعواقب، فالله يتعالى عن ذلك. فدلّ أنه خلقهم ليكونوا على ما علم أنهم يكونون ويختارون ذلك. وقوله: لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا،[٢] كان عند الله أنهم يلتقطون ليكون لهم عدوًّا.

وقوله عز وجل: **وما يمكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون**، أي ما يشعرون[٣] أنّ عاقبة مَكْرِهم ترجع إليهم[٤] وواقع بهم.[٥] وأصله أنّ الله تعالى جعلهم وخلقهم على ما علم منهم أنهم يختارون ويكون منهم ذلك.

﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللهِ اَللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾[١٢٤]

وقوله: **وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله**، يخبر عز وجل غاية سَفَهِهم وتَعنُّتِهم وأنهم عن علمٍ يعاندون ويتكبّرون على رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنهم علموا أنّ ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية، وأنه رسول، حيث قالوا: **لن نؤمن حتى نؤتَى مثل ما أُوتي رسلُ الله**، وعلموا أنّ الرسالة لا تُجعَل إلا في المُعظَّم عند الله والمُفضَّل لديه، حيث تمنَّوْا أنهم لا يؤمنون حتى يُؤتَوْا[٦] من الآيات مثل ما أوتي رسل الله، ولو لم يكن كذلك لم يكونوا[٧] يتمنَّوْن إيتاء ما أوتوا[٨] الرسل. وعلموا أنّ هذا القرآن الذي أُنزِل[٩] على محمد صلى الله عليه وسلم آية وحجة، وأنه من عند الله نزل، حيث قالوا [أيضا]: لَوْلَا نُزِّلَ هٰذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ.[١٠] وعلموا أيضًا أنّ الرسالة لا تُجعَل إلا في عُظَماء من البشر وكُبَرائهم،

---

[١] ك: وأن يخلقهم.
[٢] سورة القصص، ٨/٢٨.
[٣] م – أي ما يشعرون.
[٤] ن: يرجع يرجع بهم.
[٥] ك ن: أو واقع بهم.
[٦] جميع النسخ: حتى يؤتون.
[٧] ع م + كذلك.
[٨] ن ع م: ما أتوا.
[٩] ن: نزل.
[١٠] سورة الزخرف، ٣١/٤٣.

حيث قالوا: لَوْلَا نُزِّلَ هٰذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ، لكنهم ظنّوا أنها إنما تُجعَل في العُظَماء الذين هم عند الخَلْق عُظَماء، فقال الله تعالى: **الله أعلم حيث يجعل رسالته،** فتناقضت أقاويلهم وحِجاجهم بما ذكرنا من إقرارهم بالرسل والآيات وتفضيلهم على غيرهم من البشر.

ثم قال: **الله أعلم حيث يجعل رسالته.** جُمْلَةُ جوابِ ما قالوا: لَوْلَا نُزِّلَ هٰذَا الْقُرْآنُ عَلَى كذا، أنْ يقال: إنكم عرفتم أن الله عالم قادر، فهو **أعلم حيث يجعل رسالته.** ثم اختلف في قوله: **الله أعلم حيث يجعل رسالته.** قال بعضهم: جَعْلُ الرسالة في أوساط الناس أَظْهَرُ للحُجَج وأَبْيَن مِن جَعْلِها في أكابر الناس وعُظَمائهم في الدنياوية، لأن الناس مجبولون على اتّباع الأكابر والأعاظم، فلو جُعِلت الرسالة فيهم لكانت الحُجَج لا تظهر، لأنهم جُبِلوا[1] على اتّباعهم. وأما أوساط الناس في الدنياوية إذا جُعِلت فيهم الرسالة لظهرت الحُجَج والبراهين، لأنهم لم يُجبَلوا على اتّباع الأوساط من الناس، فكان اتّباعهم للحُجَج والبراهين.[2] وقال بعضهم: قوله: **الله أعلم حيث يجعل رسالته،** أي لا يجعل الرسالة فيمن يُضيِّعها[3] وليس هو بأهل لها ولا موضعها، لأنه لو جعل لكان في ذلك تضييع الرسالة.

وقوله عز وجل: **سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله [وعذاب شديد بما كانوا يمكرون]،** أخبر أنّ مَن تكبّر على رسول الله وعانده[4] يكون له عند الله **صَغَار** ومَذَلّة **وعذاب شديد** بصنيعهم الذي صنعوا.

﴿فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذٰلِكَ يَجْعَلُ اللهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[١٢٥]

وقوله عز وجل: **فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام،** قيل:[5] سُئِل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية، فقال: «نور يُقذَف فيه»، فقالوا:[6] وهل لذلك من علامة؟[7]

---

[1] ع: جعلوا.
[2] ن – لأنهم لم يجبلوا على اتباع الأوساط من الناس فكان اتباعهم للحجج والبراهين.
[3] ك: فيمن تضيع؛ ن ع م: فيمن يضيع.
[4] ع: وعائده.
[5] م: وقيل.
[6] ك: قالوا.
[7] م: لذلك علامة.

قال: «نعم، إذا دخل النور في القلب انشرح وانفسح»،[١] قالوا: يا رسول الله، وهل لذلك[٢] من علامة يُعرَف بها؟ قال: «نعم، الإنابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل نزول الموت».[٣] فلو ثبت هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان هذا انشراح الصدر للإسلام فقليلاً ما يوجد على هذا الوصف، إلا أن يريد به الاعتقاد والتيقّن بما ذكر.

ثم اختلف في تأويل[٤] قوله: **فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجًا**. قال بعض[٥] أهل التأويل: الإرادة صفة كل فاعل يفعل على الاختيار، كأنه قال: **فمن** يهدي الله[٦] **يشرح صدره للإسلام ومن**[٧] يُضِلّه **يجعل صدره ضيقا حرجا**. وقال فريق من المعتزلة من نحو جعفر بن حرب والكعبي وهؤلاء: تأويله **فمن يرد الله أن يهديه** أي مَن قَبِل هداية الله في الابتداء شرح الله صدره بعد ذلك بخيرات ثوابًا لِمَا قَبِل من الهداية، ومَن ترك قبول هداية الله في الابتداء عاقبه الله بضِيق صدره عقوبةً له في ترك قبول الهداية والإقرار، إذ لله[٨] أن يهدي الخلق كلهم وأن يشرح صدرهم للإسلام، لكنهم لم يهتدوا. وقال فريق منهم: **فمن يرد الله أن يهديه** طريق الجنة في الآخرة شرح صدره في الدنيا للإسلام، / **ومن يرد** الله **أن يضله** [عن] طريق الجنة في الآخرة جعل صدره في الدنيا **ضيقا حرجا**. فيقال لهم: كذلك هو كما تقولون،[٩] قد قلتم: إنه أراد أن يضلهم، ثم يقال لهم: تقولون: إنه أراد أن يهدي الخلق كلهم ويشرح صدرهم للإسلام، ثم إنكم[١٠] تقولون: إنه أراد[١١] أن يُضِلّ طريق الجنة في الآخرة، فهذا على زعمكم جَوْر،[١٢] [٢٢٩و]

---

[١] ع: وانفسخ.
[٢] ن: من ذلك.
[٣] *تفسير الطبري*، ٨/٢٦-٢٧؛ *الدر المنثور* للسيوطي، ٣/٣٥٤. وضعف الدارقطني وابن الجوزي إسناده. انظر: *العلل* للدارقطني، ٥/١٨٩؛ و*العلل المتناهية في الأحاديث الواهية* لابن الجوزي، ٢/٨٠٣.
[٤] ع: في تأويله.
[٥] ن – بعض.
[٦] ع: فمن يرد الله أن يهديه.
[٧] ع م + يرد أن.
[٨] ك: إذ الله.
[٩] ع م: كما يقولون.
[١٠] ك ع م – إنكم.
[١١] ع م – أراد.
[١٢] ع: جوز.

لأنه أراد في الدنيا أن يهديهم ويريد في الآخرة[1] -أيضًا لهم- أن يُضِلّهم عن طريق الجنة، لأولئك بعينهم، فذا جَوْر على قولكم. وظاهر الآية يردّ قولهم وينقض مذهبهم، لأنه قال: **فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره** كذا، جعلهم على صنفين، صنفًا أراد منهم أن يهديهم، وصنفًا أراد أن يُضِلّهم، مَن علم منه أنه يختار الهدى ويقبله أراد أن يهديه ويشرح صدره للإسلام، ومن علم منه أنه يختار الضلال أراد أن يضله ويجعل صدره ضيقا حرجا. ولا يجوز أن يريد هو -ممن يعلم منه أنه يختار الضلال وعداوته- الولاية منه، لأن ذلك مِن الضَّعْف،[2] مَن أراد عداوته وهو يريد ولايته أو يريد[3] مِنه غيرَ الذي عَلم كونَه مِنه واختاره.[4] والمعتزلة يقولون: قد أراد أن يهدي الكل، لكنهم أرادوا أن لا يهتدوا فلم يهتدوا، غلبت إرادتهم إرادة الله تعالى، فذلك وَحْش[5] من القول سَمِج،[6] فنعوذ بالله من السَّرَف في القول والزيغ عن الحق. *ولا قوة إلا بالله*.

[٢٢٩و س٢٨ وقوله عز وجل: **ضَيِّقًا حَرَجًا**، قيل الحَرَج ضَيِّق الضَّيِّق، وهو شدّة الضِيق.* والضَّيِّق قال الكسائي:[7] الضَّيِّق مِن الضِيق في المعاش، فأما في الأمر فإنه الضَّيْق،[8] ومنه قوله: وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ.[9] وأما قوله: **حَرَجًا**، فيه لغتان، حَرَج وحَرِج.[10] قال القُتَبي: الحَرِج الذي ضاق فلم يجد مَنْفَذًا.[11] وقال أبو عوسجة: الحَرَج الضِيق، يقال منه: حرِج يحرَج[12] حرَجًا فهو حَرِج.* ٢٢٩و س٣٠]

---

[1] م: في الآخر.

[2] ك م: من الضعيف.

[3] ع - ولايته أو يريد.

[4] ك ن: واحتياره.

[5] مكان وَحْش أي خالٍ، والوَحْش كلّ شيء من دوابّ البرّ مما لا يستأنس (*لسان العرب* لابن منظور، «وحش»). فالمقصود أنه قول غريب بعيد عن الصواب.

[6] سَمُج الشيء قَبُح، فهو سَمِيج وسَمِج وسَمْج (*لسان العرب* لابن منظور، «سمج»).

[7] ع: الكيساني.

[8] اختلف الأئمة السبعة في تشديد الياء وتخفيفها من قوله: ضيقا، فقرأ ابن كثير وحده: ضَيْقًا، خفيفًا، وقرأ الباقون: ضَيِّقًا، مشدّدًا. انظر: *كتاب السبعة* لابن مجاهد، ٢٦٨.

[9] سورة النحل، ١٦/١٢٧.

[10] اختلف الأئمة السبعة في فتح الراء وكسرها من قوله: حرجا، فقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص: حَرَجًا، مفتوحة الراء، وقرأ نافع وعاصم في رواية أبي بكر: حَرِجًا. انظر: *كتاب السبعة* لابن مجاهد، ٢٦٨.

[11] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٦٠.

[12] ع: يخرج.

* وقع ما بين النجمتين في آخر تفسير الآية ١٢٧، فقدمناها إلى هنا. انظر: ورقة ٢٢٩و/سطر ٢٨-٣٠.

وصف قلب المؤمن بالسَّعة والفُسْحَة،[١] ووصف قلب[٢] الكافر بالضيق والحرج. وليس قلب هذا في رأي العين أوسع من قلب الآخر، لكنه -والله أعلم- وصف قلب المؤمن بالسَّعة لِمَا انتفع بقلبه في الدنيا والآخرة، والكافر لم ينتفع بقلبه، فوصفه بالضيق والحرج.[٣] وهو كما وصف الكافر بالصَّمَم والبَكَم[٤] والخَرَس لِمَا لم ينتفع[٥] بهذه الحواس؛ وكذلك سمّاه ميتًا لِمَا لم ينتفع بحياته، وسمّى المؤمن حيًّا لِمَا انتفع بحياته؛ فعلى ذلك هذا، وصف الكافر بضيق الصدر لما لم ينتفع به.

وقوله عز وجل: **كأنما يَصَّعَّد في السماء**، قيل: كالمتكلف للصعود إلى السماء لا يقدر عليه. وقيل: **كأنما يصعد في السماء**، كأنما يَشُقّ عليه الصعود. ورُوي عن عمر رضى الله عنه أنه قال: ما تَصَعَّدَنِي[٦] شيءٌ ما تَصَعَّدَتْنِي[٧] الخِطبة، أي ما شَقّ عليّ شيء ما شَقّ عليّ الخِطبة.[٨] *يَصَّعَّد ويَصَّاعَد ويَصْعَد كلّه لغات،[٩] والمعنى واحد.* [٢٢٩و س٢٧]

وقوله: **كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون**، اختلف في **الرجس**. قيل: **الرجس** الإثم، أي كما جعل قلوبهم ضيّقة حَرِجة بكفرهم كذلك يجعل في قلوبهم الإثم. وقيل: **الرجس** اللعن والغضب، أي جعل في قلوبهم اللعن والغضب، دليله قوله: قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ.[١١]

---

[١] ع: والفسخ؛ م: والفسح.
[٢] ع م - قلب.
[٣] ن - وليس قلب هذا في رأي العين أوسع من قلب الآخر لكنه والله أعلم وصف قلب المؤمن بالسعة لما انتفع بقلبه في الدنيا والآخرة والكافر لم ينتفع بقلبه فوصفه بالضيق والحرج.
[٤] اختلف في معنى البَكَم، فقيل: البَكَم: الخَرَس مع عِيّ وبَلَه، وقيل: هو الخَرَس ما كان. وقال ثعلب: البَكَم أن يولد الإنسان لا ينطق ولا يسمع ولا يبصر. بَكِم بَكَما و بَكَامة، وهو أبْكَم و بَكِيم: أي أخرس بَيِّن الخَرَس. وقوله تعالى: ﴿صُمّ بُكْم عُمْي﴾ (سورة البقرة، ٢/١٨)، قال أبو إسحاق: قيل: معناه أنهم بمنزلة مَن وُلِد أخرس، وقيل: البُكْم هنا المَسْلوبو الأفئدةِ. قال الأزهري: بَيْن الأخرس و الأبكم فَرْق في كلام العرب، فالأخرس الذي خُلِق ولا نُطْق له كالبهيمة العَجْماء، و الأبكم الذي لِلسانه نُطْق وهو لا يعقل الجواب ولا يحسن وجه الكلام (*لسان العرب* لابن منظور، «بكم»).
[٥] ع: ينتفع.
[٦] ن ع: ما تصعد في.
[٧] ن ع م: ما تصعد في.
[٨] ذكر الطبري بغير إسناد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: ما تَصَعَّدَنِي شيءٌ ما تَصَعَّدَتْنِي خِطبة النكاح؛ انظر: *تفسير الطبري*، ٨/٣١. وهكذا ذكره وفسّره في *لسان العرب* لابن منظور، «صعد».
[٩] قرأ من السبعة ابن كثير: يَصْعَد، خفيفة ساكنة الصاد بغير ألف؛ وقرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي: يَصَّعَّد، مُشَدَّدة العين بغير ألف؛ وقرأ عاصم في رواية أبي بكر: يَصَّاعَد، بألف مُشَدَّدة الصاد. انظر: *كتاب السبعة* لابن مجاهد، ٢٦٨-٢٦٩.
* وقع ما بين النجمتين في آخر تفسير الآية ١٢٧، فقدمناها هنا. انظر: ورقة ٢٢٩و/سطر ٢٧-٢٨.
[١١] سورة الأعراف، ٧/٧١.

﴿وَهٰذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾[١٢٦]

وقوله عز وجل: **وهذا صراط ربك مستقيمًا**، لم يُشِر بِـ "هذا" إلى شيء. لكن يحتمل قوله: **هذا**، الإسلام الذي سَبَق ذِكرُه أنه يشرح[١] به صدر المؤمن. ويحتمل قوله: **وهذا صراط ربك**، أي الذي[٢] يُدعَى إليه الخَلْق، وهو التوحيد.

وقوله: **قد فصلنا الآيات**، أي بيّنا وأقمنا دلائل التوحيد وحُجَجَه، وقد ذكرنا.[٣] **لقوم يذكرون**، أي لقوم يتّعظون بالمواعظ. ويحتمل لقوم يقبلون[٤] الدلائل والحُجَج ولا يُكابِرون.

﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[١٢٧]

وقوله: **لهم دار السلام عند ربهم**، يحتمل **السلام** اسم الجنة، [أي] لهم الجنة،[٥] كقوله: وَاللهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ.[٦] ويحتمل **السلام** هو اسم الله، أي لهم دار الله، وهي الجنة.

وقوله عز وجل: **وهو وليهم بما كانوا يعملون**، قيل: وهو أولى بهم، أي أولى بالمؤمنين،[٧] كقوله: فَاللهُ أَوْلَى بِهِمَا.[٨] ويحتمل قوله: **وهو وليهم**، أي حافظهم وناصرهم، وقد ذكرنا فيما تقدم.*

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾[١٢٨]

وقوله عز وجل: **ويوم يحشرهم جميعًا**، يعني مَن تقدّم ذِكرُه من الجن والإنس؛ أو يحشر[١٠] الأولين والآخرين.

---

[١] م: أن يشرح.

[٢] ع م: ربك الذي.

[٣] انظر تفسير الآية من سورة الأنعام، ٩٧/٦.

[٤] ك: يتقبلون.

[٥] ع م – لهم الجنة.

[٦] سورة يونس، ٢٥/١٠.

[٧] ك – وهي الجنة وقوله عز وجل وهو وليهم بما كانوا يعملون قيل وهو أولى بهم أي أولى بالمؤمنين.

[٨] ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما﴾ (سورة النساء، ١٣٥/٤).

* انظر تفسير الآية من سورة البقرة، ٢٥٧/٢. وقد وقعت هنا قطعتان من تفسير الآية ١٢٥، فقدمناهما إلى موضعهما. انظر: ورقة ٢٢٩و/سطر ٢٧-٢٨، وسطر ٢٨-٣٠.

[١٠] جميع النسخ: أو نحشر. وقد قرأ عاصم في رواية حفص: يحشرهم، بالياء. وقرأ الباقون من الأئمة السبعة: نحشرهم، بالنون. انظر: *كتاب السبعة* لابن مجاهد، ٢٦٩. فلعل المؤلف فسّر الآية على القراءة بالنون.

يا معشر الجن، هو على الإضمار، كأنه قال: **ويوم يحشرهم جميعًا،**[1] الجن والإنس، ثم يقول[2] للجن:[3] **يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس،** كقوله: مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى،[4] أي يقولون:[5] مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى، فكذلك هذا هو على الإضمار.

وقوله عز وجل: **قد استكثرتم من الإنس،** قال أهل التأويل في قوله: **قد استكثرتم،** أي قد أضللتم كثيرا[6] **من الإنس،** وهم قد استكثروا من الأتباع من الإنس في عبادة غير الله ومخالفة أمر الله وتوحيده. أو **قد استكثرتم** عبادا **من الإنس.**

وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض، اختلف فيه. قال بعضهم: تَعاون بعضُنا ببعض في معصية الله ومخالفة أمره، هؤلاء بالدعاء وأولئك بالإجابة. وقال قائلون:[7] **ربنا استمتع بعضنا ببعض،** أي انتفع بعضنا ببعض بأنواع المنافع، [مِن ذلك] ما ذُكِر في بعض القصة أن الرجل من الإنس إذا سافر فأدركه المساء بأرض القَفْر[8] خاف، فيقول: أعوذ بسيّد هذا الوادي من سفهاء قومه، فيأمن في ذلك بالتعوذ إلى سيّدهم، فذلك استمتاع الإنس بالجن، / فذلك قوله:[9] وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ،[10] الآية. [٢٢٩ظ] وأما[11] استمتاع الجن بالإنس ما يزداد لهم الذكر والشرف في قومهم، يقولون: لقد سَوَّدَتْنَا الإنس. ويحتمل استمتاع الجن بالإنس ما ذُكِر -إن ثبت- أنه جُعِل طعامُهم العظامَ التي يستعملها الإنس، ويكون ذلك غذاءهم، وعَلَفُ دوابهم أرواث دوابّ الإنس.[12] وقال[13] الحسن:

---

[1] ن + يا معشر.
[2] جميع النسخ: ثم نقول.
[3] ن – للجن.
[4] سورة الزمر، ٣٩/٣.
[5] ع م: أي تقولون.
[6] ع م – أي قد أضللتم كثيرا.
[7] ن: بعضهم.
[8] القَفْر الخلاء من الأرض؛ وقيل: القَفر مَفَازة لا نبات بها ولا ماء (لسان العرب لابن منظور، «قفر»).
[9] ن ع م – قوله.
[10] سورة الجن، ٧٢/٦.
[11] ع – وأما.
[12] ورد خلال حديث طويل عن لقاء النبي صلى الله عليه وسلم مع الجن: وسألوه (أي سأل الجن النبي) عن الزاد، فقال: «لكُمْ كلّ عظمٍ ذُكِر اسم الله عليه يَقَع في أيديكم أَوْفَرَ ما يكون لحمًا، وكلّ بَعْرة عَلَفٌ لدوابّكم» (*صحيح مسلم*، الصلاة ١٥٠؛ و*سنن الترمذي*، التفسير سورة ٦).
[13] ع: قال.

ما كان استمتاع بعضهم ببعض إلا أنّ الجن أمرت الإنس فعملت.[1] ذكر جواب الإنس[2] و لم يذكر جواب الجن لهم.

وقوله عز وجل: **وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا**، قيل: الموت. وقيل: البعث يوم القيامة، لأنهم كانوا ينكرون البعث،[3] فأقرّوا عند ذلك بأنا قد **بلغنا أجلنا الذي أجّلت لنا** وكنّا كذّبناه. أقرّوا بما كانوا ينكرون.

قال الله النار مثواكم، أي مقامكم، **خالدين فيها إلا ما شاء الله**، اختلف فيه. قال الحسن: **إلا ما شاء الله**، وقد شاء[4] أن يخلدهم في النار. وقال غيره: الاستثناء من وقت البعث إلى وقت الخلود، وهو وقت الحساب، ووقت الحساب هو وقت الثُّنْيا، **خالدين فيها إلا ما شاء الله**، ما داموا في الحساب. وقيل: الاستثناء للمؤمنين الذين اتّبعوهم في فعل المعاصي والجُرُوم[5] و لم يتبعوهم في الاعتقاد؛ ففيه دليل إدخال المؤمنين النار بالمعاصي والعقوبةِ لهم بقدر معصيتهم، ودليل إخراجهم منها إن ثبت.

وقوله عز وجل: **إلا ما شاء الله**، يحتمل وجوهًا ثلاثة. أحدها أنّ خلود الآخرة أكبر من خلود الدنيا، لأن خلود الدنيا على الانقضاء، وخلود الآخرة ليس[6] على الانقضاء.[7] والثاني وقع الثُّنْيا قبل دخولهم في النار. والثالث لمن[8] لم يتّبعهم في الكفر.

وقوله عز وجل: **إن ربك حكيم**، أي **حكيم** بما حكم ووضع[9] كل شيء موضعه، **عليم** بذلك.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[١٢٩]

وقوله عز وجل: **وكذلك نولي بعض الظالمين بعضًا بما كانوا يكسبون**، الآية تنقض[10] على المعتزلة قولهم، لأن الولاية إنما تكون بأفعالهم، ثم أضاف الولاية إلى نفسه، دلّ أنه من الله في ذلك صُنْع،

---

[1] ك م: فعلمت؛ ع: فعلت. *الدر المنثور* للسيوطي، ٣/٣٥٧.

[2] ع + لهم. وجواب الإنس هو قولهم المذكور في الآية: ﴿وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا﴾.

[3] جميع النسخ: بالبعث.

[4] ن ع م + الله.

[5] جميع النسخ: والجرم. الجُرُوم والأَجْرام جمع الجريمة والجُرْم بمعنى الذنب، أمّا الجُرُم فهو جمع الجِرْم بمعنى الجسم (*لسان العرب* لابن منظور، «جرم»).

[6] ع – ليس.

[7] م: لا على الانقضاء.

[8] ع – لمن.

[9] ع: وضع.

[10] ع: ينتقض؛ م: ينقض.

وهو أنْ خَلَق سبب الولاية[1] منهم. ثم ذكر أن المؤمنين بعضهم أولياء بعض بقوله: وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ،[2] وذكر أن الكافرين بعضهم أولياء بعض بقوله: لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ.[3]

﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾[١٣٠]

وقوله عز وجل: **يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم**، اختلف فيه. قال بعضهم: لم يكن من الجن رسل، إنما كان الرسل من الإنس، لكنه أضاف إلى الفريقين جميعًا، كقوله: يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ،[4] وإنما يخرج من أحدهما؛[5] وكقوله: وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا،[6] وإنما جعل في واحدة منهن،[7] وكقول الناس: في سبع قبائل مسجد واحد، وإنما يكون في واحد منها[8] [ويجتمع فيه الناس من سبع قبائل].[9] وقد يضاف الشيء إلى جماعة والمراد منه[10] واحد، فعلى ذلك ما ذكر من إضافة الرسل إلى الإنس والجن. وقال بعضهم: كان من الفريقين جميعًا الرسل، مِن الجن جِنِّي ومِن الإنس إنْسِي، لأن الجن يستترون من الإنس، وإنما يُرسِل[11] إلى الإنس رسلاً يَظْهَرُون لهم، فبعث إلى كل فريق الرسول من جوهرهم.

---

[1] ع م - إنما تكون بأفعالهم ثم أضاف الولاية إلى نفسه دل أنه من الله في ذلك صنع وهو أن خلق سبب الولاية.

[2] سورة التوبة، ٧١/٩.

[3] سورة المائدة، ٥١/٥. زاد الشارح: «وقال أبو زيد رحمه الله: ﴿نولي بعض الظالمين بعضا﴾ أي نسلط بعضهم على بعض، وقرأ قوله تعالى: ﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين﴾(سورة الزخرف، ٣٦/٤٣» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٧٢و).

[4] سورة الرحمن، ٢٢/٥٥.

[5] أي إن الضمير في قوله: منهما، يرجع إلى البحرَين المذكور في الآية السابقة لها: ﴿مَرَج البحرَين يلتقيان﴾ (سورة الرحمن، ١٩/٥٥)، والمقصود بالبحرين -على المشهور- الماء المالح والماء الحلو، وإنما يخرج اللؤلؤ والمرجان من الماء المالح فقط.

[6] سورة نوح، ١٦/٧١.

[7] أي في واحدة من السماوات السبع.

[8] ن ع م: منهما.

[9] من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٧٢و.

[10] ع م - منه.

[11] ن ع م: فإنما يرسل.

وقال بعضهم: كان الرسل من الإنس إلى الفريقين جميعًا، وكان من الجن[1] نذير، كقوله: وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ،[2] الآية، ذكر النُّذُر منهم ولم يذكر الرسل، ومرتبة النُّذُر دون مرتبة الرسل، كمرتبة الأنبياء من الرسل. ولكن يجوز أن يقوّي الرسل وإن كانوا[3] من الإنس على الإظهار[4] لهم،[5] وليس فيما يستترون[6] عنهم منع[7] بعث الرسل إليهم من الإنس. وليس لنا إلى معرفة هذا حاجة، إنما الحاجة إلى معرفة الآيات والحُجَج التي يأتي الرسل [بها]. وقد عجز الخلائق جميعًا عن الإتيان بمثل[8] هذا القرآن، لقوله:[9] قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ،[10] فقد أعجز الجن والإنس عن[11] أن يأتوا بمثل هذا القرآن وإن كان الجن أقوى على أشياء من الإنس، فدلّ أنه آية. ودلّ عَجْزُ الجن عن ذلك وإن كانوا أقوى على أنّ غيرهم أعجز؛ ألا ترى أنه أنزل هذا القرآن على لسان العرب ثم عجزوا هم[12] عن إتيان مثله، فدلّ عَجْزُهم عن ذلك على أنّ العجم له أعجز. وجائز أنْ يكون الرسل وإن كانوا من الإنس فإن الجن يستمعون من الرسل، فيلزمهم الحجة والعمل بذلك والتبليغ إلى قومهم من غير أن يعلم الرسل بذلك. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **يقصّون عليكم آياتي**، يحتمل يتلون عليكم آياتي. ويحتمل **يقصون عليكم آياتي** يبيّنون لكم آياتي، آيات وحدانيته وألوهيته[13] وآيات البعث الذي تنكرون. **وينذرونكم لقاء يومكم هذا**، أي لقاء يومكم الذي تلقون. ودلّ قوله: **ينذرونكم لقاء يومكم هذا**،

---

[1] م: الجن.
[2] ﴿وإذ صَرَفْنا إليك نَفَرًا مِن الجنّ يستمعون القرآن فلمّا حضروه قالوا أَنْصِتُوا فلما قُضِيَ وَلَّوْا إلى قومهم مُنْذِرِين﴾ (سورة الأحقاف، ٢٩/٤٦).
[3] ن ع: وإن كان.
[4] ع: عن الإظهار.
[5] أي يجوز أن يقوّي الله الرسل من الإنس على تبليغ أحكام الله للجن وإظهارها لهم.
[6] جميع النسخ: لا يستترون.
[7] ن: مع.
[8] جميع النسخ: عن إتيان مثل.
[9] ك: كقوله.
[10] سورة الإسراء، ٨٨/١٧.
[11] ن - عن.
[12] م: ثم عجزهم.
[13] ك ن: الوحدانية والألوهية؛ ع: والألوهية.

على أنّ ذلك إنما يقال لهم في الآخرة. **قالوا شهدنا على أنفسنا**، هذا منهم إقرار لِمَا كان منهم من التكذيب، كقوله:[١] فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ،[٢] أي **شهدنا على أنفسنا** بأنّا كنّا كذّبنا الرسل في الدنيا بما قالوا وأخبروا.

وقوله عز وجل: **وغرتهم الحياة الدنيا**. إن للدنيا معنيين: ظاهر وباطن، فيكون للظاهر[٣] غُرور، مَن كان نَظَرُه إلى الظاهر[٤] يَغُرّه؛ ولها باطن، ومَن نظر إلى ذلك الباطن يَعِظه. أمّا ظاهرها مِن تَزَيُّنِها[٥] وزُخرفِها، فالكافر نظر إلى ظاهرها فاغترّ بها. وأمّا باطنها فهو انتقالها من حال إلى حال وزوالها وفناؤها. فمَن نظر إلى ذلك الباطن[٦] اتّعظ به ويعلم معناها ويعرف أنها لم تُخلَق[٧] لهذه، ولكن لعاقبةٍ[٨] تُتأمَّل. ثم إضافة الغُرور إليها، أي يكون منها ما لو كان ذلك مِن ذي عقل وذهن كان ذلك غُرورًا.

وقوله: **وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين**، هذا اعتراف بما كان منهم.

﴿ذَٰلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾[١٣١]

وقوله عز وجل: **ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم**، يحتمل قوله: / **ذلك**، [٢٣٠و] ما تقدّم مِن قوله: يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ،[٩] وقوله عز وجل:[١٠] يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا،[١١] ونحوها من الآيات التي ذكر فيها العتاب. ويحتمل **ذلك**، إشارة إلى الهلاك الذي كان بالأمم الخالية، **أنْ لم يكن يُهلِك القرى بظلمٍ** ظَلَموا [به] أنفسهم إهلاكَ تعذيبٍ واستئصالٍ

---

[١] ن + كقوله.
[٢] سورة الملك، ٦٧/١١.
[٣] ن ع م: الظاهر.
[٤] م: إليه.
[٥] م: من تزتينها.
[٦] ك ن – الباطن.
[٧] ع م: لم يخلق.
[٨] ع م: العاقبة.
[٩] سورة الأنعام، ٦/١٢٨.
[١٠] ن – وقوله عز وجل ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم يحتمل قوله وذلك ما تقدم من قوله يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس وقوله عز وجل.
[١١] سورة الأنعام، ٦/١٣٠.

إلا بعد تَقدُّم الوعيد لهم في ذلك أو سؤالٍ[1] كان منهم بالعذاب.[2] ولا يهلك أيضا وهم **غافلون** عن الظلم والعصيان، لا أنه لا يَسَع، ولكن سنته فيهم أن لا يهلك[3] إلا بعد تَقدُّم ما ذكرنا، لئلا يحتجوا فيقولوا: لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ،[4] وإن لم يكن لهم الاحتجاج بذلك لما مَكَّن لهم[5] ورَكَّب فيهم مما به يعرفون[6] أنه لم يخلقهم ليتركهم سُدًى، ولكن خلقهم لعاقبة، لكن سنته قد مضت في الأمم الماضية أن لا يهلك قومًا إهلاكَ تعذيبٍ واستئصالٍ إلا بعد ما سبق منه وعيدٌ وإنذارٌ والعلمُ لهم بالظلم وظهورُ العناد منهم والمكابرة والسؤالُ بالعذاب سؤالَ تعنُّت، وذلك منه فضل ورحمة، لا أنه لا يَسَع ذلك.

﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾[١٣٢]

وقوله عز وجل: **ولكل درجات مما عملوا**، استدلّ بعض الناس بظاهر هذه الآية أن الجن لهم ثواب بالطاعات وعقاب بالمعاصي، لأنه أخبر أنّ لكل منهم[7] درجات مما عملوا. وإنما تقدّم ذِكرُ الفريقين جميعًا بقوله: شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ،[8] وقوله عز وجل: وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا،[9] وقوله:[10] يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ،[11] ذكر ما كان من الفريقين جميعًا من المعاصي والجُرُوم،[12] فعلى ذلك قوله: **ولكل درجات**، راجع إلى الفريقين جميعًا، لكلٍ درجات منهم، إن عملوا خيرًا فخير وإن عملوا[13] شرًا[14] فشر.

---

[1] ع م: أو سؤالهم.

[2] أي كان إهلاك الأمم الخالية بسبب سؤالهم العذاب والهلاك، كقوله تعالى: ﴿وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحقَّ من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾ (سورة الأنفال، ٣٢/٨).

[3] ع: أن يهلك.

[4] سورة القصص، ٤٧/٢٨.

[5] ن – لهم.

[6] ك ن ع: ما يعرفون.

[7] ك – منهم.

[8] سورة الأنعام، ١١٢/٦.

[9] سورة الأنعام، ١٢٨/٦.

[10] ن ع م – وقوله.

[11] سورة الأنعام، ١٣٠/٦.

[12] جميع النسخ: والجرم. الجُرُوم والأَجرام جمع الجريمة والجُرْم بمعنى الذنب، أمّا الجُرْم فهو جمع الجِرْم بمعنى الحجم (*لسان العرب* لابن منظور، «جرم»).

[13] ك – وإن عملوا.

[14] ك: وشرا.

وبه[1] قال أبو يوسف ومحمد رحمهما الله. واحتجّوا لأبي حنيفة رحمه الله[2] أنّ قوله: **ولكل درجات**، إنما ذكر على أثر آيات كان الخطاب بها للكفرة دون المؤمنين، فعلى ذلك[3] قوله: **ولكل درجات مما عملوا**، يكون لهم هذا الوعيد خاصة، ويكون قوله: **ولكل درجات**، أي دَرَكات ومراتب[4] من العذاب والعقاب[5] مما عملوا من المعاصي والتكذيب للرسل. ولأن الثواب[6] لزومه لزوم فضلٍ ومِنّةٍ، والعذاب توجبه[7] الحكمة، لأن في الحكمة أن يعاقب من عصاه وخالف أمره؛ وأما الثواب فوجوبه الفضل، لأنه كان من الله إلى الخَلْق من النِعَم والإحسان ما لو جَهَدوا كلّ جَهْدهم[8] ما قدروا على أن يؤدّوا شكر واحدٍ مِن ذلك، فتكون طاعتهم[9] شكرًا لِمَا أنعم عليهم، فإذا كان كذلك لا يكون لأعمالهم ثواب[10] إلا بالبيان من الله، كما لا يقال للملائكة: إنّ لهم ثوابًا.

وقوله عز وجل: **وما ربك بغافل عما يعملون**، يحتمل وجهين. **وما ربك بغافل** عن أعمالهم التي يعملونها في معصية الله تعالى، ولكن يؤخر[11] تعذيبهم رحمةً منه، وهو كقوله: وَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ،[12] الآية. والثاني عن عِلمٍ بأعمالهم وصنيعهم خَلَقهم لا عن جهلٍ، لكن خَلَقهم على عِلمٍ بذلك، لِمَا ضَرَرُ أعمالِهم[13] ومَنافعُها تَرجِع إليهم لا إليه.

﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾[١٣٣]

وقوله عز وجل: **وربك الغني ذو الرحمة**، هذا يردّ على الثَّنَوِيّة مذهبهم، لأنهم يقولون:

---

[1] ك - وبه.
[2] «فإنه يقول: ليس للجن ثواب بالطاعات، ولكن عليهم العقاب بالمعاصي» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٧٢ظ).
[3] ع م - ذلك.
[4] ك ن: وفضائل؛ ع: أي درجات وفضائل.
[5] ع: والعقات.
[6] ك: لأن الثواب.
[7] ع: توجيه.
[8] ع: كل جهدوهم.
[9] ك: فيكون طاعاتهم.
[10] ك: ثوابا.
[11] ن ع م: تؤخر.
[12] سورة إبراهيم، ٤٢/١٤.
[13] ع: أعمالكم.

إنه إنما خلق الخلائق لمنافع نفسه، لأنه ليس بحكيمٍ[1] مَن فَعَل[2] فِعلاً[3] لا يقصد منفعة نفسه، فأخبر عز وجل أنه غني بذاته. وإنما يقصد [أحدُ] قَصْدَ المنفعة بفعله[4] لحاجةٍ تَقَع له[5] وضرورةٍ تُصِيبه، فيقصدُ[6] بالفعل قَصْدَ قضاء الحاجة ودفع الضرورة عن نفسه. فأما الله سبحانه هو الغني بذاته،[7] إنما خَلَق الخلائق لمنافع[8] أنفسهم، وهو غني عن خَلْقه على ما أخبر.

وقوله عز وجل: **وربك الغني**، يحتمل **الغني** عن تعذيب أولئك الكفرة، أي لا لمنفعةٍ له في تعذيبهم يعذّبهم أو لحاجةٍ له، ولكن الحكمة توجب ذلك. أو أنْ يكون صلة قوله: يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ،[9] يقول: لم يرسل إليكم ولا امتحنكم بالذي امتحنكم[10] لحاجة نفسه أو لمنفعةٍ له، إذ هو غني بذاته.

وقوله عز وجل: **ذو الرحمة**، يحتمل وجهين. يحتمل **ذو الرحمة**، فلا يعجل عليهم بالعقوبة. والثاني **ذو الرحمة**، لِمَا خَلَق الخلائق، وجعل لبعض ببعض الانتفاع بهم والاستمتاعَ، وإنما خلقهم لمنافع أنفسهم. ويحتمل قوله: **ذو الرحمة**، لمن قَبِل[11] رحمتَه وصار أهلاً لها، فأمّا مَن لم يَقبل رحمتَه فإنه ذو انتقام منه.

وقوله عز وجل: **إن يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء**، لأنه غني بذاته لم يخلقكم لمنافع نفسه أو لحاجته، إن شاء[12] أَذْهَبَكم واستخلف غيركم، ولو كان خَلْقُه[13] الخَلْقَ لمنافع نفسه لكان لا يذهب بهم. **ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين**،

---

[1] ع: بحكم.

[2] م – ضرر أعمالهم ومنافعها ترجع إليهم لا إليه وقوله عز وجل وربك الغني ذو الرحمة هذا يرد على الثنوية مذهبهم لأنهم يقولون إنه إنما خلق الخلائق لمنافع نفسه لأنه ليس بحكيم من فعل.

[3] م: افعلا.

[4] ن: بقلعه.

[5] م: نفع له.

[6] جميع النسخ: يقصد.

[7] ع – وإنما يقصد قصد المنفعة بفعله لحاجة تقع له وضرورة تصيبه يقصد بالفعل قصد قضاء الحاجة ودفع الضرورة عن نفسه فأما الله سبحانه هو الغني بذاته.

[8] ع: لمنافعهم.

[9] سورة الأنعام، ١٣٠/٦.

[10] م – بالذي امتحنكم.

[11] جميع النسخ: من قبل.

[12] ك: إنشاء.

[13] ع: خلقة.

يخبر عن غناه عنهم[1] وعن سلطانه وقدرته، أنه يقدر على إهلاككم واستئصالكم وإنشاء قوم آخرين. كان خلق الخلائق من جواهر مختلفة لا تَوالُد[2] فيهم، ثم جعل في الآخِر التَّوالُد والتَّناسُل ويستخلف بعضًا[3] من بعض بالتَّوالُد والتَّناسُل.[4]

﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾[١٣٤]

وقوله عز وجل: **إن ما توعدون لآت،** من الوعد والوعيد. أو أنْ يكون قوله: **إن ما توعدون،** مِن النصر لرسوله والمعونة له، **لآت،** وكائن. **وما أنتم بمعجزين،** قيل: بفائتين ربّكم. وقيل: وما أنتم بسابقين[5] الله بأعمالكم الخبيثة حتى لا يجزيكم[6] الله بها. وأصله: **وما أنتم بمعجزين،** أي لا تُعجِزون[7] ربّكم عن تعذيبكم وعقوبتكم.

﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾[١٣٥]

وقوله عز وجل: **قل يا قوم اعملوا على مكانتكم،** قيل على جَدِيلَتِكم،[8] وقيل: على منازلكم[9] وحدودكم.[10] ولكن تأويله -والله أعلم- **اعملوا على مكانتكم،** أي على ما أنتم[11] عليه. ثم يحتمل هذا وجوها. يحتمل **اعملوا على مكانتكم،** أي على ما أنتم / عليه مِن أمر الدين،[12] **إني عامل،** على ما أنا عليه مِن أمر الدين، كقوله: لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ.[13] [٢٣٠ظ]

---

[1] ن - عنهم.

[2] ن: ولا توالد.

[3] جميع النسخ: بعض.

[4] أي خلق الله الخلق من جواهر مختلفة وليس في هذه الجواهر نفسها توالد وتناسل، ولكن الخلق الذي خُلِق من هذه الجواهر جعل الله فيه التوالد والتناسل، مما يدل على قدرته تعالى.

[5] ع م: سابقين.

[6] ن: لا يخزيكم؛ م: لا يجزئكم.

[7] ع: لا يعجزون.

[8] يقال: القوم على جَدِيلة أمْرِهم، أي على حالهم الأول، وما زال على جَدِيلةٍ واحدة، أي على حال واحدة وطريقة واحدة (*لسان العرب* لابن منظور، «جدل»).

[9] ع: على منازع لكم.

[10] جميع النسخ: وجدتكم. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة، ٢٧٣و.

[11] ع م: أي ما أنتم.

[12] ع: الدنيا.

[13] سورة الكافرون، ٦/١٠٩.

ويحتمل أن يكونوا همّوا أن يمكروا برسول الله، فيقال: امكروا بي إني ماكر بكم، كقوله: وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ.[1] ويحتمل أن يكونوا يطلبون الدوائر والهلاك على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكيدونه، كقوله: فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ.[2] هذه الكلمة تُستعمَل في انتهاء المكابرة نهايتها ووجود المعاندة غايتها بعد الفراغ من الحجج والآيات، كقوله: لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ.

وقوله عز وجل: **فسوف تعلمون**، يحتمل قوله:[3] **فسوف تعلمون من تكون له** العاقبة. ويحتمل **فسوف تعلمون** بالهلاك مَن كان مُحِقًّا بالوعيد. أو سوف تعلمون مَن المُحِقّ مِنّا مما أُوعد[4] وخُوِّف.

وقوله عز وجل: **إنه لا يفلح الظالمون**، يحتمل **لا يفلح الظالمون** ما داموا في ظلمهم. ويحتمل أن يكون ذلك في قوم[5] مخصوصين.[6] ويحتمل:[7] في الآخرة **لا يفلح الظالمون**.

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[١٣٦]

وقوله عز وجل: **وجعلوا لله**، الآية، يخبر عز وجل عن سَفَهِهم مِن وجوه. أحدها أنهم كانوا يجعلون لله نصيبًا مما كان لله ذلك في الحقيقة، مع علمهم أن الله هو الذي أنشأ لهم تلك الأشياء وهو ذرأها، ثم يجعلون لله في ذلك نصيبًا وللأصنام نصيبًا.[8] يُسَفِّهُهم أنهم إذا علموا أن الله هو الذي ذرأ لهم[9] تلك الأشياء[10] وأنشأها لهم[11] فإليه الاختيار في جعل ذلك لا إليهم، إذ علموا[12] أنهم إنما يملكون هم بجعل الله لهم، وهو المالك عليها حقيقة.

---

[1] سورة الأنفال، ٣٠/٨.
[2] سورة هود، ٥٥/١١.
[3] ن ع م – قوله.
[4] ن: منا أوعد.
[5] ع م – في قوم.
[6] ع: مخصوصين في؛ م + في قوم.
[7] ع: يحتمل.
[8] ك – وللأصنام نصيبًا.
[9] ع: ذرأ لكم.
[10] ن – وهو ذرأها ثم يجعلون لله في ذلك نصيبًا وللأصنام نصيبًا يسفههم أنهم إذا علموا أن الله هو الذي ذرأ لهم تلك الأشياء.
[11] ع: أو أنشأ لهم؛ م: وأنشأ لهم.
[12] ك ن: إذا علموا.

والثاني ما يبيّن سَفَهَهم أيضًا أنهم يجعلون لله في ذلك نصيبًا وللأصنام نصيبًا من الثمار والحروث وغيرها، ثم إذا وقع شيءٌ[١] مما جعلوا لله[٢] وخالط مما جَزَّءُوا[٣] وجعلوه لشركائهم[٤] تركوه، وإذا خالط شيءٌ مما جعلوا لشركائهم ووقع فيما جعلوه لله أخذوه وردّوه على شركائهم، وانتفعوا به، وتركوا الآخر للأصنام، إيثارًا للأصنام[٥] عليه وإعظامًا لها. وإذا زَكَا نصيب الأصنام ونَمَا ولم يَزْكُ[٦] نصيب الله ولم يَنْمُ[٧] تركوا ذلك للأصنام، ويقولون: لو شاء الله لأَزْكَى نصيبه، وإذا زَكَا الذي كانوا يجعلون لله ولا يَزْكُو[٨] نصيب الأصنام أخذوا نصيب الله فقسموه بين المساكين وبين الأصنام تصفين. يُسَفِّهُهم عز وجل في صنيعهم[٩] الذي يصنعون، ويبيّن عن جوهرهم بإيثارهم الأصنام وإعظامهم إياها والتفضيل في القسمة والتجزئة، مع علمهم أن الله هو الذي ذرأ ذلك وأنشأه[١٠] لهم، وأنّ الأصنام التي أشركوها في أموالهم وعبادتهم لله لا يملكون من ذلك شيئًا. فذلك[١١] منهم سَفَه وجَوْر حيث أشركوا في أموالهم وعبادتهم مع الله أحدًا لا يستحق من ذلك[١٢] شيئًا. وهو كما جعلوا لله البنات، وهم كانوا يأنفون عن البنات، كقوله: وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى،[١٣] الآية، فقال: أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ،[١٤] وقال: تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى،[١٥] تأنفون أنتم عن البنات وتضيفونهن[١٦] إليه، فهو إذًا جَوْر وظلم. فعلى ذلك تفضيل الأصنام في القسمة وإيثارهم إياها على الله وإشراكهم مع الله –مع علمهم أنه كان جميع ذلك بالله وهو أنشأ لهم– جَوْر وسَفَه.

ثم أخبر أنهم **ساء ما يحكمون**، أي بئس الحكم حكمهم.

---

[١] م – شيء.
[٢] جميع النسخ + شيئًا.
[٣] م: جزاء.
[٤] ع: شركائهم.
[٥] ع – إيثارًا للأصنام.
[٦] ع م: ولم يترك.
[٧] ك: ولم ينموا؛ ن: ولم ينمو.
[٨] ن ع م: ولا يزكوا.
[٩] م: بصنيعهم.
[١٠] جميع النسخ: وأنشأ.
[١١] ع م – فذلك.
[١٢] جميع النسخ: بذلك.
[١٣] ﴿وإذا بُشِّرَ أحدهم بالأنثى ظلّ وجهه مُسْوَدًّا وهو كظيم﴾ (سورة النحل، ١٦/٥٨).
[١٤] سورة طور، ٥٢/٣٩.
[١٥] سورة النجم، ٥٣/٢٢.
[١٦] جميع النسخ: وتضيفون.

﴿وَكَذٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾[١٣٧]

وقوله عز وجل: **وكذلك زين لكثير من المشركين**، أي كما زيّن لهم جَعْل النصيب للأصنام والتجزئة لها وصَرْفَ ما خَلَق الله لهم عنه إلى الأصنام، كذلك زيّن لهم **قتل أولادهم**. أو كما زيّن لهم تحريم ما أحل الله لهم من السائبة والوصيلة والحامي[١] كذلك زيّن لهم شركاؤهم قتل أولادهم. وأصله أنّ الشفقة التي جَعَل الله في الخَلْق لأولادهم والرحمةَ التي جُبِلت[٢] طبائعهم[٣] عليها تمنعهم عن قتلهم، وخاصّة أولادهم الضعفاء والصغار، وكذلك الشهوة التي خلق فيهم تمنعهم عن تحريم ما أحلّ الله لهم. لكن ذلك زَيَّن لهم شركاؤهم وحَسّنوا عليهم تحريمَ ما أُحلّ لهم وقَتْلَ أولادِهم، فما حَسَّن عليهم الشركاءُ وزَيّن لهم مِن تحريمِ ما أحلّ لهم وقَتْلِ أولادِهم غَلَب على الشفقة التي جُعِلت[٤] فيهم والشهوة التي خُلِق ومُكِّن فيهم.

ثم اختلف في الشركاء. قال بعضهم: **شركاؤهم** شياطينهم التي تدعوهم إلى ذلك. وقيل: **شركاؤهم** كبراؤهم ورؤساؤهم الذين[٥] يستتبعونهم.

ثم يحتمل قَتْلُ الكُبرَاء أولادَهم تكبرًا منهم وتجبرًا، لأنهم كانوا يأنفون عن أولادهم الإناث؛ وقَتْلُ الأتباع مَخافةَ العَيْلة والفقر.

وقوله عز وجل: **لِيُرْدُوهم**، قيل: ليهلكوهم، أنهم[٦] كانوا يقصدون في التحسين والتزيين[٧] الإرداء والإهلاك،[٨] وإن كانوا يُرُونهَم[٩] في ذلك الشفقة. وكذلك كانوا يقصدون بالتزيين تلبيس[١٠] الدين عليهم.

[١] انظر تفسير الآية من سورة المائدة، ١٠٣/٥.
[٢] ع: جلبت.
[٣] ك: طباعهم.
[٤] ن ع م: جبلت.
[٥] م – الذين.
[٦] أي لأنهم...
[٧] ك ن: في التزيين والتحسين.
[٨] م: الإهلاك.
[٩] ن: يرون هم.
[١٠] م: تلبس.

وقوله عز وجل: **ولو شاء الله ما فعلوه**، يحتمل وجوها. قال بعضهم: لو شاء الله لأهلكهم فلم يفعلوا ذلك. وقيل: لأعجزهم ومنعهم عن ذلك، كقوله: وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ.[١] وقيل: **ولو شاء الله ما فعلوه**، أي لأراهم قُبْحَ فعلهم حتى لم يفعلوا. وأصله أنه إذا علم منهم أنهم يفعلون ما فعلوا ويختارون ما اختاروا من التزيين ولَبْسِ[٢] الدين عليهم شاء ما فعلوا واختاروا. وقد ذكرنا[٣] ذلك في غير موضع.[٤]

وقوله عز وجل: **فذرهم وما يفترون**، أي ذرهم ولا تكافئهم بإفترائهم على الله. ويحتمل ذرهم وما يفترون، فإن الله يكافئهم ولا يفوتون. ويحتمل ذرهم وما يفترون، فإنّ ضرر ذلك الافتراء عليهم،[٥] ليس علينا ولا عليك. والله أعلم بذلك.[٦]

﴿وَقَالُوا هَٰذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾[١٣٨]

وقوله عز وجل: **وقالوا هذه أنعام وحرث حجر / لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم**، قيل: [٢٣١و] هذه الآية[٧] صلة قوله: وَجَعَلُوا لِلّٰهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَٰذَا لِلّٰهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا،[٨] هذا الذي جعلوا للشركاء هو الحِجْر الذي ذكر في هذه الآية، لأنهم كانوا لا ينتفعون[٩] بذلك ويحرّمونه. وهو **حِجْر**. وأصل الحِجْر المنع. وعن ابن عباس رضى الله عنه قال: الحِجْر ما حرّموا[١٠] مِن أشياء مِن الوصيلة والسائبة والحامي،[١١] وتحريمهم ما حرّموا مِن أشياء.[١٢] كانوا يُحِلّون[١٣] أشياء حرّمها الله ويُحَرِّمون أشياء أحلّها الله في الجاهلية من الحرث والأنعام.

---

[١] ﴿ولو نشاء لَطَمَسْنَا على أعينهم فاستَبَقُوا الصراط فأنّىٰ يُبصِرون﴾ (سورة يس، ٣٦/٦٦).
[٢] ن ع: وليس.
[٣] ع م: قد ذكرنا.
[٤] انظر مثلا تفسير الآية من سورة الأنعام، ٦/١١٢.
[٥] ن – ويحتمل ذرهم وما يفترون فإن الله يكافئهم ولا يفوتون ويحتمل ذرهم وما يفترون فإن ضرر ذلك الافتراء عليهم.
[٦] ن – بذلك.
[٧] ع: الآيات.
[٨] سورة الأنعام، ٦/١٣٦.
[٩] ع م: ينتفعون.
[١٠] ك ع م + أنفسهم.
[١١] انظر تفسير الآية من سورة المائدة، ٥/١٠٣.
[١٢] *تفسير الطبري*، ٨/٤٦؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٣/٣٦٤.
[١٣] ن: يجعلون.

وفي حرف أُبي وابن عباس رضى الله عنهما: حِرْج، على تأخير الجيم وتقديم الراء.[1] وعن الحسن: حُجْر، برفع الحاء.[2] وأصل الحِجْر المنع، ممنوع: محجور، يقال: حَجَرت عليه أي منعته. والحِجْر أيضا موضع بمكّة. والاحتجار الإستئثار،[3] وهو أن يأخذ[4] الشيء ولا يعطي[5] منه أحدًا شيئًا.

وقوله[6] عز وجل: **لا يَطْعَمُها إلا من نشاء بزَعْمهم**، قال بعضهم: قوله: **إلا من نشاء**، يعني **لا يطعمها إلا من** يشاء الله **بزعمهم**،[7] لأنهم[8] كانوا يحرّمون أشياء ويأتون[9] بفواحش،[10] فيقولون: إن الله أمرهم بذلك، كقوله في الأعراف: وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللهُ أَمَرَنَا بِهَا.[11] وقال بعضهم: قوله: **إلا من نشاء بزعمهم**، يعني الذين سَنُّوا لهم، أي **لا يطعمها إلا من** يشاء[12] أولئك الذين سَنُّوا لهم[13] ذلك وحرّموا ذلك على نسائهم، على ما رُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن شئتُ قد ذكرت لكم أوّل مَن بدّل دين إسماعيل، وبَحَر البَحِيرة والسائبة»؛[14] فعلى ذلك أضافوا المشيئة إلى أولئك الذين سَنُّوا لهم ذلك وحرّموا[15] على نسائهم[16] وأحلّوا لذكورهم. وقال بعضهم: قوله: **إلا من نشاء**، هؤلاء الرجال، كانت مضافة إلى الرجال دون النساء. وفي ذلك تسفيه أحلامهم،

---

[1] لقراءة أُبي انظر: *تفسير القرطبي*، ٩٤/٧؛ ولقراءة ابن عباس انظر: *تفسير الطبري*، ٤٥/٨؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٣٦٤/٣.

[2] *تفسير القرطبي*، ٩٤/٧؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٣٦٥/٣. وهذه القراءات كلها بمعنى واحد. انظر: *تفسير الطبري*، ٤٥/٨.

[3] ك: والاستيثار.

[4] ك: أن تأخذ.

[5] ك: ولا تعطي.

[6] ن + وقوله.

[7] ع م − بزعمهم.

[8] ع: أنهم.

[9] ك + أشياء.

[10] ك: فواحش.

[11] سورة الأعراف، ٢٨/٧.

[12] ن ع م: من نشاء؛ ع م + قد ذكرت لكم أول من بدل دين إسمعيل وبحر البحيرة والسائبة.

[13] ع م − لهم.

[14] قال أبو هريرة: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «رأيت عمرو بن عامر بن لحَيّ الخُزاعي يجرّ قُصْبَه (أي أمعاءه) في النار، وكان أوّل من سيّب السوائب» (*صحيح البخاري*، المناقب ٩؛ وصحيح *مسلم*، الجنة ٥١). وزاد في رواية: «...وبَحر البَحِيرة» (*مسند أحمد بن حنبل*، ٣٦٦/٢). وانظر لتفسير البحيرة والسائبة تفسير الآية من سورة المائدة، ١٠٣/٥.

[15] م + وحرموا.

[16] ك ن ع: على إناثهم.

لأنهم كانوا[1] ينكرون الرسالة لمكان ما يُحَرِّمون من الطيبات،[2] ثم يتّبعون[3] الذي حرّم عليهم الطيبات التي أحلّها[4] الله لهم من البحيرة والسائبة ونحوهما.

وقوله: **وأنعامٌ حُرِّمت ظهورها**، هو ما ذكر من البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي، وهو الحِجْر الذي ذكر في هذه الآية، يجعلون تلك الأشياء لشركائهم لا ينتفعون بها.

وقوله عز وجل: **وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها**، قيل فيه بوجوه. قيل: **لا يذكرون اسم الله عليها**، أي لا ينتفعون بها ليعرفوا نعم الله وليشكروا[5] الله عليها. وقيل: **لا يذكرون اسم الله عليها**، أي لا يذبحون للأكل ولا يذكرون اسم الله عليها. ويحتمل **لا يذكرون اسم الله عليها** وقت الركوب كما يُذكَر اسم الله عليها وقت الركوب، وهو قوله: سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هٰذَا،[6] الآية،[7] لأنهم كانوا لا يركبونها ولكن يُسَيِّبُونها. وقيل: لا يحجّون عليها. والأول كأنه أقرب، كانوا لا ينتفعون بها ليعرفوا نعم الله ويشكروا عليها.

وقوله عز وجل: **افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون**، بأن الله أمرهم بذلك، وهو حرّم عليهم، وهو أحلّ، فذلك هو الافتراء على الله. أو بما أشركوا شركاءهم في عبادة الله وفي نِعَمِه.

﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هٰذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾[١٣٩]

وقوله عز وجل:[8] **وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا**، قيل: هو صلة قوله: وَقَالُوا هٰذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ،[9] يحرّمون على النساء ويحلّون للرجال،[10]

---

[1] ن ع م – كانوا.
[2] أي على زعمهم أن الرسول يحرم عليهم الطيبات.
[3] ثم يتبغون.
[4] ع: أجلها.
[5] جميع النسخ: ليشكروا.
[6] ﴿والذي خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون. لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين. وإنا إلى ربنا لمنقلبون﴾ (سورة الزخرف، ٤٣/١٢-١٤). وروي عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا استوى على بعيره خارجا إلى سفر كبّر ثلاثا ثم قال: ﴿سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون﴾... (*صحيح مسلم*، الحج ٤٢٥؛ و*سنن الترمذي*، الدعوات ٤٦).
[7] ن ع م – الآية.
[8] ك ن م – وقوله عز وجل.
[9] سورة الأنعام، ٦/١٣٨.
[10] ع: الرجال.

يعني إذا ولدوا أحياء كان ينتفع[1] بذلك رجالهم دون نسائهم، وإذا ولدوا ميتًا اشتركوا فيه: الإناث والذكور. يذكر في هذا كلّه سَفَهَ أولئك في صنيعهم. ويذكر في قوله: وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ،[2] إلى آخره، مِنَنَه[3] ونِعَمَه[4] التي أنعم عليهم.

وقوله عز وجل: **سيجزيهم وصفهم**، أي افتراءهم على الله وتحريمهم ما أحلّ الله لهم وتحليلهم ما حرّم عليهم.

﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللهُ افْتِرَاءً عَلَى اللهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾[١٤٠]

وقوله عز وجل: **قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء**، أخبر أنهم قد خسروا بقتلهم الأولاد وتحريمهم[5] ما أحلّ لهم ورزقهم. **قد ضلوا وما كانوا مهتدين**. *وبالله الهداية والرشاد.*

وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[١٤١]

وقوله عز وجل: **وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات**، ذكر هذا -والله أعلم- مقابل ما كان منهم من تحريم ما أحلّ الله لهم ورزقهم من الحرث والزرع[6] والأنعام والانتفاع بها، فقال: **أنشأ جنات** وبساتين مَن تأمّل[7] فيها وتفكّر عرف أنّ مُنشِئَها مالكٌ حكيمٌ مُدَبِّرٌ، لأنه يُنبتها ويُخرجها من الأرض في لحظة، ما لو اجتمع الخلائق على تقديرها أنْ كيف خرج وكم خرج وأيّ قَدْرٍ نَبَت[8] ما قَدَرُوا على ذلك، كقوله: وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ.[9]

[1] ك: كانوا ينتفعوا.
[2] سورة الأنعام، ١٤١/٦.
[3] ن: منة؛ ع م - منته.
[4] ن: ونعمة.
[5] ك ن: وتحريم.
[6] ن - والزرع.
[7] م: ما تأمل.
[8] ع: ثبت.
[9] سورة الحجر، ١٩/١٥.

ويُخرج مِن الوَرْدِ[١] والثمار على ميزان واحد ما لو جَهَدوا كل الجَهْد أن يعرفوا الفضل والتفاوت بين الأوراق والثمار ما قدروا وما وجدوا فيها تَفاوُتًا. ويُخرِج أيضًا كلّ عامٍ من الثمار والأوراق ما يشبه العام الأول. فدلّ ذلك كلّه أنّ مُنشئها ومُحْدثها مالكٌ حكيم وَضَعَ كلّ شيءٍ مَوْضِعَه، وأنّ ما أنشأ أنشأ لحكمةٍ[٢] وتدبيرٍ لم ينشئها عبثًا، فله الحكم والتدبير في الحلّ والحرمة والقسمة، ليس لأحدٍ دونه حكمٌ ولا تدبيرٌ في التحريم والتحليل [فيقولَ]:[٣] هذا حلال وهذا حرام،[٤] وهذا لهذا وهذا لهذا، / إنما ذلك إلى مالكها. فخرج هذا -والله أعلم- مقابل ما كان [٢٣١ظ] منهم من قوله: وَقَالُوا هَٰذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ،[٥] وقوله: هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ[٦] وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا،[٧] وقوله تعالى: وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ،[٨] وغير ذلك من الآيات التي كان فيها ذِكْرُ تَحَكُّمِهم على الله وإشراكُ أنفسِهم في حُكمِه.[٩]

ثم اختلف في قوله: **معروشات وغيرَ معروشات**، قيل: **معروشات** مبسوطات، ما يَنْبُتُ[١٠] مُنْبَسِطًا على وجه الأرض، **وغيرَ معروشات** ما يقوم بِسَاقِه لا ينبسط على الأرض. وقيل: **معروشاتٍ** ما يُتَّخَذ له العَرِيش[١١] من نحو العُرْجُون[١٢] والقَرْع[١٣] وغيره، **وغير معروشات** ما لا يقع الحاجة إلى العَرِيش[١٤] من نحو النخيل والأشجار المثمرة، وهما واحد.

---

[١] ك: من الفرد.
[٢] ن: الحكمة.
[٣] من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٧٤ظ.
[٤] ك: هذا حرام وهذا حلال.
[٥] سورة الأنعام، ١٣٨/٦.
[٦] ع م - وقوله هذا لله بزعمهم.
[٧] سورة الأنعام، ١٣٦/٦.
[٨] سورة الأنعام، ١٣٨/٦.
[٩] ن: في حكمة.
[١٠] ن ع م: ما تنبت.
[١١] عَرَش الكَرْم يَعرِشه و يَعرُشه عَرْشا و عُرُوشا وعَرَّشه: عمل له عَرْشا، وعَرَّشه إذا عَطَف العِيدان التي تُرسَل عليها قُضبان الكَرْم، والواحد عَرْش والجمع عُروش، ويقال: عَرِيش وجمعه عُرُش (*لسان العرب* لابن منظور، «عرش»).
[١٢] العُرجُون نَبْت أبيض، والعُرجُون أيضا ضَرْب من الكَمْأة، والعُرجُون العُود الصغير الحامل للثمار في الشجرة (*لسان العرب* لابن منظور، «عرجن»).
[١٣] القَرْع هو الدُّبّاء، نَبْت معروف يؤكل (*لسان العرب* لابن منظور، «قرع»).
[١٤] جميع النسخ: إلى العرش.

وقيل: على القَلْب، **معروشاتٍ** ما تقوم[1] بساقها، **وغيرَ معروشات** ما لا ساق له. *والله أعلم*.
وتفسيره[2] ما ذكر على أثره: **والنخلَ والزرعَ مختلفا أكُلُه والزيتون والرمّان متشابها وغيرَ متشابه**، منها ما يكون متشابهًا في اللون مختلفًا في الأكل[3] والطعم، ومنها ما يكون مختلفًا في اللون والمنظر متشابهًا في الطعم والأكل، ليعلموا أنّ مُنشِئها واحد، وأنه حكيمٌ أنشأها على حكمةٍ، وأنه مُدَبِّرٌ أنشأها عن تدبيرٍ لم ينشئها عبثًا. ومن الناس[4] من يقول: إن قوله: **متشابها [وغير متشابه]**، في الذي ذكر، وهو الرمان والزيتون، لأن ورقهما متشابه والثمرة مختلفة. ومنهم من يقول: فيهما وفي غيرهما. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **كلوا من ثمره إذا أثمر**، كأنه قال: كلوا من ثمره إذا أثمر ولا تحرّموا، خرج على مقابلة ما كان[5] منهم من التحريم، أي كلوا منها ولا تحرّموا لِيَضِيع[6] ويَفسُد.

وقوله عز وجل: **وآتوا حقه يوم حصاده**، ذكر عز وجل الإيتاء مما يُحْصَد بعد ذكر النخيل والزرع[7] والزيتون والرمان، حَبًّا وغير حَبّ، وما يقع في الكيل وما لا يقع، مُجمَلاً عامًّا، و لم يَفصِل بين قليله وكثيره. ففيه دلالة وجوب الصدقة والعُشْر في قليل ما تُخرِج[8] الأرضُ وكثيرِه. وكذلك قوله تعالى في سورة البقرة: وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ،[9] وحديث معاذ رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «في كلّ ما أخرجت الأرضُ العُشْرُ أو نِصف العُشْر»،[10] وحديث ابن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كتب إلى أهل اليمن بذلك،[11]

---

[1] ك: ما يقوم.
[2] جميع النسخ: وتعريشه. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٧٤و.
[3] ن: في الكل.
[4] ك: من الناس.
[5] ن - ما كان.
[6] ع: البضيع.
[7] ك: والزروع.
[8] ن: ما يخرج.
[9] ﴿يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٦٧).
[10] لم أجد ذلك، لكن روي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «فيما سقت السماء والعيون أو كان عَثَرِيًّا العُشر، وما سُقِي بالنَّضح نصف العُشر» (*صحيح البخاري*، الزكاة ٥٥؛ وسنن *أبي داود*، الزكاة ١٢؛ وسنن *الترمذي*، الزكاة ١٤). وقوله: عَثَرِيًّا، أي ما يُسقَى بماء المطر وبلا تعب، وهو من عَثَرِيّ النخل، سُمِّي به لأنه لا يحتاج في سَقْيِه إلى تعب بِدَالِيَة وغيرها، كأنه عَثَر على الماء عَثْرا بلا عمل من صاحبه (*النهاية في غريب الحديث* لابن الأثير، «عثر»). والنَّضح سقي الزرع باستعمال الإبل (*لسان العرب* لابن منظور، «نضح»).
[11] لم أجده هكذا، لكن انظر: الحاشية السابقة.

وما رُوي عن أنس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «في كلّ[1] ما أَخرَجت الأرضُ قليلِه وكثيرِه العُشرُ»،[2] وخبر مُعاذ قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليَمَن، فأمرني أن آخذ من [كل] حالم[3] دينارًا أو عِدْلَه مَعَافِر، وأمرني أن آخذ [من البقر] من كلّ أربعين مُسِنة، ومن كلّ ثلاثين تَبِيعًا، ومن كلّ ما سَقَت السماءُ العُشْرَ، وما سُقِي بالدوالي[4] نِصف العُشر.[5] إلى هذا كلّه يذهب أبو حنيفة رحمه الله، ويوجب الصدقة في قليل الخارج من الأرض وكثيره.

ثم اختلف أهل التأويل في تأويل الحق الذي ذكره الله في قوله: **وآتوا حقه يوم حصاده**. قال قوم: هي صدقةٌ سِوَى الزكاة، واحتجوا بأن الآية مكّيّة، وأنّ الزكاة فُرِضت بالمدينة، وهي منسوخة بآية الزكاة. وقال قوم: هي الزكاة، فإنْ نُسِخ إنما نُسِخ[6] قَدْرُها، لم يُنسَخ الحقّ رأسًا، لأنهم كانوا يتصدّقون بالكلّ، فإنْ نُسِخ[7] إنما نُسِخ[8] بآية الزكاة قَدْرُها؛ ألا ترى أنه قال في آخره:[9] **ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين**. والإسراف في اللغة هو المجاوزة عن الحدّ الذي حدّ له، كقوله: وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا.[10]

[1] ع م - كل.
[2] ورواه أبو مُطِيع البَلْخي مرفوعا بلفظ: «فيما سقت السماء العشر، وفيما سُقِي بنَضْح أو غَرْب نصف العشر، في قليله وكثيره»، وإسناده ضعيف جدا. وروى عبد الرزاق عن عمر بن عبد العزيز قال: فيما أنبتت الأرض من قليل أو كثير العُشر. انظر: *نصب الراية* للزيلعي، ٢/٣٨٥؛ *والدراية* لابن حجر، ١/٢٦٣. والغَرب الدَّلْو العظيمة (*لسان العرب* لابن منظور، «غرب»).
[3] ك: من حاكم.
[4] ك: بالذيالي؛ ن: بالديالي؛ ع م: بالدبالي.
[5] *مسند أحمد بن حنبل*، ٥/٢٣٣. وروي بعضه في *سنن أبي داود*، الزكاة ٤؛ *وسنن ابن ماجة*، الزكاة ١٧؛ *وسنن الترمذي*، الزكاة ٥. ولفظ أبي داود يفسر بعض ألفاظ الحديث الغريبة: عن معاذ أن النبي صلى الله عليه وسلم لمّا وجّهه إلى اليمن أمره أن يأخذ من البقر من كلّ ثلاثين تَبيعا أو تَبيعة، ومن كل أربعين مُسِنّة، ومن كلّ حالِم يعني محتلِما، دينارا أو عِدْلَه من المَعَافِر ثياب تكون باليَمَن. أما بقية ألفاظ الحديث فالتبيع من البقر هو الذي أكمل سنة واحدة، والمسنة هي التي خرجت ثَنِيّتها في السنة الثالثة، وليس معنى إسنانها كِبَرها كالرجل المُسِنّ، ولكن معناه طلوع سِنّها في السنة الثالثة (*لسان العرب* لابن منظور، «تبع، سن»). وقد تكرر ذكر العِدْل والعَدْل بالكسر والفتح في الأحاديث، وهما بمعنى المِثْل، وقيل: هو بالفتح ما عادله من جنسه، وبالكسر ما ليس من جنسه، وقيل: العكس (*النهاية في غريب الحديث* لابن الأثير، «عدل»). الدوالي جمع الدالِيَة وهي شيء يُتَّخذ من خُوص وخشب يُستَقى به بحبال تُشَدّ في رأس جِذْع طويل (*لسان العرب* لابن منظور، «دلو»).
[6] ع م - إنما نسخ.
[7] ع م: فما نسخ.
[8] ك: إنما ينسخ.
[9] ك: في آية أخرى.
[10] سورة الفرقان، ٢٥/٦٧.

وقيل في قوله: **ولا تسرفوا**، أي لا تمنعوا الكلّ، ولكن كُلُوا بعضه وآتوا حقّه من بعضه. وقيل: الإسراف هاهنا هو الشرك،[1] كأنه قال: ولا تشركوا آلهتكم فيما رزقكم الله من الحرث والأنعام فتحرّمونه[2] ولا تنتفعون به، والإسراف هو الذي لا ينتفع به أحد، وما كانوا جعلوا لشركائهم لا ينتفعون به هم ولا انتفع به أحد، يكون مقابل قوله:[3] هَٰذِهِۦٓ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ،[4] الآية. وأما أبو يوسف ومحمد رحمهما الله يذهبان إلى ما روي عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ليس فيما دون خمسة أَوْسُقٍ صدقة، ولا فيما دون خمس ذَوْدٍ صدقة، ولا فيما دون خمسة أَوَاقٍ صدقة»،[5] وعن أبي سعيد الخدري[6] قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا صدقة في الزرع ولا في الكَرْم ولا في النخل إلا ما بلغ خمسة أَوْسُق»،[7] وذلك مائة فَرَق؛[8] وعن ابن عمر وعبد الله بن عمرو[9] وأبي هريرة رضى الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله،[10] وما رَوى موسى بن طلحة[11] أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ليس في الخَضْراوات[12] صدقة»،[13] وعن عمر مثله،

---

[1] ع: الشراك.
[2] ع م: فتحرمون.
[3] ن: قول.
[4] سورة الأنعام، ٦/١٣٨.
[5] صحيح *البخاري*، الزكاة ٤٤؛ وصحيح *مسلم*، الزكاة ١-٥. والأوسُق جمع وَسْق، وهو ستون صاعا؛ والذَّوْد القَطِيع من الإبل الثلاث إلى التسع، وقيل غير ذلك، ولا يكون إلا من الإناث دون الذكور (*لسان العرب* لابن منظور، «وسق، ذود»). والأواق جمع أوقية، وتوزن بها الفضة.
[6] ع م – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة ولا فيما دون خمس ذود صدقة ولا فيما دون خمسة أواق صدقة وعن أبي سعيد الخدري.
[7] ك ن ع: أوساق. لم أجده هكذا، لكن عن أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ليس في حب ولا تمر صدقة حتى يبلغ خمسة أوسق...» وفي رواية: «ولا ثمر» (*مسند أحمد بن حنبل*، ٣/٧٣ صحيح *مسلم*، الزكاة ٥).
[8] الفَرَق مكيال يسع ثلاثة آصُع، وقيل: يسع صاعَين ونصفًا (*لسان العرب* لابن منظور، «فرق»).
[9] ك: بن عمر.
[10] م: بمثله. لم يُذكَر عن ابن عمر ولا عبد الله بن عمرو في ذلك شيء، لكن ذُكِر عن أبي هريرة وغيره من الصحابة. انظر للأحاديث مجموعة: *نصب الراية* للزيلعي، ٢/٣٨٤.
[11] ع: ابن طلحة.
[12] ك: في الخضروات.
[13] عن معاذ أنه كتب إلى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله عن الخضراوات وهي البُقول، فقال: «ليس فيها شيء». قال أبو عيسى: إسناد هذا الحديث ليس بصحيح، وليس يصح في هذا الباب عن النبي صلى الله عليه وسلم شيء. وإنما يُروَى هذا عن موسى بن طلحة عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا. والعمل على هذا عند أهل العلم أن ليس في الخضراوات صدقة. قال أبو عيسى: والحسن هو ابن عُمارة، وهو ضعيف عند أهل الحديث، ضعّفه شُعبة وغيره، وتركه ابن المبارك (*سنن الترمذي*، الزكاة ١٣). وانظر للأحاديث مجموعة: *الدراية* لابن حجر، ١/٢٦٣.

وعن علي رضي الله عنه مثله.[١] وكذلك رُوي عن جماعة السلف أنْ لا صدقة[٢] إلا في الحنطة والشعير والحبوب.[٣] وقال أبو حنيفة رحمه الله: معنى ذلك كلّه لا صدقة[٤] تؤخذ[٥] إلا فيما بلغ كذا، وليس في الخضراوات صدقة تؤخذ، وأمّا عليه في نفسه صدقة يؤدّيها هو.[٦]

ثم إنْ كان ذلك الحقّ الذي ذكر في الآية الزكاة فإن الآية تدلّ -والله أعلم- على أن زكاة الحبّ والثمار إنما تجب فيما تُنبِت[٧] الجنات المعروشات وغير المعروشات، فدخل في ذلك -والله أعلم- العنب وغير العنب والثمار كلها، وقال: **والنخل والزرع**... **والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه**، فجميع ما تُخرِج[٨] الأرض من كل الأصناف التي سبق ذكرها [تجب الزكاة فيه]. وقال: **كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده**، فجعل الحقّ الواجب فيه يوم يحصد، فيجوز[٩] أن يكون عُفِي عمّا قَبْل ذلك،[١٠] فإن كان هذا هو / التأويل فهو -والله [٢٣٢و] أعلم- معنى[١١] ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولو لم يكن قوله تعالى: **كلوا من ثمره إذا أثمر**، عفوًا عن صدقة ما يؤكل منه ما كان[١٢] في ذلك فائدة، لأن الثمرة تؤكَل، ولا تَصلُح لغير ذلك إلا للوجه الذي ذكرنا، وهو أنهم كانوا يحرَمون ولا ينتفعون بها، فقال عز وجل: **كلوا**، وانتفعوا به ولا تُضيعوه، وإذا كان قوله: **كلوا من ثمره**، عفوًا عن صدقة ما يؤكَل منه ظهرت فائدة الكلام. وهو على هذا التأويل -والله أعلم- ما رُوي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا خَرَصْتم فخُذُوا ودَعُوا الثلث، فإن لم تدعوا الثلث فالربع».[١٣]

---

[١] أخرجهما البيهقي؛ انظر: *نصب الراية* للزيلعي، ٣٨٨/٢.

[٢] ن م: لا صدقة.

[٣] انظر للآثار مجموعة: *تلخيص الحبير* لابن حجر، ١٦٦/٢.

[٤] ع م – وعن عمر مثله وعن علي رضي الله عنه مثله وكذلك روي عن جماعة السلف لا صدقة إلا في الحنطة والشعير والحبوب وقال أبو حنيفة رحمه الله معنى ذلك كله لا صدقة.

[٥] ع: يؤخذ.

[٦] أي لا يأخذ العاملون على الزكاة من الزرع زكاة إلا إذا بلغ المقدار المذكور، لكن على صاحب الزرع أن يخرج الزكاة بنفسه، لأن الزكاة من الزرع القليل يكون قليلا لا يحتاج إلى متابعة العاملين على الزكاة له.

[٧] ك: فيما يبين؛ ن ع م: فيما يبس.

[٨] ك: ما يخرج.

[٩] ع: ويجوز.

[١٠] أي ما قبل الحصاد مما يؤكل رطبا من الثمار.

[١١] م – معنى.

[١٢] ك: مما كان.

[١٣] *سنن أبي داود*، الزكاة ١٤؛ و*سنن الترمذي*، الزكاة ١٧. يقال: خَرَصْت النخل والكَرْم أخرِصه خَرْصا، إذا حَزَرت ما عليها من الرُّطَب تمرا ومن العنب زبيبا، وهو من الظن، لأن الحَزْر إنما هو تقدير بظنّ (*لسان العرب* لابن منظور، «خرص»).

وعن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ليس في العرايا صدقة»، وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه كان يبعث سهل بن أبي حَثْمَة[1] خارصًا للنخل ويقول له:[2] إذا وجدت أهل بيت في حائطهم فلا تخرص بقدر ما يأكلون.[3] وعن مكحول قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:[4] «خففوا على الناس في الخَرْص، فإن في المال العَرِيّة والوصيّة».[5] فدلت[6] هذه الأحاديث على أنه لا صدقة فيما يؤكل من التمر رُطَبًا إذا لم يكن فيما يأكلون إسراف، وقدّر النبي صلى الله عليه وسلم لذلك الثلث[7] أو الربع. وذلك -والله أعلم- يشبه ما دلّت عليه الآية على تأويل مَن جَعَل الحق زكاةً، لأن الله تعالى قال: **ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين**، فاحتمل أن يكون أيضًا معنى[8] ذلك: **ولا تسرفوا** في الأكل فيُجحِف ذلك بأهل الصدقة، ويحتمل أن يكون ذلك نهيًا عن الإسراف في جميع الأشياء على ما ذكرنا من قبل. وإذا صحّ أنْ لا صدقة فيما يؤكل من الرُّطَب والعنب والثمار بهذه الأخبار وأنّ الصدقة إنما تجب فيما يلحقه الحصاد يابسا يمكن ادّخاره فالواجب أنْ لا يكون في شيء من الخَضِر الذي يؤكل رَطْبًا[9] صدقة، وأنْ لا تكون الصدقة واجبة إلا فيما يَبِس منها[10] ويمكن أن يُدَّخر، فأمّا البُقول والرِّطاب والبِطِّيخ والقِثّاء والخيار والتفّاح وأشباهها فلا صدقة فيها، هذا كله يدلّ لأبي يوسف ومحمد رحمهما الله. إلاّ أنّا لا نعلم مخالفًا أنّ فيما يُباع من الرطب صدقة وإن كان يؤكل كهيئته، فهذا يُفسِد ما احتججنا به[11] لأبي يوسف ومحمد رحمهما الله[12] ومن وافقهما. وتأويل ما رُوي أنْ لا صدقة في الخضراوات،

---

[1] ك ع: يبعث أبا خيثمة؛ ن م: يبعث أبا حيثمة.

[2] ن: يقول له.

[3] ذكر الحاكم أن إسناده متفق على صحته؛ انظر: *المستدرك* للحاكم، ١/٥٦٠.

[4] ع م + قال.

[5] شرح *معاني الآثار* للطحاوي، ٤/٣٣-٣٤؛ و*تلخيص الحبير* لابن حجر، ٢/١٧٢.

[6] ك: دلت.

[7] ك: (الثلث) مختلط الخط.

[8] ك: بمعنى.

[9] جميع النسخ: رطبة.

[10] ك: ييبس منها.

[11] ن ع م: ما احتجنا به.

[12] ن - إلا أنا لا نعلم مخالفا أن فيما يباع من الرطب صدقة وإن كان يؤكل كهيئته فهذا يفسد ما احتججنا به لأبي يوسف ومحمد رحمهما الله.

وليس في أقل من خمسة أوسق صدقة، صدقة[١] تؤخذ، وأمّا عليه في نفسه أن يؤدّيها. *والله أعلم*.
وجائز أن يكون قوله: **وآتوا حقه يوم حصاده**، على أولئك[٢] خاصّة في ذلك الوقت. أو يقول:[٣] **وآتوا حقه**، ولا تَصرِفوا إلى الأصنام التي تَصرِفون إليها. *والله أعلم*.[٤]

﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾[١٤٢]

وقوله عز وجل: **ومن الأنعام حمولة وفرشا كلوا مما رزقكم الله**، هو صلة قوله: أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ،[٥] إلى آخر ما ذكر، وأنشأ أيضًا من الأنعام **حمولة وفرشا**. ثم اختلف فيه. قال بعضهم: الحَمُولة ما يُحمَل عليها، أنشأها للحَمْل، والفَرْش الصِغار منها التي لا تُحمَل [عليها].[٦] وقيل: الحَمُولة مِن نحو الإبل والبقر والبغال وغيرها من الحيوان، والفَرْش هو الغنم والمعز التي تؤكَل وأنشأها لِلَّحْم.[٧] ويحتمل الفَرْش ما يؤخَذ من الأنعام ويُتَّخَذ منه الفُرُش والبُسُط. وقال الحسن: الحَمُولة ما يُحمَل عليها، وهو خاصّ، والفَرْش كل شيء من أنواع المال من الحيوان وغيره، يقال: أَفْرَشَه الله له، أي جعله له. قال ابن عباس رضي الله عنه: الحَمُولة الإبل والخيل والبغال والحمير وكل شيء يُحمَل عليه، وأما الفَرْش فالغنم.[٨] وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: الحَمُولة الإبل،[٩] والفَرْش البقر[١٠] والغنم. قال أبو عَوْسَجة: الحَمُولة مَراكِب النساء، والفَرْش ما يكون للنِتاج. وقال القُتَبي: الحَمُولة كبار الإبل التي يُحمَل عليها، والفَرْش صِغارها التي لم تُدرِك أن يُحمَل عليها، وهي ما دون[١١] الحِقَاق،

---

[١] م – صدقة.
[٢] ك: في أولئك.
[٣] ك: أو نقول؛ ن: ويقول.
[٤] ك – أعلم.
[٥] سورة الأنعام، ١٤١/٦.
[٦] ع م: لا يحتمل.
[٧] ع م: اللحم.
[٨] *تفسير الطبري*، ٦٣/٨؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٣٧٠/٣.
[٩] ن – والخيل والبغال والحمير وكل شيء يحمل عليه وأما الفرش فالغنم وعن ابن عمر رضي الله عنه قال الحمولة الإبل.
[١٠] ع: والبقر.
[١١] ع: وهي دون.

والحِقَاق هي التي تَصلُح[1] أن تُركَب، أي حُقَّ ذلك.[2]

وقوله عز وجل: **كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان**، قوله: **كلوا مما رزقكم الله**، ووَجِّهُوا شُكْرَ ذلك إليه، **ولا تتبعوا خطوات الشيطان**، في تحريم ما أحلّ الله لكم وجعل ذلك لكم رزقًا، كقوله: وَجَعَلُوا لِلهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هٰذَا لِلهِ بِزَعْمِهِمْ وَهٰذَا لِشُرَكَائِنَا،[3] وقوله: وَقَالُوا هٰذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللهِ عَلَيْهَا،[4] وقوله: وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هٰذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا.[5] يقول: **كلوا مما رزقكم الله**، وكذلك قوله: كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ،[6] وانتفعوا به، **ولا تتبعوا خطوات الشيطان**، في تحريم ذلك على أنفسكم، واعرفوا نِعَمه[7] التي أنعمها عليكم، ووَجِّهُوا شُكْرَ نِعَمِه إليه، ولا تُوَجِّهُوها إلى غيره.[8]

ثم قوله: **خطوات الشيطان**، قيل: آثار الشيطان، وقيل: أعمال الشيطان، وقيل: دعاء الشيطان[9] وتزيينه، وكله واحد. وأصله أنّ كلّ مَن أجاب آخر إلى ما يدعو إليه ويأتمر بأمره يقال: قد اتّبع أثره. وقد ذكرنا هذا فيما تقدم.[10]

وقوله عز وجل: **إنه لكم عدو مبين**، أي إنه فيما يدعوكم إلى تحريم[11] ما أحلّ الله لكم ورَزَقكم يقصد قَصْدَ / إهلاككم وتعذيبكم، لا قَصْدَ منفعةٍ لكم في ذلك، وكلّ مَن قَصَدَ قَصْدَ إهلاك آخر فهو عدوّ له. وهو يخرج على ما ذكرنا من تذكير المِنَن والنِّعَم التي أنعمها عليهم، يقول: هو الذي جعل لكم ذلك، فلا تَصرِفوا شُكْرَه إلى غيره. [٢٣٢ظ]

---

[1] ن ع م: يصلح.
[2] تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ١٦٢.
[3] سورة الأنعام، ١٣٦/٦.
[4] سورة الأنعام، ١٣٨/٦.
[5] سورة الأنعام، ١٣٩/٦.
[6] سورة الأنعام، ١٤١/٦.
[7] ع: نعمة.
[8] ن: إليه.
[9] ع + وقيل دعاء الشيطان.
[10] انظر تفسير الآية من سورة البقرة، ١٦٨/٢.
[11] ع م: أي تحريم.

﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[١٤٣] ﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللهُ بِهٰذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[١٤٤]

وقوله عز وجل: **ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين**، إلى آخِر ما ذكر، أي أنشأ أيضًا **ثمانية أزواج**، على ما ذكر: أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ،[١] وأنشأ من الأنعام أيضا حَمُولَةً وفَرْشًا، وأنشأ أيضًا **ثمانية أزواج** مما عدّ علينا. ويحتمل أن يكون قوله: **ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين**، إلى آخِر ما ذكر هو تفسير قوله: وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا،[٢] ويكون قوله:[٣] **ثمانية أزواج** التي ذكر في الآية بيان الحَمُولة والفَرْش التي ذكر في الآية الأولى.

ثم قوله:[٤] **ثمانيةَ أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين**؛[٥] في الآية تعريف[٦] المُحاجَّة مع الكفرة وتعليمها من الله، لأنهم كانوا يحرّمون أشياء على الإناث ويُحِلُّونها[٧] للذكور، كقوله: وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هٰذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ،[٨] فقال الله[٩] عز وجل: **قل آلذكرين حرّم أم الأنثيين**، يُعَرِّفُنا المُحاجَّة معهم وطلب العلّة التي بها حرّم،[١٠] فقال: **قل آلذكرين حرم أم الأنثيين**، فإن قالوا: حرّم الذَّكَر فيجب أنّ كلّ ذَكَر محرَّم، ثم من الذكور[١١] ما يحلّ، فتناقضوا[١٢] في قولهم، وإن قالوا:

[١] سورة الأنعام، ٦/١٤١.
[٢] سورة الأنعام، ٦/١٤٢.
[٣] ن م – قوله.
[٤] ن: ثم في قوله.
[٥] ع – إلى آخر ما ذكر هو تفسير قوله ومن الأنعام حمولة وفرشا ويكون قوله ثمانية أزواج التي ذكر في الآية بيان الحمولة والفرش التي ذكر في الآية الأولى ثم قوله ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين.
[٦] ع: تحريف.
[٧] ع م: ويحللونها.
[٨] سورة الأنعام، ٦/١٣٩.
[٩] ك ن – الله.
[١٠] ك ن ع: لها حرم.
[١١] ك: من الذكر.
[١٢] م: فناقضوا.

حرّم الأنثى فيجب أنّ كلّ أنثى أيضًا تكون محرّمة، فإذا لم يحرّم كلّ أنثى ظهرت مناقضتهم،[1] لأنه لا يجوز أن يجب[2] حرمة شيء أو حِلّه[3] لمعنى ثم يرتفع ذلك الحكم والمعنى موجود؛ أو حرّم[4] **ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين**، فإن كان لهذا[5] فيجب أنّ كلّ مُشتمِل عليه أرحامُ الأنثيين محرّم، فإذا لم يحرّم[6] ذلك دلّ أنّ التحريم لم يكن لهذا.[7]

وفيه دلالة أنّ الحكم إذا وجب لعلّة فذلك الحكم واجب ما دامت العلّة قائمة موجودةً، وفيه الأمر بالمُقايَسة.

وقوله عز وجل: **نبئوني بعلم إن كنتم صادقين**، أي ليس عندهم علم[8] يعلمون [به] ذلك ويُنبِئونه. ذكر هاهنا: **نبئوني بعلم إن كنتم صادقين** في مقالتكم أنه حرّم، وقال في الآية التي تليها: **أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا**، أي بتحريمها، أي ليست لكم شهداء على تحريم ما تحرّمون لا مِن جهة كتاب ولا رسول ولا استدلال. لأن العلوم ثلاثة. علم استدلال، وهو علم العقل؛ وعلم المشاهدة والعِيان، وهو علم الحِسّ؛ وعلم السَّمْع والخَبَر. فيخبر أنه ليس لهم من هذه العلوم شيء. أما علم الاستدلال فلا عقل يدلّ على تحريم ما حرّمتم، ولا علم مشاهدة، لأنكم لم تُشاهدوا الله حرّم ذلك، ولا علم مِن جهة السَّمْع والخَبَر، لأنهم[9] لا يؤمنون بالكتب ولا صدّقوا الرسل فيقولوا:[10] أخبرنا الرسل بتحريم ذلك أو وجدنا في الكتب حُرْمَتَها، فبُهِتُوا في ذلك وضَجِروا.

وفي الآية دلالة إثبات رسالة[11] محمد ونبوّته صلى الله عليه وسلم، لأنهم كانوا لا يحرّمون هذه الأشياء ظاهرًا فيما بينهم، ورسول الله صلى الله عليه وسلم نشأ بين أَظْهُرِهم منذ كان صغيرًا إلى كِبَره وعرفوا أنه لم يختلف إلى أحدٍ عَرَف ذلك، ثم أخبر الله[12] عز وجل ما حرّموا

[1] ن ع: متناقضتهم؛ م: تناقضهم.
[2] ع: أن يجيب.
[3] ع: أو حلمه.
[4] ع: موجودًا وحرم.
[5] ك: الحذا.
[6] ع: لم يجرم.
[7] ك ن ع – دل أن التحريم لم يكن لهذا.
[8] ع: لم.
[9] ك ن + كانوا.
[10] ك: فيقولون.
[11] ن + رسولنا.
[12] ك ن – الله.

وفساد ما صنعوا ليدلّهم أنه إنما عرف ذلك بالله، وبه عَلِم حِلّ ما حرّموا وحُرمة ما أحلّوا لا بأحد[١] من الخلائق.

وقوله عز وجل: **فمن أظلم ممن افترى على كذبا**، أي لا أحد **أظلم ممن افترى على الله كذبًا**، لأنه هو الذي أنشأهم، وأنشأ لهم جميع ما يحتاجون إليه ويقضون حوائجهم، وبه كان جميع نِعَمهم التي يتنعّمون ويتقلّبون فيها،[٢] فلا أحد **أظلم ممن افترى على الله كذبًا** فقال: حرّم كذا، ولم يكن حرّم، أو أَمَرَ بكذا، ولم يكن أَمَر. ألا ترى أنه قال عز وجل: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثًا﴾،[٣] ﴿وقِيلًا﴾؛[٤] فكما لم يكن أحد أصدق منه حديثًا فعلى ذلك لا أحد **أظلم ممن افترى على الله كذبا**، بعد علمه أنه هو الفاعل لذلك كلّه وهو المُنشِئ ما ذكر. وقوله: **فمن أظلم**، في الظاهر استفهام، ولكن في الحقيقة إيجاب، لأنه لا يحتمل الاستفهام، كأنه قال: لا أحد أفحش ظلمًا **ممن افترى على الله كذبًا**، على الإيجاب.

وقوله عز وجل: **ليضل الناس بغير علم**، لأنه يقصد بالافتراء[٥] على الله قَصْدَ إضلال الناس وإغوائهم.

إن الله لا يهدي القوم الظالمين، أي لا يهديهم[٦] وقت اختيارهم الكفر والظلم. وقيل: **لا يهدي القوم** الذين في علمه[٧] أنهم يُختَمون[٨] بالكفر. ويحتمل لا يهديهم إذا كانوا هم عند الله ظَلَمَةً كفرة وإن كانوا عند أنفسهم عُدُولًا على الحق.

﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[١٤٥]

وقوله عز وجل: **قل لا أجد فيما أوحي إلي محرما على طاعم يطعمه**؛ قوله: **قل لا أجد**،

---

[١] ع: الا بأحد.
[٢] ك: ويقلبون فيها.
[٣] سورة النساء، ٤/٨٧.
[٤] ﴿ومَن أصْدَقُ مِن الله قِيلاً﴾ (سورة النساء، ٤/١٢٢).
[٥] ك: الافتراء.
[٦] ع م: لا يهدي.
[٧] ك: علم.
[٨] ع م: يجتمعون.

يحتمل وجهين. أحدهما أي **لا أجد** مما تحرّمون[1] أنتم فيما أوحي إلي،[2] وأما مما[3] لا تحرمون فإنه يجده.[4] والثاني **لا أجد فيما أوحي إلي محرما** في وقت، ثم وجده في وقت آخر. وأيهما كان فليس فيه دليلُ حِلِّ سِوَى ما ذكر في الآية على ما يقول بِشْر.

وقوله عز وجل: **قل لا أجد فيما أوحي إلي محرمًا على طاعم يطعمه**، مثل هذا الخطاب لا يكون إلا في معهودِ سؤالٍ،[5] وإلاّ مثل[6] هذا الخطاب لا يستقيم على الابتداء. / [٢٣٣و] فإن كان في معهود فهو يخرج جوابَ ما كانوا يحرّمون من أشياء[7] من الأنعام والحرث وما ذكر في الآيات التي تقدّم ذِكرُها، وما كانوا يحرّمون من البحيرة والوصيلة والسائبة[8] والحامي، فقال: **قل لا أجد فيما أوحي إلي محرما**، مما تحرمون أنتم، **على طاعم يَطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا**. أو كان جواب سؤال في نازلة، فقال: **قل لا أجد فيما أوحي إلي محرما** إلا فيما ذكر في الآية، ولم يجده[9] محرما في وقت إلا ما ذكر، ثم وجده في وقت آخر. ففي أيّهما كان لم يكن لِبِشْر[10] علينا في ذلك حجّة[11] حيث قال: إن الأشياء كلها محلّلة مطلقة بهذه الآية: **قل لا أجد فيما أوحي إلي محرما**، إلا ما ذكر من الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به، فقال: لا يحرم[12] من الحيوان إلا ما ذكر. ويقول: إن النهي الذي جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن كل ذي ناب من السباع وعن كل ذي مِخلَب من الطير،[13] إنما هو خبر خاصّ من أخبار الآحاد، وخبر الواحد لا يعمل في نسخ الكتاب،

[1] ن: مما تجرمون.
[2] ع – إلي.
[3] ك: وأما فيما.
[4] ك م: يجد؛ ن ع: بالجد.
[5] ك ن: أو سؤال.
[6] ع: ولا مثل.
[7] ع: الأشياء.
[8] ن – والسائبة.
[9] ك ع: أو لم يجده.
[10] جميع النسخ: للبشر.
[11] ع م + علينا.
[12] ن ع: لا تحرم.
[13] روي عن عدد من الصحابة أنه نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل ذي ناب من السباع وعن كل ذي مِخلَبٍ من الطير (*صحيح مسلم*، الصيد ١٦؛ وسنن *أبي داود*، الأطعمة ٣٢؛ وسنن *الترمذي*، الصيد ٩، ١١). والمِخلَب: ظفر ما يَصِيد من الطير (*لسان العرب* لابن منظور، «خلب»).

وقد قال: **لا أجد فيما أوحي إلي محرما.** وبعد[١] فإن ذلك الخبر[٢] من الأخبار[٣] المتواترة، لأنه عرفه الخاصّ والعام وعملوا به وظهر العمل به حتى لا يكاد يوجد ذلك يباع في أسواق المسلمين، دلّ أنه من المتواتر.

{قال الشيخ رضي الله عنه}: وعندنا أن لفظة التحريم على الإطلاق لا تقال[٤] إلا في النهايات من الحرمة. ونحن نقول: لا تطلق[٥] لفظة التحريم[٦] في الحيوان إلا فيما ذكر في الآية من الميتة والدم المسفوح والخنزير؛ ولكن يقال: منهي عنه مكروه، ولا يقال: محرم[٧] مطلقا؛ ويقال: لا يؤكل ولا يطعم. وبعد فإن الآية لو كانت في غير الوجهين اللذين ذكرناهما لم يكن فيها دليل حلّ ما عدا المذكور في الآية، لأنه قال: **لا أجد**، ولم يجد[٨] في وقت، ثم وجد في وقت آخر؛ هذا جائز.

وفي قوله: **محرما على طاعم يطعمه**، دلالة أن الجلد يحرم بحق اللحمية، لأنه أمكن أن يُشوَى فيؤكل، فحرمته حرمة اللحم، فإذا دُبِغ خَرج مِن أنْ يؤكل،[٩] فخرج[١٠] عن قوله: **على طاعم يطعمه**. *والله أعلم*.

ثم في قوله: **مُحرَّما على طاعم يطعمه**، الآية، دلالة أن الحرمة التي ذَكر في قوله: حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ،[١١] إلى آخر ما ذكر، حرمةُ الأكل والتناول منها، لأنه لم يبين في تلك الآية ما الذي حرّم منها سِوى ما ذَكر حرمته،[١٢] تفسرها[١٣] هذه الآية: قوله[١٤] عز وجل: **محرمًا على طاعم يطعمه**، إلّا كذا؛

---

[١] ك – وبعد.
[٢] أي خبر النهي عن أكل السباع والطير الذي يصيد بمخالبه.
[٣] ع: من الخبر الأخبار.
[٤] ن: لا يقال.
[٥] ن: لا يطلق.
[٦] ع م – على الإطلاق لا تقال إلا في النهايات من الحرمة ونحن نقول لا تطلق لفظة التحريم.
[٧] ع: محرما.
[٨] ع م: ولم يوجد.
[٩] ك ن + فظهر.
[١٠] ع م: فظهر.
[١١] سورة المائدة، ٣/٥.
[١٢] ك ع: حرمت.
[١٣] ن م: يفسرها.
[١٤] ن ع م: وقوله.

دلَ هذا أن الحرمة في تلك الآية الأكل والتناول منها. وكذلك قوله: اَلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ،[1] ذكر الحِلَ و لم يذكر الحِلّ لماذا، ثم جاء التفسير في هذه الآية أنه للأكل.[2]

ثم الميتة التي ذكر أنها محرَمة ليست هي التي ماتت حَتْفَ أنفِها خاصة؛ ألا ترى[3] أنه ذكر: وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ، وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ، وقال:[4] وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ،[5] كلّ هذا الذي ذكر لم يمت حَتْفَ أنفِه، ولكن بأسباب لم يؤمر بها، فصارت ميتة، فدلّ أنّ كلّ مذبوح أو مقتول بسبب لم يؤمر به فهو ميتة، لا يحل التناول منها إلا في حال الاضطرار.

وفي قوله: **أو دمًا مسفوحًا**، دلالة أنّ المحرّم من الدم[6] هو المسفوح. والدم الذي يكون في اللحم ويخالط اللحم[7] ليس بحرام، والدم المسفوح حرام. قال أبو عَوْسَجة: المسفوح المصبوب، تقول: سَفَحْتُ صَبَبْتُ. وقال القُتَبي: **مسفوحا** أي سائلا.[8] وقال ابن عباس رضي الله عنه: المسفوح هو الذي يُهْراق.[9]

وقوله عز وجل: **أو لحمَ خنزيرٍ**، ذكر[10] اللحم وذكر حرمة الميتة لِيُعلَم أنّ الخنزير بجوهره حرام، والميتة حرمتها لا بجوهرها لكن لما اعترض.[11] لذلك قلنا أنْ لا بأس بالانتفاع بصوف الميتة ووَبَرها وعظمها، ولا يجوز من الخنزير شيء. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **فمن اضطُرَّ غير باغ ولا عاد**، قيل: **غير باغ** يستحلّه في دينه، **ولا عاد** أي ولا متعديا لم يُضطرّ إليه فأكله. وقد ذكرنا أقاويلهم والاختلاف في تأويله في صدر الكتاب.[12]

---

[1] سورة المائدة، ٥/٥.
[2] ن – أنه للأكل.
[3] ك: ألا يري.
[4] ع م: قال.
[5] ﴿حُرِمَتْ عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أُهلّ لغير الله به والمُنْخَنِقة والمَوْقُوذة والمُتَرَدِّية والنَّطِيحة وما أكل السَّبُع إلا ما ذكّيتم وما ذُبح على النُّصُب﴾ (سورة المائدة، ٣/٥).
[6] ع: بالدم.
[7] ع – ويخالط اللحم.
[8] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٦٢.
[9] *تفسير الطبري*، ٧١/٨.
[10] ك: ذلك.
[11] ك: لما عترض. يعني أن حرمة الميتة عرضية وليست ذاتية بخلاف الخنزير.
[12] انظر تفسير الآية من سورة البقرة، ١٧٣/٢.

فإن ربك غفور، لأكله[1] الحرام في حال الاضطرار، **رحيم**، حيث رخّص الحرام[2] في موضع الاضطرار. وهذا أيضًا قد مضى ذكره[3] في غير موضع.[4]

﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾[١٤٦]

وقوله عز وجل: **وعلى الذين هادوا حرّمنا كل ذي ظُفُر**، قيل: مثل[5] النّعامة والبعير. وقيل: **كلّ ذي ظفر**، مثل الديك والبطّة والبعير وكلّ ما لم يكن منفرج الأصابع والقوائم. وقيل: **حرمنا كل** ذي حافر من نحو حمار الوحش والوَزّ وغيره. وقيل: **حرمنا كلّ ذي ظفر**، كلّ ذي مِخلَب من الطير، وكلّ ذي ناب من السباع، ومن الدوابّ كلّ ذي ظفر [غير] مُنْشَقّ مثل الأرنب والبعير وأشباههما، وهو قول ابن عباس رضي الله عنه.[6] والأشبه أن يكون ما ذكر من تحريم كل ذي ظفر عليهم هو ما يحلّ أكله لا ما يحرم، وهو ما ذكر بعضهم أنه البعير والغنم والبقر ونحوه، لأنه ذكر[7] في آية أخرى: فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ،[8] الآية.[9]

وقوله عز وجل: **ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما**، قيل: شحوم بطونهما ومن الثُّرُوب[10] وشحم الكِلْيَتَيْن. **أو الحوايا**، وهي المباعر والمصارين، أي الشحم الذي عليهما؛ **أو ما اختلط بعظم**، قيل: الألية. وقيل:[11] قوله: **إلا ما حملت ظهورهما**، هو سَمْن اللحم. قيل فيه أقاويل مختلفة في هذا وفي الأول في قوله: **حرّمنا كل ذي ظفر**،

---

[1] ع م: لأكلة.
[2] ن: لحرام.
[3] ك: ذلكره.
[4] انظر مثلا تفسير الآية من سورة البقرة، ١٧٣/٢.
[5] ك + هذا.
[6] روي عن ابن عباس في قوله: ﴿وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر﴾، قال: هو الذي ليس بمنفرج الأصابع، يعني ليس بمشقوق الأصابع، منها الإبل والنّعام (*الدر المنثور* للسيوطي، ٣٧٧/٣). وروي مختصرا؛ انظر: *تفسير الطبري*، ٧٣/٨.
[7] ع م – من تحريم كل ذي ظفر عليهم هو ما يحل أكله لا ما يحرم وهو ما ذكر بعضهم أنه البعير والغنم والبقر ونحوه لأنه ذكر.
[8] سورة النساء، ١٦٠/٤.
[9] م – الآية.
[10] الثَّرْب شحم رقيق يغشى الكرش والأمعاء، وجمعه ثُرُوب (*لسان العرب* لابن منظور، «ثرب»).
[11] ع: قيل.

[٢٣٣ظ] لكن ليس لنا إلى معرفة ذلك حاجة، لأنّ تلك / شريعة قد نُسِخت، والعمل بالمنسوخ حرام. فإذا لم يكن علينا العمل بذلك ليس لنا إلى معرفة ذلك حاجة، كان ذا أو ذا، وإنما علينا أن نعرف[1] لم كان[2] ذلك التحريم عليهم وبم كان تحريم هذه الأشياء عليهم، فهو -والله أعلم- ما ذكر في قوله: ﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللهِ كَثِيرًا﴾،[3] الآية؛ أخبر أنّ ما حرّم عليهم من الطيبات بظلمهم للذين ظلموا. ولذلك قال الله تعالى: **ذلك جزيناهم ببغيهم**، أخبر أنّ ذلك جزاء بغيهم الذي[4] بَغَوا. والثاني أنهم كانوا يدّعون[5] ويقولون: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾،[6] يقول: لو كنتم صادقين في زعمكم أنكم أبناء الله وأحباؤه لكان لا أحد[7] يعاقب ولده أو حبيبه بأدنى ظلم، ولا يحرّم عليه الطيبات. فإذا كان الله حرّم عليكم الطيبات وجزاكم[8] بتحريم أشياء عقوبةً لكم بظلمكم وبغيكم ظهر أنكم كذبتم في دعاويكم وافتريتم بذلك على الله. وفيه دليل إثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته، لأنهم كانوا يحرّمون هذه الأشياء فيمابينهم ولا يقولون: إنهم ظَلَمَة وأنّ ما حُرّم عليهم حرّم[9] بظلمٍ كان منهم وبغيٍ، ثم أخبرهم النبي[10] صلى الله عليه وسلم أنّ ما حرّم عليهم من الطيبات إنما حرّم بظلمهم وبغيهم؛ دلّ أنه إنما أخبر بذلك[11] عن الله وبه عرف ذلك، فدلّ أنه آية من آيات نبوته[12] صلى الله عليه وسلم. ***والله أعلم***.

وقوله[13] عز وجل: **ذلك جزيناهم ببغيهم**، أي ذلك التحريم عقوبة لبغيهم وظلمهم؛ **وإنا لصادقون**، أي[14] بالإنباء أنّ ذلك كان بظلمهم وبغيهم، **وإنا لصادقون**[15] في كل ما أخبرنا وأنبأنا.

---

[1] ع: او نعرف.
[2] ك ن: مم كان؛ ع: ثم كان.
[3] ﴿فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلّت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا. وأَخْذِهم الربا وقد نهُوا عنه وأَكْلِهم أموال الناس بالباطل وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما﴾ (سورة النساء، ٤/١٦٠-١٦١).
[4] م: الذين.
[5] ك: يذعون.
[6] ﴿وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأَحِبّاؤه﴾ (سورة المائدة، ٥/١٨).
[7] ع: لاحد.
[8] ك: وجزاءهم؛ ن ع م: وجزاهم.
[9] ع م – حرم.
[10] ن: رسول الله.
[11] ن – بذلك.
[12] ن: انبوته.
[13] ن: قوله.
[14] ك ن + أي وإنا لصادقون.
[15] ن: أو وإنا لصادقون.

﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾[١٤٧]

وقوله عز وجل: **فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة**، قال الحسن: **فإن كذبوك** فيما تدعوهم إليه وتأمرهم به من التصديق والتوحيد له والربوبية؛ **فقل ربكم ذو رحمة واسعة**، إذا رجعتم عن التكذيب وصدّقتم وعرفتم أنه[١] واحد لا شريك له يغفر لكم ما كان منكم في حال الكفر، ويكفر عنكم سيئاتكم التي كانت. وقوله عز وجل: **فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين**، كأنه على التقديم والتأخير، كأنه[٢] يقول: فإن كذّبوك فقل لا يُرَدّ بأسه عن القوم المجرمين، ثم قال: **ربكم ذو رحمة واسعة**، يسع في رحمته العفو إذا تبتم. وقال غيره من أهل التأويل: **فإن كذبوك** يا محمد حين أنبأتهم بما حرّم الله عليهم بظلمهم وبغيهم؛ **فقل ربكم ذو رحمة واسعة**، لا يهلك أحدا[٣] وقت ارتكابه المعصية ولا يعذّبه حالة ذلك، لكنه يؤخر؛ **ولا يُرَدّ بأسه**، أي عذابه إذا نزل بقوم مجرمين.[٤] ***والله أعلم***.

﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾[١٤٨]

وقوله عز وجل: **سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء**، قيل: الآية في مشركي العرب، قالوا ذلك حين لزمتهم المناقضة وانقطع حِجاجهم في تحريمهم[٥] ما حرّموا[٦] من الأشياء وأضافوا ذلك إلى الله. وهو صلة قوله: ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ -إلى آخر ما ذكر إلى قوله- أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَٰذَا.[٧] فلما لزمتهم المناقضة وانقطع حِجاجهم فزعوا عند ذلك إلى هذا القول: **لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء**، فيقول الله لنبيه: **كذلك كذّب الذين من قبلهم**، من الأمم الخالية رسلهم كما كذّبك هؤلاء، وكانوا يقولون لرسلهم ما قال لك هؤلاء: **لو شاء الله ما أشركنا**، إلى آخر ما ذكر.

---

[١] ع: وأنه.
[٢] ن ع م - كأنه.
[٣] ع م - أحدا.
[٤] ك ع م + بجرمهم.
[٥] ك ن: في تحريم.
[٦] ع: وحرموا.
[٧] سورة الأنعام، ٦/١٤٣-١٤٤.

ثم اختلف في تأويل قوله: **لو شاء الله ما أشركنا**؛[1] قال الحسن والأصمّ: إن المشيئة ههنا الرضا،[2] قالوا: رضي الله بفعلنا وصنيعنا، حيث فعل آباؤنا مثل ما فعلنا[3] وصنعوا مثل ما صنعنا[4] فلم يَحُل الله بينهم وبين ذلك، ولا أخذ على أيديهم، ولا منعهم عن ذلك، فلو لم يرض بذلك عنهم لكان يحول ذلك عنهم ومنعهم عنه. وإنما استدلوا بالرضاء من الله والإذن فيما كانوا فيه يخوّفون[5] آباءهم[6] الهلاك والعذاب بصنيعهم الذي كانوا صنعوا. ثم رأوهم[7] ماتوا على ذلك و لم يأتهم العذاب، فاستدلوا[8] بتأخير نزول العذاب عليهم على أن الله رضي بذلك. ***والله أعلم.***

وبظاهر هذه الآية للمعتزلة أدنى تَعلُّق، لأنهم يقولون: إن الله تعالى قد ردّ ذلك القول الذي قالوا، وعاتبهم على ذلك القول بقوله: **كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا**، وأوعدهم على ذلك وعيدًا شديدًا، فلو كان يجوز إضافة المشيئة إلى الله تعالى في ذلك على ما تضيفون أنتم لم يكن يردّ ذلك عليهم ولا عاتبهم على ذلك ولا أوعدهم وعيدا في ذلك؛ دلّ أنه لا يجوز أن يقال ذلك ولا إضافة المشيئة إليه في ذلك.

فنقول –وبالله[9] التوفيق– إن المشيئة ههنا تحتمل[10] وجوها. أحدها ما قال[11] الحسن والأصمّ من الرضاء، قالوا: إن الله رضي بذلك.

والثاني الأمر والدعاء إلى ذلك، يقولون: إن الله أمرهم بذلك ودعاهم إلى ذلك.[12]

والثالث كانوا يقولون ذلك على الاستهزاء والسخرية لا على الحقيقة. وهكذا أَمْرُ المجوس أنهم [٢٣٤و] إذا قيل لهم هذا: لِمَ لا تؤمنون وتسلمون، يقولون ما قال هؤلاء: لو شاء الله / لآمنا[13] ولا أشركنا.

---

[1] ع م + إلى آخر ما ذكر ثم اختلف في تأويل قوله لو شاء الله ما أشركنا.
[2] ع: الرضاء.
[3] ن – مثل ما فعلنا.
[4] ك ن: مثل صنيعنا.
[5] أي كان الأنبياء والمؤمنون يخوّفون آباء أهل الشرك بالهلاك إذا لم يؤمنوا.
[6] ك: اباهم.
[7] ك: رأوا هم.
[8] ن: واستدلوا.
[9] ع م: بالله.
[10] ن: يحتمل.
[11] ك ع: قال.
[12] لعل المؤلف رحمه الله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها﴾ (سورة الأعراف، ٢٨/٧).
[13] ك: ما آمنا.

فهذا العتاب الذي لحقهم والوعيد الذي أوعدهم إنما كان لما قالوا ذلك استهزاء منهم، ولما[1] ادَّعَوْا من الأمر والدعاء على الله - وافتروا عليه - والرضاءِ[2] أنه رضي بذلك. على هذه الوجوه الثلاثة تخرج المشيئة في هذا الموضع -والله أعلم- لا على ما قاله المعتزلة، وهو كما ذكر[3] في آية أخرى: وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا،[4] هو كلمة حق، لكن قالها ذلك[5] استهزاء وهُزُؤا، فلَحِقه العتاب.

وقوله عز وجل: **قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا،** أي هل عندكم من بيان وحجّة من الله فتبيّنوه لنا وتظهروه على زعمكم أن الله أمركم بذلك ودعاكم إليه، أو ترككم على ذلك لما رضي بذلك[6] دون أنْ أَمهَلكم[7] لِيعذّبكم؟ أَوَليس قد ترك من خالفكم في ذلك،[8] ثم لم يدلّ تركه إيّاهم على أنه رضي بذلك؟ فقال الله: **إن تتبعون إلا الظن،** أي ما تتبعون[9] في ذلك إلا الظن؛ **وإن أنتم إلا تخرصون.** أي ما هم إلا يخرصون ويَكْذِبون في ذلك، ليست لهم حجة ولا بيان على ما يدّعون من الأمر والدعاء إلى ذلك والترك على ما هم عليه على الرضاء به.[10]

﴿قُلْ فَلِلّٰهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[١٤٩]

وقوله عز وجل: **قل فلله الحجة البالغة،** قيل: **الحجة البالغة،**[11] التي إذا بلغت كل شبهة أزالتها، وكلَّ غافل ونائم[12] نبّهته وأيقظته. وقيل: **الحجة البالغة،** التامّة القاهرة الظاهرة على كل شيء الغالبة عليه، لم تبلغ شيئا إلا قهرته وغلبته. وقال الحسن: **الحجّة البالغة،** في الآخرة،

---

[1] ك: أو لما.
[2] ك ن: أو الرضا.
[3] جميع النسخ: ما ذكر.
[4] سورة مريم، ٦٦/١٩.
[5] ع م - ذلك.
[6] ع م - فتبينوه لنا وتظهروه على زعمكم أن الله أمركم بذلك ودعاكم إليه أو ترككم على ذلك لما رضي بذلك.
[7] ن: دون أمهلكم.
[8] وعبارة السمرقندي هكذا: «ألا ترون قد ترك من خالفكم في دينكم من المسلمين واليهود والنصارى مع زعمكم أنهم على الباطل و لم يستأصلهم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٧٨و-ظ).
[9] ن م: ما يتبعون.
[10] م - به.
[11] م - قيل الحجة البالغة.
[12] ع م: نائم.

لا يعذّب[1] أحدا ولا يعاقبه إلا لحجّة تلزم، ولا يعاقب[2] بهوى أو انتقام أو شهوة على ما يعاقِب في الشاهد غيرُه.[3] ما من أحد من الخلائق إلا ولله عليه الحجّة البالغة. أمّا الملك المقرّب فإن الله جَبَله على الطاعة فلا يعصيه مَنًّا مِن الله عليه وطَوْلاً[4] وفضلاً، فهو مُقصِّر عن شكر نعمة الله عليه. وأمّا النبي المرسل والعبد الصالح فلله عليهما السبيل والحجة من غير وجه.[5]

ثم تحتمل[6] **الحجة البالغة** وجوها. أحدها[7] هذا القرآن الذي أنزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية معجزة وحجّة بالغة فأعجز[8] الخلائق عن إتيان مثله. فدلّ عجزهم عن إتيان مثله على أنه آية من آيات الله وحجّة من حُجج الله أرسلها على نبيه صلى الله عليه وسلم.

والثاني أنه جعل في كليّة[9] الخلائق والأشياء ما يشهد أن الخلائق والأشياء كلها له شهادةَ خِلقةٍ، ويدلّ كليّة الأشياء على وحدانيته، فهو حجة بالغة.

والثالث أَلْسُن الرسل وأنباؤهم حيث لم يؤاخذوهم[10] بكذب قط فيما بينهم، ولا جرى على لسانهم كذبٌ قط ولا فُحشٌ، عَصَمهم عز وجل[11] عن ذلك. فدلّ ذلك[12] على أنهم إنما خُصُّوا بذلك لما أنّ الله جعلهم حُججًا وآيات على وجه الأرض، فذلك[13] حجّة بالغة. *وبالله العصمة.*

وقال بعضهم: **فلله الحجة البالغة**، في تحريم الأشياء وتحليلها، ليس لهؤلاء الذين يحرّمون أشياء لهم في تحريمهم حجّة، إنما يحرّمون ذلك بهوى أنفسهم. ***والله أعلم.***[14]

---

[1] م: ولا يعذب؛ ن + أو لا يعذب.
[2] ن ع م: لا يعاقب.
[3] جميع النسخ: ولا غيره.
[4] ع م: طولا.
[5] جميع النسخ: واحد.
[6] ن ع م: ثم يحتمل.
[7] ع: أحدهما.
[8] جميع النسخ: ما عجز؛ والتصحيح مستفاد من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٧٨ظ.
[9] ع: في كلمية.
[10] ع: لم يأخذوهم.
[11] ك - حيث لم يؤاخذوهم بكذب قط فيما بينهم ولا جرى على لسانهم كذب قط ولا فحش عصمهم عز وجل.
[12] ع م - ذلك.
[13] م - فذلك.
[14] ن - والله أعلم.

وقوله عز وجل: **فلو شاء لهداكم أجمعين**، قال الحسن: المشيئة ههنا مشيئة القدرة، وقال: لو شاء لقهرهم[١] وأعجزهم حتى لم يقدروا على معصية قط، على ما جعل الملائكة جَبَلهم على الطاعة حتى لا يقدروا على معصية قط. ثم هو[٢] يُفَضِّل الملائكة[٣] على الرسل والأنبياء والبشر جميعًا، ويقول: هم مجبورون على الطاعة. فذلك تناقض في القول، لا يجوز من كان مقهورًا مجبورًا[٤] على الطاعة [أنْ] يُفَضَّل على من يعمل بالاختيار مع تمكن الشهوات فيه والحاجات التي تغلب صاحبها وتمنعه عن العمل بالطاعة. ويقول:[٥] فَضْلُهم بالجوهر والأصل. فلا يجوز أن يكون لأحدٍ بالجوهر نفسِه فضلٌ على غير ذلك الجوهر، لأن الله تعالى لم يذكر فضل شيء بالجوهر إلا مقرونا بالأعمال الصالحة الطيبة، كقوله: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّٰهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ،[٦] وكَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ،[٧] وغيره، وقوله: وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ،[٨] وقوله: وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ،[٩] ونحوه. لم يُفضِّل أحدا[١٠] بالجوهر على أحد، ولكن إنما فضّله بالأعمال الصالحة، لذلك قلنا: إنّ قوله يخرج على التناقض.

وتأويل قوله: **فلو شاء لهداكم أجمعين**، عندنا ظاهر، لو شاء لهداهم جميعًا[١١] ووفّقهم للطاعة وأرشدهم لذلك، وهو[١٢] كقوله: وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ،[١٣] الآية، فإذا كان الميل إلى الكفر لمكان ما جعل لهم من الفضة والزينة فإذا كان ذلك للمؤمنين آمنوا، ثم لم يجعل كذلك، دلّ هذا على أنّ قولهم: لَوْ شَاءَ اللّٰهُ مَا أَشْرَكْنَا،[١٤] هو الأمر والرضاء، أو ذكروا على الاستهزاء حيث قال: **فلو شاء لهداكم أجمعين.**

---

[١] ع م: قهرهم.
[٢] أي الحسن البصري رحمه الله تعالى.
[٣] م + على الملائكة.
[٤] ك: مجبورًا مقهورًا.
[٥] ك: أو يقول.
[٦] سورة إبراهيم، ١٤/٢٤.
[٧] ع – وكلمة خبيثة كشجرة خبيثة. سورة إبراهيم، ١٤/٢٦.
[٨] سورة الأعراف، ٧/٥٨.
[٩] سورة فاطر، ٣٥/١٠.
[١٠] ع: أحد.
[١١] ن – جميعا.
[١٢] ع م: هو.
[١٣] سورة الزخرف، ٤٣/٣٣.
[١٤] سورة الأنعام، ٦/١٤٨.

والمعتزلة يقولون: المشيئة ههنا مشيئة قَسْر وقهر، وقد ذكرنا أنْ لا يكونُ في حال القهر إيمان، وإنما يكون في حال الاختيار. والمشيئةُ مشيئةُ[1] الاختيار، ولا تحتمل[2] مشيئة الخلقة، لأنّ كل أحد بشهادة الخلقة مؤمن،[3] فدلّ أنّ التأويل ما ذكرنا.

﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللهَ حَرَّمَ هٰذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾[١٥٠]

وقوله عز وجل: **قل هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا**، الذي تحرّمون أنتم من الوصيلة والسائبة والحامي،[4] وما حرّموا من الحرث والأنعام؛ **فإن شهدوا**، أنّ الله حرّمه؛[5] **فلا تشهد معهم**. كيف قال: **هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا فإن شهدوا فلا تشهد معهم**، دعاهم[6] إلى أن يأتوا بالحجة، فإذا أقاموها[7] [قال]: لا تشهد معهم؟ لكن هذا / -والله أعلم- أنهم يعلمون أنّ التحريم إلى الله ليس إلى أحد من الخلائق، [٢٣٤ظ] **فإن شهدوا**، بأنه حرّم، **فلا تشهد معهم**، فإنهم شهدوا بباطل. ويحتمل أن يكون أمره أن يسألهم شهداء من أهل الكتاب يشهدون لهم بأن الله حرّم هذا، لأن هؤلاء كانوا أهل شرك وعَبَدَة الأوثان يسألون أهل الكتاب وأهل الرسل[8] يشهدون لهم بذلك؛ **فإن شهدوا فلا تشهد معهم**، أي لا يشهدون[9] لهم بذلك فلا تشهد أنت[10] أيضًا معهم على الإخبار أنهم لا يشهدون، وهو كقوله: لَئِنْ أُخرِجُوا لَا يَخرُجُونَ مَعَهُمْ ولَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ،[11] الآية، أخبر عن المنافقين أنهم قالوا: لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ... وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ،

[1] ع – مشيئة.
[2] ن ع م: ولا يحتمل.
[3] ع م: المؤمن.
[4] انظر تفسير الآية من سورة المائدة، ١٠٣/٥.
[5] ع: حرم.
[6] ن: ودعاهم؛ ع: دعاءهم.
[7] م: فإذا قاموها.
[8] جميع النسخ: رسل.
[9] ك: لا تشهدون.
[10] ك – أنت.
[11] ﴿ألم تَرَ إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجنّ معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وإن قُوتلتم لننصرنّكم والله يشهد إنهم لكاذبون. لئن أُخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قُوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم لَيُوَلُّنَّ الأدبار ثم لا يُنصَرون﴾ (سورة الحشر، ٥٩/١١-١٢).

وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ، ثم أخبر عنهم أنهم لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ، الآية، لكنه أخبر أنهم لا يقاتلون رأسًا، وإلاّ لو نصروهم لَيُوَلُّون[1] الأدبار؛ فعلى ذلك قوله: **هَلُمَّ شهداءكم الذين يشهدون... فإن شهدوا فلا تشهد معهم،** لأنهم لا يشهدون. ***والله أعلم***. ويشبه أن يُسألوا حتى يأتوا بآبائهم حتى يشهدوا، لأنهم كانوا يقولون: وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللهُ أَمَرَنَا بِهَا،[2] وإنّ الله رضي بصنيع آبائنا حيث لم يهلكهم وتركهم على ذلك، فيُسألون أن يأتوا بأولئك حتى يكونوا هم الذين يشهدون على ذلك، فلن يجدوا إلى[3] ذلك سبيلا أبدًا، وهو كقوله: وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ،[4] فلا يجدون أبدًا.

وقوله عز وجل: **ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا،** دلّ أنّ ما كانوا يحرّمون إنما يحرّمون بهواهم لا بحجّة[5] وبرهان؛ **والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يَعدِلون،** أي يَعدِلون الأصنام في العبادة والألوهيّة بربهم.

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[١٥١]

وقوله عز وجل: **قل تعالوا أتل ما حرّم ربكم عليكم،** يقول:[6] **تعالوا** أقرأ عليكم **ما حرّم ربكم،** وأبيّن لكم ما حرّم بحجّة وبرهان؛ وإنّ ما حرّمتم أنتم حرّمتم[7] تقليدا منكم لآبائكم أو حرّمتم بهوى أنفسكم، لا حرّمتم بأمر أو حجّة وبرهان. ثم بيّن الذي حرّم عليهم فقال: **أن لا تشركوا به شيئًا**. الشرك حرام بالعقل، ويلزم كلَّ مَن عَقَل التوحيدُ ومعرفةُ الرب، لما كان منه من تركيب الصُّوَر وتقويمها بأحسن صُوَر، يَرَوْن ويَعرِفون[8] أنه لم يصوّرها أحد سِواه

---

[1] ك ن ع: لا يولون.

[2] ﴿وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها﴾ (سورة الأعراف، ٧/٢٨).

[3] ك + يجدوا إلى.

[4] سورة البقرة، ٢/٢٣.

[5] ع: ولا بحجة.

[6] ع م: يقولون.

[7] ن – أنتم حرمتم.

[8] ع م: يعرفون.

ولا قَوَّمها ولا يَشْرَكُه آخرُ في ذلك، وما كان منه إليكم من أنواع الإحسان والأيادي، فكيف تشركون غيره في ألوهيته وربوبيته؟ فذلك حرام بالعقل والسمع.[1]

وقوله عز وجل: **قل تعالوا أتل ما حرّم ربكم عليكم ألاّ تشركوا به شيئًا**، يخرج على وجهين. أحدهما على الوقف والقطع على قوله: **ربكم [عليكم]**، والابتداء من قوله: **ألّا تشركوا به شيئًا**، كأنه لما قال: **أتل ما حرم ربكم**، فقالوا: أيُّ شيء[2] الذي حرّم علينا ربنا؟[3] فقال: **ألّا تشركوا به شيئًا**. والوجه الآخر على الوصل بالأول، ولكن على طرح "لا"، فيكون كأنه قال: **حرّم ربكم عليكم** أن تشركوا[4] به شيئًا، وحرف "لا" قد تُطرَح وتُزاد في الكلام.

وقوله عز وجل: **وبالوالدين إحسانًا**، أي برًّا بهما.

فإن قيل: قال تعالى: **أَتْلُ ما حرم ربكم عليكم**، وههنا يأمر بالإحسان إليهم، و لم يذكر المحرّم؟

قيل: في الأمر بالإحسان إليهما تحريم ترك الإحسان، فكأنه قال: حرّم عليكم ترك الإحسان إلى الوالدين، وفرض عليكم برّهما والإحسان إليهما. ثم فيه أنكم تعرفون بالعقل أن الإحسان إلى الوالدين واجب والإساءة إليهما حرام عليكم، و لم يكن منهما[5] إليكم من الإحسان أكثرُ مما كان من الله[6] إليكم، فكيف تختارون[7] الإساءة إلى الله والإشراك في عبادته[8] غيره، ولا تختارون[9] الإساءة إلى الوالدين، بل تختارون[10] الإحسان إليهما؟[11]

وقوله عز وجل: **ولا تقتلوا أولادكم من إملاق**، إنهم كانوا يقتلون أولادهم[12] خشية الفقر والفاقة، فهو مما حرّم عليهم. وهذا يدلّ على أن الحظْر[13] في حال لا يوجب الإباحة في حال أخرى،

---

[1] م: و والسمع
[2] ن ع م: ايش.
[3] ك: ربنا علينا.
[4] ع: أن لا تشركوا.
[5] ن ع م: منهم.
[6] ك – إلى الوالدين واجب والإساءة إليهما حرام عليكم و لم يكن منهم إليكم من الإحسان أكثر مما كان من الله.
[7] ع م: يختارون.
[8] م: في عبادة.
[9] ع م: ولا يختارون.
[10] ع م: بل يختارون.
[11] ن ع م: إليهم.
[12] ن: أولادكم.
[13] ن ع: أن الحضر.

لأنه قال: وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ،[١] ليس فيه إباحة القتل إذا لم يكن هنالك خشية الإملاق، لكن ذكر هذا لأنهم إنما كانوا[٢] يقتلون في تلك الحال، ففي ذلك خرج النهي.

وقوله عز وجل: **نحن نرزقكم وإياهم**، أي على ما نخرج[٣] لكم من الزروع[٤] والثمار والنبات[٥] -فرزقكم من ذلك- فعلى ذلك نرزق[٦] أولادكم مما نخرج[٧] من الأرض من الزروع[٨] والثمار، فلا تقتلوهم، فإذا لم تقتلوا أنفسكم خشية الفقر والفاقة كيف تقتلون أولادكم لذلك؟ فالذي يرزقكم هو الذي يرزق أولادكم.

وقوله عز وجل: **ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن**؛ يحتمل قوله: **ولا تقربوا**، أي لا تواقعوها. ويحتمل لا تدنوا منها، ولكن اجعلوا بينكم وبين الفواحش والمحرّمات حجابًا من الحلال. وهكذا الحق على المسلم أن لا يدنو[٩] من الحرام ويجعل بينه وبين ذلك حجابًا وسِترًا من الحلال.[١٠] ثم اختلف في قوله: **ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن**؛ قيل: **الفواحش**: الزنا، **ما ظهر منها**: المخالطة باللسان والمجالسة معهن، **وما بطن**: فِعل الزنا نفسِه، كانوا يجتمعون ويجالسونهن ولكن لا يجامعونهن[١١] بين أيدي الناس، ثم إذا خَلَوْا بهن زَنَوْا بهن. وقيل: كانوا يزنون / بالحرائر[١٢] سرًا وبالإماء ظاهرًا، فحرّم ذلك عليهم. وقيل: [٢٣٥و] **ما ظهر منها**: نكاح الأمهات، **وما بطن** هو الزنا، وكان نكاح[١٣] الأمهات ظاهرا،[١٤] وهو قول ابن عباس[١٥] وسعيد بن جبير رضي الله عنهما. وقيل: **الفواحش** المحرّمات جملتها،

---

[١] سورة الإسراء، ٣١/١٧.
[٢] م: لأنهم كانوا.
[٣] ع م: ما تخرج.
[٤] ن ع م: من الزرع.
[٥] ع م – والنبات.
[٦] ع م: ترزق.
[٧] ع م: مما تخرج.
[٨] ك: والزروع؛ ع م: من الزرع.
[٩] ع م: أن لا يدنوا.
[١٠] ن – وهكذا الحق على المسلم أن لا يدنو من الحرام ويجعل بينه وبين ذلك حجابا وسترا من الحلال.
[١١] ع م: لا يجامعوهن.
[١٢] م – بالحرائر.
[١٣] ع: لنكاح.
[١٤] م – ظاهرا.
[١٥] أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس في قوله ﴿ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها﴾ قال: نكاح الأمهات والبنات، ﴿وما بطن﴾ قال: الزنا (*الدر المنثور* للسيوطي، ٣٨٣/٣).

فما ظهر منها فيما بينهم وبين الخَلْق، **وما بطن** فيما بينهم وبين الله تعالى. وقيل: **ما ظهر منها** ما يكون بالجوارح، **وما بطن** ما يكون بالقلب. وعن مجاهد قال: **ما ظهر منها** الجمع بين الأختين وتزوُّج الرجل امرأة أبيه، وما بطن منها الزنا وما حرّم أيضا.[1] ويحتمل قوله: **ما ظهر منها** ما يرى غيرُه ويبصر، **وما بطن** ما يكون بالعين والقلب، على ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «العينان تزنيان، واليدان تزنيان»،[2] **وما بطن** يكون زنا[3] العين والقلب، لأنه لا يعلم [ذلك] غير الناظر. ***والله أعلم***. يصير كأنه ذكر التحريم في كل حرف من ذلك، أي حَرّم عليكم[4] الشرك، وحرّم عليكم ترك الإحسان إلى الوالدين، وحرّم قتل الأنفس إلا بالحق، فيصير كأنه ذكر التحريم في كلٍّ مِن ذلك.

وقوله[5] عز وجل: **ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق**، قيل: **بالحق**، إذا ارتدّ يُقتَل به، وفي القصاص وفي الزنا إذا كان محصَنًا.

وقوله عز وجل: **ذلكم وصّاكم به؛ ذلكم**، يعني المحرّمات التي[6] ذكر. **وصّاكم به**، اختلف فيه؛ قيل: **وصّاكم به**: فرض عليكم، وقيل: **وصّاكم به**: أمركم به، وقيل: **وصّاكم به**: بيّن لكم المحرّم، وكلّه يرجع إلى واحد.

وقوله عز وجل: **لعلكم تعقلون** أنه لم يحرّم إلا ما ذكره[7] ولم يحرّم ما حرّمتم أنتم من الأنعام وغيرها. **ولعلكم تعقلون**، أي لكي تنتفعوا بعقولكم. أو نقول: إنّ ذلكم وصّاكم به[8] لتعقلوا،[9] لأنّ حرف لعلّ من الله على الوجوب. أو تعقلون عن الله[10] بما خاطبكم به وأمركم.[11]

---

[1] *تفسير الطبري*، ٨٣/٨.

[2] *مسند أحمد بن حنبل*، ٤١٢/١. وروي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كُتب على ابن آدم نَصيبُه مِن الزنا، مُدرِكٌ ذلك لا مَحالة؛ فالعينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخُطا، والقلب يهوى ويتمنى، ويصدّق ذلك الفرج ويكذّبه (*صحيح البخاري*، الاستئذان ١٢؛ وصحيح *مسلم*، القدر ٢٠). هذا لفظ مسلم.

[3] ن ع م: زناء.

[4] ن: عليهم.

[5] ن: قوله.

[6] ك: الذي.

[7] جميع النسخ: ما ذكرها.

[8] ن: ووصاكم به.

[9] ع: لتعقلون.

[10] ك: على الله.

[11] جميع النسخ: بما خاطبهم به وأمرهم.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[١٥٢]

وقوله عز وجل: **ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن**، قال أبوبكر الكيساني:[١] **ولا تقربوا مال اليتيم**، أي لا تأكلوا مال اليتيم، **إلا بالتي هي أحسن**؛ وقال: ثم اختلف في الوجه الذي يحسُن. قال بعضهم: هو أن يعمل له فيأكل من ماله أجرًا لعمله. وقال آخرون: يأكله قرضا، وذلك مما اختلفوا فيه. وقال غيرهم: هو أن ينتفع بدوابه ويستخدم[٢] جواريه. ونحو ذلك؛ وقال: وذلك مما لا يحتمل تأويل الآية. وعندنا أنّ الآية باحتمال هذا أولى، لما يقع لهم الضرورة في استخدام مماليكه وركوب دوابه[٣] والانتفاع[٤] بذلك لما يقع لهم المخالطة بأموال اليتامى، كقوله: وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ،[٥] فإذا كان لهم المخالطة لا يسلمون عن الانتفاع بما ذكرنا. وقال الحسن: **ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن**، أي إلاّ بالوجه الذي جُعل له، والوجه الذي جُعل له[٦] هو أن يكون فقيرا وهو ممن يُفرَض نفقته في ماله،[٧] فله أن يَقرَب ماله. وعندهم أنّ نفقة المحارم تُفرَض في مال اليتيم إذا كانوا فقراء، فبان أنْ جُعل له التناول من ماله[٨] وإن كان لا يُفرَض نفقته في ماله.[٩] ثم الآية تحتمل[١٠] وجهين عندنا. أحدهما أنْ **لا تقربوا مال اليتيم** إلّا بالحفظ والتعاهد له؛ أمر كافل اليتيم أن يحفظ ماله ويتعاهده. والثاني يَقرَب ماله بطلب[١١] الزيادة له والنماء، ولذلك قال أبو حنيفة رضي الله عنه بأن يجوز لكافل اليتيم إذا كان وصيًا أن يَقرَب ماله بَيْعًا إذا كان ذلك خيرا لليتيم، إذا وقع[١٢] له الفضل وطلب له الزيادة والنماء.

---

[١] م: الكسائي.
[٢] ع: يستخدم.
[٣] م: دوابة.
[٤] م: الانتفاع.
[٥] سورة البقرة، ٢/٢٢٠.
[٦] م – والوجه الذي جعل له.
[٧] ن + فله أن يفرض.
[٨] ك ن ع: في ماله.
[٩] أي يجوز لوصي اليتيم التناول من مال اليتيم وإن لم يكن الوصي من المحارم.
[١٠] ن ع: يحتمل.
[١١] م: يطلب.
[١٢] ك ن ع: إذ وقع.

وقوله عز وجل: **حتى يبلغ أَشُدّه**، قال[1] أبو بكر: قوله: **حتى يبلغ أَشُدّه**، أي حتى يبلغ الوقت الذي يتولىّ أموره، كقوله: فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا،[2] الآية. وقال غيره من أهل التأويل: الأَشُدّ ثمانية عشر سنة. ويشبه أن يكون الأَشُدّ هو الإدراك، [أي] حتى يدركوا.

وقوله عز وجل: **وأوفوا الكيل والميزان بالقسط**، يشبه أن يكون قوله: **وأوفوا الكيل والميزان**، في اليتامى أيضًا، أمر أن يوفوا[3] لهم الكيل والميزان، ونهاهم أن لا يوفوا[4] لهم على ما نهاهم عن قربان مالهم إلا بالتي هي أحسن. وكذلك قوله: **وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى**، أمكن أن يكون هذا في اليتامى أيضًا، أي إذا قلتم قولا لليتامى فاعدلوا في ذلك القول وإن كان ذا قربى[5] منكم. وقوله عز وجل: **وبعهد الله أوفوا**، أي بعهد الله الذي عَهِد إليكم في اليتامى أوفوا، بقوله: **ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن**، وقوله: وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا،[6] وغير ذلك، أَوْفُوا بما عَهِد إليكم فيهم. ويحتمل أن يكون قوله تعالى: **وأوفوا الكيل والميزان بالقسط**، في اليتامى وفي غيرهم في كل الناس. وهو لوجهين. أحدهما أنّ في ترك الإيفاء اكتساب الضرر على الناس ومنع حقوقهم، فأمر بإيفاء ذلك، كقوله: وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ.[7] والثاني للربا، لأنه لزم مثله كيلاً في الذمّة، فإذا لم يُوفِ[8] حقّه وأعطاه دونه صار ذلك الفضل له ربا.

وقوله عز وجل: **لا نكلف نفسا إلا وسعها**، يحتمل هذا وجهين. يحتمل **لا نكلّف**[9] أحدًا ما في تكليفنا إيّاه تَلَفُه. وإن كان يجوز له تكليف ما في التكليف تلفه، كقوله: وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ،[10] الآية، وعلى ما أمر بني[11] اسرائل بقتل / [٢٣٥ظ] أنفسهم.[12] والثاني **لا نكلف** أحدا ما في تكليفنا إيّاه منعُه، نحو من يؤمر بشيء لم يجعل له الوصول إلى ذلك أبدًا.

---

[1] م: وقال.
[2] ﴿وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم﴾ (سورة النساء، ٤/٦).
[3] م: أن يعرفوا.
[4] م: أن لا يعرفوا.
[5] ك: ذي قربى.
[6] سورة النساء، ٤/٦.
[7] سورة الأعراف، ٧/٨٥.
[8] م: لم يعرف.
[9] م: لا تكلف.
[10] ﴿ولو أنّا كتبنا عليهم أنِ اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم﴾ (سورة النساء، ٤/٦٦).
[11] م: أمر من بني.
[12] ﴿وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العِجْل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التوّاب الرحيم﴾ (سورة البقرة، ٢/٥٤).

ويجوز أن يؤمر[١] بأمر[٢] وإن لم يكن له سبب[٣] ذلك الأمر بعد أن يجعل لهم الوصول إلى ذلك السبب، نحو من يؤمر بالصلاة وإن [لم] يكن[٤] معه سبب ذلك، وهو الطهارة، ونحو من يؤمر بالحج بقوله: وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً.[٥] هذا يدلّ على أنّ من جُعل في وُسعه الوصولُ إلى شيء يجوز أن يُكلَّف على ذلك، ويصير باشتغاله بغيره مضيعًا أمره.

وقوله عز وجل: **وإذا قلتم فاعدلوا**، قال بعض أهل التأويل: هذا في الشهادة، كقوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ،[٦] الآية. ويحتمل قوله: **وإذا قلتم فاعدلوا**، كلّ قول، والقول أحق أن يحفظ فيه العدالة من الفعل،[٧] لأنه به يظهر[٨] الحكمة من السفه والحق من الباطل، فهو أولى.

وقوله عز وجل: **وبعهد الله أوفوا**، أي بعهد الله الذي عَهِد إليكم في التحليل والتحريم[٩] والأمر والنهي وغير ذلك.

ذلكم وصاكم به لعلكم تذكّرون، ذكر هاهنا "تذكرون"، وفي الآية الأولى "تعقلون"، وفي الآية الأخيرة "تتقون"؛ إذا عقلوا تفكّروا واتّعظوا وعرفوا ما يصلح وما لا يصلح، ثم اتّقَوا المحرّمات وما لا يصلح.[١٠] أو **تذكّرون**، أي تتّعظون بما وعظكم به وزجركم عنه وتتقون مَهالِككم، أو تتقون[١١] محارمكم.[١٢]

﴿وَأَنَّ هٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[١٥٣]

وقوله عز وجل: **وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه**، يحتمل وجوها. يحتمل **وأن هذا**،

---

[١] ك: أن يأمر.
[٢] ن – بأمر؛ ع: يأمر.
[٣] ك: لم يكن سبب.
[٤] ن: وان يكون.
[٥] سورة آل عمران، ٩٧/٣.
[٦] سورة النساء، ١٣٥/٤.
[٧] م – من الفعل.
[٨] م: لأنه يظهر.
[٩] ك: ولا التحريم.
[١٠] ع م – ثم اتقوا المحرمات وما لا يصلح.
[١١] ع م: وتتقون.
[١٢] محارمكم أي ما حرم الله عليكم (*لسان العرب* لابن منظور، «حرم»).

الذي ذكر في هذه الآيات من أمره ونهيه وتحليله وتحريمه، **صراطي مستقيمًا فاتبعوه**، على ما قاله أهل التأويل: إنها آيات محكمات لم ينسخهن شيء في جميع الكتب، وهن محرّمات على بني آدم كلهم. ويحتمل قوله: **وأن هذا صراطي مستقيمًا**، الذي دعا إليه الرسل من كل شيء[1] **هو صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل**، لأن الرسل يدعون إلى ما يدعون بالحُجج والبراهين. ويحتمل قوله: **هذا صراطي مستقيما**، أصل الدين ووحدانيّة الله وإخلاصَ الأنفس له على غير إشراك في عبادته وألوهيته. أو أن يكون قوله: وأن الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم أو الذي ذكر في القرآن.[2] وإلّا ذَكَرَ **هذا** ولم يشر إلى شيء بعينه، فيحتمل ما ذكرنا.[3]

وقوله عز وجل: **ولا تتبعوا السُبُل فتفرق بكم عن سبيله**، أمر عز وجل باتّباع ما ذكر من الصراط المستقيم ونهى عن اتباع السُبُل، لأنّ غيره من الأديان المختلفة والأهواء المتشتّتة[4] لا حجّة عليها ولا برهان، وما ذكر من الصراط المستقيم هو دين بحجّة وبرهان لا كغيره من الأديان[5] وإن كان يدّعي كلٌّ مِن ذلك أنّ الذي هو عليه دين الله وسبيله.

ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون، المحرّمات والمناهي والمعاصي التي ذكر في هذه الآية.[6] أو **لعلكم**[7] **تتقون**، السُبُل والأديان المختلفة. وأصله أنّ السبيل المطلق سبيل الله والدين المطلق دين الله والكتاب المطلق كتاب الله.

﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾[١٥٤]

وقوله عز وجل: **ثم آتينا موسى الكتاب تمامًا [على الذي أحسن]**، اختلف فيه.

---

[1] م – شيء.

[2] وعبارة السمرقندي هكذا: «ويحتمل قوله: ﴿هذا صراطي مستقيما﴾، أي هذا الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم والذي في القرآن» (*شرح التأويلات*، ورقة ٢٨٠و).

[3] قال الشارح: «ثم في قوله: ﴿فاتبعوه﴾، أَمْرٌ باتباع ما في القرآن وما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من الشريعة، والشريعة تشتمل على الواجب والنفل والمباح والحظر، فكيف يَرِد الأمر بإيجاب المتابعة فيما ليس بواجب؟ ولكن نقول: إن الأمر بالمتابعة لا يراد به أن يفعل مثل ما فعل حتى يقال: كيف يوصف بالوجوب؟ ولكن الاتباع هو اعتقاد صحته على ترتيب الشريعة من وجوب الفرض والرغبة في النفل واستباحة المباح وقبح المحظور، والعمل بكل شيء من ذلك على حسب مقتضى الشرع له من إيجاب أو نفل أو إباحة. والله أعلم» (*شرح التأويلات*، ورقة ٢٨٠و).

[4] م: المتشتة.

[5] ع: الأيان.

[6] ع م – الآية.

[7] ع م: ولعلكم.

قال الحسن: قوله: **تمامًا على الذي أحسن**، أي مَن أحسن صحبته تمت نعمة الله وكرامته عليه في الآخرة. قيل: **تمامًا على الذي أحسن**، يعني على المحسنين والمؤمنين؛ و"على[الذي]" بمعنى لِلَّذي أحسن ولِلَّذي آمن، ويجوز "على" في موضع اللام، كقوله: وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ،[١] أي للنصب. وقتادة قال: فمن أحسن فيما أتاه الله تمت عليه كرامة الله في جنته ورضوانه، ومن لم يحسن فيما آتاه الله نزع الله ما في يديه[٢] ثم أتى اللهَ ولا عذر له.[٣] وقال أبوبكر الكيساني[٤] في قوله: **ثم آتينا موسى الكتاب تمامًا على الذي أحسن**: أي[٥] ثم آتيناكم من الحُجج والبيان تمامًا من موسى وكتابه، أي موسى وكتابُه مصدِّق وموافق لما أعطاكم، كقوله: أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً،[٦] الآية. ويحتمل تمام ما ذكرنا، تمامًا بالنعمة والكرامة. ويحتمل تمامًا بالحجّة والبيان، وتمامًا بالحكمة والعلم. وقوله عز وجل: **على الذي أحسن**، أي لِلَّذي أحسن. وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه: تمامًا على الذين[٧] أحسنوا.[٨]

وتفصيلا لكل شيء، أي تبيانا لكل شيء، **وهدى**، من الضلالات والشبهات ونعمة، **ورحمةً**، من العذاب والعقاب، **لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون**، أي ليكونوا[٩] **بلقاء ربهم يؤمنون**، هو على التحقيق.[١٠]

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: **تمامًا على الذي أحسن**، يقول: أتمّ له الكتاب على أحسنه على الذي بلّغ[١١] من رسالته، **وتفصيلا لكل شيء**، بيانَ كل شيء، **وهدى**، أي تبيانا من الضلالة، **ورحمة**، أي نعمة، **لعلهم بلقاء ربهم**، أي بالبعث بعد الموت، **يؤمنون**، أي ليكونوا مؤمنين[١٢] بالبعث.

---

[١] سورة المائدة، ٥/٣.

[٢] م: في يده.

[٣] عن قتادة في قوله: ﴿تماما على الذي أحسن﴾، قال: من أحسن في الدنيا تمم الله ذلك له في الآخرة؛ وفي لفظ: تمت له كرامة الله يوم القيامة (*تفسير الطبري*، ٨/٩١، و*الدر المنثور* للسيوطي، ٣/٣٨٦).

[٤] م: الكسائي.

[٥] ع - أي.

[٦] سورة هود، ١١/١٧.

[٧] ك ع م: على الذي.

[٨] *تفسير الطبري*، ٨/٩٠؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٣/٣٨٦.

[٩] ع م: وليكونوا.

[١٠] ك: على التحقق.

[١١] ن - بلغ.

[١٢] ك ع م - مؤمنين.

ومنهم من يقول في قوله: **ثم آتينا موسى الكتاب**: إنه وإن أتى بحرف الترتيب فإنه على الإخبار، كأنه قال: ثم قد كنا آتينا موسى الكتاب تمامًا، معناه: وقد آتيناه.[1]

﴿وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[١٥٥]

وقوله عز وجل: **وهذا كتاب أنزلناه**، يعني القرآن أنزلناه. **مبارك**، قال أبوبكر الكيساني:[2] البركة هي التي من تمسك بها أوصلته[3] إلى كل خير وعصمته[4] من كل شر، وهو[5] المبارك. وقال الحسن: هو **مبارك**[6] لمن أخذه واتبعه وعمل به، فهو مبارك له. وسُمِّي هذا القرآن مباركا لما يبارَك فيه / لمن اتّبعه، هو مبارك لمُتبعِيه والعامل به،[7] وإلّا مَن لم يتّبعه فليس هو بمبارك له، بل هو عليه شدة ورجس،[8] كقوله تعالى: وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ،[9] فهو ما ذكرنا: مبارك لمن اتّبعه وتمسّك به. وسُمِّي مجيدا أيضا وكريما، فمن اتّبعه[10] يصير مجيدا كريما، وكذلك سُمِّي رُوحا وحيّا، لما يحيى به من اتبعه.[11] وأصل البركة هو أن ينتفع بشيء على غير تَبِعة،[12] فهو البركة. وعلى ذلك يخرج قول الناس بعضهم لبعض: بارك الله لك في كذا، أي جعل لك فيه منافع لا تَبِعة عليك فيه.[13] فعلى هذا يجيء أن يكون القرآن مبارِكا[14] بكسر الراء،

[٢٣٦و]

---

[1] م: وقد آتينا.
[2] م: الكيسائي.
[3] جميع النسخ: أوصله.
[4] جميع النسخ: وعصمه.
[5] ن: هو.
[6] ع م: هو المبارك.
[7] ع: والامن به.
[8] ع: ورخس.
[9] سورة التوبة، ١٢٤/٩-١٢٥.
[10] جميع النسخ: لمن اتبعه.
[11] يقول الله تعالى: ﴿بل هو قرآن مجيد﴾ (سورة البروج، ٢١/٨٥)؛ ويقول: ﴿إنه لقرآن كريم﴾ (سورة الواقعة، ٧٧/٥٦)؛ ويقول: ﴿وكذلك أوحينا إليك رُوحًا مِن أمرنا﴾ (سورة الشورى، ٥٢/٤٢). و لم أجد تسمية القرآن بالحي صريحا، ولعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يُحيِيكم﴾ (سورة الأنفال، ٢٤/٨). ويمكن أن يكون الحي نوع تفسير وتأكيد لكلمة الروح.
[12] ن: يتبعه.
[13] ك ع: عليك.
[14] ك: مبارك.

لكن قيل: مبارَك[١] لانتفاع الناس به ولعملهم به.[٢] والبركة تحتمل[٣] وجهين. أحدهما اسم لكل خير يكون أبدًا على النماء والزيادة. والثاني اسم لكل منفعة لا تَبِعة عليه ولا مؤنة. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **فاتبعوه واتقوا**، أي اتّبعوا إشاراته وما يدعو هو إليه، **واتقوا**، أي اتقوا مخالفته، **لعلكم ترحمون**، أي لكي تُرحَمُوا؛ فمن اتّبع[٤] أوامره وإشاراته[٥] واتّقى[٦] نَواهِيَه ومَحارِمَه رُحِم.

﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾[١٥٦]

وقوله عز وجل: **أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا**، قال أهل التأويل: **أنزل الكتاب على طائفتين**: اليهود والنصارى. ومتى أنزل الكتاب على اليهود والنصارى،[٧] إنما أنزل على المسلمين. لكن المعنى -والله أعلم- **إنما أنزل الكتاب على طائفتين**، أي إنما ظهر نزول **الكتاب**، التوراة والإنجيل،[٨] عند الخَلْق بطائفتين **من قبلنا** سُمُّوا يهودَ ونصارى،[٩] وإلا[١٠] لم يكن وقت نزول التوراة يهود ولا وقت[١١] نزول[١٢] الإنجيل نصارى.[١٣]

---

[١] ك ن: مباركا.
[٢] ك ن: ولعلمهم به؛ ع م - ولعملهم به.
[٣] ن ع م: يحتمل.
[٤] ك م: من اتبع.
[٥] ع م - وما يدعو هو إليه واتقوا أي اتقوا مخالفته لعلكم ترحمون أي لكي ترحموا من اتبع أوامره وإشاراته.
[٦] م: واتقوا.
[٧] ع - ومتى أنزل الكتاب على اليهود والنصارى.
[٨] ك - التوراة والإنجيل.
[٩] ك + التوراة والإنجيل.
[١٠] ع: إلا.
[١١] ع م - ولا وقت.
[١٢] ع م: ونزول.
[١٣] وعبارة السمرقندي هكذا: «قال أهل التأويل: إنما أنزل الكتاب على اليهود والنصارى، ولكن في ظاهر اللفظ خلل، فإنهم يقولون: أنزل الكتاب على اليهود والنصارى، ووقت نزول الكتاب عليهم ليسوا بيهود ونصارى، وإنما هم مسلمون، فيكون إذَنْ الكتاب أنزل على المسلمين لا على اليهود والنصارى. لكن المعنى -والله أعلم- ﴿إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا﴾، أي إنما ظهر نزول الكتاب عند الخلق على طائفتين من قبلنا، التوراة والإنجيل، سُمُّوا يهود ونصارى بعد نزولها، لما حدث من الطائفتين ما حدث استحقت كل طائفة الاسم بذلك، وإلا لم يكن وقت نزول التوراة يهود ولا وقت نزول الإنجيل نصارى. والله أعلم (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٨٠ظ).

ثم قوله: **أن تقولوا إنما أنزل الكتاب**، هو صلة قوله: وَهٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ،[1] لئلا تقولوا: **إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا**، ولم ينزل علينا. ويجوز [استعمال] "أن" بمعنى "لن"، أي[2] لن تقولوا إنما أنزل الكتاب، كقوله: أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ،[3] أي لن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم.

وقوله عز وجل: **وإن كنا عن دراستهم لغافلين**، أي وقد كنا عن دراستهم[4] لغافلين. ويجيء أن يكون "عن دراستها"،[5] لأنها دراسة الكتب، لكن أضيف إليهم، إلى أولئك[6] القوم.

﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾[١٥٧]

وقوله: **أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب**، هو على ما ذكرنا:[7] لئلا تقولوا **لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم**، أنزل الله عز وجل هذا القرآن قطعًا لحجاجهم ومنعًا لعذرهم وإن لم يكن لهم الحِجاج والعذر، وعلى ذلك يخرج[8] قوله: لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ،[9] لا يكون لهم[10] حجة على الله وإن لم ينزل الرسل والكتب.[11] ثم يحتمل عذر هؤلاء أن يقولوا: إنما أنزل الكتاب بلسانهم لم ينزل بلساننا، ونحن لا نعرف لسانهم، وكنا عن دراستهم لغافلين. ولو كان لهم العذر والاحتجاج[12] بهذا لكان للعجم الاحتجاج والعذر في ترك اتّباع القرآن لما لم ينزل بلسان العجم، و لم يعرفوا هم لسانهم، أعني لسان العرب.

---

[1] الآية السابقة.

[2] ن – لن أي.

[3] سورة آل عمران، ٧٣/٣.

[4] ن – عن دراستهم، صح هـ.

[5] ع م: عن دراستهم.

[6] م: أي أولئك.

[7] ك: ما ذكر.

[8] ع – يخرج.

[9] سورة النساء، ٤/ ١٦٥.

[10] ع: لا يكون.

[11] ك: الكتب والرسل؛ غ: الكتب.

[12] ع م: الاحتجاج.

ثم لم يكن للعجم الاحتجاج بذلك لما جعل لهم سبيل الوصول إلى معرفته، فعلى ذلك لا عذر للعرب في ترك اتّباع ما في الكتب التي أُنزِلت بغير لسانهم، لما في وسعهم الوصول[١] إلى معرفتها والتعلّم منهم والأخذ عنهم. وهذا يدل على أن يجوزُ التكليف بأشياء ليست معهم أسبابها بعد أن جعل لهم سبيل الوصول إلى تلك الأسباب. والثاني من احتجاجهم أن يقولوا: إن اليهود والنصارى قد اختلفت وتفرّقت تفرّقًا لا اجتماع بينهم أبدًا، فكيف نتبعهم في ذلك؟ فيقال: إن مذاهبهم وكتبهم إنما تفرّقت بهم وبقولهم، فقد أنزل من الحُجج والبيان ما يعرّف ذلك الذي تفرّق بهم، فلا حجّة لهم في ذلك. وهذا كقوله: وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا،[٢] وقد جاءتهم آيات فلم يؤمنوا بها،[٣] فعلى ذلك قوله: أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا،[٤] وقوله: **أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم**. وفي الآية دلالة على أنّ المجوس ليسوا من أهل الكتاب، لأنهم لو كانوا أهل كتاب[٥] صار أهل الكتاب ثلاث طوائف، وقد أخبر أنه إنما أنزل الكتاب على طائفتين، وذلك محال.

فإن قيل: إنما هذا حكاية من الله تعالى عن المشركين.

[قيل]: معناه[٦] -والله أعلم- إني أنزلت عليكم الكتاب لئلا تقولوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا،[٧] فلم يقولوا ذلك، ولكن الله قطع بإنزاله الكتاب حجّتهم التي علم أنهم كانوا يحتجّون بها لو لم ينزله، وإن لم يكن لهم في ذلك حجة ولا عذر، وهو ما ذكرنا. *والله أعلم.*

وقوله عز وجل: **فقد جاءكم بينة من ربكم**، قيل: القرآن، وقيل: محمد صلى الله عليه وسلم. **وهدى**، أي هدى من الضلالة وكل شبهة، **ورحمة**، أي ذلك منه رحمة ونعمة.

---

[١] ن + لهم.

[٢] سورة الأنعام، ١٠٩/٦.

[٣] ن ع م - بها.

[٤] الآية السابقة.

[٥] ع م: الكتاب؛ ع + لأنهم لو كانوا أهل الكتاب.

[٦] جميع النسخ: ومعناه. وعبارة السمرقندي هكذا: «فإن قيل: قوله: ﴿إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا﴾، هذا حكاية عن المشركين، فكيف يكون قولهم حجة على أنه أنزل على طائفتين لا على الطوائف؟ قيل: معنى الآية والله أعلم...» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٨١و).

[٧] الآية السابقة.

فمن أظلم ممن كذّب بآيات الله، أي لا أحد **أظلم ممن كذب بآيات الله**، قيل: **بآيات الله**: حجج الله،[1] وقيل: دين الله، وقد ذكرناها في غير موضع.[2] وقد ذكرنا[3] أنّ قوله: **فمن أظلم**، حرف استفهام في الظاهر، ولكن ذلك من الله على الإيجاب، كأنه قال: لا أحد أوحش ظُلمًا **ممن كذّب بآيات الله وصدف عنها**.

وقوله: **وصدف عنها**، أي أعرض عنها، **سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون**، يُعرضون ويَعدلون. الآية ظاهرة.[4]

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾[١٥٨]

[٢٣٦ظ] وقوله عز وجل: **هل ينظرون إلا** كذا، قال أهل التأويل: / ما ينظرون. وحرف[5] هل[6] هو حرف استفهام وتعجيب، لكن أهل التأويل قالوا: ما ينظرون، حملوا على الجواب، لأنه لم يخرج له جواب، فجوابه ما قالوا: ما ينظرون. كما قالوا[7] في قوله: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا،[8] أي لا أحد[9] أظلم ممن كذب، هو جواب، لأنّ جوابه[10] لم يخرج، فجوابه ما قالوا: لا أحد أظلم، لأنه سؤال واستفهام، فجوابه ما ذكروا. فعلى ذلك قوله: **هل ينظرون**، هو استفهام ولم يخرج[11] له الجواب، فجوابه: لا ينظرون، كقوله: مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً.[12]

[1] م – الله.
[2] انظر تفسير الآية من سورة البقرة، ٦١/٢.
[3] انظر تفسير الآية من سورة الأنعام، ٩٣/٦.
[4] ع م – وقوله وصدف عنها أي أعرض عنها سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون يعرضون ويعدلون الآية ظاهرة.
[5] ع: وهل حرف؛ م – وحرف.
[6] م: وهل.
[7] ع م – قالوا.
[8] سورة الأنعام، ٢١/٦.
[9] ع: أي أحد.
[10] ع: لأنه جوابه.
[11] ن – فجوابه ما قالوا لا أحد أظلم لأنه سؤال واستفهام فجوابه ما ذكروا فعلى ذلك قوله هل ينظرون هو استفهام ولم يخرج.
[12] سورة يس، ٤٩/٣٦.

ثم قوله: **هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك**، هذا -والله أعلم- يشبه أن تكون[١] الآية في المعاندين منهم والمتمرّدين الذين همّتهم العناد والتعنُّت، خرج على إياس رسول الله صلى الله عليه وسلم[٢] عن أولئك الكفرة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم حريصًا على إيمانهم مُشفقًا على أنفسهم، حتى كادت نفسه تذهب حَسَراتٍ[٣] عليهم حرصًا على إيمانهم وإشفاقًا على أنفسهم، كقوله: فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ،[٤] وكقوله: لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ،[٥] الآية، ونحوه؛ فآيَسه الله تعالى عن إيمان أولئك الكفرة[٦] لئلا يطمع في إيمانهم وإسلامهم بعد ذلك، ولا يُذهِب نفسَه حَسَراتٍ عليهم، ليتخذهم أعداء ويبغضهم ويُخرج الشفقة التي في قلبه لهم وليتأهّب لعداوتهم[٧] ويتبرّأ[٨] منهم، كما فعل إبراهيم: فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ،[٩] وكما قال لنوح: أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ،[١٠] آيسه الله عن إيمان قومه إلا مَن قد آمن، ونهاه أن يحزن عليهم[١١] كقوله: وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ،[١٢] إلا الوقت[١٣] الذي ذكر أنهم يؤمنون في ذلك الوقت، وهو وقت نزول الملائكة وإتيانهم[١٤] بآياتهم، وهو قوله: **إلا أن تأتيهم الملائكة**. ثم قال بعضهم: **تأتيهم الملائكة** بقبض الأرواح مع اللعن والسَّخطَة، فعند ذلك يؤمنون.[١٥] وقال بعضهم: قوله: **إلا أن تأتيهم الملائكة**، يوم القيامة، وهو كقوله: يَوْمَ يَرَوْنَ المَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا.[١٦]

---

[١] ن م: أن يكون.
[٢] ع م + يشبه أن تكون الآية في المعاندين.
[٣] م – حسرات.
[٤] سورة فاطر، ٨/٣٥.
[٥] سورة الشعراء، ٣/٢٦.
[٦] ن – الكفرة.
[٧] ع: لعدوانهم.
[٨] م: ويبرأ.
[٩] سورة التوبة، ١١٤/٩.
[١٠] سورة هود، ٣٦/١١.
[١١] ع م + وعلى فوت إيمانهم فعلى ذلك هذا آيس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن إيمانهم ونهاه أن يحزن عليهم؛ ن ه + كقوله ولا تحزن عليهم وعلى فوت إيمانهم فعلى ذلك هذا آيس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن إيمانهم ونهاه أن يحزن عليهم.
[١٢] ن – كقوله ولا تحزن عليهم؛ ع + كقوله ولا تحزن عليهم. سورة الحجر، ٨٨/١٥.
[١٣] أي آيس الله رسوله عن إيمان هؤلاء إلا أن يروا الملائكة تأتيهم بالعذاب.
[١٤] م: وإيتائهم.
[١٥] م + بالله.
[١٦] سورة الفرقان، ٢٢/٢٥.

وقوله عز وجل: **أو يأتي ربك**، على إضمار الأمر، كأنه قال: **أو يأتي**[1] أمر **ربك**، على ما ذكر في سورة النحل:[2] أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ.[3] ثم الأمر فيه عذاب الله، كقوله تعالى: فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا،[4] أي عذابنا،[5] فعلى ذلك في هذا أمر الله عذاب[6] الله. والأصل فيما أضيف إلى الله في موضع الوعيد لا يراد به الذات، ولكن يراد به نقمته وعذابه وعقوبته، كقوله: وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ،[7] لا يريد به[8] ذاته،[9] ولكن يريد نقمته وعذابه،[10] كقوله:[11] مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللهِ،[12] لا يريد به[13] لقاء ذاته، وكذلك قوله: وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ،[14] وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ،[15] وغيرها من الآيات، لا يراد[16] به ذاته ولكن يراد[17] به عذابه ونقمته. أو نقول: إن كل شيء يراد به تعظيمه يضاف إلى الله تعالى، فيراد به تعظيم ذلك اليوم أو تعظيم عذابه ونقمته.

وقوله عز وجل: **أو يأتي بعض آيات ربك**، يحتمل بعض آياته ما قال عز وجل: فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ،[18] وكقوله: فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ،[19] الآية، وكقوله:[20] سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ،[21] ونحوه من الآيات، يؤمنون عند معاينتهم العذاب،

---

[1] ع: أو تأتي.
[2] ع م: النخل.
[3] سورة النحل، ١٦/٣٣.
[4] ﴿فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود﴾ (سورة هود، ١١/٦٦).
[5] ك ن ع: يعني عذابنا.
[6] ع: وعذاب.
[7] سورة آل عمران، ٣/٢٨.
[8] ن: ولا يريد به.
[9] ع م – ذاته.
[10] ك – وعقوبته كقوله ويحذركم الله نفسه لا يريد به ذاته ولكن يريد نقمته وعذابه.
[11] ن ع: وكقوله.
[12] سورة العنكبوت، ٢٩/٥.
[13] ك ن م – به.
[14] سورة آل عمران، ٣/٢٨.
[15] سورة البقرة، ٢/٢١٠.
[16] ك – لقاء ذاته وكذلك قوله وإلى الله المصير وإلى الله ترجع الأمور وغيرها من الآيات لا يراد.
[17] ن – لقاء ذاته وكذلك قوله وإلى الله المصير وإلى الله ترجع الأمور وغيرها من الآيات لا يراد به ذاته ولكن يراد.
[18] سورة المؤمن، ٤٠/٨٤.
[19] سورة الأحقاف، ٤٦/٢٤.
[20] ع: كقوله.
[21] ك ن + الآية. سورة المعارج/ ٧٠/١.

ولا ينفعهم الإيمان في ذلك الوقت.[١] ويحتمل ما قاله[٢] أهل التأويل: طلوع الشمس من مغربها وخروج الدجّال وخروج الدابّة. وعلى ذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ثلاث إذا خرجن لم ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا: [الدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها]»،[٣] وقال[٤] أبو هريرة[٥] رضي الله عنه: إن النبي[٦] صلى الله عليه وسلم قال: «بادروا بالأعمال سِتًّا: طلوع الشمس من مغربها، والدجّال، والدخان، ودابّة الأرض، وخُوَيْصَّة أحدكم، وأمر العامّة»؛[٧] وخُوَيْصَّة أحدكم: الموت، وأمر العامّة: الساعة إذا قامت،[٨] وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: التوبة معروضة حتى تطلع الشمس من مغربها، ثم قال: مهما يأت[٩] عليكم عام فالآخر[١٠] شرّ،[١١] ونحوه من الأخبار. فإن ثبتت[١٢] هذه الأخبار فهي المعتمدة. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: إذا خرج أول الآيات طُرحت الأقلام[١٣] وحُبست[١٤] الحَفَظَة[١٥] وشَهِدت الأجساد[١٦] على الأعمال.[١٧]

---

[١] ع م – في ذلك الوقت.

[٢] ع: ما قالوا؛ م: ما قال.

[٣] *صحيح مسلم*، الإيمان ٢٤٩؛ و*سنن الترمذي*، التفسير ٧.

[٤] ك – وقال.

[٥] ك: وأبو هريرة.

[٦] ك ن: عن النبي.

[٧] *صحيح مسلم*، الفتن ١٢٨؛ و*سنن ابن ماجة*، الفتن ٢٨. وكان قتادة يقول إذا قال: «وأمر العامة»، قال: أي أمر الساعة (*مسند أحمد بن حنبل*، ٢/٤٠٧).

[٨] *النهاية في غريب الحديث* لابن الأثير، «عمّ».

[٩] ك: يأتي.

[١٠] ن ع م: والآخر.

[١١] أخرج عبد بن حميد والطبراني عن ابن مسعود قال: التوبة معروضة على ابن آدم ما لم يخرج إحدى ثلاث: ما لم تطلع الشمس من مغربها، أو تخرج الدابّة، أو يخرج يأجوج ومأجوج؛ وقال: مهما يأت عليكم عام فالآخر شرّ (*الدر المنثور* للسيوطي، ٣/٣٩٣). وذكره الهيثمي إلى قوله: يأجوج ومأجوج، وقال: «رواه الطبراني بإسناد منقطع» (*مجمع الزوائد*، ١٠/١٩٨).

[١٢] ك م: فإن ثبت.

[١٣] ع + وحفظت الحبسة.

[١٤] ن: وحفظت.

[١٥] م: الخطبة. أي إذا ظهر أول علامات الساعة أمرت الملائكة بطرح أقلامها والتوقف عن كتابة أعمال الناس، لأن حجاب الغيب قد ارتفع، وحكمة المحنة قد زالت.

[١٦] ك: الأجياد.

[١٧] أخرجه عبد الرزاق وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر عن عائشة. انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٣/٣٩٤.

وقوله عز وجل: **لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل**، أخبر أن الإيمان لا ينفع في ذلك الوقت، لأنه ليس بإيمان اختيار في الحقيقة، إنما هو[1] إيمان دفع العذاب والبأس عن أنفسهم، كقوله: فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ،[2] وقوله: وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ،[3] أخبر أنهم لو ردوا إلى الدنيا لعادوا إلى تكذيبهم الرسل وكفرهم بالله، فدلّ أن إيمانهم في ذلك الوقت إيمان دفع العذاب والبأس وإيمان خوف، وهو كإيمان فرعون حيث قال: حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ،[4] لم ينفعه إيمانه في ذلك الوقت،[5] لأنه إيمان دفع الهلاك عن نفسه، لا إيمان حقيقة باختيار. والثاني أنه[6] في ذلك الوقت وقتِ نزول العذاب لا يقدر أن يستدلّ بالشاهد على الغائب ليكون قوله قولاً عن معرفة وعلم، وإنما هو[7] قول يقوله بلسانه لا عن معرفة في قلبه، فلم ينفعه إيمانه[8] في ذلك الوقت لما ذكرنا، وهو كقوله: / وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ،[9] لأنه إيمان دفع البأس والعذاب. أو [أنه في ذلك الوقت لا يقدر أن][10] يبالغ بالاجتهاد حتى يكون إيمانه إيمانا باجتهاد، لذلك كان ما ذكرنا. أو أن يكون في طلوع الشمس من مغربها وخروج الدجّال ودابّة الأرض وما ذكر من البلاء والشدة والعذاب ما يضطرهم إلى الإيمان به، فيكون إيمانهم إيمان اضطرار لا اختيار. ويشبه أن تكون[11] الأخبار[12] التي رُويت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لا تقبل[13] التوبة بعد طلوع الشمس من مغربها وبعد خروج الدجّال ودابّة الأرض، أي لا يُثابون على طاعاتهم، [٢٣٧و]

[1] ع م – هو.
[2] سورة المؤمن، ٤٠/٨٤.
[3] سورة الأنعام، ٦/٢٨.
[4] سورة يونس، ١٠/٩٠.
[5] ع م – الوقت.
[6] م – أنه.
[7] ك ن: إنما هو.
[8] ع م – فلم ينفعه إيمانه.
[9] سورة النساء، ٤/١٨.
[10] الزيادة مستفادة من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٨١ظ.
[11] ن ع م: أن يكون.
[12] ع م – الأخبار.
[13] ك ن: أن لا تقبل.

وإلّا فمن البعيد أن يُدْعَون[١] إلى الإيمان والطاعات ثم إذا أَتَوْا بها لم تُقبَل منهم، لكنه يحتمل ما ذكرنا أنْ لا يُثابون[٢] على ذلك؛ ويُعاقَبون بما كان منهم من الكفر[٣] وكفران النعم، لأن جهة وجوب الثواب[٤] إفضال وإحسان، وفي الحكمة ترك الإفضال بالثواب في الطاعات، إذ كان[٥] من الله عز وجل من النعم ما يكون ذلك شكرا له، والعقاب على الكفر مما يوجبه الحكمة، لذلك كان ما ذكرنا. وعلى هذا[٦] يخرج قول أبي حنيفة رضي الله عنه حيث قال: لا ثواب للجنّ على طاعاتهم، لأن طريق وجوبه الإفضال، ولم يُذكَر لهم[٧] ذلك، ويُعاقَبون بما كان منهم من الكفران والإجرام[٨] لما ذكرنا من المعنى الذي وصفنا. ***والله أعلم بذلك***.

وقوله عز وجل: **لا ينفع نفسًا إيمانها**، عند معاينة العذاب والبأس والآيات إذا **لم تكن آمنت من قبل**.

وقوله عز وجل: **أو كسبت في إيمانها خيرًا**، أي لا ينفع ذا إلّا بِذا، إذا عملت[٩] خيرا ولم تكن آمنت لا ينفعه ذلك، ولم ينفعه إيمانه عند معاينة العذاب والآيات إذا لم تكن كسبت قبل ذلك خيرا. وقيل: قوله:[١٠] **لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا**، أي **لا ينفع نفسًا إيمانها** إذا لم يعزم أن لا يرتدّ ولا يرجع عنه أبدا. وقيل: **لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل**، أي لا ينفع[١١] إيمانها، **أو كسبت في إيمانها خيرا**، أي وكسبت[١٢] في تصديقها التعظيم لله والإجلال له،[١٣] فعند ذلك ينفع[١٤] صاحبه،[١٥]

---

[١] م: أن يدعو.
[٢] ن ع: لان لا يثابون.
[٣] ك ع م: الكفر.
[٤] ع: الثوابت.
[٥] ك ع م: إذا كان.
[٦] ك: واحدا؛ ن ع م: ولهذا.
[٧] ع م – لهم.
[٨] ك: والجرام.
[٩] ك: إذا علمت.
[١٠] ع – قوله.
[١١] ك ن + نفسا.
[١٢] ع م – في إيمانها خيرا أي وكسبت.
[١٣] ع م – له.
[١٤] ع م: تنفع.
[١٥] ن: صاحبها.

لأنه لا كلّ تصديق يكون فيه التعظيم له والإجلال.[1] وقيل: **أو كسبت في إيمانها خيرًا**، أي لم تكن عملت[2] في تصديقها خيرا قبل معاينة الآيات.[3]

وقوله عز وجل: **قل انتظروا إنا منتظرون**، هو يخرج على الوعيد، أي **انتظروا** إحدى هذه الثلاث التي ذكرنا، **فإنا منتظرون**، وهو كقوله: قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ.[4] أو **انتظروا** العذاب، **فإنا منتظرون** بكم ذلك.

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[١٥٩]

وقوله: **إن الذين فارقوا**[5] **دينهم وكانوا شِيَعًا**، عن عائشة وأبي هريرة رضي الله عنهما قال أحدهما: هو[6] في الكفرة، وقال الآخر: في أهل الضلال.[7] وقيل: هم الحَرُورِيّة.[8] وقيل: هم اليهود والنصارى.[9] ولكن لا ندري من هم،[10] وليس بنا[11] إلى معرفة من كان حاجة.

---

[1] ك ن + يعني التعظيم والإجلال إذا لم يكن منه التعظيم له؛ ع + إذا لم يكن منه التعظيم له؛ م + يعني التعظيم له والإجلال إذا لم يكن منه التعظيم له.

[2] ك: علمت.

[3] م: العذاب.

[4] سورة الطور، ٣١/٥٢.

[5] قرأ من الأئمة السبعة ابن كثير ونافع وعاصم وأبو عمرو وابن عامر: فرّقوا، مُشدَّدة، وقرأ حمزة والكسائي: فارقوا، بألف. انظر: *كتاب السبعة في القراءات* لابن مجاهد، ٢٧٤.

[6] جميع النسخ: فيكم.

[7] جميع النسخ: الصلاة. وروي عن عمر بن الخطاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة: «يا عائشة، ﴿إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا﴾، هم أصحاب البدع وأصحاب الأهواء وأصحاب الضلالة من هذه الأمة، ليست لهم توبة، يا عائشة، إن لكل صاحب ذنب توبة غير أصحاب البدع وأصحاب الأهواء ليس لهم توبة، أنا منهم بريء وهم مني براء» (*الدر المنثور* للسيوطي، ٤٠٢/٣)؛ وضعفه الهيثمي؛ انظر: *مجمع الزوائد*، ١٨٨/١. وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: هم في هذه الأمة؛ وفي رواية: هم أهل البدع والأهواء من هذه الأمة (*تفسير الطبري*، ١٠٥/٨؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤٠٢/٣).

[8] الحَرُورِيّة هم الخوارج، وذلك نسبةً إلى حَرُورَاء، موضع بظاهر الكوفة، لأنه كان أوّل اجتماعهم بها وتحكيمهم حين خالفوا عليًا رضي الله عنه (*لسان العرب* لابن منظور، «حرر»).

[9] قال الشارح: «قال قتادة رض: هم اليهود، لأنهم كانوا اجتمعوا مع عبدة الأوثان على المسلمين. وعن أبي هريرة رض أنه قال: هذا في أهل الضلال من هذه الأمة، فهو تحذير من تفريق الكلمة ودعاء إلى الاجتماع والألفة على الدين. وقال الحسن رض: هم جميع المشركين، لأنهم كلهم بهذه الصفة. وكذا روي عن عائشة رض قالت: هذه في الكفرة. وقيل: هم الحرورية» (شرح *التأويلات*، ٢٨١ظ).

[10] ع: منهم.

[11] ن: وليس لنا.

ثم يحتمل وجوها ثلاثة. يحتمل: **فارقوا دينهم،** حقيقةً، لأنّ جميع أهل الأديان عند أنفسهم أنهم يَدِينون بدين الله، لا أحد يقول: إنه يَدِين بدين غير[1] الله. ألا ترى أنهم قالوا: مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى،[2] وهٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ.[3] فهم وإن كانوا عند أنفسهم أنهم يَدِينون بدين الله فهم في الحقيقة **فارقوا دينهم** وليسوا على دين الله. ويحتمل قوله: **فارقوا دينهم** الذي[4] أُمِروا به ودعا إليه الرسل والأنبياء صلوات الله عليهم، فارقوا ذلك الدين. ويحتمل **فارقوا دينهم** الذي دانوا به في عهد الأنبياء والرسل،[5] ففارقوا ذلك الدين. ***والله أعلم.*** كقوله: وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ،[6] وكقوله: أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ،[7] الآية؛ [و]كانوا مؤمنين به.

وكانوا شيعا، أي صاروا فِرَقًا وأحزابًا.

وقوله عز وجل: **لست منهم في شيء؛** مِن الناس مَن صرف تأويل[8] قوله:[9] **لست منهم في شيء،** أي لست أنت مِن قتالهم[10] في شيء، كأنه نهاه عن قتالهم في وقت ثم أذن له بعد ذلك، ثم نسخته آية السيف؛ وهذا بعيد. ويحتمل **لست منهم في شيء،** أي لست من دينهم في شيء، لأن دينهم كان تقليدا لآبائهم، ودينك دين بالحُجج والبراهين، فلست منهم،[11] أي من دينهم في شيء. ويحتمل **لست منهم في شيء،** أي لا تُسأَل أنت عن دينهم ولا تُحاسَب على ذلك، كقوله: مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ،[12] الآية. أو يخرج على إياس أولئك الكفرة عن عود رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى دينهم، كقوله: اَلْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ،[13] الآية.

---

[1] ك: بغير دين.
[2] ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زُلْفَى﴾ (سورة الزمر، ٣/٣٩).
[3] ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ (سورة يونس، ١٨/١٠).
[4] ع: الذين.
[5] جميع النسخ + بدين الله.
[6] سورة البقرة، ٨٩/٢.
[7] ﴿يوم تَبْيَضّ وجوه وتَسْوَدّ وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾ (سورة آل عمران، ١٠٦/٣).
[8] ع م: تأويله.
[9] ن ع - قوله.
[10] ن م: في قتالهم.
[11] ك: بدينهم.
[12] سورة الأنعام، ٥٢/٦.
[13] سورة المائدة، ٣/٥.

وقوله عز وجل: **إنما أمرهم إلى الله**، يحتمل أن[1] الحكم فيهم إلى الله ليس إليك، هو الذي يحكم فيهم. أو أن يكون **أمرهم إلى الله**، في القتال حتى يأذن لك بالقتال. **ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون**، هو وعيد.

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[١٦٠]

وقوله عز وجل: **من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها**، ليس في قوله: **فلا يجزى إلا مثلها**، إيجاب الجزاء في السيئة، وفي قوله: **فله عشر أمثالها**، إيجاب الجزاء، لأنه قال: فله كذا، فيه إيجاب[2] الجزاء.[3] وإنما إيجاب الجزاء في السيئة بقوله: مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ،[4] وغيره من الآيات. وقد ذكرنا[5] أنّ إيجاب الجزاء والثواب في الحسنات / والخيرات إفضال وإحسان، لأنه قد سبق من الله تعالى إلى كل أحد من النعم ما يكون منه [٢٣٧ظ] تلك الخيرات جزاء لما أنعم عليه وشكرا له، ولا جزاء للجازي إلا من جهة الإفضال والإكرام. وأمّا جزاء السيئة فمما توجبه[6] الحكمة، لما خرج الفعل منه مخرج[7] الكفران لما أنعم عليه، فيستوجب بالكفران العقوبة والجزاء على ذلك. والثاني أنه خرج الفعل منه في الخيرات والحسنات على موافقة خِلقته[8] وصورته وتقويمه[9] وتسويته على ما خلقها الله وأنشأها وبناها، فلم يخرج الفعل منه[10] على خلاف ما هو بُني عليه، فلم يستوجب به الجزاء. وأما السيئات فهي إخراجها على خلاف خِلقتها وتقويمها، وصرفُها إلى غير الوجه[11] الذي كانت خِلقتها وتقويمها، فاستوجب بذلك[12] العقوبة والجزاء عليها، لقوله: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ.[13]

---

[1] جميع النسخ: أي؛ والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٨٢و.
[2] ع: في إيجاب.
[3] ن – فيه إيجاب الجزاء.
[4] سورة النساء، ١٢٣/٤.
[5] انظر تفسير الآية من سورة الأنعام، ١٣٢/٦.
[6] ن ع م: يوجبه.
[7] ن: يخرج.
[8] ن: على خلقته.
[9] م: وتقديمه.
[10] ع م: الفعل به.
[11] ع – الوجه.
[12] ك: ملك.
[13] سورة الذاريات، ٥٦/٥١.

وقوله عز وجل: **من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها**، ليس هو[١] على التحديد حتى لا يُزاد عليه ولا يُنقَص منه. إنما خرج -والله أعلم- على التعظيم لذلك والإجلال، لأنه أخبر في النفقة التي تُنفَق في سبيل الله[٢] أنها تزداد وتنمو إلى سبعمائة.[٣] ولا يجوز أن يكون له في الحسنة التي جاء بها في التوحيد يبلغ إلى ما ذكر،[٤] وإذا جاء بنفس ذلك التوحيد لا يَبلغ ذلك أو يَقصُر عن ذلك، ولكنها -والله أعلم- على التعظيم له.[٥] أو على التمثيل،[٦] كقوله: وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ،[٧] ذكر هذا لما لا شيء عند الخلق أوسع منهما،[٨] وكقوله: تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ،[٩] ومِثلُه هو على التمثيل خَرج، لعظيم ما قالوا في الله، ليس على أنها تنشق أو تنفطر؛[١٠] فعلى ذلك الأوّل أنه يخرج لما ذكرنا، لا على التحديد له والوقت.

ثم قوله: **من جاء بالحسنة فله** كذا، **ومن جاء بالسيئة** فله كذا، ذَكر مجيء الحسنة ومجيء السيئة،[١١] ولم يقل: من عمل بالحسنة فله كذا، ومن عمل بالسيئة، لِيُعلَم أنّ النظر إلى ما تختم به وقُبض عليه، فكأنه قال:[١٢] مَن ختم بالحسنة وقُبض عليها فله كذا، لأنه قد يعمل[١٣] بالحسنة ثم يفسدها وينقضها بارتكاب ما ينقضه ويفسده من الشرك وغيره، وعلى ما روي: «الأعمال بالخواتيم».[١٤]

---

[١] ع + الوجه.

[٢] ك – الله.

[٣] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿مَثَل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمَثَل حَبَّةٍ أنبتت سَبْعَ سنابل في كل سُنبلة مائةُ حَبّة والله يُضاعف لمن يشاء والله واسع عليم﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٦١).

[٤] م: إلى ما ذكروا.

[٥] قال الشارح: «ليس هو على التحديد حتى لا يُزاد عليه ولا يُنقَص منه، إنما خرج -والله أعلم- على التعظيم لذلك والإجلال، ألا يُرى أن الله تعالى أخبر في النفقة التي ينفق في سبيل الله أنها تزداد وتنمو إلى سبعمائة. ولا يجوز أن يكون في الحسنة التي جاء بها في التوحيد الذي هو أصل لا يبلغ ذلك المقدار، أو يَقصُر عنه بكثير، بل يقدر بعشرة. فدل أن ذكر العشرة ليس على التحديد والتعديد، وإنما خرج على التعظيم له أنّ هذا المقدار له خَطَر عند الناس» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٨٢و).

[٦] م – التمثيل.

[٧] سورة الحديد، ٥٧/٢١.

[٨] ك ن: أوسع مما ذكر؛ ع: أوسع مما.

[٩] ﴿تكاد السماوات يتفطّرن منه وتنشق الأرض وتخِرّ الجبال هَدّاً أنْ دَعَوْا للرحمن ولدا﴾ (سورة مريم، ١٩/٩٠-٩١).

[١٠] ع: وتنفطر.

[١١] ع: بالسيئة.

[١٢] ن – قال.

[١٣] ع: قيل يعمل؛ م: فيه يعمل.

[١٤] *مسند أحمد بن حنبل*، ٥/٣٣٥؛ وصحيح *البخاري*، القدر ٥.

ثم اختلف في قوله: **من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها**، قال بعضهم: **من جاء بالحسنة**،[1] بعد التوحيد، **فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة**، بعد التوحيد، **فلا يجزى إلا مثلها**. وقال بعض أهل التأويل: **من جاء بالحسنة**، يعني بالتوحيد، **فله عشر أمثالها**، لكنه ليس على التحديد لما ذكرنا، ولكن على التعظيم له والقدر عند الله، أو على التمثيل؛ **ومن جاء بالسيئة**،[2] يعني الشرك، **فلا يجزى إلا مثلها**،[3] لكن التخليد في النار مثل الشرك، لأن الشرك أعظم السيئات. وفي الآية دلالة أنّ المِثْل قد يكون من غير نوعه، حيث أوجب في الحسنة من الثواب **عشر أمثالها**، ومن السيئة مثلها، وليس واحد منهما من نوع الأصل والعمل الذي يثاب عليه. وقيل: **من جاء بالحسنة**، في الآخرة بالتوحيد، **فله عشر أمثالها**، في الأضعاف، **ومن جاء بالسيئة**، في الآخرة يعني الشرك، **فلا يجزى إلا مثلها**، في العِظَم، فجزاء الشرك النار، لأن الشرك أعظم الذنوب، والنار أعظم العقوبة، وذلك كقوله: جَزَاءً وِفَاقًا،[4] أي وِفاقًا للعمل.

وقوله عز وجل: **وهم لا يُظلَمون**، جميعًا، لا يُزاد على المِثْل ولا يُنقَص مما ذكر.[5]

﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[١٦١]

وقوله عز وجل: **قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم**، قال أبوبكر الكيساني:[6] قوله: **هداني**، أي دلّني، **ربي إلى صراط مستقيم**. لكن هذا بعيد، لأنه خَرج مَخرَجَ ذِكرِ ما مَنَّ عليه بلُطفه، وليس في الدلالة والبيان ذلك، إنما عليه البيان؛ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدلّ على الهدى ويبيّن لهم طريقه، ثم أخبر أنه لا يهدي من أحب بقوله: إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ،[7] دلّ أنّ ذلك إكرام من الله تعالى بالهداية والتوفيق له[8] والعصمة بلُطفه، لا الدلالة والبيان؛ وكذلك قوله تعالى: يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ

---

[1] ع م + فله عشر أمثالها.
[2] جميع النسخ + فلا يجزى إلا مثلها.
[3] ع م – يعني الشرك فلا يجزى إلا مثلها.
[4] سورة النبأ، ٢٦/٧٨.
[5] ع: ما ذكر.
[6] م: الكسائي.
[7] سورة القصص، ٥٦/٢٨.
[8] ك: الهداية بالتوفيق له.

بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ،[١] الآية، فلو كان على الدلالة والبيان لكان منه ذلك، ثم أخبر[٢] أنّ المِنّة عليهم لله تعالى لا لرسوله، دلّ أنه لما ذكرنا من الهداية نفسها لا الدلالة.

وقوله عز وجل: **دينا قِيَما،**[٣] قيل: قائما مستقيما لا عِوَج فيه، كقوله: وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا قَيِّمًا،[٤] والعِوَج هو الذي فيه الآفة،[٥] فأخبر أن لا آفة فيه ولا عِوَج.

وقوله عز وجل: **ملةَ إبراهيم،** إن أهل الأديان جميعًا يدّعون أنّ الذي هم عليه[٦] هو دين إبراهيم، فأخبر أنّ دين إبراهيم هو الذي عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم لا هم.

وقوله: **حنيفًا،** قيل: مسلمًا. والحَنَف هو الميل، وهو حَنِيف،[٧] أي مائل إلى دين الله. أخبر أنه يدعو[٨] إلى دين الله تعالى وإلى الدين الذي كان عليه آباؤه وأجداده، أعني به الأنبياء والرسل عليهم السلام. **وما كان من المشركين،** برّأه عز وجل من الشرك. وقيل:[٩] **حنيفا،** خالصا لله مخلصا لم يشرك أحدا في ربوبيّته ولا في عبادته على ما فعل أولئك الكفرة. وفي حرف ابن مسعود[١٠] / رضي الله عنه وحفصة: دينا قِيَما فِطرتَكم التي فُطرتم عليها ملةَ إبراهيم حنيفا. ويُقرَأ: قَيِّمًا بالتشديد، وقِيَمًا بالتخفيف.[١١] [٢٣٨و]

أو يخرج قوله: **إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم،** على الشكر له والحمد على ما أنعم عليه وأفضل له من الإكرام له بالهداية بالطريق المستقيم. والمستقيم[١٢] يحتمل القائم بالحق والبرهان. وكذلك قوله: **دينا قيما،** بالحُجج والبراهين، ودين أولئك دين بهوى[١٣] أنفسهم، ولذلك قال: **حنيفا.**

---

[١] سورة الحجرات، ٤٩/١٧.

[٢] ع م – أخبر.

[٣] قرأ من الأئمة العشرة عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي وخلَف: قِيَمًا، وقرأ نافع وابن كثير و أبو عمرو وأبو جعفر ويعقوب: قَيِّمًا؛ انظر: *النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢/٢٦٧.

[٤] ﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عِوَجًا قَيِّمًا لِيُنذر بأسا شديدا من لَدُنْهُ﴾ (سورة الكهف، ١٨/١-٢).

[٥] ك: الآفة.

[٦] ك – عليه.

[٧] م: الحنيف.

[٨] ع: يدعون.

[٩] م + كان.

[١٠] ك: وفي حرف بن مسعود.

[١١] تقدم بيان ذلك قريبا في الحاشية.

[١٢] ع م – والمستقيم.

[١٣] ن ع: يهوى.

وقوله: **قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم**، وقوله عز وجل: قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ،[1] وقوله عز وجل: قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِي رَبًّا،[2] خاطب الله بهذه الآيات رسوله صلى الله عليه وسلم، والمراد به الخَلْق كلّه، فمَن بُلِي بمثل ما كان بُلِي رسول الله صلى الله عليه وسلم من السؤال والدعاء فله أن يقرأ ويذكر[3] ما في هذه الآيات. ولو كان المراد بالخطاب بهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصّة لكان لا يقول له: قُل، ولكن يقول له: افعل كذا، ولا تفعل كذا، وعلى ذلك[4] الخطاب في الشاهد في خطاب[5] بعضٍ بعضًا أن لا يقولوا: قُل، فدلّ أنه على ما ذكرنا. وكذلك قوله: قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ،[6] مَن استُوصِف صفاتِ الله فعليه أن يَصف له ما في سورة الإخلاص،[7] ورسول الله[8] صلى الله عليه وسلم وغيره من الخلائق سواء في ذلك الخطاب.

ثم في قوله: **قل إنني هداني ربي**، الآية، ذِكرُ مِنّتِه بما هداه والاستيداء[9] إلى شكر ما أنعم[10] عليه، وفي قوله: قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي،[11] الأمر بإخلاص العبادة لله عز وجل وإسلام النفس له في جميع أحواله محياه ومماته، وفي قوله: قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِي رَبًّا،[12] فيه الدعاء إلى وحدانيّة الله وربوبيّته.

ثم في قوله: **إنني هداني ربي**، دلالةُ ردِّ قولِ مَن يستثني في إيمانه، لأنه أمره أن يقول: **إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم**، مِن غير أنْ أمره بالثُّنْيَا، فمن استثنى[13] فيه لا يخلو[14] استثناؤه من أحد[15] معنيين،

---

[1] الآية التالية.
[2] سورة الأنعام، ٦/١٦٤.
[3] ن ع م: أو يذكر.
[4] ع: على ذلك.
[5] ع: في الخطاب.
[6] سورة الإخلاص، ١١٢/١.
[7] ع: الارخلاص.
[8] ع: رسول الله.
[9] ك: والاستيلا.
[10] ع م: نعم.
[11] الآية التالية.
[12] سورة الأنعام، ٦/١٦٤.
[13] ع: من استثنى.
[14] ع: لا يخلوا.
[15] ع – من أحد.

إما[1] أن يكون لِشكٍ فيه أو لكتمان[2] ما أنعم الله عليه، فعلى كلّ مَن أنعم الله عليه أن يُظهر ذلك وأن يشكر له على ذلك على ما أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بذلك.

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[١٦٢] ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[١٦٣]

وقوله: **قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين**، يخرج على وجهين. أحدهما يخرج على الأمر بالدعاء لنفسه، كأنه[3] قال: **قل**، أَجْعَلُ، **صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين**. والثاني على المنابذة[4] مع أولئك الكفرة والفجرة،[5] يقول: أنا أجعل **صلاتي**، وعبادتي،[6] **ومحياي ومماتي لله**، لا أجعل لغيره شِركا[7] كما جعلتم أنتم لغيره شِركا[8] في عبادته وصلاته ونسكه. ***والله أعلم***.

ثم اختلف في قوله: **صلاتي**، قال بعضهم: الصلاة المفروضة. وقال بعضهم: الصلاة الخضوع والثناء، يقول: إن خضوعي وثنائي لله. والصلاة هي الثناء في اللغة.[9]

وقوله: **ونُسُكي**، اختلف فيه. قال الحسن: نُسُكي: ديني،[10] كقوله: وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا،[11] أي دينا. وقيل: نُسُكي: ذبيحتي[12] لله في الحجّ والعمرة وغيره. وقيل: نُسُكي: عبادتي. والنُسُك اسم كل عبادة، وعلى ذلك يُسمَّى كلّ عابد ناسكا.[13]

وقوله: **ومحياي ومماتي لله رب العالمين**، أي أنا حيّ وميّت لله، لا أُشرك أحدا في عبادتي ونفسي، بل كلّه لله، **لا شريك له**،[14] في ذلك.

---

[1] ن: وإما.
[2] ع: أو كتمان.
[3] ع م: لأنه.
[4] ع: على منابذة.
[5] ك ن – والفجرة؛ ع: الفجرة.
[6] م: وغبادتي.
[7] ن: شركاء.
[8] ن: شركاء.
[9] من معاني الصلاة في اللغة الثناء والدعاء وغير ذلك (*لسان العرب* لابن منظور، «صلو»).
[10] *تفسير القرطبي*، ١٥٢/٧.
[11] سورة الحج، ٣٤/٢٢.
[12] ع: ذبيحة.
[13] انظر: *لسان العرب* لابن منظور، «نسك».
[14] م – له.

[وبذلك أُمِرتُ]، ويحتمل أن يكون هذا على التقديم والتأخير، كأنه قال: قل إني أُمرت أن أجعل صلاتي ونُسُكي لله. أو إني أُمرت أن أدعو[1] وأسأل الله أن يجعل صلاتي ونسكي وعبادتي له لا أشرك غيره فيه.

وقوله عز وجل: **وأنا أول المسلمين**، يحتمل قوله:[2] **وأنا أول المسلمين**، أي[3] وأنا أول من خضع وأسلم بالذي أُمرتُ أن أُبلّغ، لأنه أمر بتبليغ ما أنزل إليه، فيقول: أنا أول من أسلم بالذي أمرت بالتبليغ. ويحتمل أن يكون لا على توقيت الإسلام، ولكن على سرعة الإجابة والطاعة له، كقوله: وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا،[4] هو على الوصف[5] بغاية العِظَم، ليس على أنّ بعضها أكبر وأعظم وبعضها أصغر، ولكن كلّها أعظم وأكبر، فعلى ذلك هذا ليس على وقت الإسلام، ولكن لسرعة الإجابة والطاعة له. *والله أعلم*. الإسلام هو جعل النفس وكليّةِ الأشياء لله سالمة، أي أنا أول من جعل نفسه لله سالمة.

﴿قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[١٦٤]

وقوله عز وجل: **قل أغير الله أبغي ربا وهو رب كل شيء**، يحتمل هذا وجهين. يحتمل **أغير الله أبغي ربا**، وقد تعلمون أن لا رب سواه. ويحتمل **أغير الله أبغي ربا** سِواه، وفي كل أحد أثر ربوبيّته وألوهيته قائم ظاهر، وفيما تدعونني إليه أحد آثار العبوديّة والربوبيّة لله فيه، فكيف أتخّذ ربا سِواه؟

وقوله عز وجل: **ولا تكسب كل نفس إلا عليها**، يحتمل وجهين. يحتمل لا تكسب كلّ نفس مِن سُوء إلا عليها، أي لا يتحمّل ذلك غيره عنه في الآخرة، وكذلك قوله: **ولا تزر وازرة وزر أخرى**، وكقوله: فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ.[6] ويحتمل أن يكون قوله: **ولا تكسب كل نفس إلا عليها**، أي لا تكسب كل نفس لو تُركت وما تختار إلا عليها، لكن الله بفضله يمنع بعضها وما تختار على نفسها، كقول يوسف عليه السلام:

---

[1] ن ع م: أن أدعوا.
[2] ع: قو.
[3] م – يحتمل قوله وأنا أول المسلمين أي.
[4] سورة الزخرف، ٤٣/٤٨.
[5] ن: هو الوصف.
[6] سورة النور، ٢٤/٥٤.

إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي،[١] أخبر أنها كاسبةُ السُّوء إلا ما عصمها[٢] ربي. وجائز أن يكون على الإضمار، / كأنه يقول: **ولا تكسب كل نفس إلا عليها** ولها، ومِثلُه[٣] [٢٣٨ظ] جائز في القرآن، كقوله تعالى: لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا،[٤] وهو نذير[٥] لقوم بشير لقوم آخرين نذير في حال، وبشير في حال.

وقوله عز وجل: **ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون**، هو على الوعيد.

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا كبّر للصلاة أَتْبَع التكبير بهذه الآية: **إن صلاتي ونسكي**، إلى آخره. وعن علي رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا افتتح الصلاة كبّر، ثم قال: «وجّهت وجهيَ للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين،[٦] إن صلاتي ونُسُكي -إلى قوله- أول المسلمين»،[٧] وذَكر أنه كان يدعو بعد ذلك دعاء طويلا.[٨] وروي عن عائشة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما أنهما قالا: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا افتتح الصلاة رفع يديه حذاء مَنْكِبَيْه، ثم يقول: «سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدّك، ولا إله غيرك».[٩] فكان أبو حنيفة رحمه الله يختار من ذلك[١٠] هذا في الفرائض. وكذا رُوي عن عمر بن الخطاب[١١] رضي الله عنه أنه[١٢] قام[١٣] إلى الصلاة فكبّر ثم قال: سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدّك، ولا إله غيرك؛ وكذلك[١٤] رُوي عن ابن مسعود أنه كان إذا افتتح الصلاة قال: سبحانك اللهم وبحمدك،

---

[١] سورة يوسف، ٥٣/١٢.
[٢] ع: إلا عصمها.
[٣] ع: مثله.
[٤] سورة الفرقان، ١/٢٥.
[٥] ع – وهو نذير.
[٦] هذا اقتباس من قول إبراهيم عليه السلام: ﴿إني وجّهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين﴾ (سورة الأنعام، ٧٩/٦).
[٧] ن – إن صلاتي ونسكي إلى قوله أول المسلمين.
[٨] *صحيح مسلم*، صلاة المسافرين ٢٠١؛ و*سنن أبي داود*، الصلاة ١١٨-١١٩.
[٩] *سنن أبي داود*، الصلاة ١١٩-١٢٠؛ و*سنن الترمذي*، الصلاة ٦٥.
[١٠] ع م: ذلك.
[١١] ك – بن الخطاب.
[١٢] ن + قال.
[١٣] ع: أنه قال.
[١٤] ن: وكذا.

وتبارك اسمك، وتعالى جدّك، ولا إله غيرك.[1] وكان أبو يوسف يستحبّ أن يقول بهذه الكلمات والكلمات التي[2] رواها علي بن أبي طالب رضي الله عنه من غير إيجاب لذلك ولا حَظْر لما سِواه. وكان أبو حنيفة رحمه الله لا يستحبّ أن يزيد في الفرائض على ما رُوي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما روت عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما رُوي عن عمر وعبد الله رضي الله عنهم. وأما في النوافل فله أن يزيد ما شاء فيها من الثناء والدعوات. فيحتمل أن يكون ما رواه علي بن أبي طالب رضي الله عنه مِن فِعل رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ذلك في النوافل.

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِيمَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[١٦٥]

وقوله عز وجل: **وهو الذي جعلكم خلائف الأرض**، اختلف فيه. قال بعضهم: **جعلكم خلائف الأرض**، يعني أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلهم خلائف مَن تقدّمهم من المكذّبين والمصدّقين،[3] ليعلموا ما حلّ[4] بالمكذّبين[5] برسول الله صلى الله عليه وسلم، ليحذروا تكذيبه والخلاف له، ويرغبوا في تصديقه والموافقة له والطاعة، ليكون لهم بمن تقدّمهم عبرة[6] في التحذير والترغيب، ويكون لهم بمن تقدّمهم قدوة وعبرة ليعرفوا صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنْ كيف يجب أن يَصحَبوه ويُعاملوه من الإحسان إليه والتعظيم له والتصديق، ويجتنبوا الإساءة إليه والتكذيب. وقال بعضهم: قوله: **جعلكم خلائف الأرض**، يعني البشر كلهم جعل بعضهم خلائف بعض في الوجود وفي الأحوال: في الحياة والموت والغَناء والفقر والصحة والسقَم وفي العزّ[7] والذلّ وفي كل شيء وفي الصغر والكبر،

---

[1] ع م – وكذلك روي عن ابن مسعود أنه كان إذا افتتح الصلاة قال سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك. قال الترمذي رحمه الله: «وأمّا أكثر أهل العلم فقالوا بما رُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول: "سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدّك، ولا إله غيرك"؛ وهكذا رُوي عن عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود، والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم من التابعين وغيرهم» (*سنن الترمذي*، الصلاة ٦٥).

[2] ن – والكلمات التي.

[3] ك ع م: والصديقين.

[4] ن ع م: ما احل.

[5] ن: من المكذبين.

[6] ن ع: عبر.

[7] ع: في العز.

ليكون لهم[١] في ذلك عِبَرٌ ودليلٌ[٢] على معرفة منشئهم وخالقهم؛ لأنه لو أنشأهم جميعًا معًا لم يعرفوا[٣] أحوال أنفسهم وتغيُّرهم من حال[٤] إلى حال، ولكن أنشأهم واحدا بعد واحد وقرنا بعد قرن ليعرفوا أحوال أنفسهم وانتقالهم من حال إلى حال،[٥] [و] ليعرفوا أنَّ مُنشئهم واحد، لأنهم لو كانوا جميعًا معًا لم يعرفوا مبادئ[٦] أحوالهم من حال نطفة ثم من علقة[٧] ثم من مضغة، ثم من حال الصغر إلى حال الكبر. وكذلك هذا في جميع الأحوال من الغَناء والفقر والصحّة والسقَم، ولو كان كله على حالة واحدة لم يعرفوا ذلك، لكن جعل بعضهم خلائف بعض ليدلهّم على ما ذكرنا. ويحتمل ما قال ابن عباس رضي الله عنه: إنهم صاروا خَلَف الجانّ.[٨] فالأول[٩] يكون في بيان صحبة رسول الله[١٠] صلى الله عليه وسلم وحسن المعاملة معه، والثاني في بيان وحدانيّة الرب.

وقوله عز وجل: **ورفع بعضكم فوق بعض درجات**، يحتمل هذا في الأحوال، ويحتمل في الخِلقة. جَعل لبعضٍ فضائل ودرجات على بعض، وجعل بعضًا فوق بعض بدرجات في الدنيا، ليكتسبوا لأنفسهم في الآخرة الدرجات والفضائل على ما رغبوا في الدنيا في فضائل الخِلقة ودرجات بعض فوق بعض[١١] ونَفَروا في الدُّون مِن ذلك، لِيُرَغِّبهم ذلك في اكتساب الدرجات في الآخرة ويُنَفِّرهم عن اكتساب ما يَنفرون عنه في الدنيا.[١٢]

وقوله عز وجل: **ليبلوكم فيما آتاكم**، يحتمل: **ليبلوكم فيما آتاكم**، مِن الأحوال المختلفة مِن الفقر والغَناء[١٣] والسقَم والصحّة[١٤] والصغر[١٥] والكبر وغير ذلك من الأحوال.

---

[١] ك + لهم.
[٢] جميع النسخ: عبرا ودليلا.
[٣] ك: مع ما لم يعرفوا.
[٤] ع: في حال.
[٥] ك – ولكن أنشأهم واحدا بعد واحد وقرنا بعد قرن ليعرفوا أحوال أنفسهم وانتقالهم من حال إلى حال.
[٦] ن ع: مباد.
[٧] م – ثم من علقة.
[٨] روي بمعناه عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة﴾؛ انظر: *تفسير الطبري*، ١/١٩٩؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ١/١١١.
[٩] أي القول الأول.
[١٠] ك + رسول الله.
[١١] ع – بعض.
[١٢] ك: من الدنيا.
[١٣] ك: والغناية.
[١٤] ع: والصحة والسقم.
[١٥] ع – والصغر.

ويحتمل **فيما آتاكم**، مِن النعم، أي ليبلوكم[1] بالشكر على ما آتاكم من النعم.*

[٢٣٩و] وقوله: **ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم**، قيل: / يبتلي الموسر في حال الغَناء والصحيح في حال صحته، ويبتلي الفقير في حال فقره والمريض في حال مرضه. والابتلاء من الله تعالى على وجهين، إما أمرا بالشكر على ما أنعم، أو صبرا على ما ابتلاه بالشدائد. والابتلاء منه هو ما بَيَّن السبيلين جميعًا: سبيلَ الحق وسبيلَ الباطل، وبَيَّن أنّ كلّ سبيل إلى ما ذا أَفْضَاه لو سلكه، لو سلك[2] سبيلَ الحقّ أفضاه إلى النعم الباقية والسرور الدائم، وإن سلك سبيل الباطل أفضاه إلى عذاب شديد وحزن دائم، ثم خيّره بين هذين، فهو معنى[3] الابتلاء.

[٢٣٨ظ س٣٦ *وقوله عز وجل: **إن ربك سريع العقاب**، قال بعضهم: هو إخبار عن سرعة إتيان العذاب، لأنّ كلّ آتٍ قريب، كأنْ قد جاء، وكقوله: أَتَى أَمْرُ اللهِ،[4] واقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ،[5] واقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ،[6] ونحوه، أنه إذا كان أتى لا محالة، فجعل[7] كأنْ قد جاء. وقال بعضهم: ذلك إنباء عن شدة عذابه لمن عصاه.* ٢٣٨ظ س٣٩]

وقوله عز وجل: **وإنه لغفور رحيم**، للمؤمنين، وقد ذكرنا.[8] والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.[9]

---

[1] ن – أي ليبلوكم.

* وقعت هنا قطعة من تفسير آخر الآية متقدمة على موضعها، فنقلناها إلى هنالك. انظر: ورقة ٢٣٨ظ/سطر ٣٦-٣٩.

[2] ك: او سلك.

[3] ك ن ع: في معنى.

[4] سورة النحل، ١/١٦.

[5] سورة الأنبياء، ١/٢١.

[6] سورة القمر، ١/٥٤.

[7] جميع النسخ: جعل.

* وقع ما بين النجمتين متقدما على موضعه من تفسير الآية، فنقلناه إلى هذا الموضع. انظر: ورقة ٢٣٨ظ/سطر ٣٦-٣٩.

[8] ك: قد ذكرنا؛ ع: وقد ذكرناه. انظر تفسير الآية من سورة الفاتحة، ٣/١؛ وسورة آل عمران، ٨٩/٣.

[9] ك ن ع – وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الأعراف

قيل:[1] إنها مكية. بسم الله الرحمن الرحيم.[2]

﴿الٓمٓصٓ﴾ [١]

الحمد لله العليم بخلقه، اللطيف لرشد عباده، ضرب لهم الآيات والبيان، لينقلهم بحكمته وتدبيره من الجهالة إلى العلم، ومن الضلالة إلى الهدى، ووصّى به رسوله أن يدعو[3] عباده إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة، فبعث محمدا صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافّة، وأنزل إليه الكتاب. تلا فيه ما في الكتب الأولى ليبيّن لأهل الكتاب والمشركين أن النبي الأمّي العربي لم يَعلم ما في الكتب[4] الأعجمية[5] إلا من عند الله، ليكون ذلك أوضح لهم في الحجة. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الرسالة معروفا عند الفريقين أنه لم يَتْلُ[6] كتابا ولا خطَّه بيمينه،[7] ولا كان عندهم من شعرائهم، ولا المعروف [بعلم] أنسابهم،[8] وعِلم أنبائهم،[9] وذلك أبلغ في البرهان. فأنبأ فيه علم الغيوب، وفَرَض الفرائض، وحَكَم فيه الأحكام، وأنزل فيه الحجج بتأليفٍ يَعجز[10] عنه مَن دون الله، ليبين لهم أنه[11] من عند الله

---

[1] ع: وقيل.

[2] ع + وبه.

[3] م: أن يدعوا.

[4] ك ن: ما في كتب؛ ع م: في الكتب.

[5] ع: العجمية.

[6] ك: يتلو.

[7] لعل المؤلف رحمه الله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وما كنتَ تتلو مِن قَبْله من كتاب ولا تَخُطُّه بيمينك إذًا لارتاب المُبْطِلون﴾ (سورة العنكبوت، ٢٩/٤٨).

[8] جميع النسخ: بأنسابهم. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٨٣ظ.

[9] ن: بأنبائهم.

[10] ع م: يعجزه.

[11] ع: اية.

فأَنِف قومه وأَبَوا أن يستمعوه واستكبروا عليه، وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ،[١] وقالوا: لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ.[٢] فأتاهم العليم الخبير مِن قِبَل أَنَفِهم[٣] وكِبْرهم، فأنزل في الكتاب كلاما افتتح به السورة لم يكن من كلام قومه، فلما سمعوا ظنوا أنه بديعٌ ابتدعه[٤] محمد كابتداعهم البلاغات والأوابِد،[٥] وأَنِفوا أن يكون محمد يقدر من ذلك على ما لا يقدرون، فتدبّروا الكتاب ليعلموا صدوره بما بعده من الكلام،[٦] فسمعوا كلاما مجيدا حكيما،[٧] ونبأ عظيما، وحُججا نيّرة، ومواعظ شافية، فدخل أكثرهم في الإسلام، وقعد عنه رجلان: معاند متعمّد، وجاهل مقلّد لا يَنظر. وفيما أنزل مما وُصف قوله: كهيعص،[٨] وطسم،[٩] **والمص**، والمر،[١٠] وما أشبهها. فقال: **المص**، ليعطف بها[١١] على النظر فيما بعدها.*

ويحتمل أن تكون[١٢] هذه الحروف المقطّعة خطابا[١٣] خاطب الله بها رسله يفهمونها لا يفهمها[١٤] غيرهم، على ما يكون لملوك الأرض بينهم وبين خواصّهم إشارات[١٥] يفهمها خواصّهم ولا يفهمها غيرهم.[١٦] هذا متعارف فيما بين الخلق أن يكون لهم فيما بينهم وبين خواصهم[١٧] ما ذكرنا.

---

[١] سورة الزخرف، ٤٣/٣١.

[٢] سورة فصلت، ٤١/٢٦.

[٣] جميع النسخ: أنفسهم. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٨٣ظ.

[٤] جميع النسخ: ابتدع.

[٥] الآبِدة: الكلمة أو الفعلة الغريبة، وجاء فلان بآبدة: أي بداهية يبقى ذكرها على الأبد، ويقال للشوارد من القوافي: الأوابد (*لسان العرب* لابن منظور، «أبد»).

[٦] أي ليعلموا ما جاء في صدر الكلام في القرآن من الحروف المقطعة بالنظر إلى ما جاء فيما بعده من الآيات.

[٧] ك – حكيما.

[٨] سورة مريم، ١٩/١.

[٩] سورة الشعراء، ٢٦/١؛ وسورة القصص، ٢٨/١.

[١٠] سورة الرعد، ١٣/١.

[١١] ن ع م: لتعطف بها.

* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية متقدمة على موضعها، فنقلناها إلى هنالك. انظر: ورقة ٢٣٩و/سطر ٢٢-٣١.

[١٢] ن ع م: أن يكون.

[١٣] ك: خطاب.

[١٤] ن – لا يفهمها.

[١٥] ع: إشاراة.

[١٦] ك – على ما يكون لملوك الأرض بينهم وبين خواصهم إشارات يفهمها خواصهم ولا يفهمها غيرهم.

[١٧] ن – إشارات يفهمها خواصهم ولا يفهمها غيرهم هذا متعارف فيما بين الخلق أن يكون لهم فيما بينهم وبين خواصهم.

فعلى ذلك يحتمل أن تكون[١] هذه الحروف المقطّعة خطابات من الله خاطب بها رسله، وهم خواصّه يفهمونها ولا يفهمها[٢] غيرهم. ثم وَجْهُ فَهْمِهم يكون لوجهين. يخبرهم[٣] فيقول: إني[٤] إذا أنزلت إليكم كذا فمرادي من ذلك كذا. أو كان[٥] البيان والمراد منها مقرونا بها وقت إنزالها، فهموا المراد منها بما أفهمه الله وأراهم ما لم يُرِ ذلك غيرَهم، كقوله: إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ،[٦] أرى رسله أشياء[٧] لم يُرِ ذلك غيرَهم ولا أَطْلَعَهم على ذلك، فهي[٨] من المتشابه على غيرهم، وأما على الرسل فليس من المتشابه.

وقال الفراء: يحتمل أن تكون[٩] هذه الحروف المقطّعة المتفرّقة التي أنزلها من ا ب ت ث إلى آخرها كأنه قال: إني جمعت هذه الحروف المتفرّقة فجعلتها كتابا،[١٠] / فأنزلتها من نحو **المص**، [٢٣٩ظ] و الٓمٓ اللهُ،[١١] والٓمٓ ذٰلِكَ الْكِتَابُ،[١٢] والمر،[١٣] ونحوه. والله أعلم بما أراد به ذلك. وقد ذكرنا هذا في صدر الكتاب مقدار[١٤] ما حفظنا وفهمنا من أقاويل أهل العلم في ذلك.[١٥]

﴿كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٢]

*ثم ابتدأ فقال: **كتاب أنزل إليك**، يقول: **كتاب** من ربك **لتنذر به** عباده. **فلا يكن في صدرك** [٢٣٩و س٢٢] **حرج منه**، يقول: فلا يَضيقنّ[١٦] **صدرك** عن الذي فرض الله عليك فيه من البلاغ إلى قومك،

---

[١] ن ع م: أن يكون.
[٢] ع م: ولا يفهمون.
[٣] «أحدها أن يخبرهم الله بوحي غير متلو على لسان الملك فيقول...» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٨٣ظ).
[٤] ع م: الي.
[٥] ع: وكان.
[٦] سورة النساء، ٤/١٠٥.
[٧] م: شيئا.
[٨] ع م: فهم.
[٩] ع م: أن يكون.
[١٠] *معاني القرآن* للفراء، ١/٢٤٨.
[١١] سورة آل عمران، ٣/١-٢.
[١٢] سورة البقرة، ٢/١-٢.
[١٣] سورة الرعد، ١٣/١.
[١٤] ن + هذا.
[١٥] انظر تفسير الآية من سورة البقرة، ٢/١.
[١٦] ن ع م: فلا تضيقن.

وبما فرض عليك من البراءة منهم ومما يعبدون من دون الله. فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يخاف ما خافت الرسل من بين يديه، فقال موسى: فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ،[1] وقد كان يَعرف قومه[2] بالتسرّع إلى القتل فيما ليس مثل ما يأتيهم به، فأمّنه الله منهم بقوله: وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ،[3] وقال في آخر هذه السورة: ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظِرُونِ،[4] ليفهموا أنها[5] عن الله تعالى، فإنها من أعظم آيات الله لرسوله صلى الله عليه وسلم، أعلمه أنهم لا يَصِلون إلى ما يخاف منهم. وفي الأثر أن الله تعالى لما أرسله إلى قومه فقال: «أي رب، إذًا يَثْلَغُوا[6] رأسي فيَذَرُوه مثل خُبزة».[7] فأمّنه الله تعالى من ذلك فقال: **فلا يكن في صدرك حرج من** البلاغ، ولا يَضِيقنّ **صدرك** عما فرض الله عليك من العبادة والحكم الذي تخالف فيه قومك. ثم وصف الكتاب فقال: **وذكرى للمؤمنين**، يقول: يتذكرون بما فيه ويتدبرونه، فيعلمون به[8] الحق من الباطل، ويذكرون به ما فرض[9] عليهم.* [٢٣٩و س٣١]

وقوله عز وجل: **فلا يكن في صدرك حرج منه**، قيل: الحرج هو الضيق في الصدر. ثم يحتمل ضيق الصدر وجوها. يحتمل ضيق الصدر ما يحمل عليه في ذلك من الشدائد والخطرات[10] بتبليغه إلى الكفرة الذين نشئوا على الكفر والشرك، وخاصّةً الفراعنة والملوك الذين هِمّتهم القتل والإهلاك لمن استقبلهم بالخلاف. أو أن يوسوس في صدره الشيطان أنه ليس من عند الله. أو أن يقول له: إنه من أساطير الأولين، على ما قال أولئك الكفرة:

---

[1] سورة الشعراء، ١٤/٢٦.

[2] أي كان يعرف محمد صلى الله عليه وسلم قريشا.

[3] سورة المائدة، ٦٧/٥.

[4] سورة الأعراف، ١٩٥/٧.

[5] ك: يفهموها؛ ن ع م: يفهمونها.

[6] ثَلَغه بالعصا: ضربه ... وثَلَغَ الشيء يَثْلَغُه ثَلْغا: شَدَخه، وثَلَغ رأسه يَثْلَغه ثَلْغا: هَشَمه وشَدَخه. وقيل: الثَّلْغ في الرَّطْب خاصة. وفي الحديث: «إذًا يَثْلَغُوا رأسي كما تُثلَغ الخبزة»، الثَّلْغ: الشَّدخ، وقيل: هو ضَرْبُك الشيء الرَّطْب بالشيء اليابس حتى يَنشدِخ (*لسان العرب* لابن منظور، «ثلغ»).

[7] ورد ذلك خلال حديث طويل: «... وإن الله أمرني أن أحرق قريشا. فقلت: رب إذًا يَثْلَغُوا رأسي فيدعوه خُبْزَة. قال: اِسْتَخرِجْهم كما استخرجوك، واغزُهم نُغْزِك، وأنفق فسننفق عليك، وابعث جيشا نبعث خمسة مثله، وقاتل بمن أطاعك من عصاك...» (*مسند أحمد بن حنبل*، ١٦٢/٤؛ وصحيح *مسلم*، الجنة ٦٣).

[8] ع – به.

[9] ك ن + الله.

* وقعت ما بين النجمتين من تفسير الآية متقدما على موضعه، فنقلناه إلى هنا. انظر: ورقة ٢٣٩و/سطر ٢٢-٣١.

[10] ك م: الحظرات.

مَا هٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ.[١] ثم يحتمل قوله: **فلا يكن في صدرك حرج منه**، على النهي، أي لا يكن[٢] في صدرك[٣] منه حرج، أي لا يَضيقنّ صدرُك ممّا حُمل عليك. وقال بعضهم: **فلا يكن في صدرك حرج**، أي شك أنه من عند الله نزل. وقد ذكرنا أن العصمة لا تمنع[٤] النهي،[٥] لأنه بالنهي ما يكون[٦] عصمة.[٧] ويحتمل ليس على النهي، ولكن على أن لا تَحْمِلْ على نفسك ما فيه هلاكك، كقوله: وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ،[٨] وكقوله: فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ،[٩] ليس على النهي، ولكن على أن لا تحمل[١٠] على نفسك ما فيه هلاكك، فعلى ذلك هذا.[١١] *والله أعلم*.

ثم إن الله عز وجل أمّنه عما كان يخاف من أولئك بقوله: وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ،[١٢] وأمّنه من وساوس الشيطان على ما روي في الخبر أنه قيل له:[١٣] ألك شيطان؟ فقال: «كان، ولكن أُعِنتُ عليه فأسلم».[١٤] أمّن عز وجل رسوله عن ذلك كله لما ذكرنا.

وقوله عز وجل: **لِتُنذر به**، يحتمل أنه أمره أن ينذر به الكفرة ويبشر به المؤمنين،[١٥] كقوله: لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ،[١٦] فعلى ذلك قوله: **لتنذر به** الكفرة، **وذكرى للمؤمنين**،

---

[١] ك – على ما قال أولئك الكفرة ما هذا إلا أساطير الأولين.   سورة الأحقاف، ١٧/٤٦.
[٢] جميع النسخ: لا يكون.
[٣] ع م: في درك.
[٤] ع م: لا يمنع.
[٥] انظر تفسير الآية من سورة الأنعام، ٣٥/٦.
[٦] ما مصدرية وليست نافية.
[٧] وعبارة السمرقندي هكذا: «وقد ذكرنا أن العصمة لا تزيل المحنة والنهي، بل النهي مما يقرر العصمة» (*شرح التأويلات*، ورقة ٢٨٤و).
[٨] سورة النمل، ٧٠/٢٧.
[٩] سورة فاطر، ٨/٣٥.
[١٠] م: أن لا يتحمل.
[١١] ن – فعلى ذلك هذا.
[١٢] سورة المائدة، ٦٧/٥.
[١٣] ع م – له.
[١٤] عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما منكم من أحد إلا وقد وُكّل به قَرِينُه من الجنّ». قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: «وإياي، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير» (*صحيح مسلم*، صفة القيامة ٦٩). وانظر لروايات قريبة المعنى: *سنن الترمذي*، الرضاع ١٦؛ و*سنن النسائي*، ٤.
[١٥] م – المؤمنين.
[١٦] سورة الأحقاف، ١٢/٤٦.

أي بشرى على ما ذكرنا. ويكون في الإنذار بشرى، لأنه إذا أنذر فقَبِل الإنذار فهو له بشرى. ويحتمل قوله: **لتنذر به**، أي الكل الموافق والمخالف جميعا، كقوله: لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا.[1] **وذكرى للمؤمنين**، أي الذي[2] ينتفع به المؤمنون.

﴿اِتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ﴾[٣]

وقوله عز وجل: **اتبعوا**، الآية، لا تتبعوا أولئك في التحليل والتحريم وفي الأمر والنهي، لأنه ليس إلى الخلق التحليل والتحريم. وقوله: **اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم**، أمر المؤمنين أن يتّبعوا ما أنزل[3] إليهم من ربهم على ما أمر رسوله أن يتّبع ما أنزل إليه من ربه، كقوله: اِتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ،[4] ليُعلم أن ما أنزل إلى رسول الله هو منزل إلى المؤمنين جميعا.[5] وقوله عز وجل: **اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم**، فيما ذُكر وما يُحِلّ وما يُحرِّم وما يأمر وما ينهى.[6] **ولا تتبعوا من دونه أولياء**، قيل: أربابا،[7] أي لا تتبعوا من دونه **أولياء** فيما يُحِلّون ويُحرِّمون ويأمرون وينهون؛ أي إنما عليهم اتباع ما حرّم عليهم واستحلال ما أحلّ لهم، و أما إنشاء[8] التحليل والتحريم فلا. وقال بعض أهل التأويل: **أولياء**، أي[9] الأصنام والأوثان. ولكن لا يحتمل ههنا، ولكن ما ذكرنا أنهم كانوا يتّبعون عُظَماءهم في التحليل والتحريم، كقوله: اِتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ،[10] وكانوا لا يتخذون أولئك الأحبار أربابا في الحقيقة، ولكن كانوا يتّبعونهم فيما يحلّون ويحرّمون ويُضلّون[11] آراءهم، فسُمّوا بذلك لشدة اتّباعهم أولئك في التحليل والتحريم. ***والله أعلم***.

---

[1] ﴿تبارك الذي نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا﴾ سورة الفرقان، ١/٢٥.

[2] ع م: أي الذين.

[3] ن + الله.

[4] سورة الأنعام، ١٠٦/٦.

[5] م – جميعا.

[6] ن ع م: وما يؤمر وينهى.

[7] ك: اباؤنا.

[8] ك ع: وأما انشأ.

[9] ع م – أي.

[10] سورة التوبة، ٣١/٩.

[11] جميع النسخ: ويصدون.

وقوله عز وجل: **قليلا ما تذكّرون**، قال أهل التأويل: يعني بالقليل المؤمنين.[١] ولكن يحتمل قوله: **قليلا ما تذكّرون**، أي لا تتذكرون[٢] [أصلا و]رأسا، لأن الخطاب جرى به[٣] لأولئك الكفرة، وفيهم نزلت الآية.[٤]

﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾[٤]

وقوله عز وجل: **وكم من قرية أهلكناها**، قال أهل التأويل:[٥] يخوّف [الله عز وجل] أهل مكة بتكذيبهم الرسول بإهلاكه الأمم الخالية بتكذيبهم الرسل بقوله: **وكم من قرية أهلكناها** بتكذيبهم الرسل، فأنتم يا أهل مكة تُهْلَكون بتكذيبكم[٦] الرسول،[٧] وإن كانوا لا يعرفون هم إهلاك الأمم الماضية أنه إنما أهلكوا بتكذيبهم الرسل، غير أنهم وإن كانوا لا يعرفون هم ذلك بأنفسهم لما ليس[٨] عندهم كتاب لكن يَصِلون[٩] إلى علم ذلك بمن عندهم الكتب، وهم أهل[١٠] الكتاب، فيلزمهم الحجة. كالعجم وإن كانوا لا يعرفون الكتاب الذي أنزل بلسان العرب فإن الحجة تلزمهم[١١] بذلك لما كان لهم سبيل الوصول إلى علم ذلك بالعرب. فعلى ذلك هؤلاء وإن لم يكن عندهم علم بإهلاك أولئك فتلزمهم الحجة بإعلام أهل الكتاب إياهم. وفي الآية دلالة إثبات رسالة[١٢] محمد صلى الله عليه وسلم، لأنه أخبر عن إهلاك الأمم الخالية بتكذيبهم الرسل وهو لم ينظر في كتبهم ولا اختلف إليهم ليعلموه عن ذلك، ثم أخبرهم بذلك، فدل أنه إنما عرف ذلك بالله عز وجل.

وقوله عز وجل: **فجاءها بأسنا بَياتًا أو هم قائلون**، قال أبو بكر الكيساني: البأس[١٣]

---

[١] أي عدد من يتذكر من الناس قليل، وهم المؤمنون، والكفار الذين لا يتذكرون عددهم أكثر.
[٢] ن ع م: لا يتذكرون.
[٣] ع م: جرى فيه.
[٤] وانظر لأقوال أخرى تفسير الآية رقم ١٠.
[٥] ن ع م + كان.
[٦] م: بتكذيبهم.
[٧] ن: الرسل.
[٨] ع: ما ليس.
[٩] ع: كتاب لا يصلون.
[١٠] ع م – أهل.
[١١] ع: يلزمهم.
[١٢] ن + نبينا.
[١٣] م: الناس.

هو كل أمر مُعضِل شديد من المرض والجرح وغيره، ويقول: روي عن[1] عمر أنه لما طُعن[2] قيل له: لا بأس عليك،[3] فقال: إن كان في القتل بأس فَبِي ذلك.[4] وأما غيره من أهل التأويل فقالوا: البأس العذاب، **وبأسنا** عذابنا.

[٢٤٠ر] وقوله عز وجل: / **بياتا أو هم قائلون**، البيات بالليل،[5] والقيلولة بالنهار عند الظهيرة، وهما وقتا الغفلة أو وقتا الأمن. أخبر أنه إنما يأتيهم عذابه في حال الغفلة أو في حال الأمن لئلا يكونوا غافلين عن أمره ولا يكونوا آمنين عذابه.[6]

﴿فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾[٥]

وقوله عز وجل: **فما كان دعواهم إذ جاءهم بأسنا**، أي ما كان دعواهم قبل نزول العذاب إلا أنهم قالوا: نحن على الحق، وإن غيرهم على الباطل، فإذا جاءهم بأسنا اعترفوا بظلمهم كقوله: **إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين**. وقال بعضهم: **فما كان دعواهم**، حين نزول العذاب، [٢٤٠و س٨] **إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين**،* كقوله:[7] فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ،[8] الآية.*

﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾[٦]

وقوله عز وجل: **فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين**، يذكر في هذه الآية أنه يسألهم جميعا الرسل والمرسلين إليهم،[9] وقال في آية أخرى: فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ،[10] وقال: لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ.[11] ولكن قوله: لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ،

---

[1] ع م: – عن.
[2] جميع النسخ: لما طعن له.
[3] ن – عليك.
[4] ن ع م: بذلك. *السنن الكبرى* للبيهقي، ٨/٤٨.
[5] البيات: كل أمر في جوف الليل. يقال: أتاهم الأمر بياتا، أي أتاهم في جوف الليل (*لسان العرب* لابن منظور، «بيت»).
[6] ك ن: عن عذابه.
[7] ع – كقوله.
[8] سورة المؤمن، ٤٠/٨٤.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فنقلناه إلى هنا. انظر: ورقة ٢٤٠و/س ٨–٩.
[9] ع: والمرسل إليهم؛ م: والمرسل عليهم.
[10] سورة الرحمن، ٥٥/٣٩.
[11] سورة الأنبياء، ٢١/٢٣.

أي لا يسأل عما فعل وعن نفس ما ارتكب:[1]* ما أذنبت[2] وما فعلت؟[3] ولكن يُسأل: لماذا فعلت؟ يسأل عن الحجة: لم أذنبت[4] و لم فعلت ذا؟ أوأن يسأل في وقت و لا يسأل في وقت آخر.[5] وقال بعضهم: لا يسأل عن ذنبه غيره،[6] وإنما يسأل صاحبه وفاعله. يخبر -والله أعلم-[7] أن أمر الآخرة على خلاف أمر الدنيا، لأن في الدنيا قد يؤاخذ[8] غيره بذنبِ آخرَ[9] ربما، ويسأل[10] إحضار قريبه. وأما في الآخرة فإنه لا يؤاخذ غيره بذنب آخر، لذلك[11] كان ما ذكرنا. أو أن يكون قوله: لَا يُسْأَلُ، عما أظهر وأبدى، ولكن يسأل عما أسرّ وأخفى، لأن الملائكة قد يكتبون ما أبدوه وأظهروه، كقوله: مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ،[12] فيقع السؤال[13] عما أسرّوا على التقرير، ولا يسأل بعد ذلك.

وقوله: **فلنسألنّ الذين أُرسل إليهم ولنسألن المرسلين**، قال بعض أهل التأويل: يسأل الرسل عن تبليغ الرسالة إلى الأمم، ويسأل قومهم هل بلغ الرسل إليهم الرسالة، ويكون سؤالهم للرسل[14] سؤال شهادة، كقوله: لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ،[15] الآية، أنه قد بلغ الرسالة.

---

[1] ك: ما ارتكبت؛ م: وعن نفس ارتكب.

* وقعت هنا عبارة: «كقوله فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده الآية». وهي تناسب تفسير الآية السابقة. فوضعناها هنالك. انظر: ورقة ٢٤٠و/سطر ٨-٩.

[2] جميع النسخ: لم أذنبت.

[3] يقول علاء الدين السمرقندي: «أراد نفي السؤال عن نفس الفعل. أي لا يسأل عن عين ما فعل وعن نفس ما ارتكب» (*شرح التأويلات*، ورقة ٢٨٤ظ).

[4] ع: عن الحجة أذنبت.

[5] «... فإنه قيل: إنه يسأل في أول البعث» (*شرح التأويلات*، ورقة ٢٨٤ظ).

[6] ع: غير.

[7] م - أعلم.

[8] ك: يؤاخذ.

[9] ن + وإنما يسأل.

[10] ك - ويسأل.

[11] ع م: كذلك.

[12] سورة ق، ١٨/٥٠.

[13] ن - عما أسر وأخفى لأن الملائكة قد يكتبون ما أبدوه و أظهروه كقوله ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد فيقع السؤال.

[14] ك ع م: الرسل.

[15] ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾ (سورة البقرة، ١٤٣/٢).

وقال بعضهم: يسأل الملائكة عن تبليغ الرسالة إلى الأنبياء، ويسأل الأنبياء عليهم السلام عن تبليغ الملائكة إليهم.[١] وأمكن أن يكون السؤال للرسل عما أجيبوا، وكان سؤال الأمم عما أجابوا الرسل، كقوله: يَوْمَ يَجْمَعُ اللهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ،[٢] وكقوله: وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ.[٣] أو أن يكون سؤال القوم سؤال تقرير عندهم وإقرار لما كانوا ينكرون التبليغ إليهم، كقوله: وَإِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ،[٤] هذا السؤال سؤال تقرير وتعيير لا غير، لأنه كان يعلم أنه لم يكن قال لهم ذلك، لكنه يسألهم سؤال تقرير ليقروا[٥] بذلك، لئلا يقولوا: هو قال لهم ذلك، لأنهم ادعوا أن[٦] عيسى هو الذي قال لهم ذلك، فعلى ذلك الأول.

﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾[٧]

وقوله عز وجل: **فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين**، عن عملهم وصنيعهم، ولكن يسألون لما ذكرنا. ***والله أعلم***. يشبه أن يكون **فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين**، ذكر هذا لما يحتمل أن يُظَنّ به الخفاء عليه[٧] لما ذكر من المسألة لهم، والسؤال هو[٨] الاستخبار عما يُسَرّ ويُضمَر ليظهر ذلك، هذا هو معنى السؤال في الشاهد والاستخبار، فأخبر عز وجل بقوله: **فلنقصن عليهم بعلم**، على أن سؤاله ليس بسؤال استخبار واستظهار له، ولكن سؤال توبيخ وتقرير أو سؤال شهادة. وعلى هذا يخرج الابتلاء منه والامتحان لتقرير الأمر والنهي، لا لإظهار شيء خفي عليه، وإن كان في الشاهد يكون لذلك، أو أن يصير ما قد خفي عليهم باديا ظاهرا عندهم، فسمي ذلك الأمر منه والنهي ابتلاء وامتحانا لما عند الخلق ابتلاء وامتحان، وإن كان عند الله لا يحتمل ذلك، فسمي بالذي فيما بينهم. ***والله أعلم***.

---

[١] ن + إليهم.
[٢] سورة المائدة، ٥/١٠٩.
[٣] سورة القصص، ٢٨/٦٥.
[٤] سورة المائدة، ٥/١١٦.
[٥] ع: لقروا.
[٦] ع – ادعوا أن؛ م: قالوا.
[٧] ع: عليهم.
[٨] جميع النسخ: وهو.

﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٨] ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾[٩]

وقوله عز وجل: **والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك** كذا، قال الحسن: يكون ميزانا له كفّتان يوزن فيه الحسنات والسيئات، **فمن ثقلت موازينه** دخل الجنة، **ومن خفت موازينه** دخل النار.[1] وقال غيره من أهل التأويل: يريد بالموازين الحسنات والسيئات نفسها، فمن رجحت حسناته على سيئاته دخل الجنة، ومن رجحت سيئاته على حسناته دخل النار. إلى هذا[2] ذهب[3] أكثر أهل التأويل. ولا يحتمل ما قالوا. أما قول الحسن: ميزان له كفتان توزن[4] فيه الحسنات والسيئات، لا يحتمل، لأنه قال: **فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون**، إذا ثقل إحدى الكفتين[5] خفت الأخرى، وإذا خفت إحداهما ثقلت الأخرى، فكل واحد منهما ممن يثقل[6] موازينه ويخفّ، وقد أخبر في الآية أن من **ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم**. ولا يحتمل / أيضا ما قال غيره من [٢٤٠ظ] أهل التأويل أنه أراد بالموازين الحسنات والسيئات، لأن الآية في المؤمنين والكافرين، فلا سيئة ترجح في المؤمن مع إيمانه، ولا حسنة ترجح في الكافر مع شركه، إلا أن يقال: أن توزن[7] حسناته وتقابل[8] بسيئاته دون إيمانه، وكذلك الكافر تقابل[9] سيئاته بحسناته دون الشرك،[10] فتذهب[11] حسناتهم التي كانت لهم في الدنيا بما أنعم عليهم في الدنيا، فقد عجل لهم جزاء حسناتهم التي عملوا في الدنيا بما أنعم عليهم في الدنيا. وأما المؤمن فيتجاوز عن سيئاته،

---

[1] أخرج ابن المنذر واللالكائي عن عبد الملك بن أبي سليمان قال: ذُكِر الميزان عند الحسن، فقال: له لسان وكفّتان (*الدر المنثور* للسيوطي، ٣/٤١٨).

[2] ع م: إلى هذه.

[3] ك: يذهب.

[4] ن ع م: يوزن.

[5] ع م: الكفتان.

[6] ن ع م: فمن يثقل.

[7] ن ع م: أن يوزن.

[8] ن ع م: ويقابل.

[9] ن ع م: يقابل.

[10] ن + إلا أن يقال أن يوزن حسناته ويقابل بسيئاته دون إيمانه وكذلك الكافر يقابل سيئاته بحسناته دون الشرك.

[11] جميع النسخ: فذهب.

ويتقبل عنه[1] أحسن ما عمل، كقوله: أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ.[2] أو أن يكون ما ذكر من الميزان[3] هو الكتاب الذي ذكر[4] في آية أخرى، بقوله:[5] فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا... وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ،[6] الآية، كما[7] قال: فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ،[8] وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَالَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ.[9] وقال بعضهم: الوزن هو العدل، كقوله: وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ،[10] لم يقل: نضع الموازين بالقسط، ولكن قال: وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ، والقسط هو العدل، فهو إخبار عن العدل أنه يعدل بينهم يومئذ. وقال بعضهم: **والوزن يومئذ الحق**، أي الجزاء يومئذ الحق، يجزي[11] للطاعة الحسنة والثواب، وللسيئة العقاب والعذاب،[12] فهو حق. وقال بعضهم: قوله: **والوزن يومئذ الحق**، أي الطاعة حق كل مطيع[13] يومئذ، فهو حق.[14] ويحتمل أن يكون الوزن الحدود والتقدير، كقوله: وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ،[15] أي محدود مقدر، فعلى ذلك قوله: **والوزن يومئذ الحق**، أي الحد يومئذ الحق، لا يزاد على السيئات ولا ينقص من الحسنات التي عملوا في الدنيا. والله أعلم بما أراد بالوزن.

---

[1] ع: ويتقبل منهم؛ م: ويتقبل عنهم.
[2] سورة الأحقاف، ١٦/٤٦.
[3] ع: في الميزان.
[4] ن - ذكر.
[5] ن ع م: لقوله.
[6] ﴿وأما من أوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثُبورا ويَصْلَى سعيرا﴾ (سورة الانشقاق، ٨٤/٧-١٢).
[7] ك ن ع + وكما.
[8] سورة الحاقة، ١٩/٦٩.
[9] سورة الحاقة، ٢٥/٦٩. يقول السمرقندي: «وإنما ذكر الوزن والميزان عبارة عن الكتاب بطريقة المجاز لما أن كل واحد منهما يسبب العلم. والله أعلم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٨٥و).
[10] سورة الأنبياء، ٤٧/٢١.
[11] ع: تجري.
[12] جميع النسخ: عقاب وعذاب.
[13] ك: كل يطيع.
[14] قال السمرقندي: «وقال بعضهم: قوله: ﴿والوزن يومئذ الحق﴾، أي الطاعة حق كل مطيع يومئذ، فمن كانت طاعته مقبولة فهي التي أي حق وثابتة يومئذ، وما لم يكن بثابتة يومئذ فقد حبطت وصارت هدرا، فلا يكون طاعة. والله أعلم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٨٥و).
[15] سورة الحجر، ١٩/١٥.

*ويشبه أن يكون قوله: **فمن ثقلت موازينه، ومن خفت موازينه**، على التمثيل، ليس [٢٤٠ظ س ٣٠ على تحقيق الميزان والخفة، ولكن على الوصف بالعظم لأعمال المؤمنين، وبالخفة والتلاشي لأعمال الكافرين؛ لأن الله عز وجل ضرب لأعمال المؤمنين المَثَل بالشيء الثابت والطيب، ووصف أعمالهم بالثبات والقرار فيه، وضرب لأعمال الكافرين المَثَل وشبَهها بالشيء التافه التالف، ووصفها بالبطلان والتلاشي، كقوله: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ،[1] ووصف[2] أعمالهم بالطِّيب والثبات والقرار؛ ووصف أعمال الكافرين بالخُبث والتلاشي والبطلان، كقوله: وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ،[3] وقال في آية أخرى: وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا،[4] وقال: وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا،[5] وكقوله: فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ،[6] ونحوه من الآيات. وصف أعمال المؤمنين بالثبات / والقرار، وأعمال الكفرة [٢٤١و] بالذهاب والبطلان، فعلى ذلك قوله: **فمن ثقلت موازينه**، وَصْفٌ بالعظم والقرار والثبات، **ومن خفت موازينه**، وصف بالبطلان والتلاشي، أن لا يكون لهم من الخيرات شيء ينتفعون بها في الآخرة. ***والله أعلم***.* ٢٤١و س ٣]

ثم قال أهل التأويل في قوله: **فأولئك الذين خسروا أنفسهم**، أي غُبِنوا. وذلك أنه ما من أحد من مؤمن وكافر إلا وله في الجنة والنار منزل وأهل، فيرث المؤمن المنزل الذي كان للكافر في الجنة، ويرث الكافر المنزل الذي للمؤمن في النار، فذلك الخسران الذي خسروا. لكن هذا لا يحتمل: أن يكون الله تعالى يجعل للكافر[7] في الجنة منزلا وأهلا مع علمه أنه لا يؤمن ويختم على كفره. ويحتمل الخسران الذي ذكر هو أنهم خسروا في الدنيا والآخرة لما فات عنهم النعم التي كانت لهم في الدنيا ولم يصلوا إلى نعيم الآخرة، فذلك هو الخسران المبين في الدنيا والآخرة.

[1] سورة إبراهيم، ٢٤/١٤.
[2] ك ن: وصف.
[3] سورة إبراهيم، ٢٦/١٤.
[4] سورة الأعراف، ٥٨/٧.
[5] سورة النور، ٣٩/٢٤.
[6] سورة الرعد، ١٧/١٣.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه في تفسير الآية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٢٤٠ظ/سطر ٣٠ - ٢٤٢و/سطر ٣.
[7] ك: الكافر.

وقوله عز وجل: **بما كانوا بآياتنا يظلمون**،[1] قال الحسن: **بآياتنا** ديننا يكذّبون. ولكن **بآياتنا** حججنا، **يظلمون** أي يضعونها[2] في غير موضعها، وهو ما ذكر من ظلمهم الآيات، لأن الظلم هو[3] وضع الشيء غير موضعه.

ثم المسألة فيمن ارتكب كل كبيرة[4] في حال كفره عمرَه ثم آمن في آخره، صار ما كان ارتكب في حال كفره من الكبائر مغفورا[5] معفوا عنه غير مؤاخذ بها، ومن ارتكب ذلك في حال إيمانه وخُتم على الإيمان لم يعمل الإيمان في تكفيره وكان مؤاخذا[6] به. وذلك[7] -والله أعلم- لوجهين. أحدهما أن ليس على الكافر أنفس أفعال الطاعات وأعينها، إنما عليه قبول تلك الأعمال.[8] فإذا أسلم فقد قبلها، ولم يكن عليه في ذلك الوقت إلا القبول، لذلك لم يؤاخذ بما كان منه من الأعمال.[9] وأما المؤمن فعليه أنفس أفعال تلك الطاعات وتلك الأعمال، وقد كان منه القبول، فأُخذ[10] بما كان[11] منه التفريط في تلك الأعمال.

والثاني أن الكافر إذا أسلم بعد ما ارتكب من الكبائر لم يَجرَح[12] إيمانه ولا أدخل فيه نقصا، فلا يؤاخذ[13] بما كان منه لما قَدِم على[14] ربه بإيمان كامل. وأما المؤمن إذا ارتكب كبائر فقد جرح[15] الإيمان وأدخل فيه[16] النقصان بعمله[17] الذي يخالف الإيمان ولا يوافقه، لذلك افترقا.*

---

[1] ن + الآية.

[2] ع: أي يضعون.

[3] ن ع م - هو.

[4] ك ع م: كل ذنب وكبيرة؛ ن: كل ذنب صغير وكبيرة. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٨٥ظ.

[5] م: مغفور.

[6] م: وكان مؤاخذ.

[7] ع م - وذلك.

[8] ع م - الأعمال.

[9] ع: من الايمان.

[10] ك ن: أخذ.

[11] ع م - فأخذ بما كان.

[12] ع م: لم يخرج. أي لم يجرح ما ارتكب الكافر من الكبائر إيمانه.

[13] ك ن: فلم يؤاخذ.

[14] ع م + قدم.

[15] م: فقد خرج.

[16] ع م - فيه.

[17] م: بعلمه.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٢٤٠ظ/سطر ٣٠ - ٢٤١و/سطر ٣.

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾[١٠]

وقوله عز وجل: **ولقد مكناكم في الأرض**، قال أبو بكر الكيساني: **مكناكم**، أي ملّكناكم في الأرض،[1] **وجعلنا لكم فيها معايش**، تتعيشون[2] بها. يذكّرهم نعمه ومننه بما ملّكهم في الأرض وجعل لهم منافع ليشكروا له عليها. وقال الحسن: **مكناكم**، أي جعلناكم مستخلفين[3] عمن تقدمكم[4] بمكانهم. يذكّرهم عز وجل أيضا نعمه عليهم بما جعلهم خلفاء الأولين وجعل لهم **معايش**، ويخوّفهم زوال ذلك عنهم بما صار ذلك لهم بزوالها عن الأولين. وأمكن أن يكون[5] يذكّرهم هذا بما جعل لهم [الأرض] مكان القرار وموضع الانتشار والتقلّب والتعيّش، والبشر لا بد له من ذلك. وكله يرجع إلى واحد. كقوله: أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا، أي جعلنا الحرم مأمنا لكم بحيث تأمنون فيه وتتقلّبون وتتعيّشون[6] فيه، وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ،[7] يذكّرهم عظيم نعمه ومننه التي جعلها لهم. هذا إذا كان الخطاب به لأهل[8] مكة. وإن كان الخطاب به للناس[9] كافة فيخرج على تذكير النعم لهم، حيث جعل الأرض لهم بحيث يَقِرّون فيها ويتقلّبون فيها.

وقوله عز وجل: **قليلا ما تشكرون**، يحتمل وجوها. وكذلك قوله: قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ.[10] أحدها أنهم كانوا يُقرون أنه خالقهم بقوله: وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ،[11] كانوا يقرون بألوهيته ويصرفون العبادة إلى غيره، فلذلك قال: **قليلا ما تشكرون**. والثاني أي لا تشكرونه ولا تذكرونه ألبتة. و[الثالث] يحتمل **قليلا ما تشكرون**، أي المؤمنين، [فإنهم] يشكرون ولا يشكر أولئك، والمؤمنون قليل وهم أكثر.

---

[1] ع م + وجعلنا في الأرض.
[2] ن ع م: يتعيشون.
[3] ن: مخلفين.
[4] جميع النسخ: تقدمهم.
[5] م – يكون.
[6] ن – وتتعيشون.
[7] ﴿أولم يروا أنّا جعلنا حَرَما آمنا ويُتَخطَّف الناس مِن حَوْلِهم﴾ (سورة العنكبوت، ٦٧/٢٩).
[8] جميع النسخ: أهل.
[9] جميع النسخ: الناس.
[10] سورة الأعراف، ٣/٧.
[11] سورة لقمان، ٢٥/٣١.

والرابع أي ليس في وسعهم القيام بشكر جميع ما أنعم عليهم، لكثرة نعمه لا يتهيأ لهم القيام بشكر واحدة منها،[1] فكيف بشكر[2] الجميع، فذلك الشكر قليل.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾[١١]

وقوله عز وجل: **ولقد خلقناكم ثم صورناكم**، قال الحسن: قوله: **خلقناكم ثم صورناكم**، أراد آدم خاصة، لأنه قال: **خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم**، أخبر أنه أمر الملائكة بالسجود لآدم بعد الخلق، ولو كان المراد منه نحن لكان السجود[3] بعد خلقِنا،[4] وقد كان السجود قبل ذلك. وقال غيره: المراد[5] منه البشر كله، لأنه قال: **ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم**، ولو كان المراد لآدم بقوله: **خلقناكم ثم صورناكم** خاصة لكان لا يذكر آدم ثانيا، فدل أنه[6] أراد ذريته. وقال[7] بعضهم: **خلقناكم**: آدم، **ثم صورناكم**: في أرحامكم. ويحتمل ما قال الحسن، ويحتمل وجها آخر؛ وهو أن قوله: **ولقد خلقناكم**، أي قدّرناكم من ذلك الأصل[8] وهو نفس آدم، لأن الخلق هو التقدير، كما تقول: أنا خلقته، أي قدّرته. يقول -والله أعلم- **خلقناكم**، أي قدرناكم جميعا من ذلك الأصل والكيان، ومنه **صورناكم ثم قلنا للملائكة**، أي وقد **قلنا للملائكة اسجدوا لآدم**؛ وذلك جائز في اللغة. وقد يقول بعض أهل الكلام: إن النطفة هي إنسان بقوة ثم تصير[9] إنسانا بفعل. ويقول بعضهم: هي كيان الإنسان، فجائز أن يكون أضافنا إلى ذلك الطين لما هو كيان وأصل لنا.

---

[1] ك – منها.

[2] ع م – جميع ما أنعم عليهم لكثرة نعمه لا يتهيأ لهم القيام بشكر واحدة منها فكيف بشكر.

[3] ن ع – السجود.

[4] ع: خلقناكم ثم صورناكم؛ م – أراد آدم خاصة لأنه قال خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم أخبر أنه أمر الملائكة بالسجود لآدم بعد الخلق ولو كان المراد منه نحن لكان السجود بعد خلقنا.

[5] م: والمراد.

[6] ع م – أنه.

[7] ع: قال.

[8] ن – وهو نفس آدم لأن الخلق هو التقدير كما تقول أنا خلقته أي قدرته يقول والله أعلم خلقناكم أي قدرناكم جميعا من ذلك الأصل.

[9] ن ع م: ثم يصير.

وقوله: **فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين**، قال الحسن: إبليس لم يكن من الملائكة؛[١] وذلك أن الله عز و جل وصف الملائكة جملة بالطاعة له[٢] والخضوع بقوله: لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ،[٣] وقال: لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ،[٤] وغيره من الآيات، و لم يكن من إبليس إلا كل شر. وقال أيضا: خلق الملائكة من نور وإبليس من نار على ما ذكر، والنار ليست من جوهر النور؛ دلّ أنه ليس من الملائكة. وقال في قوله: **فسجدوا إلا إبليس** مثل هذا. يجوز أن[٥] يقال: دخل[٦] هذه الدار أهل البصرة إلا رجل من أهل الكوفة؛ دل الاستثناء "إلّا" [على] أنْ دخل هنالك[٧] أهل الكوفة، فعلى ذلك يدل استثناء إبليس على أنْ كان[٨] هنالك أمر بالسجود لآدم لغير الملائكة أيضا. ولكن ليس لنا إلى معرفة ذلك حاجة أنه كان من الملائكة أومن غيره، إنما علينا أن نعرف أنه عدو لنا. وقد ذكرنا هذه فيما تقدم.[٩]

﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾[١٢]

وقوله عز وجل: **ما منعك ألّا تسجد إذ أمرتك**، قيل: قوله: **ما منعك ألّا تسجد**،[١٠] أي مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ،[١١] على ما ذكر في آية أخرى، و"لا"[١٢] زائدة.

وقوله عز وجل: **أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين**. بم علم عدو الله أن المخلوق من النار خير من المخلوق بالطين؟ إلا أن يقال بأن النار جعلت لمصالح[١٣] الأغذية، فمن هنا وقع له ذلك أنها خير من الطين. فيقال: إن النار وإن جعلت لإصلاح[١٤] الأغذية فالطين[١٥] جعل لوجود الأغذية،

[١] *تفسير الطبري*، ١/٢٢٦.
[٢] ع م - له.
[٣] سورة الأنبياء، ٢١/٢٧.
[٤] سورة التحريم، ٦٦/٦.
[٥] ن + يكون.
[٦] ع م - دخل.
[٧] ك: هناك.
[٨] ع م: قال.
[٩] انظر تفسير الآية من سورة البقرة، ٢/٣٤.
[١٠] ن + أن لا تسجد.
[١١] ﴿قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقتُ بيديّ أاستكبرت أم كنت من العالين﴾ (سورة ص، ٣٨/٧٥).
[١٢] ك ن ع: وألا.
[١٣] ن ع م: لصالح.
[١٤] ع: الإصلاح.
[١٥] ن: والطين.

فالذي جعل لوجود الشيء هو أنفع وأكبر من الذي جعل لمصالحه، ولعل الأغذية تصلح للأكل بغيرها، بالشمس وغيرها. وبعد فإن الطين مما يقوم للنار ويطفؤها[1] ويتلفها، والنار لا تقوم للطين ولا تتلفه؛ فإذا كان كذلك فلا يجوز أن يقع من هذا الوجه أنها أفضل وأخير من الطين.

[٢٤١ظ] ثم اختلف في الجهة التي / كفر عدو[2] الله إبليس [منها]. قال بعضهم: إن إبليس عدو الله لم ير لله على نفسه[3] طاعة بأمر السجود لآدم، لذلك كفر. وقال آخرون: إنما كفر عدو الله لما لم ير الأمر [من الله تعالى لمن له علو مرتبة] بالخضوع والطاعة[4] لمن [هو][5] دونه حكمة، فكفر لما لم ير أنه[6] وضع الأمر بالسجود موضعه، بل رآه -لعنه الله- واضعا أمره غير موضعه. وقال غيرهم: كفر عدو الله بالاستكبار والتكبر على آدم لا لمعنى آخر.[7] وقيل: أول من أخطأ في القياس وزلّ فيه إبليس لعنه الله.

﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾[١٣]

وقوله عز وجل: **قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها**، اختلف فيه. قال بعضهم: قوله: **اهبط منها**، يعني من السماء، لأنه -لعنه الله- كان في السماء، فأمر بالهبوط منها لما جعل السماء مَعدِنا ومكانا للخاضعين المتواضعين، فأمر بالهبوط منها إلى مكان جعل ذلك المكان مكان الخاضعين والمتكبرين جميعا، وهي الأرض، إذ الأرض معدن الفريقين جميعا. وقال بعضهم: الأمر[8] بالهبوط منها أمر بالخروج من الأرض إلى جزائر البحور، لأن الأرض هي قرار أهلها، وجزائر البحور ليست مكان قرار لأحد، ليكون فيها على الخوف أبدا.[9] ألا ترى أنه قال: وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ،[10] والبحار مما لا تميد[11] بأهلها.

---

[1] ع: ويطيفها.

[2] ع: وعدو.

[3] ع م: لم ير لنفسه.

[4] جميع النسخ + من فوقه.

[5] الزيادتان من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٨٦و.

[6] أي الله تعالى.

[7] «... والتكبر عليه تكبر على من أمره بذلك حيث لم يقبل أمره، والتكبر على الله كفر» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٨٦و).

[8] ع: الأمور.

[9] «... يقرر هذا أن ذكر الأرض مطلقا لا يقع على البحار...» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٨٦و).

[10] سورة الأنبياء، ٣١/٢١.

[11] ع: مما لا يمتد.

وأمكن أن يكون الأمر بالهبوط منها أمرا بالخروج من الصورة التي كان فيها إلى صورة أخرى، لا يُعرَف أبدا ولا يُرَى عقوبة له لتركه أمر الله وارتكابه نهيه. **فما يكون لك أن تتكبر فيها،** في تلك الصورة أو في[١] تلك الأرض حتى لا يَقِرّ أبدا ويكون على خوف أبدا. ويحتمل في السماء لما ذكرنا.

وقوله عز وجل: **فاخرج إنك من الصاغرين،** وَجْهُ[٢] صَغارِه أنه ما من أحد ذكره إلا وقد لعنه ودعا عليه باللعن، فذلك صَغاره. وأمكن أن يكون صغاره لما صيره بحال يغيب عن الأبصار ولا يقع عليه البصر، أو لما طرده عن رحمة الله.

﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[١٤] ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾[١٥]

وقوله عز وجل: **قال أنظرني إلى يوم يبعثون،** اختلف[٣] فيه. قال بعضهم: أنظره إلى النفخة الأولى ليذوق[٤] الموتَ[٥] فلا يتصلَ[٦] حياة الدنيا بحياة الآخرة، وهو ما ذكر في آية أخرى: فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ.[٧] وقال بعضهم:[٨] أنظره إلى يوم البعث. وظاهر ما خرج من الخطاب أن يكون أنظره إلى يوم البعث، لأنه سأل ربه أن ينظره إلى يوم البعث حيث[٩] **قال أنظرني إلى يوم يبعثون قال إنك من المنظرين،** خرج ذلك جوابا لسؤاله،[١٠] وما[١١] ذكر من الوقت المعلوم في آية أخرى يجيء أن يكون هو ذلك اليوم. وقال غيره: أنظره ولم يبين له ذلك الوقت الذي[١٢] أنظره إلى ذلك الوقت، حتى يكون أبدا على خوف ووجل؛

---

[١] ع م: وفي.
[٢] ك ن: ووجه.
[٣] ك: اخلف.
[٤] جميع النسخ: لئلا يذوق.
[٥] م - الموت.
[٦] جميع النسخ: فيتصل. والتصحيحان من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٨٦ظ.
[٧] سورة الحجر، ١٥/٣٧-٣٨.
[٨] ع - أنظره إلى النفخة الأولى لأن لا يذوق الموت فيتصل حياة الدنيا بحياة الآخرة وهو ما ذكر في آية أخرى فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم وقال بعضهم.
[٩] ع م - وظاهر ما خرج من الخطاب أن يكون أنظره إلى يوم البعث لأنه سأل ربه أن ينظره إلى يوم البعث حيث.
[١٠] ن: لسؤال.
[١١] م: وهو ما.
[١٢] ن - الذي.

ألا ترى أنه قال: فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ،[1] لو كان الوقت [الذي] أنظره [إليه] معلوما عنده لكان لا يخاف الهلاك بدون ذلك الوقت؛ دلّ أنه كان غير معلوم عنده.

﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[١٦]

وقوله عز وجل: **قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم**، قال الحسن: قوله: **فبما أغويتني**، أي بما لعنتني، والإغواء هو اللعن، كقوله: قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ،[2] أي من الملعونين، فعلى ذلك قوله: **أغويتني** أي لعنتني. وقال أبو بكر الكيساني: أضاف الإغواء إلى نفسه لما كان سبب ذلك منه، وهو الأمر الذي أمره بالسجود لآدم والخضوع له؛ ويجوز أن يضاف مثل ذلك لما كان منه السبب، نحو قوله: وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي،[3] سأل منه الإذن بالقعود و[قال]: لا تكلفني بما لا أقوم[4] [له] فتفتنيَ[5] بذلك،[6] وقال: إنما أضاف ذلك إليه لما كان منه سبب ذلك الافتتان، فعلى ذلك هذا. وقال بعض المعتزلة: هذا قول إبليس: **فبما أغويتني**، وقد كذب عدو الله، لم يغوه الله. فيقال لهم: فإن كان إبليس عدو الله قد كذب في قوله: **فبما أغويتني**، فتقولون[7] بأن نوحا صلوات الله عليه قد كذب حيث قال: وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ،[8] أضاف الإغواء إليه. دلّ هذا على أن إبليس لم يكذب بإضافة الإغواء إلى الله.

---

[1] يقول الله تعالى عن إغواء الشيطان للمشركين في غزوة بدر: ﴿وإذ زَيّن لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب﴾ (سورة الأنفال، ٨/٤٨).

[2] سورة الحجر، ١٥/٣٤.

[3] سورة التوبة، ٩/٤٩.

[4] ن + بما لا أقوم.

[5] ن ع م: فتفتني.

[6] روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم وهو في جهازه [لغزوة تبوك] للجَدّ بن قيس أخي بني سلمة: «هل لك يا جَدُّ العامَ في جِلاد بني الأصفر؟»، فقال: يا رسول الله، أو تأذن لي ولا تفتني؟ فوالله لقد عرف قومي ما رجل أشدّ عُجْبًا بالنساء مني، وإني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر عنهن، فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: «أذنت لك» (*تفسير الطبري*، ١٠/١٤٧-١٤٨؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٢١٣).

[7] ن ع م: فيقولون.

[8] سورة هود، ١١/٣٤.

ولكن عندنا أنه أضاف الإغواء إلى نفسه لما خلق منه[1] فعل الغواية والضلال على ما ذكرنا في غير موضع، ليس كما قال هؤلاء: إنه أضيف إليه لمكان ما كان منه سبب ذلك؛ لأنه لو جاز أن يضاف فعل الإغواء إليه لسبب[2] الإغواء لجاز أن يضاف ذلك[3] إلى الرسل والأنبياء، لأنه كان منهم الأمر لقومهم والدعاء إلى توحيد الله، ثم كُذّبوا في ذلك، فكان سبب إغواء أولئك هم الرسلُ، فذلك بعيد.[4] وكذلك لو كان[5] الإغواء هو اللعن لكان كل لاعن عليه فهو مغويه. وقال بعضهم: **أغويتني**، أي خذلتني. والوجه فيه ما ذكرنا أنه خلق منه[6] فعل الغواية والضلال، وكذلك من كل كافر خذله، لما علم منه أنه يختار الغواية والضلال.

وقوله عز و جل: **لأَقْعُدَنَّ لهم [صراطك المستقيم]**، ليس على حقيقة القعود، ولكن على المنع عن السلوك في الطريق، أو على التلبيس عليهم الطريق **المستقيم** والستر عليهم، لأن من قعد في[7] الطريق منع الناس عن السلوك فيه.

﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾[١٧]

وقوله عز وجل: **ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم**، الآية، قال الحسن: **من بين أيديهم**، مِن قِبَل الآخرة[8] تكذيبا بالبعث والجنة والنار، **ومن خلفهم**، قال: / مِن قِبَل دنياهم يُزيّنها لهم ويُشهّيها[9] إليهم. **وعن أيمانهم**، قال: مِن قِبَل الحسنات يُبَطِّؤهم عنها. **وعن شمائلهم**، قال: من قبل السيئات يأمرهم[10] بها ويحثّهم عليها ويُزيّنها في أعينهم.[11] وعن مجاهد: [٢٤٢ر]

---

[1] ن ع م: فيه.
[2] ك: كسبب.
[3] ع م - ذلك.
[4] ك - لقومهم والدعاء إلى توحيد الله ثم كذبوا في ذلك فكان سبب إغواء أولئك هم الرسل فذلك بعيد.
[5] م: لكان.
[6] ن ع م: فيه.
[7] ن: على.
[8] ك: الآخر.
[9] م: ويشبهها.
[10] ع م: يأمر.
[11] رويت في هذا المعنى روايات كثيرة عن ابن عباس وغيره، و لم أجده عن الحسن. انظر: *تفسير الطبري*، ٨/١٣٦؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٣/٤٢٦-٤٢٧.

ثم لآتينهم من بين أيديهم، قال: من حيث يبصرون، **ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم**، من حيث لا يبصرون.[1] و قيل: **مِن بين أيديهم**، مِن قِبَل آخرتهم، فلأخبرنهم أنه لا جنة ولا نار ولا بعث على ما ذكر الحسن، **ومِن خلفهم**، مِن قِبَل دنياهم؛ آمرهم[2] بجمع[3] الأموال فيها لمن بعدهم من ذراريهم، وأُخوّف عليهم الضَّيْعة، فلا يَصِلون في أموالهم رَحِما ولا يعطون لها حقا. **وعن أيمانهم**، مِن قِبَل دينهم فأُزيّن لكل قوم ما كانوا يعبدون، فإن كانوا على ضلالة زينتها لهم، وإن كانوا على هدى شبّهته عليهم حتى أخرجهم منه. **وعن شمائلهم**، مِن قِبَل اللّذّات والشهوات فأُزيّنها لهم. هذا الذي ذكر أهل التأويل يحتمل. ثم ذُكر الأمام والخلف وعن أيمان وعن شمائل[4] ولم يذكر فوق ولا تحت، فيحتمل أن يدخل ما فوق وما تحت[5] بذكر الأمام[6] واليمين والشمال والخلف، كقوله تعالى: أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ،[7] دخل ما فوق بذكر ما بين أيديهم، ودخل ما تحت[8] بذكر الخلف؛ فعلى ذلك هذا، يدخل ما تحت وما فوق بذكر ما ذكر، فيصير كأنه قال: فيأتيكم من كل وجه. ويحتمل أنه لم يذكر هذا لما أنه لا سلطان له على منع الأرزاق والبركات؛ لأن أرزاق الخلق والبركات[9] مما ينزل من السماء من المطر ويخرج من الأرض [من] النبات، فليس له سلطان على منع إنزال المطر وإخراج[10] النبات من الأرض، وله سلطان على غير ذلك. أو يكون لما يشغلهم ويُشهّيهم **من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم** من اللّذّات والشهوات؛ لما إذا رأى [الإنسان][11] شيئا أعجبه أتبع النظر إليه واحدا بعد واحد من أمام ووراء ويمين وشمال،

---

[1] عن مجاهد قول الله: ﴿من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم﴾، قال: حيث يبصرون، ﴿ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم﴾، حيث لا يبصرون. انظر: *تفسير الطبري*، ٨/١٣٧.
[2] جميع النسخ: يأمرهم.
[3] ع: بجميع.
[4] جميع النسخ: وعن شمال.
[5] ن – وما تحت.
[6] جميع النسخ: أمام.
[7] سورة سبأ، ٣٤/٩.
[8] ع م: ودخل تحت.
[9] م: ووالبركات.
[10] ن: أخرج.
[11] من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٨٧و.

ولا كذلك من تحت ولا من فوق. أو أن يكون لما روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه إذا تلا هذه الآية قال: إن[١] الله منعه من أن يأتيهم من فوقهم، ولو كان ذلك لما نجا أحد، فأعمالهم تصعد إلى الله ورحمته تنزل عليهم.[٢] وقال قتادة: أتاك اللّعين من كل نحوٍ يا ابن آدم، غير أنه لا يستطيع أن يَحُول بينك و بين رحمة ربك، إنما تأتيك[٣] الرحمة من فوقك.[٤] والذي ذكرنا أنه على التمثيل أنه يأتيه[٥] من كل جانب أشبه.

وقوله عز و جل: **ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم**، يخرج على وجهين. أحدهما ليس على إرادة بين [الأيدي] وخلف وأيمان وشمائل،[٦] ولكن على إرادة الجهات كلها، كأنه يقول: لآتينهم من كل جهة. والثاني ما ذكر الحسن وأهل التأويل: **من بين أيديهم**، الآخرة تكذيبا بها، **ومن خلفهم**، الدنيا تزيينا بها عليهم، **وعن أيمانهم**، الحسنات، **وعن شمائلهم**، السيئات.

وقوله عز و جل: **ولا تجد أكثرهم شاكرين**، هذا من عدو لله ظَنٌّ ظَنَّه، لا قاله حقيقة، لكن الله عز و جل[٧] أخبر أنه صدق ظنه بقوله: وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ.[٨]

﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[١٨]

وقوله عز و جل: **قال اخرج منها**، يحتمل **منها**، من السماء، ويحتمل من الأرض،[٩] ويحتمل من الصورة التي كان فيها على ما قلنا في قوله: فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا.[١٠] وقيل: الجنة.

وقوله عز وجل: **مَذْءُوما مَدْحُورا**، قيل: مذموما ملوما، أي مذموم ملوم عند الخلق جميعا؛

---

[١] ع م – إن.

[٢] عن ابن عباس في قوله: ﴿ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم﴾، و لم يقل: من فوقهم، لأن الرحمة تنزل من فوقهم. انظر: *تفسير الطبري*، ١٣٧/٨.

[٣] ك: إنما يأتيك.

[٤] *تفسير الطبري*، ١٣٦/٨.

[٥] ن: أن يأتيه.

[٦] جميع النسخ: وشمال.

[٧] ع م + أنه.

[٨] ﴿ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين﴾ (سورة سبأ، ٢٠/٣٤).

[٩] ن – ويحتمل من الأرض.

[١٠] سورة الأعراف، ١٣/٧.

مدحورا، قيل: مَقصيّا مُبعَدا من كل خير. قال أبو عَوْسَجَة: مذءوم[1] ومذموم[2] واحد؛ **ومدحورا**، مباعدا مطرودا.

وقوله: **اخرج منها مذءوما مدحورا لَمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين**، أخبر الله عز وجل أنه يملأ جهنم من إبليس ومن تبعه و أطاعه؛ لأنهم إنما[3] يتبعونه ويطيعونه في الكفر والشرك بالله. تعلق الخوارج بظاهر قوله: **لمن تبعك منهم**، وكل مرتكب معصيةٍ تابع له، لذلك استوجب الخلود. وقالت المعتزلة: كل مرتكب كبيرةٍ [مخاطَب] بوعيد هذه الآية، لأنه تابع له.[4] وعندنا ليس لهم في الآية حجة في تخليد من ذكروا في النار؛ لأنها[5] إنما ذكرت على أثر نقض الدين وردّ التوحيد، فكأنه قال: **لمن تبعك** في نقض الدين ورد التوحيد **لأملأن جهنم منكم أجمعين**.

﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[١٩]

و قوله عز وجل: **ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما**، كان السكون في موضع من القرار فيه والأمن، كقوله: جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ،[6] لتقروا فيه وتأمنوا. فقوله لآدم: **اسكن أنت وزوجك الجنة**، أَسْكَنَهما عز وجل ليقروا فيها ويأمنوا من كل ما ينقصهما[7] تلك النعَم التي أنعم عليهما؛[8] لأن الخوف مما ينقص النعم ويذهب بلذّتها. فلمّا أسكنهما عز وجل الجنة أمّنهما عن ذلك كله. ثم فيه أن أول المحنة والابتلاء من الله لعباده إنما يكون بالإنعام والإفضال / عليهم ثم بالجزاء والعدل بسوء ما ارتكبوا؛ لأنه عز وجل امتحن [٢٤٢ظ] آدم أولا بالإفضال والإنعام عليه حيث أَسْجَد ملائكته له وأَسْكَن جنته ووسّع[9] عليه نعمه، ثم امتحنه بالشدائد وأنواع المشقة جزاء ما ارتكب[10] من التناول من الشجرة التي نهاه عن قِربانها،

---

[1] ع م – مذءوم.
[2] ع م: مذموم.
[3] م – إنما.
[4] أي للشيطان.
[5] جميع النسخ: لأنه.
[6] سورة يونس، ٦٧/١٠.
[7] ع: من كل ينقصهما؛ م: من كل ينقصها.
[8] م: عليها.
[9] ع م: وسع.
[10] جميع النسخ: ما ارتكبوا.

فهو ما ذكرنا أنَ شَرْطَ امتحانِ عبادِه في الإبتداء يكون بالإفضال والإنعام ثم بالعدل والجزاء لسوء صنيعهم. ألا ترى[١] أنه قال: وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ،[٢] أخبر أن ما يصيبنا هو من كسب أيدينا[٣] وهو جزاء ما كسبنا. وفيها[٤] وفي غيرها من القِصص التي[٥] ذكرت[٦] [في القرآن] دليل[٧] إثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته؛ لأنه أخبر عما[٨] كان من غير أن اختلف إلى أحد ممن[٩] يعرف ذلك، ولا نظر في الكتب التي فيها ذكرها،[١٠] دلّ أنه إنما عرف ذلك بالله تعالى.

ثم اختلف أهل التأويل في الجنة التي أسكن عز وجل آدم فيها وزوجته. قال بعضهم: هي الجنة التي يكون عَوْد أهل الإسلام إليها في الآخرة، ولهم وَعَد عز وجل تلك. وقال بعضهم: هي جنة أنشأها لآدم ليسكن فيها في السماء. ولكن لا ندري ما تلك الجنة، وليس لنا إلى معرفة تلك الجنة حاجة، إنما الحاجة إلى ما ذكر من المحن. واختلف أيضا في الشجرة التي نهي آدم عن قِربانها. قال بعضهم: هي شجرة العلم. وقال[١١] بعضهم: هي شجرة الحنطة. وقد ذكرنا أقاويل أهل التأويل واختلافهم في صدر الكتاب قدر ما حفظناه.[١٢]*

وقوله عز و جل: **ولا تقربا هذه الشجرة**، لم يرد به الدُّنُوّ منها، ولكن أراد الذوق و الأكل منها؛ ألا ترى أنه قال: فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ،[١٣] دلّ أن النهي لم يكن[١٤] للدنو منها، ولكن للذوق والأكل منها. وفيه أن الامتحان من الله مرة يكون بالحل ومرة[١٥] بالحرمة؛

---

[١] ك: ألا يرى.
[٢] سورة الشورى، ٤٢/٣٠.
[٣] ع: من هو كسب أيدينا.
[٤] جميع النسخ: وفيه.
[٥] ع م – التي.
[٦] ك ن: الذي ذكر؛ ع م: الذكر.
[٧] ك: دليله.
[٨] م: أخبر هما.
[٩] م: من.
[١٠] ع م – ذكرها.
[١١] ن: قال.
[١٢] انظر تفسير الآية من سورة البقرة، ٢/٣٥.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية التالية، فنقلناه إلى هنالك. انظر ورقة ٢٤٢ظ/سطر ١١-١٤.
[١٣] سورة الأعراف، ٧/٢٢.
[١٤] ع + لله.
[١٥] ك + يكون.

لأنه أذن له التناول مما فيها[1] من أنواع النعم، وحرم عليه التناول من واحدة منها، فذلك محنة منه.

ثم النهي عن التناول عن الشيء يخرج على وجوه. أحدها ينهى بحق الحرمة لنفسه، وينهى بحق إيثار الغير عليه، وينهى عن التناول منه لداء فيه وآفة، ويُنْهَى لما يخرج التناول منه[2] بحق الجزاء، فلم يكن بعدُ وقت الجزاء له.[3]

﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾[٢٠]

[وقوله عز وجل: **فوسوس لهما الشيطان**].

[٢٤٢ظ س ١١ *وكذلك اختلفوا في وسوسة الشيطان لآدم وحواء أنه كيف وسوس إليه ومن أين كان. وهذا أيضا قد ذكرناه في تلك القصة.[4] والحسن يقول: إنما وسوس إليهما من الدنيا، لا أنْ كان دخل الجنة. وقال بعضهم: وسوس إليهما من رأس الحية[5] ومِن فِيها[6] يكلمهما.* ٢٤٢ظ س ١٤]

وقوله عز وجل: **[لِيُبْدِيَ لهما] ما وُورِي عنهما من سوءاتهما**، وقوله: **ما وُورِي**، أي سُتِر وغُطِي، **وسوءاتِهما**، عورتهما. والسوأة العورة في اللغة. وفيه أنه يجب أن نكون[7] على حذر من شر إبليس اللعين لأن لا يجد فرصة علينا، فإنه أبَدًا على سَلْبِ نعمةٍ[8] أنعمها **الله** على عباده، حيث[9] احتال كلَّ حيلة حتى أبدى **لهما ما وُورِي** وسُتِر عنهما من العورة،

---

[1] م: ما فيها.

[2] جميع النسخ: منها.

[3] قال الشارح السمرقندي رحمه الله تعالى: «ثم النهي عن التناول عن الشيء يخرج على وجوه. أحدها ينهى بحق الحرمة لنفسه، فيكون حراما بعينه. ومنها بحق إيثار الغير عليه، فيكون الحرمة بحق الغير، لا أن عين ذلك الفعل حرام. ومنها ما ينهى لداء فيما يتناوله، فيكون نهي شفقة لما يتضرر به... ومنها ما ينهى عن التناول لمكان التناول منه بحق الجزاء في دار الجزاء، ودار الدنيا ليست بدار الجزاء، نحو الذهب والفضة والحرير في حق الرجال، والتناول من أواني الذهب والفضة ونحوها. فيجوز أن يكون النهي عن تلك الشجرة لآدم عليه السلام لما كانت معدة للتناول بطريق الجزاء في الآخرة. والله أعلم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٨٧ظ؛ ونسخة المدينة، ورقة ٣١٩و).

[4] انظر تفسير الآية من سورة البقرة، ٢/٣٥.

[5] ك: الجنة.

[6] ن ع: فيهما. ومن فيها: أي ومن فمها.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية السابقة، فنقلناه إلى هنا. انظر: ورقة ٢٤٢ظ/سطر ١١-١٤.

[7] جميع النسخ: أن يكونوا.

[8] ك ن + التي.

[9] ع م: وحيث.

وعمل في إخراجهما من النعم[١] واللّذّات وأوقعهما في الشدائد والمشقة. و فيه أنه ليس حالٌ عليه أشدّ مِن أنْ رأى أحدا في النعم والسعة.

وقوله عز وجل: **وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا مَلِكَين أو تكونا من الخالدين،** قد ذكرنا معنى هذا أيضا في صدر الكتاب.[٢]

*وقرأ بعضهم قوله: **إلا أن تكونا مَلِكَين،** بكسر اللام من المُلك،[٣] ذهب في ذلك إلى ما قال: هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى.[٤] وقراءة العامة الظاهرة: **إلا أن تكونا ملكين،** بنصب اللام من الملائكة. وقد ذكرنا جهة رغبة آدم في أن يصير مَلَكًا حيث تناول منها في صدر الكتاب على قدر ما حفظنا.[٥]* [٢٤٢ظ س٢٩ - ٢٤٢ظ س٣٢]

*وفائدة تغرير[٦] آدم وحواء أن يكونا من الملائكة لأن الملك ما ذكر أنه لا يَفْتُر عن العبادة، ولا يعصي ربه، ولا يحتاج إلى شئ من المؤنة.[٧] ومن قرأ "مَلِكَين"، لأن المَلِك يكون نافذ الأمر والقول في مملكته، وذلك مما يرغب فيه. أو أن يكون أراد[٨] بذلك لِيَشغلهما عن نهي ربهما حتى يَنْسَيا ذلك فيتناولا من تلك[٩] الشجرة على ما فعلا. وفيما ذكر الخلود، لأنه ليس بشيء[١٠] ألذ ولا أشهى من الحياة. والأشبه أن يقال: إنه[١١] لم ينسيا نهي الله إياهما عن التناول منها، ولكن نسيا[١٢] قوله: فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ،[١٣] لِذلك تناولا، ولو ذكرا قوله: فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ، ما تناولا. *والله أعلم*.* [٢٤٣ظ س١٠ - ٢٤٣ظ س١٥]

---

[١] ك: النعيم.

[٢] انظر تفسير الآية من سورة البقرة، ٣٦/٢.

[٣] رويت هذه القراءة عن ابن عباس ويحيى بن أبي كثير، وهي قراءة شاذة. انظر: *تفسير الطبري*، ١٤٠/٨.

[٤] سورة طه، ١٢٠/٢٠.

[٥] انظر تفسير الآية من سورة البقرة، ٣٦/٢.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فنقلناه إلى هنا. انظر: ورقة ٢٤٢ظ/سطر ٢٩-٣٢.

[٦] ك: تقرير.

[٧] ن: المعونة.

[٨] ع م - أراد.

[٩] ك ع م: عن تلك.

[١٠] ك ن: شيء.

[١١] الهاء ضمير الشأن.

[١٢] جميع النسخ: نسي.

[١٣] سورة الأعراف، ١٩/٧.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية رقم ٢٣، فقدّمناه إلى هنا. انظر: ورقة ٢٤٣ظ/سطر ١٠-١٥.

﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾[٢١]

وقوله عز وجل: **وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين**، قال الحسن: **قاسمهما** في وسوسته إياهما **إني لكما لمن الناصحين**. وهذا الذي يقول الحسن يومئ إلى أن[١] آدم قد علم أنه الشيطان. وقال أبو بكر الكيساني: إنه قد[٢] وقع عند آدم أن الشجرة التي نهاه ربه أن يتناول منها هي المفضَّلة على جميع الشجر،[٣] فلما وسوس إليه الشيطان وقال له ما قال: هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى، فوافق ظنه قول اللعين وما دعاهما[٤] إليه، ثم اشتغل [آدم بأمر آخر][٥] فنسي ذلك، فتناول[٦] على النسيان. والنسيان[٧] على وجهين: نسيان الترك على العمد، ونسيان السهو. ولا يحتمل أن يكون آدم ترك ذلك[٨] عمدا، فهو على نسيان السهو. إلى هذا يذهب أبو بكر الأصم، أو كلام نحوه.*

﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾[٢٢]

وقوله عز وجل: **فدلّاهما بغرور**، وقال أبو عَوْسَجة:[٩] **فدلّاهما بغرور**، أي أوردهما، يقال: دَلّاني فلان بحبل غرور، أي إنه زيّن لك[١٠] القبيح حتى تَرْكَبه؛[١١] وأصل التدلية من الدَّلْو،

---

[١] ع م – أن.

[٢] ع: وقد.

[٣] ك: الشجرة.

[٤] م: وما دعاها.

[٥] من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٨٧ظ.

[٦] ع: فيتناول.

[٧] ع م – والنسيان.

[٨] ع م – ذلك.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فنقلناه إلى هنالك. انظر: ورقة ٢٤٢ظ/سطر ٢٩-٣٢.

[٩] ن – وقال أبو عوسجة.

[١٠] ع م – لك.

[١١] وعبارة الشارح هكذا: «أي أوردهما إلى الشجرة حتى تناولا منها على التغرير لهما. وقيل: أي زين لهما التناول من تلك الشجرة، يقال: دَلّاني فلان بحبل غرور...» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٨٨و). يقال: رَكِب الذنب أو القبيح: فعله واقترفه (*المعجم الوسيط*، «ركب»).

وهو من الدعاء،[١] أي دعاهما **بغرور**. ودعاؤه إياهما بغرور هو[٢] قوله: هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى،[٣] وقوله عز وجل: إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ.[٤]

وقوله عز وجل: **بدت لهما سوءاتهما**.

فإن قيل: كيف خص السَّوءة بالذكر، ومِنَّتُه في اللباس في كل البدن لا في السوءة خاصة، وكذلك قوله: يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ،[٥] ذكر مِنّته فيما أنعم علينا من ستر العورة[٦] وفي غيره من البدن في دفع البرد والحر[٧] وغير ذلك؟

قيل: لأن كشف العورة مستقبح في الطبع والعقل جميعا، وأما كشف غيره من البدن فليس هو بمستقبح[٨] في الطبع ولا في العقل، وربما يبدي المرء غيره من البدن سوى العورة عند الحاجة، ويستر / عند غير الحاجة.[٩] وأما العورة[١٠] فإنها لا تبدي[١١] إلا في حال الضرورة؛ [٢٤٣و] لذلك كان ما ذكر.[١٢] أو أن[١٣] يقال: إن المفروض من الستر هو قدر[١٤] الضرورة،[١٥] والآخر يلبسه[١٦] إما بحق التجمّل وإما بحق دفع البرد والحر والأذى، لذلك كان[١٧] تخصيصه[١٨] بالذكر؛ وإلا المِنّة والنعمة عظيمة في لباس غيره من البدن.

---

[١] قارن: *لسان العرب* لابن منظور، «دلو».
[٢] م: وهو.
[٣] سورة طه، ٢٠/١٢٠.
[٤] سورة الأعراف، ٧/٢٠.
[٥] سورة الأعراف، ٧/٢٦.
[٦] ك ن + وذلك في العورة.
[٧] م: في دفع الحر والبرد.
[٨] م: هو مستقبح.
[٩] ن – ويستر عند غير الحاجة.
[١٠] ن: وأمّا العورة.
[١١] جميع النسخ: فإنه لا يبدي.
[١٢] م: ما ذكروا.
[١٣] ع: وأن.
[١٤] م: هو قدرة.
[١٥] ك ن: العورة؛ ع: الضورة.
[١٦] م: يليه.
[١٧] ع م – كان.
[١٨] ع: تخصيه.

فإن قيل: إن الله كنىَ عن الجماع مرة باللمس ومرة بالغشيان، وعن الخلاء بالغائط، وهو المكان الذي يقضى فيه الحوائج، وكذلك جميع ما لا يستحسن ذكره مصرحا فإنما ذكره بالكناية، وهاهنا ذكر السَّوءة في العورة؟

قيل: السوءة والعورة هما كناية، لأنه[1] لم يذكر الفرج ولا الذكر ولا الدبر،[2] فهو كناية. والثاني في ذكر تخصيص السوءة؛ وذلك أنّ قَصْد الشيطان إنما كان إلى إبداء عورتهما لا غير؛ ألا ترى[3] أنه[4] لم يجعل لغير البشر عورةً تُستَر، ولذلك خُصّ بالستر[5] بالقبر، إذا مات يُقبَر لأجل عورته، ولا يُقبَر غيره من الدواب إذا هلك، ولا يُستَر في حال حياته. فخرج ذكر تخصيص[6] السوءة لما ذكرنا أن اللعين قصد بذلك قَصْدَ إبداءِ عورتهما لا غير؛ ألا ترى أنه قال: لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا،[7] كان قصده إلى ذلك.

وقوله عز وجل: **وطفقا يخصفان**، قال أبو عَوْسَجَة: **طفقا**، أي أخذا،[8] تقول:[9] طفقت أفعل كذا، أي أخذت. والخَصْف الخياطة في النعل والخُفّ، وهو مستعار هاهنا. وقال مجاهد: **يخصفان**، أي يَرْقَعان كهيئة الثوب.[10] وقيل: **يخصفان**، يغطّيان. ثم قوله: **وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة**، إما حياء أحدهما من الآخر، أو حياء من الله،* أو لما وقع[11] بصر كل واحد منهما على عورته،[12] فذلك يكره أيضا أن ينظر المرء إلى فرجه.* ولهذا نقول: إنه يكره للرجل في الخلوة أن يكشف عورته ويبديها. وعلى ذلك[13] روي في الخبر أنه قال:

[٢٤٣و س١٦ – ٢٤٣و س١٧]

---

[1] ع م – لأنه.
[2] ن ع م: والدبر.
[3] ك: ألا يري.
[4] جميع النسخ: أن ذلك.
[5] جميع النسخ: الستر.
[6] ع: التخصيص.
[7] سورة الأعراف، ٧/٢٠.
[8] م: أي أخذ.
[9] ن ع: بقول.
[10] *تفسير الطبري*، ٨/١٤٢.
[11] ن + أو لما وقع.
[12] أي عورة نفسه.
* وقع ما بين النجمتين عقب قول المؤلف: «... والمرأة إلى فرج زوجها» بعد أسطر. انظر: ورقة ٢٤٣و/ سطر ١٦-١٧.
[13] ك: هذا.

«فالله أحق أن يُستَحيا [منه]».[1] أو حياء أحدهما من الآخر لما بدت لكل واحد منهما عورة صاحبه. ولهذا كره أبو حنيفة رحمه الله أن ينظر الرجل إلى فرج[2] زوجته، والمرأة إلى فرج زوجها.* ألا ترى[3] أنه قال: لِيُبْدِيَ لَهُمَا،[4] ولم يقل: ليبديهما، فهذا يدلّ على أنه لا ينبغي أن ينظر إلى فرج زوجته ولا الزوجة[5] إلى فرجه.

وقوله عز وجل: **وناداهما ربهما ألم أنهَكُمَا عن تلكما الشجرة**، الآية، يحتمل قوله: **وناداهما ربهما**، وحيًا أوحي إليهما على يدَيْ ملك، كقوله: فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا،[6] أضاف إلى نفسه لما يُنفخ فيه بأمره، فعلى ذلك هذا. أو إلهاما ألهمهما، كقوله: وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ،[7] وقوله: إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ،[8] وكقوله:[9] وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ،[10] ونحوه، وإنما هو إلهام.

﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[٢٣]

وقوله عز وجل: **قالا ربنا ظلمنا أنفسنا**، حيث أوقعناها[11] في الشدائد وكَدّ[12] العيش. والظلم هو وضع الشيء في[13] غير موضعه.[14] وقوله عز وجل: **ربنا ظلمنا أنفسنا**، قال الحسن:

---

[1] روى بَهْز بن حَكِيم عن أبيه عن جده قال: قلت: يا نبي الله، عوراتنا ما نأتي منها وما نَذَر؟ قال: «احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك»، قلت: يا رسول الله، إذا كان القوم بعضهم في بعض؟ قال: «إن استطعت أن لا يراها أحد فلا يراها»، قال: قلت: يا نبي الله، إذا كان أحدنا خاليا؟ قال: «فالله أحق أن يُستَحيا منه من الناس» (*سنن أبي داود*، الحمام ٢؛ و*سنن الترمذي*، الأدب ٢٢). وحسّنه الترمذي. وعلّقه البخاري؛ انظر: *صحيح البخاري*، الغسل ٢٠.

[2] م – إلى فرج.

* وقعت هنا عبارة ليست في محلها، فنقلناها إلى موضعها المناسب قبل أسطر. انظر: ورقة ٢٤٣و/سطر ١٦-١٧.

[3] ك: ألا يري.

[4] سورة الأعراف، ٢٠/٧.

[5] ع: ولا الزوج.

[6] ﴿ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا﴾ (سورة التحريم، ١٢/٦٦).

[7] سورة القصص، ٧/٢٨.

[8] سورة طه، ٣٨/٢٠-٣٩.

[9] م – وكقوله.

[10] سورة النحل، ٦٨/١٦.

[11] ك: أوقعنا؛ ع: أوقعناهما. أي أوقعنا أنفسنا.

[12] ع: وكذا.

[13] ك ع – في.

[14] ن – وقوله عز وجل قالا ربنا ظلمنا أنفسنا حيث أوقعناها في الشدائد وكد العيش والظلم هو وضع الشيء غير موضعه.

هن الكلمات التي[1] تلقاها آدم من ربه، كقوله:[2] فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ،[3] قال آدم ما ذكر في الآية.[4] وكذلك قال نوح، قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ،[5] وقال إبراهيم: رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ،[6] وقال نوح: رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا.[7] بعضه خرج على الأمر، وبعضه على السؤال، وكله على الدعاء والسؤال ليس على الأمر وإن خرج ظاهره مخرج[8] الأمر، لأن الأمر ممن هو دونه لمن فوقه دعاء وسؤال، وممن هو فوقه لمن دونه[9] أمر. لو أن ملكا من الملوك إذا أمر[10] بعض خَدَمِه بأمر أو بعض رعيّته فهو أمر، وإذا أمر[11] بعضُ خَدَمِه أو رعيّته الأميرَ شيئا فهو ليس بأمر، لكنه[12] سؤال ودعاء؛ فعلى ذلك دعاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ربهم.

فإن قيل: إن الرسل سألوا ربهم المغفرة لزلّاتهم، فلا يخلو[13] إما أن أجيبوا في ذلك أو لم يجابوا،[14] فإن لم يجابوا فيما سألوا فهو عظيم، فإن أجيبوا في ذلك[15] -والمغفرة في اللغة الستر- كيف ذُكرت زلاّتهم في الملأ إلى يوم القيامة؟

قيل: لوجوه. أحدها[16] أنهم لما ارتكبوا تلك الزلاّت عَظُم ذلك عليهم واشتغلت قلوبهم بذلك لعظم[17] ما ارتكبوا عندهم؛ [و]لم يخطر ببالهم عند سؤالهم المغفرة ستر ذلك على الناس وكتمانها عنهم بعد أن أجاب الله بالتجاوز عنهم في ذلك. أو أن يقال:

---

[1] ن - التي.
[2] ك: بقوله.
[3] سورة البقرة، ٣٧/٢.
[4] أخرجه عبد بن حميد؛ انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٤٣٢/٣-٤٣٣.
[5] سورة هود، ٤٧/١١.
[6] سورة إبراهيم، ٤١/١٤.
[7] سورة نوح، ٢٨/٧١.
[8] ع: فخرج.
[9] ع م - دعاء وسؤال وممن هو فوقه لمن دونه.
[10] م: إذا أمره.
[11] ع م - بعض خدمه بأمر أو بعض رعيته فهو أمر وإذا أمر.
[12] ك ن: ولكنه.
[13] ن ع: فلا يخلوا.
[14] ن: أو أن يجابوا.
[15] ع - أولم يجابوا فإن لم يجابوا فيما سألوا فهو عظيم فإن أجيبوا في ذلك.
[16] ن - أحدها.
[17] ع م: لعظيم.

أراد بإفشاء ذلك وإظهارها إيقاظ غيرهم وتنبيهًا[1] في ذلك، ليعلموا أن الرسل مع جليل قدرهم وعظيم[2] منزلتهم عند الله لم يُحَابِهم[3] في العتاب والتوبيخ بما ارتكبوا؛ فمَن دونهم أحق في ذلك. أو أن ذكر[4] ذلك ليعلموا أنه ليس بغافل عن ذلك، ولا يخفى عليه شيء. *والله أعلم بذلك.*

وقوله: **قالا ربنا ظلمنا أنفسنا**، وقال: وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ،[5] وقال: فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا،[6] فأعلمنا الله عز وجل أن آدم نسي أمر ربه. فقال قوم من أهل العلم: أكل آدم من الشجرة وهو ناسٍ لنهي[7] الله إياه عن أكلها، وكان أكله منها ظلما منه لنفسه وعصيانا لربه وإن كان فعل[8] ذلك ناسيا. ثم إن الله تفضّل على أمة محمد فرفع عنهم في الخطأ والنسيان[9] وما استُكرهوا عليه.[10] وقال قوم: معنى قوله: فَنَسِيَ، أي ترك أمر ربه من غير نسيان، وقالوا: هذا / كقول الله: [٢٤٣ظ] نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ.[11] ولا ندري كيف كان ذلك.

وقال بعض أهل العلم: إن الخطأ والنسيان في الأحكام موضوع[12] بهذا الحديث.[13] فيقال لهم:[14] فما تقولون في قتل الخطأ، هل فيه الدية والكفارة؟ وما تقولون في رجل أفسد متاع رجل وأحرقه ناسيا أو مخطئا؟ فإن قالوا: ذلك لازم عليه، فكيف قلتم: إن الحديث جاء في الأحكام، وأنتم توجبون الضمان؟ وقال بعضهم: وجه الحديث عندنا أن الأمم قبل أمتنا كانت مأخوذة بالخطأ والنسيان فيما بينها[15] وبين ربها،[16] فرفع الله تعالى الحرج عن هذه الأمة في ذلك

---

[1] ن + على أن.
[2] ن: وعظم.
[3] جميع النسخ: لم يحابهم.
[4] م: أو أن يكون.
[5] سورة طه، ١٢١/٢٠.
[6] سورة طه، ١١٥/٢٠.
[7] ك: نهي.
[8] ع م: فعلي.
[9] ع م: والعصيان.
[10] عن ابن عباس، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه» (*سنن ابن ماجه*، الطلاق ١٦؛ وصحيح *ابن حبان*، ٢٠٢/١٦).
[11] سورة التوبة، ٦٧/٩.
[12] أي مرفوعة نتائجها، ولا يعتد بها.
[13] ك: لهذا الحديث.
[14] ع م – لهم.
[15] ع م: بينهما.
[16] ع: ربهما.

تفضُّلاً منه علينا[1] من بين الأمم، فأما الغرامات والضمانات في الأحكام التي بين الناس **فهي** لازمة لهم، خطأً فعلوا أو عمدا.[2] *والله أعلم.*

وفي قوله: **قالا ربنا ظلمنا أنفسنا،**[3] دلالة النقض[4] على المعتزلة، لأنهم يقولون: الصغائر مغفورة باجتناب الكبائر. ثم من قولهم:[5] إن الرسل والأنبياء معصومون عن الكبائر، فزلّة آدم لا شك أنها صغيرة لما ذكرنا، ثم قال: **وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين،**[6] فإذ لم يكن له أن يعذبه فيصير كأنه[7] قال:[8] إن جُرْتَ وظلمت علينا **لنكونن من الخاسرين.**[9]*

﴿قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾[٢٤]

وقوله عز وجل: **قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو**، عن ابن عباس[10] رضي الله عنه قال: آدم وحواء وإبليس والحية.[11] وقال الحسن: آدم ووسوسة الشيطان؛[12] لأن من قوله: إن الشيطان لم يكن في السماء، إنما وسوس آدم وحواء مِن بُعد، فالأمر بالهبوط لوسوسته، ولذلك بقيت في أولاده إلى يوم القيامة. وقال بعضهم: دلّ قوله: **ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين،** على أن الأمر بالهبوط إنما كان من السماء، وكانوا[13] في السماء. ثم قوله: **اهبطوا بعضكم لبعض عدو**، كان[14] الأمر بالهبوط لم يكن معا، لأن إبليس أمر بالهبوط حين أبى السجود،

---

[1] ن – أن الأمم قبل أمتنا كانت مأخوذة بالخطأ والنسيان فيما بينها وبين ربها فرفع الله تعالى الحرج عن هذه **الأمة** في ذلك تفضلا منه علينا.

[2] ن م: عمدوا.

[3] ك ن + إلى آخره.

[4] ع: النفس.

[5] ع م: من قوله.

[6] م – وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين.

[7] ك: وكأنه.

[8] م + وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين.

[9] م + إن جرت وظلمت علينا لنكونن من الخاسرين.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية رقم ٢٠، فقدمناه إلى هنالك. انظر: ورقة ٢٤٣ظ/سطر ١٠-١٥.

[10] ن: وعن ابن عباس.

[11] *تفسير الطبري*، ١/٢٤٠؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ١/١٣٤.

[12] ع + لأن من قوله إن الشيطان لم يكن في وسوسة الشيطان.

[13] ن: كانوا.

[14] ن: وكان.

وآدم وحواء حين تناولا من الشجرة، ثم جمعهم في الأمر بالهبوط ليُعلَم أنْ ليس في الجمع[1] بالذكر دلالة وجوب الحكم والأمر مجموعا.

وقوله عز وجل: **اهبطوا**، لا يُفهَم منه الهبوط من الأعلى؛ ألا ترى أنه قال في آية أخرى: اهْبِطُوا مِصْرًا،[2] أي انزلوا فيه. وقوله: **عدو**، وهو[3] عدو لنا إما بالكفر وإما بما يسعى في هلاكنا، وكل من يسعى في هلاكنا فهو عدو لنا ونحن أعداء له.

وقوله عز وجل: **ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين**، قيل: إلى منتهى آجالكم، وإبليس إلى النفخة الأولى. ويشبه أن يكون هذا ليس على التوقيت، ولكن على الدوام والقرار فيها.

﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾[٢٥]

وقوله عز وجل: **قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون**، قيل: في الأرض تعيشون، **وفيها تموتون** عند انقضاء آجالكم، **ومنها تخرجون** في القيامة.

﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذٰلِكَ خَيْرٌ ذٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾[٢٦]

وقوله عز وجل: **يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوءاتكم**، قال ابن عباس رضي الله عنهما والحسن: أنزل ماء القَراح[4] من السماء ليُتَّخَذ منه اللباس ما يواري عورتهم، ويُتَّخَذ منه الطعام والأشياء التي بها قوام أنفسهم.[5] ويحتمل قوله: **قد أنزلنا عليكم لباسا**، أنزل الماء والأسباب التي بها يتخذ اللباس والأطعمة والأشربة والعلم في ذلك؛ لأنه لولا[6] ما أنزل من السماء ذلك[7] الماء والأسباب والعلم بذلك وإلّا ما عرف الخلق أنْ كيف يُتَّخَذ ذلك لباسا والأطعمة والأشربة. وفيه دليل إثبات الرسالة، لأنهم لم يعرفوا ذلك إلا بوحي من السماء. أو أن يكون قوله: **قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوءاتكم وريشا**،

---

[1] ن: ليس الجمع.
[2] سورة البقرة، ٦١/٢.
[3] ن – عدو وهو.
[4] القَراح: الماء الخالص الذي لا يخالطه شيء (*المعجم الوسيط*، «قرح»).
[5] ذكره الألوسي عن الحسن؛ انظر: *روح المعاني* للآلوسي، ١٠٣/٨.
[6] ن ع م: لو.
[7] ع م – لأنه لو ما أنزل من السماء ذلك.

أي جعل لكم وأنشأ لكم ما تتخذون[1] منه اللباس والطعام والشراب، ليس على الإنزال ولكن على أن جعل لكم ذلك، كقوله: جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ،[2] وقوله: جَعَلَ لَكُمْ -أي أنشأ لكم- سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ،[3] وهو أن خلق لنا ذلك. وفيه دليل خلق أفعال الخلق؛ لأنه إنما صار لباسا وطعاما ومالا بفعل من العباد،[4] لا[5] أنه أنزل من السماء هكذا، ثم أخبر أنه جعل ذلك لنا، دلّ أنه خلَق فِعل الخَلْق فيه.

وقوله: **وريشا**، قال بعضهم: مالا، وقال بعضهم: معاشا. وقال القُتَبي: الريش والرياش ما ظهر من اللباس، وريش الطائر ما ستر به.[6]

وقوله: **ولباس التقوى**، في حرف ابن مسعود رضي الله عنه **ولباسُ التقوى**، بالرفع على الابتداء، أي لباسُ التقوى خيرٌ، ومَن نَصَبَه أيضا فإنما ينصبه على الجواب لما تقدم،[7] وإلا الحق فيه الرفع.[8] [٢٤٤و] ثم اختلف فيه أهل التأويل. قال[9] الحسن: **لباس التقوى** / الدين. وقال أبو بكر الأصم: القرآن. وقيل: العفاف، وقيل: الحياء، وقيل: الإيمان؛ فكله واحد.[10] أي كل ما ذكر من **لباس التقوى خير** من اللباس[11] الذي ذكر؛ لأن الدين والإيمان والقرآن[12] والحياء يزجره ويمنعه عن المعاصي، فهو خير؛ لأنه لباس في الدنيا والآخرة؛ لأن المؤمن التقي العفيف الحَيِيّ[13] لا يبدو له عورة وإن كان عاريا من الثياب، وإن الفاجر لا يزال يبدو منه عورته وإن كان[14] كاسيا من الثياب،[15]

---

[1] ع م: ما يتخذون.
[2] سورة المؤمن، ٧٩/٤٠.
[3] سورة النحل، ٨١/١٦.
[4] ع: من العبادة.
[5] ع م – لا.
[6] أي ما ستره الله به. انظر: *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٦٦.
[7] أي على العطف على "وريشا".
[8] قرأ من الأئمة السبعة ابن كثير وعاصم وأبو عمرو وحمزة ﴿ولباسُ التقوى﴾ رفعا، وقرأ نافع وابن عامر والكسائي: ﴿ولباسَ التقوى﴾ نصبا؛ انظر: *كتاب السبعة في القراءات* لابن مجاهد، ٢٨٠.
[9] م: وقال.
[10] ع: واحدا.
[11] ن: من لباس.
[12] ن – والقرآن.
[13] ك: الحيئ؛ ن ع: الحي؛ م:الحيء.
[14] م – كان.
[15] ن: من الثواب.

لا يتحفّظ في لباسه، فالتقوى[١] خير. وهو كقوله: فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى.[٢] هذا التأويل للقراءة التي تقرأ[٣] بالرفع: **لباسُ التقوى**، على الابتداء. وأما من قرأ[٤] بالنصب فهو ردّه إلى قوله: **قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوءاتكم وريشا**، ثم أنزلنا عليكم أيضا لباسا تتقون به الحر والبرد والأذى، فيكون فيه ذكر لباس لسائر[٥] البدن، وفي الأول ذكر لباس العورة.

وقوله عز وجل: **ذلك من آيات الله**، يحتمل قوله: **ذلك**، الذي اتخذ منه اللباس والأطعمة والأشربة من آيات الرسالة؛ لأن كل ذلك إنما عرف بالرسل بوحي من السماء. وهو ما ذكرنا أن فيه دليل إثبات الرسالة. ويحتمل **ذلك من آيات الله**، أي[٦] **من آيات** وحدانية **الله** وربوبيته، لما جعل منافع السماء متصلة بمنافع الأرض مع بعد ما بينهما، دلّ ذلك أن منشئهما ومدبرهما واحد، لأنه لو كان تدبير اثنين ما اتّسق تدبيرهما لاتصال[٧] منافع أحدهما بالآخر.

وقوله عز وجل: **لعلهم يذّكّرون**، أي **لعلهم** يُوَفَّقون[٨] للتذكير -و لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ،[٩] أي لعلهم يوفّقون للتقوى- ولعلهم يوفّقون للشكر، لأنه حرف شك،[١٠] هذا يحسن أن يقال. ***والله أعلم***. أو نقول: لكي يلزمهم التذكّر والشكر.[١١]

﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[٢٧]

وقوله عز وجل: **يا بني آدم لا يفتننّكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة**، قال بعضهم: خاطب به أهل مكة في تكذيبهم رسول الله ومخالفتهم أمره في أن لا يخرجكم من الأمن والسعة كما أخرج أبويكم من دار الأمن والسعة. وقال بعضهم: قوله: **لا يفتننكم الشيطان**،

---

[١] ك: فلباس التقوي؛ ن: فلبس التقوي.
[٢] سورة البقرة، ١٩٧/٢.
[٣] ك: التي تقرأه.
[٤] ك: وقرأه.
[٥] م: سائر.
[٦] م - أي.
[٧] ك + المنافع.
[٨] ع م - يوفقون.
[٩] سورة البقرة، ١٨٧/٢؛ وسورة الأنعام، ٥١/٦، ٦٩؛ وسورة الأعراف، ١٦٤/٧؛ وسورة طه، ١١٣/٢٠؛ وسورة الزمر، ٢٨/٣٩.
[١٠] ن: شكر. وعبارة الشارح هكذا: «لأنه حرف ترجية» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٨٩و).
[١١] ع م: والتشكر.

أي[1] احذروا دعاءه إلى ما يدعوكم إليه، فإنه يمنع عنكم في الآخرة الكرامة والثواب كماأخرج أبويكم من دار الكرامة والمنزلة. وقال أهل التأويل: **لا يفتننّكم الشيطان**، أي لا يضلنّكم الشيطان ويغويكم كما فعل بأبويكم،[2] أخرجهما من الجنة. وقال آخرون: قوله: **لا يفتننكم الشيطان،** بما تَهْوَى به أنفسكم ومالت[3] إلى شهواتها وأمانيها، **كما أخرج أبويكم من الجنة**، بما هوته[4] أنفسهما[5] واشتهتها،[6] يحذّرهم اتّباع هوى النفس وشهواتها وأمانيها، فإن السبب[7] الذي به كان إخراجهما هو هوى[8] النفس وأمانيها.

وقوله عز وجل: **ينزع عنهما لباسهما**، يحتمل قوله: **ينزع**، أي نزع[9] **عنهما لباسهما،** وهذا في القرآن كثير يفعل بمعنى فعل. ويحتمل على الإضمار، كأنه قال: أراد أن **ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما**. وقد ذكرنا[10] أن المفروض من الستر هو ستر العورة لا غير، احتيج إليه أولم يحتج. وأما غيره من الستر فإنما هو لدفع الأذى من الحر والبرد أو للتجمل.[11] والمفتون بالشيء هو المشغوف به والمُولَع به. يقول: لا يمنعكم عن دخول الجنة **كما أخرج أبويكم من الجنة**،[12] وكان قصده ما ذكر من نزع اللباس و إبداء العورة، وهو ما ذكر.

وقوله عز وجل: **إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم**، قيل: **قبيله**،[13] جنوده وأعوانه؛ حذّرنا إبليسَ وأعوانَه بما يروننا ولا نراهم.[14]

---

[1] ع م: أن.
[2] ع م: أبويكم.
[3] ك ع م: وامالت.
[4] ك ن: بما هوت به.
[5] ن: أنفسهم؛ ع: أنفسها.
[6] م: واشتهائها.
[7] ك: فإن سبب.
[8] ع: هو هي.
[9] م – أي نزع.
[10] ع: وقد ذكر.
[11] ع م – أو للتجمل.
[12] م + هو.
[13] ع: قبيلة.
[14] ع: ولا يرونهم.

فإن قيل: كيف كلّفنا[1] محاربته وهو بحيث لا نراه وهو يرانا، ومثله في غيره من الأعداء لا يكلفنا محاربة من لا نراه أو لا نقدر[2] [على] القيام بمحاربته، وليس في وسعنا القيام بمحاربة من لا نراه؟

قيل:[3] إنه لم يكلفنا محاربة[4] أنفسهم،[5] إذ لم يجعل[6] له[7] السلطان على أنفسنا وإفساد مطاعمنا[8] ومشاربنا وملابسنا، ولو جعل[9] لهم ذلك[10] لأهلكوا[11] أنفسنا وأفسدوا غذاءنا. إنما جعل له السلطان في الوساوس فيما يوسوس في صدورنا، وقد جعل لنا السبيل إلى معرفة وساوسه بالنظر والتفكر، نحو قوله: وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ،[12] الآية، وقوله تعالى: وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ،[13] وقوله: إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا.[14] عَلَّمَنا ما به ندفع وساوسه وهمزاته، وجعل لنا الوصول إلى دفع وساوسه بحجج وبأسبابٍ جَعَلَ لنا. فهذا يدل على أن الله يجوز أن يكلّفنا بأشياء لم يعطنا أسباب تلك الأشياء بعد أن جعل في وسعنا الوصول إلى تلك الأسباب وإن لم يكن وقت التكليف تلك الأسباب، من نحو الأمر بالصلاة وإن لم نكن[15] على الطهارة، إذ جعل في وسعنا الوصول إلى الطهارة، ونحوِ الأمر بأداء الزكاة وإن لم يكن وقت الأمر من يؤدَّى إليه حاضرا، ونحو الأمر بالحج[16] وغيره من العبادات وإن كان لا يصل إلى أداء ما افترض عليه إلا بعد أوقات مع احتمال الشدائد.

---

[1] ع: كلنا.
[2] ك: أو لا يقدر.
[3] ن – قيل.
[4] م: محاربته.
[5] ع م – أنفسهم.
[6] ن ع م: لم نجعل.
[7] أي لإبليس.
[8] ع: مطاعنا.
[9] ك: وإن جعل.
[10] ع م – ذلك.
[11] ع: لا أهلكوا.
[12] سورة الأعراف، ٧/٢٠٠؛ وسورة فصلت، ٤١/٣٦.
[13] سورة المؤمنون، ٢٣/٩٧.
[14] سورة الأعراف، ٧/٢٠١.
[15] جميع النسخ: لم يكن.
[16] ك ع: بالحجج.

وهذا يرد أيضا على من يقول:[1] لا يلزم الأوامر والمناهي مَن جَهِلها، ولا يُكلَّف إلا بعد العلم بها، لأنه يتكلف حتى لا يلزمه فرض من فرائض الله وعبادة من عباداته، لأنه لا يكتسب[2] أسباب العلم بها لئلا يلزم ذلك؛ فهذا بعيد محال، والوجه فيه ما ذكرنا. **والله أعلم**.

[٢٤٤ظ] /وقوله عز وجل: **إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون**. اختلف أهل الاعتزال فيه. قال أبو بكر الأصم: الجعل من الله تعالى على وجوه. أحدها السبب أي[3] أعطينا لهم السبب[4] الذي به صاروا أولياء لهم، كما يقول[5] الرجل لآخر: جعلت لك الدار والعبيد والمال، وهو لم يجعل له ذلك، ولكن أعطاه ما به صار ذلك، وهو إنما أعطاه سبب ذلك، فيضاف ذلك إليه؛ فعلى ذلك ما أضاف الجعل إليه لما أعطاه السبب. وقال جعفر بن حرب:[6] الجعل هو التخلية، خلّى بينهم وبين أولئك، فأضاف ذلك إليه[7] بالجعل، كما يقال للرجل: جعلت عبدك قتّالا ضرّابا، إذا خلّى بينه وبين ما يفعله، وهو قادر على منعه عن ذلك. فعلى ذلك فيما أضاف الجعل[8] إلى نفسه، هو أن خلّى بينهم وبين أولئك يعملون ما شاءوا. وقال الحسن: مِن حُكم الله أنّ من عصى يكون عدوا له، ومن أطاعه[9] يكون وليا له، ومن أطاع الشيطان فهو وليه، ومن عصاه يكون عدوا له. فكذا[10] حكم الله تعالى في كل من أطاعه يكون وليا له، ومن عصاه يكون عدوا له. وقال غيرهم من المعتزلة: قوله: **إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون**، أي وجدناهم كذلك أولياء لهم. ولكن لو جاز إضافة ذلك إلى الله تعالى لِما ذَكر هؤلاء لجاز إضافة ذلك إلى الأنبياء، لأنه قد كان منهم التخلية في ذلك والتسمية لهم بذلك والحكم -على ما قال الحسن- والوجود. فإذا لم يجز[11] إضافة ذلك إليهم دل أنه قد كان من الله في ذلك صنع لم يكن ذلك من الأنبياء،

---

[1] ك ع م + أن.
[2] ن ع م: لا يكسب.
[3] ن ع م: الذي.
[4] ع - أي أعطينا لهم السبب.
[5] ك: كما تقول.
[6] أبو الفضل جعفر بن حرب الهمذاني المعتزلي العابد، (ت. ٢٣٦هـ/٨٥٠م). له كتاب *متشابه القرآن*، وكتاب *الاستقصاء*، وكتاب *الرد على أصحاب الطبائع*، وكتاب *الأصول*. انظر: *سير أعلام النبلاء* للذهبي، ١٠/٥٤٩-٥٥٠.
[7] ن: فأضاف إليه ذلك.
[8] م: الجهل.
[9] م: ومن أطاع.
[10] ك: هذا.
[11] ن ع م: فإذ لم يجز.

وهو أنْ تخلَق منهم فعل الولاية لهم[1] لما علم منهم أنهم[2] يختارون ولايتهم ويتولّونهم، كقوله: إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ.[3] *وبالله العصمة والنجاة.*

﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[٢٨]

وقوله عز و جل: **وإذا فعلوا فاحشة**، قال ابن عباس رضي الله عنه: كل معصية فاحشة.[4] والفاحشة كل ما عَظُم فيه النهي، فإذا ارتكبوا ذلك فهو فاحشة. وقال مجاهد: فاحشتهم أنهم كانوا يطوفون بالبيت عُراة.[5] وقال غيره من أهل التأويل: الفاحشة هو ما حَرَموا من الحرث والأنعام والنبات[6] وغيره من نحو السائبة والحامي وغيره.[7] لكن الفاحشة ما ذكرنا من[8] أن كل ما عظم[9] النهي فيه والزجر فهو فاحشة. والفاحشة هو ما عَظُم فيه الأمر. يُعرَف ذلك بوجهين؛ أحدهما يَعظُم ذلك في العقل، والثاني في السمع[10] يَرِد فيه.

وقوله عز وجل: **والله أمرنا بها**، ادَّعَوْا في ذلك أمر الله ورضاه فيه، ويقولون: لو لم يرض بذلك ولم يأمر[11] لكان يُنَكِّلهم وينتقم منهم، يعنون آباءهم. فاستدلوا بتركهم وما فعلوا على أن الله قد كان رضي بذلك وأمرهم إذا فعلوا ذلك،[12] فدل تركه إياهم على ذلك على أنه قد أمرهم بذلك ورضي عنهم؛ كمن يخالف في الشاهد ملكا من الملوك في أمره ونهيه،

---

[1] ن – لهم.

[2] ن: لما علم أنهم منهم.

[3] سورة النحل، ١٦/١٠٠.

[4] روى الطبري عن ابن عباس أنه فسر الفاحشة بالمعصية في قوله تعالى: ﴿ياأيها النبي إذا طلّقتم النساء فطلّقوهن لعِدَّتهن وأَحصُوا العِدَّة واتقوا الله ربكم لا تُخرِجوهن من بيوتهن ولا يَخرُجنَ إلّا أنْ يأتين بفاحشة مبيّنة﴾ (سورة الطلاق، ٦٥/١). انظر: *تفسير الطبري*، ٢٨/١٣٣.

[5] عن مجاهد ﴿وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها﴾ قال: كانوا يطوفون بالبيت عُراة، يقولون: نطوف كما ولدتنا أمهاتنا، فتضع المرأة على قُبلها النِّسعَة أو الشيء فتقول: اليوم يبدو بعضه أو كله، فما بدا منه فلا أُحِلّه. انظر: *تفسير الطبري*، ٨/١٥٤. والنسعة سَيْرٌ مَضفور يجعل زِماما للبعير (*لسان العرب* لابن منظور، «نسع»).

[6] ك – والنبات.

[7] انظر تفسير الآيات من سورة المائدة، ٥/١٠٣؛ وسورة الأنعام، ٦/١٣٦، ١٣٨-١٣٩.

[8] ك ع م – من.

[9] ع: ما أعظم.

[10] ن ع م: بالسمع.

[11] جميع النسخ: لم يأمر.

[12] ك ن: بذلك.

فإنه يُنَكِّله على ذلك وينتقم منه إذ كان قادرا على ذلك، فإذا لم يفعل ذلك به دلّ ذلك منه على الرضا به؛ فعلى ذلك الله لما لم ينتقم منهم و لم ينكلهم، دل ذلك على الرضا والأمر به. والثاني كأنهم أخذوا ذلك من المسلمين لما سمعوا من المسلمين قالوا: ما شاء الله كان، ظنوا أن ما كان من آبائهم كان بأمر[1] من الله ورضاه؛ لم يفصلوا بين المشيئة والأمر. المشيئة والإرادة هي[2] صفة فعل كل فاعل يفعله على الاختيار، نحو أن يقال: شاء فعل كذا أو أراد[3] أمر كذا، ولا يجوز أن يقال: أمر نفسه بكذا أو نهى نفسه عن كذا. وأما قولهم: إنه لم ينكّل آباءهم و لم ينتقم منهم بما فعلوا، دل أنه رضي بذلك. فيقال: إن فيهم من فعل على خلاف فعلهم وغير صنيعهم ضد ما فعل أولئك. ثم لم يفعل بهم ذلك، فهل دل ذلك على الرضا منه بذلك؟ فإن قلتم: بلى، فإذن[4] رضي بفعلين متضادّين، وإن قلتم: لا، كيف دل ذلك في أولئك على الرضا والأمر و لم يدل فيمن فعلوا بخلاف فعلهم؟ فذا تناقض. وقد ذكرنا فيما تقدم.[5] *والله أعلم*.

قل، لهم يا محمد، **إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون**، إن الله أمر بهذا وحرم هذا. وقوله عز و جل: **قل إن الله لا يأمر بالفحشاء**، الفحشاء[6] هو ما ذكرنا، ما عَظُم النهي فيه، أو كل ما يشتدّ فيه النهي ويغلظ أو يكثر هو الفحشاء؛ ألا ترى أنه يقال لكل شيء يكثر: فَحُش، من نحو الكلام وغيره أنه إذا أخرج من حده وجاوز يقال: فَحُش؛ فعلى ذلك الفحشاء هاهنا هو ما جاوز حده في القبح، أو جاوز الحد من الكثرة، وهم قد أكثروا الافتراء على الله. وقوله: **أتقولون على الله ما لا تعلمون**، قال بعضهم: بل **تقولون على الله ما لا تعلمون**،[7] إنه أمر بذلك. وقيل: قوله: **أتقولون على الله**، أي تعلمون أنكم **تقولون على الله ما لا تعلمون**؛ لأنهم[8] لم يكونوا يؤمنون[9] بالرسل ولا كان لهم كتاب، فكيف تعلمون أن الله أمركم بذلك. وهو كقوله: قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ؛[10]

---

[1] ع + الله.
[2] ك – هي.
[3] ك: أو أرادا.
[4] ن ع م: فإذا.
[5] انظر تفسير الآية من سورة الأنعام، ١٤٨/٦.
[6] ن ع م – الفحشاء.
[7] ن – قال بعضهم بل تقولون على الله ما لا تعلمون.
[8] ع: أنهم.
[9] ن: لو يؤمنون.
[10] سورة يونس، ١٨/١٠.

لا يجوز أن لا يعلم الله، ولكن على النفي لذلك؛ ليس كما تقولون وتنبئون، ولكن يعلم خلاف ذلك وضده، ويكون في نفي ذلك إثبات غيره. فعلى ذلك يعلمون[١] أنهم يقولون على الله ما لا يعلمون. وأسباب العلم [في] هذا إما الرسل يخبرون عن الله ذلك، أو الكتاب[٢] يجدون فيه / مكتوبا فيعلمون، [٢٤٥و] فيسع[٣] الشهادة بذلك. وهم قوم لا يصدقون الرسل ولا يؤمنون بخبرهم، وليس لهم[٤] كتاب أيضا يقرءونه، فما بقي إلا وحي الشيطان إليهم، كقوله: وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ.[٥]

﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾[٢٩]

وقوله عز وجل: **قل أمر ربي بالقسط**، والقسط هو العدل في كل شيء في القول والفعل وغيره، كقوله:[٦] وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا،[٧] وكقوله تعالى: كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ.[٨] وأصل العدل هو محافظة الشيء على الحد[٩] الذي جُعل له، ووَضْعُه[١٠] موضعه.

وقوله عز وجل: **وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد**، اختلف فيه. قيل:[١١] **أقيموا**، أي[١٢] سَوُّوا وجوهكم نحو الكعبة، **عند كل مسجد**، أي في كل[١٣] مكان تكونون فيه، وهو كقوله: وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً،[١٤] أي اجعلوا بيوتكم نحو الكعبة، كقوله تعالى: وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ.[١٥] وقيل: **أقيموا وجوهكم**، أي اجعلوا عبادتكم لله ولا تشركوا فيها غيره، و"الوجه" يكون كناية عن العبادة، وهما واحد. وقيل: **أقيموا وجوهكم**،

---

[١] م: لا يعلمون.
[٢] جميع النسخ: والكتاب.
[٣] ع م: فيتسع.
[٤] ع م – لهم.
[٥] سورة الأنعام، ١٢١/٦.
[٦] ع: وكقوله.
[٧] سورة الأنعام، ١٥٢/٦.
[٨] سورة النساء، ١٣٥/٤.
[٩] ع م: عن الحد.
[١٠] ك: وضعه.
[١١] ع – قيل.
[١٢] ك – أي.
[١٣] ن – كل.
[١٤] ع + أي اجعلوا بيوتكم. سورة يونس، ٨٧/١٠.
[١٥] سورة البقرة، ١٤٤/٢، ١٥٠.

أي دينكم لله لا تشركوا فيه غيره،[1] كقوله: **وادعوه مخلصين له الدين**. ويشبه أن يكون الوجه كناية وعبارة[2] عن الأنفس، كأنه قال: **أقيموا** أنفسكم لله ولا تشركوا فيها لأحد شركا، كقوله: وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللهِ،[3] أي يجعل[4] نفسه لله سالما.

وقوله عز وجل: **وادعوه مخلصين له الدين**، يحتمل الدعاء نفسه، أي **ادعوه** ربا خالقا ورحمانا، **مخلصين له الدين** بالوحدانية والألوهية والربوبية. ويحتمل قوله: **ادعوه** أي اعبدوه **مخلصين له** العبادة، ولا تشركوا غيره فيها. ويحتمل أي دِينُوا بدينه الذي دعاكم إلى[5] ذلك وأمركم به.

وقوله عز وجل: **كما بدأكم تعودون**، قال قائلون: هو[6] صلة قوله: فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ،[7] كأنهم سألوا مِمَّ[8] يعودون إذا بُعثوا؟ فقال: **كما بدأكم**، خلقكم، **تعودون** مثله. ويحتمل أن يكون هو صلة قوله: فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ،[9] تعودون كما كنتم[10] في البَدْأَة: الكافر كافرا والمؤمن مؤمنا. وقوله عز وجل: **كما بدأكم تعودون**، هو من الدائمة، ليس من الابتداء، لأنه لا يجوز أن يقال لصبي: كافر أو مؤمن، وهو الدوام والمُقام فيه إلى وقت الموت وهو في البَدْأَة، وفي الآخرة الإعادة.[11] وهو كقوله: وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ،[12] وقوله: يبدأ، ليس يريد ابتداء نشأة، ولكن كونه في الدنيا.[13] فعلى ذلك قوله: **كما بدأكم تعودون**، الآية تخرج على وجهين. أحدهما أي كما كنتم في الدنيا **تعودون** في الآخرة كذلك، المؤمن مؤمن والكافر كافر على كفره. والثاني كما أنشأكم في الدنيا لا من شيء فعلى ذلك يبعثكم كذلك،[14] لا يعجزه شيء.

---

[1] ع م – والوجه يكون كناية عن العبادة وهما واحد وقيل أقيموا وجوهكم أي دينكم لله لا تشركوا فيه غيره.
[2] ن ع: وعبادة.
[3] سورة لقمان، ٢٢/٣١.
[4] ع م: أتي بجعل.
[5] ن – إلى.
[6] ع م: هم.
[7] سورة الأعراف، ٢٥/٧.
[8] ن ع م: مما.
[9] سورة التغابن، ٢/٦٤.
[10] جميع النسخ: كانوا.
[11] أي تعودون كما كنتم تدومون على حياتكم في الدنيا إلى وقت موتكم، هذا هو المقصود بالبداية، وليس المقصود بداية الخلق، فإن الإنسان لا يكون مؤمنا أو كافرا في بداية عمره وهو صبي.
[12] سورة الروم، ٢٧/٣٠.
[13] ع + فعلى ذلك كونه في الدنيا.
[14] ن ع م: لذلك.

﴿فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾[٣٠]

وقوله عز وجل: **فريقا هدى**، بما هداهم الله بفضله، **وفريقا حق عليهم الضلالة**، بما اختاروا من فعل الضلالة،[١] فأضلهم الله، كقوله: يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ،[٢] وقوله: مَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ.[٣]

وقوله عز وجل: **ويحسبون أنهم مهتدون**، فيه دلالة[٤] لزوم الحجة والدليل في حال الحسبان والظن[٥] إذا كان بحيث الإدراك والوصول إليه، لأنه قال: **ويحسبون أنهم مهتدون**؛ فيه أنهم عند أنفسهم **مهتدون**، ولم يكونوا، ثم عوقبوا على ذلك. دل أن الدليل والحجة قد تلزم وإن لم تُعرَف،[٦] بعد أن يكون سبيل الوصول إلى ذلك. وهذا يرد قول من يقول بأن فرائض الله لا تلزم[٧] إلا بعد العلم بها والمعرفة.

﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[٣١]

وقوله عز وجل: **يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد**، يحتمل أن يكون الخطاب وإن خرج مخرج الأمر بأخذ الزينة واللباس فهو على النهي عن نزعها، لأن الناس يكونون آخذين الزينة وساترين عوراتهم غير بادين بها،[٨] فإذا كان كذلك فهو على النهي عن نزع لباسهم وإبداء عوراتهم. وهو ما ذكر في بعض القصة أن أهل الشرك كانوا إذا طافوا بالبيت نزعوا ثيابهم ويقولون: لا نطوف في ثيابنا التي أذنبنا فيها.[٩] فإن كان التأويل ما قال[١٠] ابن عباس وهؤلاء فيكون فيه إضمار، كأنه قال: **خذوا زينتكم**، عند هذا المسجد كما تأخذون،

---

[١] م: الضلال.

[٢] سورة النحل، ١٦/٩٣؛ وسورة فاطر، ٣٥/٨.

[٣] سورة الأعراف، ٧/١٨٦.

[٤] ع م - دلالة.

[٥] ك: في الظن.

[٦] جميع النسخ: قد يلزم وإن لم يعرف.

[٧] ك: لا يلزم.

[٨] ك ن: بادين لها. أي غير مبدين وغير مظهرين عوراتهم.

[٩] روي في ذلك الكثير؛ ومن أقربها إلى ما هنا ما روي عن قتادة قال: كان حي من أهل اليمن كان أحدهم إذا قدم حاجا أو معتمرا يقول: لا ينبغي أن أطوف في ثوب قد دَنِسْت فيه، فيقول من يُعيرني مئزرا؟ فإن قدر على ذلك وإلا طاف عريانا، فأنزل الله فيه ما تسمعون: ﴿خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾. انظر: *تفسير الطبري*، ٨/١٦١.

[١٠] م: قال.

عند كل مسجد، سِواه.[1] وإلاّ خرج[2] تأويل الآية على وجوه.[3] أحدها يقول: صلوا في كل مسجد؛[4] ذكر هذا لمن لا يرى الصلاة إلا في مسجده، على ما روي أنْ «لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد».[5] والثاني يقول:[6] صلوا بكل مسجد وبكل مكان، كقوله عليه السلام: «جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا».[7] والثالث يجعل الزينة العبادة نفسها بقول:[8] **خذوا زينتكم**. ويحتمل ما ذكره أهل التأويل: كانوا يستعيرون من أهل مكة ثيابا يطوفون فيها، فإن لم يجدوا بها طافوا[9] عُراةً باديةٌ[10] عوراتهُم، فنهاهم الله تعالى عن ذلك، وقال: **خذوا زينتكم عند كل مسجد**، أي لا تنزعوا ثيابكم التي على عوراتكم، فهو على النهي عن نزع الثياب وإبداء العورة.

وكذلك[11] قوله:[12] **وكلوا واشربوا**، يخرج على النهي عما حرّموا على أنفسهم من أنواع المنافع والنعم التي أحل الله لهم من تحريم البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي، ومن نحو ما حرّموا من الزرع[13] والطعام،[14] وكقوله: وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا،[15] الآية. خرج قوله: **وكلوا واشربوا**، على النهي عما حرّموا مما أحل لهم، لا على الأمر بالأكل والشرب، لأن كل أحد يأكل ويشرب[16] ولا يدع ذلك، فدل أنه خرج على النهي لما حرّموا، كأنه قال: لا تحرّموا ما تحرّمون،[17] ولكن كلوا واشربوا وانتفعوا بها.

---

[1] ع: سواء.
[2] ن ع: والإخراج.
[3] ع: علي وجوها.
[4] ن + وبكل مكان كقوله.
[5] رواه الدارقطني والحاكم وغيرهما مرفوعا من طرق ضعيفة، وقد صح من قول علي رضي الله عنه؛ انظر: *سنن الدارقطني*، ١/٤٢٠؛ *والمستدرك* للحاكم، ١/٣٧٣؛ *والدراية في تخريج أحاديث الهداية* لابن حجر، ٢/٢٩٣.
[6] ع م – يقول.
[7] *صحيح البخاري*، الصلاة ٥٦؛ و*سنن الترمذي*، السير ٥.
[8] ك ن: يقول.
[9] ع م + فيها.
[10] جميع النسخ: بادين.
[11] ع – وكذلك.
[12] ع: وكقوله.
[13] ك ن: من الزروع.
[14] انظر تفسير الآيات من سورة المائدة، ٥/١٠٣؛ وسورة الأنعام، ٦/١٣٦، ١٣٨-١٣٩.
[15] سورة الأنعام، ٦/١٣٨.
[16] ك – لأن كل أحد يأكل ويشرب.
[17] ك: مما تحرمون؛ ع م – ما تحرمون. والتصحيح من *شرح التأويلات*، ورقة ٢٩٠و. أي ما تحرمون أنتم على أنفسكم.

فإن كان على ابتداء[١] الأمر / بأخذ الزينة فهو -والله أعلم- أمر بأخذ الزينة[٢] والتجمّل [٢٤٥ظ] عند كل مسجد. والمسجد هو مكان كل عبادة ونسك، على ما يكون[٣] في غير ذلك من الأوقات تتزيّنون وتتجمّلون[٤] عند اجتماع الناس، فعلى ذلك تكونون[٥] في مكان العبادة والنسك. أو أن يكون لما[٦] في المسجد اجتماع الناس للعبادة[٧] فأُمروا بستر عوراتهم في ذلك. ويكون قوله: **وكلوا واشربوا ولا تسرفوا**، أي **كلوا واشربوا** واحفظوا الحد في ذلك ولا تجاوزوا، وهو نهي عن الكثرة. أو ما[٨] ذكرنا أنه نهاهم عن التحريم[٩] وترك الانتفاع بها، وفي تحريم ما أحل الله وترك الانتفاع بها إسراف. **إنه لا يحب المسرفين**، لأنه لا يحب الإسراف. وقد ذكرنا أن المفروض من الستر هو ما يستر[١٠] به العورة، وأما غيره فإنما هو على دفع الأذى والتجمل؛ ألا ترى أنه قال: يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا،[١١] وقال: يَابَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ.[١٢] مَنَّ علينا بما أنزل[١٣] مما نستر[١٤] به عوراتنا وإن كانت تلك[١٥] المِنّة في الكل، وذلك أيضا[١٦] قبيح في الطبع أن ينظر أحد[١٧] إلى عورة آخر. وعلى ذلك جاءت الآثار في الأمر بستر العورة. روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك». فقيل: يا رسول الله، فإن كان بعضنا في بعض؟

---

[١] ك ن ع: علي الابتداء.
[٢] ع - فهو والله أعلم أمر بأخذ الزينة.
[٣] ك ن: علي ما يكونون.
[٤] ع م: ويتجملون.
[٥] ن ع م: يكونون.
[٦] جميع النسخ: كما. والتصحيح من *شرح التأويلات*، ورقة ٢٩٠و.
[٧] م: العبادة.
[٨] ع م: وما.
[٩] ع م: عن التحريك.
[١٠] ك: هو ما ستر.
[١١] سورة الأعراف، ٢٧/٧.
[١٢] سورة الأعراف، ٢٦/٧.
[١٣] ع: بما نزل.
[١٤] ك: مما يستر.
[١٥] ع - تلك؛ م: له.
[١٦] ع م - أيضا.
[١٧] ك: أحدا.

فقال: «إن استطعت أن لا تظهر عورتك فافعل». فقيل:[1] فإذا كان أحدنا خاليا؟ فقال: «فالله أحق أن يُستَحيا منه».[2] وعنه صلى الله عليه وسلم قال: «لا ينظر الرجل[3] إلى عورة الرجل ولا المرأة إلى عورة المرأة».[4] ومثله كثير، وفيما ذكرنا كفاية. وعلى ذلك يخرج الأمر بالإقبار لستر العورة؛ ألا ترى أنه قال تعالى: فَبَعَثَ اللّٰهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ،[5] الآية، لأن لا يرى عورته، لأنه يكون[6] جفاء.

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[٣٢]

وقوله عز وجل: **قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق**، قال أبو بكر الأصم: الزينة هاهنا هو اللباس، لأنه ذكر على إثر ذكر[7] اللباس، وهو قوله: خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ،[8] **والطيباتِ من الرزق** ما حرموا مما[9] أحل الله لهم من البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي وغير ذلك مما كانوا[10] يحرمون الانتفاع به، كقوله: وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ.[11] وقال الحسن: **زينةَ الله**، هو المَرْكَب كقوله: وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً،[12] جعل الله ما يُركَب زينة للخلق، وهم كانوا يحرمون الركوب والانتفاع بها، فقال: **قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده**، وقال:[13] **والطيباتِ من الرزق** ألبانها ولحومها. وقال غيره[14] من أهل التأويل: **زينةَ الله** هٰهنا النبات وما يخرج من الأرض مما هو رزق للبشر والدواب جميعا، كقوله: إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ،[15] الآية،

---

[1] ن – فقيل.

[2] م: عنه. والحديث روي بمعناه. قال الترمذي: هذا حديث حسن. انظر: *سنن أبي داود*، الحمام ٢؛ و*سنن الترمذي*، الأدب ٢٢؛ وعلّقه البخاري؛ انظر: *صحيح البخاري*، الغسل ٢٠.

[3] ع م – الرجل.

[4] *صحيح مسلم*، الحيض ٧٤؛ و*سنن الترمذي*، الأدب ٣٨.

[5] ﴿فبعث اله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوأة أخيه﴾ (سورة المائدة، ٣١/٥).

[6] ع: لا يكون.

[7] ك ع م: ذلك.

[8] الآية السابقة.

[9] م – مما.

[10] م: ما كانوا.

[11] سورة الأنعام، ١٣٨/٦.

[12] سورة النحل، ٨/١٦.

[13] ع – وقال. أي وقال الحسن.

[14] ع: وغيره.

[15] سورة الكهف، ٧/١٨.

وكقوله: حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ،[١] سمى لنا ما أخرج من الأرض زينة.

[٢٤٥ظ س٢٩ *وفي قوله تعالى: **قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق**، دليل إباحة الزينة والتناول من الطيبات. وقد يحتمل أن يكون خرج على النهي والإنكار، على ما كان يفعله أهل الشرك من نحو تحريم البحيرة والسائبة والوصيلة، فقال: **قل من حرم** ما حرمتم إذا لم يحرمه الله؛ ألا ترى[٢] أنه قال: قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ،[٣] يقول، والله أعلم: لم يحرم ما حرمتموه من هذه الأشياء، ولكن حرم الفواحش وما ذكر. ولم يذكر جوابهم أنهم ماذا يقولون.[٤] فهو يخرج على وجهين؛ إنْ قالوا: حرّم الله، فيقال لهم: من حرّم وأنتم قوم لا تؤمنون[٥] بالرسل والكتب؟ فإن قالوا: حرّم فلان، فقيل: كيف صدّقتم فلانا في تحريم ذلك ولا تصدّقون[٦] الرسل فيما يخبرون[٧] عن الله تعالى مع ظهور صدقهم؟ يذكر سفههم في ذلك. وقوله عز وجل: **قل من حرم زينة الله**، كأنه يقول: ليس لأحد تحريم ما ذكرنا، إنما التحريم إلى الله، وإنما حرم ما ذكر. وقد يحتمل ما ذكرنا من نزعهم[٨] الثياب عند الطواف ويطوفون[٩] عراة على ما ذكر في القصة، وإلى هذا يذهب ابن عباس والحسن وقتادة وعامة أهل التأويل.[١٠] وعلى ذلك يخرج ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:[١١] «ألا لا يطوفن بهذا البيت عريان ولا محدث».[١٢]* ٢٤٥ظ س٣٩]

---

[١] سورة يونس، ٢٤/١٠.

[٢] ك: ألا يري.

[٣] سورة الأعراف، ٣٣/٧.

[٤] أي لم يذكر في القرآن جواب الكفار على السؤال في قوله تعالى: ﴿قل من حرم زينة الله قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾.

[٥] ع م: لا يؤمنون.

[٦] ع: ولا تصدقوا.

[٧] ك: بما يخبرون.

[٨] ك: من ترغيبهم.

[٩] م: ويطوف.

[١٠] روي ذلك عن ابن عباس وقتادة وغيرهما، ولم أجده عن الحسن؛ انظر: *تفسير الطبري*، ١٥٩/٩-١٦٠، ١٦١؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤٣٩/٣.

[١١] ك + حيث قال.

[١٢] لم أجده بهذا اللفظ، لكن روي عن أبي هريرة قال: بعثني أبو بكر الصديق في الحِجّة التي أمّره عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل حجة الوداع في رهط يؤذنون في الناس يوم النحر: لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان. انظر: صحيح *البخاري*، الصلاة ١٠؛ وصحيح *مسلم*، الحج ٤٣٥.

* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه في تفسير الآية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٢٤٥ظ/سطر ٢٩-٣٩.

[٢٤٦و س ٢ *وقوله: **قل من حرم زينة الله**، أنه إذا لم يُفهَم من **زينة الله** ما يُفهَم من زينة الخلق -لأن زينة الخلق[1] ما يتزيّنون[2] به ويتجمّلون-[3] لا يجب أن يُفهَم من استوائه استواء الخلق ولا من مجيئه مجيء الخلق، لأن استواء[4] الخلق هو انتقال من حال إلى حال، ولا يجوز أن يُفهَم منه ذلك على ما لم يفهم من **زينة الله**.[5]* ٢٤٦و س ٥]

وقوله عز وجل: **قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة**، اختلف فيه. قال الحسن: **هي**، يعني الطيبات **خالصةً** للمؤمنين في الآخرة، لا يشاركهم الكفرة فيها، فأما في الدنيا فقد شاركوهم.[6] فالتأويل الأول يخرج على التقديم والتأخير، كأنه قال: قل هي للذين آمنوا خالصة يوم القيامة، وفي الحياة[7] الدنيا لهم جميعا، بقوله: قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ.[8] ويحتمل قوله: **قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا**، لأنهم لم يحرموا[9] الطيبات التي أحل الله لهم بل انتفعوا بها، وحرّم أولئك ولم ينتفعوا بها، فكانت **هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا** لما انتفعوا بها في الدنيا وتزودوا بها للآخرة، وكانت لهم[10] **خالصة يوم القيامة**. وإنما كان خالصا لهم يوم القيامة لما لا يكون لأهل[11] الشرك ذلك لما لم يتزودوا للمعاد، وقد[12] كانت لهم في الدنيا لو لم يحرموها وانتفعوا بها.*

[٢٤٦و] /وقوله[13] عز وجل: **كذلك نفصل الآيات**، أي نبين **الآيات**، **لقوم يعلمون**، أي **لقوم** ينتفعون بعلمهم. أو نقول: **كذلك نفصل الآيات**، أي **كذلك نفصل** حكم آية من حكم آية أخرى، نفصل هذا من هذا وهذا من هذا.*

---

[1] ع - لأن زينة الخلق.
[2] م: ما تتزينون.
[3] ع م: ويتجملوا.
[4] ع: لأن الاستواء.
[5] أي كما لم يفهم من إضافة لفظ الزينة إلى الله ما يفهم من زينة الخلق باتفاق المفسرين كذلك لا ينبغي أن يفهم من إضافة لفظ الاستواء إلى الله ما يفهم من استواء الخلق. وفي هذا رد على المجسمة والمشبهة.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه خلال تفسير الآية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٢٤٦و/سطر ٢-٥.
[6] *تفسير الطبري*، ٨/١٦٥.
[7] ن: في الحياة.
[8] سورة البقرة، ٢/١٢٦.
[9] ع: لا يحرموا.
[10] ع م - لهم.
[11] ع: أهل.
[12] م: قد.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٢٤٥ظ/سطر ٢٩-٣٩.
[13] ن: قوله.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٢٤٦و/سطر ٢-٥.

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[٣٣]

وقوله عز و جل: **قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق**، يشبه أن تكون[١] هذه الآية مقابل قوله: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى، كما خرج آخر الآية، وهو قوله: وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ،[٢] مقابل الأول، وهو قوله: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ.[٣] والنهي هناك[٤] نهي[٥] تحريم كالتنصيص على التحريم هاهنا.[٦] ويكون[٧] الفحشاء الذي ذكر في تلك[٨] الآية **الفواحش** التي ذكرت[٩] في هذه،[١٠] والمنكر الذي ذكر هناك[١١] هو **الإثم** الذي ذكر في هذه.[١٢] وذكر **البغي** هاهنا، وهنالك البغي. ثم الفحشاء هو الذي ظهر قبحه في العقل والسمع، والمنكر هو الذي ظهر الإنكار فيه على مرتكبه.[١٣] **والإثم** هو الذي يأثم المرء فيه، **والبغي** هو من مظالم الناس بظلم[١٤] بعضهم على بعض. وقال بعضهم: **الفواحش** هن الكبائر، **والإثم** هو الصغائر، **والبغي** هو أخذ[١٥] ما عُصم من مال أو نفس بعقد الإسلام، على ما روي عن نبي[١٦] الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها».[١٧]

---

[١] ن ع م: أن يكون.
[٢] سورة النحل، ١٦/٩٠.
[٣] ك ن ع – كما خرج آخر الآية وهو قوله وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي مقابل الأول وهو قوله إن الله يأمر بالعدل والإحسان.
[٤] ك ن ع: هاهنا.
[٥] ك ن – النهي.
[٦] ك ن – كالتنصيص على التحريم هاهنا؛ ع – نهي تحريم كالتنصيص على التحريم هاهنا.
[٧] ن ع م: وتكون.
[٨] جميع النسخ: في هذه.
[٩] جميع النسخ: ذكر.
[١٠] جميع النسخ: في ذاك.
[١١] جميع النسخ: هاهنا.
[١٢] جميع النسخ: في ذلك.
[١٣] ك: علي مرتكبيه.
[١٤] ك ن: يظلم.
[١٥] ع م: ما أخذ.
[١٦] ن: عن رسول.
[١٧] *صحيح البخاري*، الاعتصام ٢٨؛ وصحيح *مسلم*، الإيمان ٣٤.

فكل ما صار معصوما بالإسلام من مال أو نفس فأَخذ ذلك بغي وظلم إلا ما ذكر: "بحقها". وأصل **البغي** هو المجاوزة عن الحد الذي جعل له. وقال أهل التأويل: **الفواحش** هو الزنا ما ظهر منها علانية وما بطن منها سرا. لكن **الفواحش** ما ذكرنا: أنّ[1] ما قَبُح في العقل والسمع وفَحُش فيهما فهي الفاحشة. وأصل المنكر كل ما لا يعرف،[2] كقول إبراهيم: إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ،[3] والمنكر ما أنكره العقل والسمع أيضا.

وقوله عز وجل: **وأن تشركوا بالله ما لم ينزّل به سلطانا**، أي وحَرَم أيضا **أن تشركوا بالله**. وقوله عز وجل: **ما لم ينزل به سلطانا**، ليس على أنه ينزّل سلطانا[4] على الإشراك[5] بحال، ولكن على أنهم يشركون بالله من غير حجج وسلطان، لأن أهل الإسلام هم الذين يدينون بدين ظهر بالحجج والآيات، وهم يدينون بدين لا يظهر بالحجج والآيات، ولكن بما هوت به أنفسهم واشتهت. ويحتمل قوله: **ما لم ينزل به سلطانا**، أي عذرا، لأنه [لا] يجوز أن يُعذَّر المرء بحال في إجراء كلمة الكفر على لسانه [إلا] عند الإكراه، ولا يصير به كافرا إذا كان قلبه مطمئنا بالإسلام منشرحا به، كقوله: إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ،[6] أي تشركون بالله من غير أن يَنزِل بكم[7] حال[8] عذر.[9]

وقوله عز وجل: **وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون**، أي حرّم عليكم **أن تقولوا على الله ما لا تعلمون**.[10] والثاني أي تعلمون أنكم تقولون[11] **على الله ما لا تعلمون**، أنه حرّم كذا وأمر بكذا. فقوله:[12] **وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون**، يحتمل وجهين؛

---

[1] ك ن ع + ما ظهر قبحه في العقل وفحشه في السمع فهو فاحشة والفواحش هو ما ذكرنا أن.

[2] ع م: ما يعرف.

[3] سورة الحجر، ١٥/٦٢.

[4] ن – ليس على أنه ينزل سلطانا.

[5] ن + بالله.

[6] سورة النحل، ١٦/١٠٦.

[7] جميع النسخ: بهم.

[8] ن – حال.

[9] ك: ما أعذر.

[10] ك + يحتمل وجهين أحدهما أنكم تعلمون أنكم تقولون على الله ما لا تعلمون؛ ع م – أي حرم عليكم أن تقولوا على الله ما لا تعلمون.

[11] جميع النسخ: أنهم يقولون.

[12] ن ع م: وقوله.

أحدهما أنكم تعلمون أنكم تقولون **على الله ما لا تعلمون**؛ والثاني تقولون **على الله ما لا تعلمون**؛[١] هذا على الجهل، والأول على العلم، كقوله: أَتُنَبِّئُونَ اللهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ،[٢] أي تنبئون[٣] الله بما يعلم أنه ليس مما تقولون.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[٣٤]

وقوله عز وجل: **ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون**، اختلف فيه. قال بعضهم: **لكل أمة أجل**، هو بعث الرسل إليهم،[٤] أي لا يهلكون ولا يعذبون إلا بعد بعث الرسل إليهم،[٥] فإذا أتاهم الرسول فكذبوه وعاندوا فعند ذلك يهلكون. وهو كقوله: وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا،[٦] وقوله: وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا.[٧] ويحتمل أن لكل أمة أجلا لا تهلك قبل بلوغ أجلها، لا تستأخر ولا تستقدم.[٨] فهذا يرد على المعتزلة، لأنهم يقولون: إن من قُتِل إنما هلك قبل بلوغ أجله، ويجعلون القاتل[٩] مستقدما لأجل ذلك المقتول، والله تعالى يقول: **لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون**. وقوله عز وجل: **فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون**، [بمعنى] إذا جاء لا يستأخرون، وإذا لم يجئ لا يستقدمون.

﴿يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٣٥]

وقوله عز وجل: **يا بني آدم إما يأتينكم رسل منكم**، قال أهل التأويل: قوله: **إما يأتينكم**، أي سيأتيكم[١٠] **رسل منكم**، أو سوف يأتيكم. **يقصون عليكم**، ثم يحتمل قوله:

---

[١] ك – والثاني أي تعلمون أنكم تقولون على الله ما لا تعلمون أنه حرم كذا وأمر بكذا فقوله وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون يحتمل وجهين أحدهما أنكم تعلمون أنكم تقولون على الله ما لا تعلمون والثاني تقولون على الله ما لا تعلمون؛ ع م – يحتمل وجهين أحدهما أنكم تعلمون أنكم تقولون على الله ما لا تعلمون والثاني تقولون على الله ما لا تعلمون.

[٢] ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ (سورة يونس، ١٠/١٨).

[٣] ع م: أي تنسون.

[٤] ك ن: الرسول إليها.

[٥] ع م – أي لا يهلكون ولا يعذبون إلا بعد بعث الرسل إليهم.

[٦] سورة الإسراء، ١٧/١٥.

[٧] سورة القصص، ٢٨/٥٩.

[٨] ك: لا يستأخر ولا يستقدم؛ ن: لا يستأخرون ولا يستقدمون.

[٩] جميع النسخ + منه.

[١٠] ع م: أي سيأتينكم.

يقصون عليكم[1] **آياتي**،[2] أي هداي، كقوله: فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى،[3] وقوله: فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ؛[4] فعلى ذلك قوله:[5] **يقصون عليكم آياتي**، أي هداي، **فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون**. ويحتمل الآيات الحجج والبراهين التي يضطر[6] أهلها إلى قبولها إلا من عاند وكابر. **فمن اتقى**: **اتقى** الشرك، **وأصلح**: وآمن بالله وعمل صالحا، **فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون**. وقوله: **فمن اتقى**، يحتمل **اتقى** ما نهى الرسل،[7] أو **اتقى** المهالك، **وأصلح** فيما أمر به الرسل، / أو **أصلح** [٢٤٦ظ] أمره وعمله،[8] **فلا خوف عليهم**، في ذهاب ما أكرمهم به مولاهم ولا فوته، لأن خوف الفوت مما ينقص النعم،[9] **ولا هم يحزنون**، [على] تَبِعاته وآفاته. يخبر أن نعيم الآخرة على خلاف نعيم الدنيا.[10]

وفي قوله: **يا بني آدم إما يأتينكم رسل منكم**،[11] [بيان أن الله تعالى جعل][12] على خلقه مِنَنا[13] كثيرة ونعمة عظيمة حيث بعث الرسل من جنس المرسل إليهم. أحدها أن كل ذي جنس وجوهر مستأنس بجنسه وجوهره ويستوحش بغيره، فمَنّ عليهم حيث بعث الرسل[14] من جنسهم وجوهرهم يستأنس بعضهم ببعض ويألف[15] بعضهم بعضا، فذلك آخَذُ للقلوب[16] وأَدْعَى إلى الاتباع والإجابة.

---

[1] ع م – ثم يحتمل قوله يقصون عليكم.
[2] ن + ثم يحتمل قوله يقصون عليكم آياتي.
[3] سورة طه، ١٢٣/٢٠.
[4] سورة البقرة، ٣٨/٢.
[5] ن ع م – قوله.
[6] ك: تضطر.
[7] ع: الرسول.
[8] ع – وعمله.
[9] ك ن ع – النعم.
[10] جميع النسخ + وقوله عز وجل والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ظاهر تأويلها وقد ذكرنا في غير موضع حتى لم يأخذوا على أحد منهم.
[11] جميع النسخ + به.
[12] من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩١و.
[13] جميع النسخ: منن.
[14] ن – من جنس المرسل إليهم أحدها أن كل ذي جنس وجوهر مستأنس بجنسه وجوهره ويستوحش بغيره فمن عليهم حيث بعث الرسل.
[15] ن: وتألف؛ ع م: وتأليف.
[16] ن ع م: أخذ القلوب.

والثاني بَعَث الرسل من قومهم الذين نشئوا بين أظهرهم وعرفوا صدقهم وأمانتهم، ليعلموا أنهم صادقين فيما يدّعون من الرسالة، حيث لم يظهر منهم الكذب والخيانة قط،[1] حتى لم يأخذوا على أحد منهم الكذب.

والثالث أن الرسل لو كانوا من غير جنسهم وغير جوهرهم لم يعرفوا ما أوتوا[2] من الآيات والبراهين أنها آيات وحجج، كما[3] لا يعلمون[4] أنّ وُسْعَهم لا يبلغ هذا وطَوْقَهم لا يصل إلى ذلك، وإذا كانوا منهم يعرفون ذلك إذا أُتُوا[5] بشيء خرج عن وسعهم أنها آيات.

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[٣٦]

وقوله عز وجل: **والذين كذبوا بآياتنا**، قال الحسن: ديننا. ويحتمل **بآياتنا** حججنا، أي **كذبوا** بحججنا.[6] فإذا كذبوا بحججه كفروا به، لأنه عز وجل لا يُعرف من طريق الحسّ والعيان، ولكن إنما يُعرف من طريق الحجج والآيات والدلائل، فيكون الكفر بآياته وحججه كفرا به. ويشبه أن يكون آياته آيات الرسالة وحججها. ويحتمل آياته هاهنا رسله،[7] أي **كذبوا** برسلنا. سمى رسله آياته، لأن أنفس الرسل كانت آيات للخلق تدلهم على وحدانية الله ورسالتهم من أعلام جُعِلت من أنفسهم من صدقهم وأمانتهم.[8] **واستكبروا عنها**، أي استكبروا [عن] التدبر[9] فيها والنظر. **أولئك أصحاب النار**، لأنهم يصحبون النارَ والسببَ الذي يُوجِب لهم النارَ أبدًا، فسُمُّوا **أصحاب النار** بذلك، كما يقال: صاحب الدار، وصاحب الدابة، لأنه[10] هو يصحبها دائما؛ فعلى ذلك هؤلاء سُمُّوا **أصحاب النار**، لما هم يصحبونها دائما أبدا. ***والله أعلم***.

---

[1] ن ع: فقط.
[2] ك: ما أتوا.
[3] جميع النسخ: لما. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٢٩٩١و.
[4] ك: لما يعلمون؛ ع: ما لا يعلمون.
[5] ن ع م: إذا أوتوا.
[6] ك – أي كذبوا بحججنا.
[7] م + أي كذبوا رسله.
[8] م: وأماناتهم. قال السمرقندي رحمه الله تعالى: «... لأن الخبر الصدق دليل على وجود المخبَر به؛ وقد أقام في أنفسهم أعلاما وأمارات تدل على صحة دعواهم الرسالة من صدق اللهجة وأداء الأمانة والتبرئة عن التزوير والخيانة ونحو ذلك. والرسالة دليل صدق الخبر بيقين. فدل أن الرسل عليهم السلام من آيات الوحدانية. والله الموفق» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩١و).
[9] ع: التدبير.
[10] ك – لأنه.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾[٣٧]

وقوله عز وجل: **فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته**، قد ذكرنا فيما تقدم[١] أن قوله: **فمن أظلم**، إنما هو حرف استفهام وسؤال لم يخرج له جواب، لكن أهل التأويل عرفوا ذلك، فقالوا:[٢] لا أحد **أظلم ممن افترى على الله كذبا**، أجابوا على ما عرفوا من السؤال، وإلّا ليس قوله: لا أحد **أظلم**، تفسير[٣] قوله: **فمن أظلم**. [وقوله عز وجل: **فمن أظلم**] أي لا أحد أفحش ظلما ولا أقبح ظلما **ممن افترى على الله كذبا**، مع علمه أنه خالقه وأنه متقلّب في نِعَمه وأحاطت به أياديه وإحسانه.[٤]

وقوله: **افترى على الله كذبا**، قيل: الافتراء هو اختراع الكذب من نفسه من غير أن سبق له أحد في ذلك، كقوله: يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ،[٥] وأما الكذب[٦] قد يكون مما أنشأه[٧] هو ومما[٨] قد سبق له أحد فسمع منه.[٩] ثم[١٠] افتراؤهم على الله أنواع،[١١] يكون بما قالوا: إن له ولدا، وبما قالوا[١٢] بأن له[١٣] شريكا وصاحبة، وبما عبدوا غير الله وقالوا: مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى،[١٤] و هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ،[١٥] ويكون بما قالوا:[١٦]

---

[١] انظر تفسير الآية من سورة الأنعام، ٢١/٦.
[٢] ع: فقال.
[٣] م: نفسه.
[٤] ك ن + وقوله عز وجل فمن أظلم أي لا أحد أفحش ظلما ولا أقبح ظلما ممن افترى على الله كذبا؛ ع + وقوله عز وجل فمن أظلم أي لا أفحش ظلما وأقبح ظلما ممن افترى على الله كذبا؛ م + وقوله عز وجل فمن أظلم أي لا أفحش ظلما ولا أقبح ظلما ممن افترى على الله كذبا.
[٥] ﴿يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن﴾ (سورة الممتحنة، ١٢/٦٠).
[٦] ع م – الكذب.
[٧] جميع النسخ: مما أنشأ.
[٨] جميع النسخ: وما.
[٩] ن + أحد.
[١٠] ع م – ثم.
[١١] ن + الكذب.
[١٢] ك ن ع: وقالوا.
[١٣] ك: أن له.
[١٤] سورة الزمر، ٣/٣٩.
[١٥] سورة يونس، ١٨/١٠.
[١٦] ك ن ع: ما قالوا.

وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا،[١] ويكون[٢] بما حرموا[٣] من أشياء على أنفسهم فأضافوا ذلك إلى الله، ونحو ذلك من الافتراء.

وقوله عز وجل: **أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب**، اختلف فيه. قال الحسن:[٤] إن[٥] من أطاع الله في أمره ونهيه وأطاع رسله فقد كتبت له الجنة خالدا[٦] فيها أبدا،[٧] فذلك نصيبه وحظه من الكتاب الذي كتب[٨] له؛ ومن عصى الله وخالف رسله كتب له النار خالدا فيها أبدا،[٩] فهو نصيبه من الكتاب. وقال أبو بكر الكيساني: قوله: **أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب**، أي حظهم من الجزاء والعقاب في الآخرة، وهو قول القُتَبي.[١٠] ويحتمل[١١] وجهين آخرين غير هذين. أحدهما ما حرّفوا من الكتب وغيروها ثم أضافوا ذلك ونسبوه[١٢] إلى الله، كقوله: فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ،[١٣] وقوله عز وجل: وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ،[١٤] فصار ما حرّفوا هم[١٥] وغيروه سنة منهم يعملون[١٦] بها إلى يوم القيامة، فينالون هم جزاء ذلك يوم القيامة. والثاني قوله: **ينالهم نصيبهم**، مما كتب[١٧] لهم من الرزق والنعمة، يستوفون ذلك المكتوب لهم ثم يموتون.

---

[١] سورة الأعراف، ٢٨/٧.
[٢] ع – ويكون.
[٣] ك ن ع: ما حرموا.
[٤] ك + إن.
[٥] ن ع م – إن.
[٦] ع: خالدين.
[٧] ع – أبدا.
[٨] م: الذي كتبت.
[٩] ع م – خالدا فيها أبدا.
[١٠] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٦٧.
[١١] ع م: يحتمل.
[١٢] ك: ونسبوها.
[١٣] سورة البقرة، ٧٩/٢.
[١٤] سورة آل عمران، ٧٨/٣.
[١٥] م: حرفوهم.
[١٦] م: يعلمون.
[١٧] ن: مما كتبت.

ثم قوله: **حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم**، على هذا التأويل، **جاءتهم** الرسل تقبض[1] أرواحهم، وهو ظاهر. وعلى تأويل من حمل ذلك على الجزاء في الآخرة فهو يجعل التَّوَفِّيَ[2] النارَ[3] لشدة العذاب وإن كانوا لا يموتون، وهو كقوله: وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا /هُوَ بِمَيِّتٍ،[4] أي يأتيه أسباب الموت. وعلى تأويل من يجعل قوله: **أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب**، في الدنيا في استيفاء الرزق وما كتب لهم يكون قوله: **حتى**، على الإثبات؛ وعلى تأويل من يقول بأن ذلك في الآخرة فيجيء أن يكون على الصلة والإسقاط.[5] [٢٤٧و]

وقوله عز وجل: **أين ما كنتم تدعون من دون الله**، تقول[6] لهم الملائكة [هذا القول] في النار على تأويل هؤلاء؛ وعلى[7] تأويل أولئك عند قبض أرواحهم أو بعد قبض أرواحهم.[8] وقوله: **أين ما كنتم تدعون من دون الله**، أي تعبدون **من دون الله**، وتقولون:[9] هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ،[10] وتقولون:[11] مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى،[12] أو الأكابر التي ذكر بقوله: وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا،[13] **أين** أولئك الذين **كنتم** تعبدون **من دون الله. قالوا ضلوا عنا**، أي **ضلوا عنا** وهلكوا، أي بطلت[14] عبادتنا التي عبدناهم؛ ألا ترى أنه قال في آية أخرى: أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ،[15] أي هلكنا وبطلنا؛

---

[1] ك ع م: بقبض.
[2] جميع النسخ: المتوفى.
[3] ك ن ع: في النار. أي على هذا التأويل يكون هناك تشبيه لشدة عذاب النار بالتوفي وسكرات الموت.
[4] سورة إبراهيم، ١٤/١٧.
[5] قال السمرقندي: «فحرف "حتى" يكون صلة وزائدة على تأويل من جعل النصيب هو الجزاء في الآخرة، كأنه قال: أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم. وعلى تأويل من يقول بأن المراد النصيب المكتوب في الدنيا من الرزق يكون حرف إثبات ليس بصلة ولا زائدة ويكون للغاية، ومعناه: أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب إلى أن جاءتهم رسلنا. والله أعلم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩١ظ).
[6] جميع النسخ: يقول.
[7] م: على.
[8] ع – أو بعد قبض أرواحهم.
[9] ن ع م: ويقولون.
[10] سورة يونس، ١٠/١٨.
[11] جميع النسخ: وقولهم. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩١ظ.
[12] سورة الزمر، ٣٩/٣.
[13] سورة الأنعام، ٦/١٢٣.
[14] جميع النسخ: أي بطل.
[15] ﴿وقالوا أإذا ضللنا في الأرض أإنا لفي خلق جديد﴾ (سورة السجدة ٣٢/١٠).

وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين. فإن كان [المراد] بقوله:[١] **أين ما كنتم تدعون من دون الله**، الكبراءَ منهم والرؤساءَ يكون قوله: **قد ضلوا عنا**، أي شُغِلوا بأمرهم عنا، وإن كان الأصنامَ يكون[٢] قوله: **ضلوا عنا**، أي بطل ما كنا نطمع من عبادتنا[٣] إياهم، وهو قولهم:[٤] شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ.

﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٣٨]

وقوله عز وجل: **قال ادخلوا في أمم**، قوله: **في أمم**، يحتمل مع أمم، وذلك جائز في اللغة، يقال: جاء فلان في جنده. **قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار**، أي[٥] المتبوعين والأتباع جميعا معا. والعرب تضع حروف الخفض بعضها في موضع بعض، كقوله: فَادْخُلِي فِي عِبَادِي،[٦] قيل: مع عبادي. ويحتمل في موضع[٧] "في"[٨] [حقيقة]،[٩] كان المتبوعون[١٠] دخلوا[١١] النار قبل الأتباع، فقيل[١٢] لهؤلاء[١٣] الأتباع:[١٤] **ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار**. وفيه دليل أن الكفار من الجن يُعذَّبون كما يُعذَّب الكفّار من الإنس.

وقوله عز وجل: **كلما دخلت أمة لعنت أختها**، لعن الأتباع المتبوعين لما هم دَعَوهم إلى ذلك وهم صرفوهم[١٥] عن دين الله، كقولهم: إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا،[١٦]

---

[١] جميع النسخ: قوله. والزيادة مع التصحيح مستفادة من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩١ظ.
[٢] ع م: تكون.
[٣] ن: عن عبادتنا.
[٤] م: وهو قوله.
[٥] ع م – أي.
[٦] سورة الفجر، ٢٩/٨٩.
[٧] م: في موضعه.
[٨] ع م – في.
[٩] من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩١ظ.
[١٠] جميع النسخ: المتبوعين.
[١١] جميع النسخ: يدخلون.
[١٢] ع م – فقيل.
[١٣] ع م: بهؤلاء.
[١٤] م – الاتباع.
[١٥] م: وهم صرفوا.
[١٦] سورة سبأ، ٣٣/٣٤.

وكقوله: يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا،[1] وغير ذلك من الآيات؛ ولعن المتبوعون[2] الأتباع لما يزداد لهم العذاب بكثرة الأتباع وبقدرهم، فيلعن بعضهم بعضا. وفيه دلالة[3] أن أهل الكفر وإن اختلفوا في مذاهبهم فهم إخوة وأخوات بعضهم لبعض، كالمؤمنين بعضهم إخوة وأخوات لبعض.

وقوله عز وجل: **حتى إذا ادَّارَكُوا فيها جميعا**، قال بعضهم: هو من التدارك، أي **حتى إذا** تَدَارَكُوا وتتابعوا **فيها**. وقيل: هو من الدرك، لأن النار دركات، لا يزال أهل النار يهوون فيها لا قرار لهم في ذلك، إذ في القرار بعض التسلّي والراحة، فلا يزالون يهوون فيها دركا فدركا؛ وقيل: ولذلك سُمِّي هَاوِيَة.[4] وقيل: **حتى إذا ادَّارَكُوا فيها جميعا**، أي اجتمعوا فيها، فعند ذلك يتلاوم بعضهم بعضا. فإن كان على التدارك فهو كقوله: اُحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ،[5] وإن كان على الاجتماع[6] فهو للتضييق،[7] كقوله: وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ،[8] الآية، ويجتمعون يلعن بعضهم بعضا.

وقوله عز وجل: **قالت أخراهم لأولاهم**، يحتمل قوله: **أخراهم**، الذين كانوا[9] في آخر الزمان، و **أولاهم**،[10] الذين شرعوا لهم ذلك الدين، **ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار**. ويحتمل قوله: **أخراهم**، الذين دخلوا النار أخيرا، وهم الأتباع، **لأولاهم**، الذين دخلوا النار أولا، وهم القادة والمتبوعون؛ **ربنا هؤلاء**، يعني القادة والسادة، **أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار**؛ كقوله: يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا.[11] ويشبه أن يكون قوله: **قالت أخراهم لأولاهم**، ليس على القول بعضهم لبعض، ولكن على الدعاء عليهم واللعن، كقوله: وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا.[12]

---

[1] ﴿يقول الذين استُضعِفوا للذين استكبروا لولا أنتم لَكُنَّا مؤمنين﴾ (سورة سبأ، ٣١/٣٤).
[2] جميع النسخ: المتبوعين.
[3] ك: وفيه دليل.
[4] سورة القارعة، ٩/١٠١.
[5] ﴿احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم﴾ (سورة الصافات، ٢٢/٣٧-٢٣).
[6] ن- الاجتماع.
[7] ك ع م: للتضيق.
[8] ﴿وإذا أُلقُوا منها مكانا ضيقا مُقَرَّنين دعوا هنالك ثبورا﴾ (سورة الفرقان، ١٣/٢٥).
[9] ع م - كانوا.
[10] ك ن: أولاهم.
[11] ﴿يوم تُقَلَّب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا. وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكُبَراءنا فأضلّونا السبيلا. ربنا آتهم ضِعفَين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا﴾ (سورة الأحزاب، ٦٦/٣٣-٦٨).
[12] سورة الأحزاب، ٦٨/٣٣.

وقوله: **فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكلٍ ضِعف**، قال بعضهم: **لكلٍ ضِعف**، النار، لأنها [لا] تزال[١] تزداد وتَعظُم وتَكبُر، فذلك الضِّعْف،[٢] وذلك للأتباع والمتبوعين[٣] جميعا. وقال بعضهم: قوله: **لكلٍ ضِعف**، أي للمتبوعين والقادة ضِعف، قال لهم [ذلك] ملَك أو خَزَنَة [جهنم] أومن كان، ليس لنا إلى معرفة ذلك حاجة، بعد أن يقال لهم ذلك. وقوله عز وجل: **ولكن لا تعلمون**، في الدنيا أن لكم ضِعفا منها. وقيل: **لكل ضعف ولكن لا تعلمون**، للحال بأن لكل ضعفا من النار.

﴿وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾[٣٩]

وقوله تعالى: **وقالت أولاهم لأخراهم**، يحتمل **أولاهم**، ما ذكرنا: الذين شرعوا[٤] لهم ذلك الدين وسَنُّوا لهم، **لأخراهم**، الذين كانوا في آخر الزمان. ويحتمل **أولاهم**، الذين دخلوا النار[٥] أولا، **لأخراهم**، الذين[٦] دخلوا النار أخيرا، وهم الأتباع. **فما كان لكم علينا من فضل**، قيل فيه بوجهين. يحتمل **فما كان لكم علينا من فضل**، في شيء، فقد ضللتم كما ضللنا، أي لم يكن لنا عليكم فضل سلطان، ولا كان معنا حجج وآيات قهرناكم عليها،[٧] إنما دعوناكم إلى ذلك فاستجبتم لنا، وقد كان بُعِث إليكم / الرسل مع حجج وآيات فلم تجيبوهم؛ [٢٤٧ظ] وهو كخطبة إبليس حيث قال: وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ،[٨] الآية، فيقول هؤلاء القادة للأتباع مثل قول الشيطان لحملتهم. وقيل: قوله: **فما كان لكم علينا من فضل**، يعني [في] تخفيف العذاب، أي نحن وأنتم في العذاب سواء، لا فضل لكم علينا من تخفيف العذاب في شيء. أحد[٩] التأويلين في قوله: **فما كان لكم علينا من فضل**،

---

[١] ع م + أن.
[٢] ع: الضعيف.
[٣] جميع النسخ: والمتبوع.
[٤] ك: خزعوا.
[٥] ك ن ع – النار.
[٦] ن م: للذين.
[٧] جميع النسخ: عليه.
[٨] ﴿وقال الشيطان لَمَّا قُضِي الأمر إن الله وعدكم وَعْدَ الحق ووعدتُكم فأخلفتُكم وما كان لِيَ عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمُصْرِخِكم وما أنتم بمُصْرِخِيَّ إني كفرت بما أشركتمونِ مِن قَبْلُ إن الظالمين لهم عذاب أليم﴾ (سورة إبراهيم، ٢٢/١٤).
[٩] ن ع: أخذ.

يرجع إلى الآخرة، والآخر إلى[1] الدنيا.[2] وقوله تعالى: **فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون،** من الشرك والتكذيب لآيات الله، وكذلك جزاء بما كانوا يكسبون ويعملون.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾[٤٠]

وقوله عز وجل: **إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها،** هذا قد ذكرنا فيما تقدم.[3] وقوله عز وجل: **لا تُفَتَّح لهم أبواب السماء،** قال بعضهم: يعني بأبواب السماء أبواب الجنان، لأن الجنان تكون في السماء، فسمي **أبواب السماء** لما الجنان فيها؛ ألا ترى أنه قال: وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ،[4] وما يوعد لنا هو الجنة، ثم أخبر أنها في السماء؛ ألا ترى[5] أنه قال: **ولا يدخلون الجنة،** كأنه قال: **لا تفتح لهم أبواب** الجنان، **ولا يدخلون الجنة**[6] أيضا. وقال آخرون: **أبواب السماء،** هو أبواب السماء؛ وذلك أن أعمال المؤمنين تُرفَع إلى السماء وتصعد[7] إليها أرواحهم، وأعمال الكفرة وأرواحهم تُرَدّ[8] إلى أسفل السافلين، كقوله: إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ،[9] وقال في الكافر: ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ؛[10] فإذا كانت أعمال[11] المؤمنين وأرواحهم تُرفَع إلى السماء وتَصعُد إليها أخبر[12] أنه **لا تُفَتَّح لهم أبواب السماء** ولا لأعمالهم، ولكن تُرَدّ إلى السِّجّين.[13] وأمكن أن يكون على التمثيل، ليس على تحقيق السماء، ولكن ذُكر السماء لما أن السماء هي مكان الطيبات من الأشياء وقرارها، لا مكان الخبائث والأقذار، والأرض هي مكان ذلك.

---

[1] ك ن ع: والآخرة في.
[2] «... فالتأويل الأول يرجع إلى الدنيا والثاني إلى الآخرة» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩٢و).
[3] انظر تفسير الآية ٣٦.
[4] سورة الذاريات، ٢٢/٥١.
[5] ك: ألا يري.
[6] ع م - كأنه قال لا تفتح لهم أبواب الجنان ولا يدخلون الجنة.
[7] ك ن: ويصعد؛ ع م: يصعد.
[8] ن م: يرد؛ ع: يروا.
[9] سورة فاطر، ١٠/٣٥.
[10] سورة التين، ٥/٩٥-٦.
[11] ن: لعمال.
[12] ك ن: وأخبر.
[13] ﴿كلا إنّ كتاب الفُجّار لفي سِجّين. وما أدراك ما سِجّين. كتاب مَرْقوم﴾ (سورة المطففين، ٧/٨٣-٩).

وأعمال الكفرة خبيثة، فكنى عن أعمالهم الخبيثة بالأرض لما أن الأرض[1] هي معدِن الخبائث والأنجاس. وكنى[2] عن أعمال المؤمنين الطيبة بالسماء؛ وهو كما ضرب مَثَل الإيمان بالشجرة[3] الطيبة الثابتة[4] وفرعها في السماء؛ وضرب مَثَل الكفر[5] بالشجرة الخبيثة[6] المجتثّة من فوق الأرض.[7] ليس على أن يكون قوله: فَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ، على تحقيق السماء، ولكن على[8] الوصف بالطيب والقبول؛ فعلى ذلك الأول. وقوله عز وجل: **لا تُفَتَّح أبواب السماء**، لا يستقيم مِثله على الابتداء إلا على نوازل تسبق،[9] خرج ذلك جوابا لها، نحو قوله: وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى،[10] الآية، أو أنْ ذكروا أعمال أنفسهم أنهم يعملون كذا، فقال: **لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة**.

فإن قيل: كيف[11] خوّفهم بما ذكر مِن سدِّ الأبواب عليهم وجَعْلِ النار لهم مِهادا وغَوَاشِي،[12] وهم لا يؤمنون بذلك كله، فكيف خُوّفوا به؟

قيل: إن المرء[13] إذا[14] خُوّف بشيء فإنه يخاف ويهاب[15] ذلك وإن لم يتيقن بذلك[16] ولا تحقّق عنده ما خُوّف به، حتى [إنه] يستعدُّ لذلك[17] ويتهيّأُ[18] وإن كان على شك من ذلك وظن.

---

[1] ع م – لما أن الأرض.
[2] ع: كني.
[3] م: الشجرة.
[4] ع + بالأرض لما أن الأرض هي معدن الخبائث والأنجاس كني عن أعمال المؤمنين الطيبات بالسماء وهو كما ضرب مثل الإيمان بالشجرة الطيبة الثابتة.
[5] ن م: الكفرة.
[6] ن – الخبيثة.
[7] ﴿ألم تَرَ كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبةٍ أصلُها ثابتٌ وفرعها في السماء. تؤتي أُكُلَها كلَّ حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون. ومَثَل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجْتُثَّت من فوق الأرض ما لها من قرار﴾ (سورة إبراهيم، ١٤/٢٤-٢٦).
[8] ع: ولكن عني.
[9] م: تستبق.
[10] سورة البقرة، ٢/١١١.
[11] ن – كيف.
[12] جميع النسخ: وغواشا. انظر الآية التالية.
[13] ع: إن المراد.
[14] ع – إذا.
[15] جميع النسخ + له.
[16] ع – بذلك.
[17] ع: كذلك؛ م: ذلك.
[18] جميع النسخ: ويهيء.

فعلى ذلك هؤلاء خُوّفوا بالنار وأنواع[1] العذاب وإن كانوا شاكّين في ذلك غير مصدّقين لما يجوز أن يَهابوا[2] ذلك. أو أنْ يُخَوِّفُ[3] بذلك المؤمنين، كقوله: وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ،[4] وقوله: وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ.[5] أو أن يكون التخويف[6] لمن آمن منهم بالبعث، لأن[7] منهم من قد آمن بالبعث والجزاء والثواب.

وقوله عز وجل: **ولا يدخلون الجنة حتى يَلِج الجَمَل في سَمّ الخِياط**، هذا على الإياس أنهم لا يدخلون أبدا الجنة، كما لا يدخل ما ذكر[8] في **سَمّ الخِياط**، فهو[9] لا يدخل أبدا. ثم قوله: **حتى يلج الجمل في سم الخياط**،[10] قال بعضهم: **حتى** يدخل البعير في خَرْق[11] الإبرة. وقال ابن عباس رضى الله عنه: **حتى** يدخل الحبل[12] الذي يُشَدّ به السفينة في خَرْق[13] الإبرة.[14] وقال أبو عَوْسَجَة: يعني خَرْق[15] الإبرة أو المِسَلَّة[16] و **الجمل** الحبل،[17] و **الخياط** الإبرة أو المِسَلَّة. وقال ابن عباس رضى الله عنه: ليس بالجمل ذي القوائم،[18] ولكنه الجُمَّل،[19] يعني القَلْس.[20]

---

[1] ك ن: وألوان.
[2] جميع النسخ: أن يهابهم.
[3] جميع النسخ: أن يخوفهم.
[4] سورة آل عمران، ١٣١/٣.
[5] سورة الذاريات، ٥٥/٥١.
[6] ك ع م: التخفيف.
[7] ك – لأن.
[8] ك: ماكر.
[9] جميع النسخ: وهو.
[10] ع م – هذا على الإياس أنهم لا يدخلون أبدا الجنة كما لا يدخل ما ذكر في سم الخياط فهو لا يدخل أبدا ثم قوله حتى يلج الجمل في سم الخياط.
[11] ن: في خرق.
[12] ع م: الجمل.
[13] ن: في خرق.
[14] *تفسير الطبري*، ١٨٠/٨.
[15] ن: خرق.
[16] ن: والمسلة. المسلة هي إبرة الخياطة العظيمة (*لسان العرب* لابن منظور، «سل»).
[17] الجَمَل والجُمَّل والجُمَل والجُمْل و الجُمُل يأتي بمعنى الحبل الغليظ (*لسان العرب* لابن منظور، «جمل»).
[18] جميع النسخ: ذو القوائم.
[19] م – ولكنه الجمل. روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه كان يقرأها بضم الجيم وتشديد الميم: الجُمَّل، وهذه قراءة شاذة؛ كما رويت عنه الموافقة للقراءة المتواترة: الجَمَل. انظر: *تفسير الطبري*، ١٧٩/٨–١٨٠.
[20] ك: التلس. انظر: المصدر السابق. والقَلْس حبل ضخم من لِيف أو خُوص، وقيل: هو حبل غليظ من حبال السفن (*لسان العرب* لابن منظور، «قلس»).

وقال ابن مسعود: هو الجمل ذو القوائم الأربع.[١] *والله أعلم*.[٢]

وقوله عز وجل: **وكذلك نجزي المجرمين**، أي **كذلك نجزي** كل مجرم.

﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾[٤١]

وقوله عز وجل: **لهم من جهنم مهاد**، قيل: الفَرْش، **ومن فوقهم غواش**، هي اللُّحُف.[٣] والغواشي[٤] ما يتغشّاهم فيه النار، تحيط بهم من تحت ومن فوق وأمام وخلف، كقوله: أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،[٥] أي لا يتقي[٦] لما يحيط بهم العذاب، وهو كقوله تعالى: لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ،[٧] الآية، أخبر أن النار تحيط بهم، فعلى ذلك الأول. *والله أعلم*.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[٤٢]

وقوله عز وجل: **والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا إلا وسعها**، قال أبو بكر الكيساني: قوله: **لا نكلف نفسا إلا وسعها**، ليس من جنس ما ذكر من قوله: **آمنوا وعملوا الصالحات**، لكنه صلة قوله: يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ،[٨] يقول: فيما تقدم ذكره **لا نكلف نفسا إلا وسعها**. وأما عندنا فإنه يستقيم أن يُجعَل صلة ما تقدم، أي **لا نكلف نفسا** من الأعمال الصالحات **إلا وسعها**، بل نكلف[٩] دون وسعها ودون طاقتها، **أولئك أصحاب الجنة / هم فيها خالدون**. وقال [٢٤٨و] الحسن: قوله: **لا نكلف نفسا إلا [وسعها**، أي إلا] ما يَسَع[١٠] ويَحِلّ؛[١١] وهو صلة قوله:

---

[١] *تفسير الطبري*، ١٧٨/٨.
[٢] ك ن ع + بما أراد.
[٣] جمع لِحاف.
[٤] م: أو الحواشي.
[٥] سورة الزمر، ٢٤/٣٩.
[٦] ن: لا تبقي.
[٧] سورة الزمر، ١٦/٣٩.
[٨] سورة الأعراف، ٣٥/٧.
[٩] جميع النسخ: بل كلف.
[١٠] ن: ما تسع؛ ع: ما يتسع.
[١١] م: ويحتمل.

وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا [وَاللهُ أَمَرَنَا بِهَا]، يقول: **لا نكلف نفسا إلا** ما يَسَع[1] ويَحِلّ، لا ما لا يَسَع[2] ولا يَحِلّ.

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٤٣]

وقوله عز وجل: **ونزعنا ما في صدورهم من غل**، قال القُتَبي: الغِلّ الحسد والعداوة.[3] وقيل: الغِلّ والغِشّ واحد، وهو ما يُضمِر بعضُهم لبعض من العداوة والحقد. وقيل: الغِلّ[4] الحقد. ثم اختلف فيه؛ قال بعضهم: قوله: **ونزعنا ما في صدورهم من غل**، في الدنيا ينزع الله عز وجل من قلوبهم الغِلّ، يعني من[5] قلوب المؤمنين، ويجعلهم إخوانا بالإيمان، كقوله: إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا،[6] الآية؛ أخبر أنهم كانوا أعداء فألف بين قلوبهم بالإيمان الذي أكرمهم به حتى صاروا إخوانا بعد ما كانوا أعداء. وقال[7] الحسن: ليس في قلوب أهل الجنة الغِلّ[8] والحسد، إذ هما يُهمّان ويُحْزِنان، إنما فيها[9] الحب. وقال[10] بعضهم: هذا في الآخرة، ينزع الله تعالى من قلوبهم الغِلّ الذي كان فيما بينهم في الدنيا، ويصيرون جميعا إخوانا، كقوله: وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ.[11] وروي عن علي رضي الله عنه قال: إني[12] لأرجو[13] أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير[14] من الذين قال الله تعالى:

---

[1] ن ع: ما تسع.
[2] ك ع: لا ما يسع؛ ن: ما لا يسع
[3] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٦٨.
[4] ن – الحسد والعداوة وقيل الغل والغش واحد وهو ما يضمر بعضهم لبعض من العداوة والحقد و قيل الغل.
[5] م – من.
[6] سورة آل عمران، ١٠٣/٣.
[7] م: قال.
[8] ع: والغل.
[9] م: إن فيها.
[10] ع م: قال.
[11] سورة الحجر، ٤٧/١٥.
[12] ع م – إني.
[13] ك: لأرجوا؛ ع: لا أرجوا.
[14] ع: زبير.

وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ.[١] وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: نزلت في علي وأبي بكر وعمر[٢] وعثمان وطلحة والزبير[٣] وابن مسعود وعمار وسلمان وأبي ذر رضوان الله عليهم أجمعين،[٤] فيُنزَع في الآخرة ما كان في قلوبهم من غِشّ بعضهم لبعض في الدنيا من العداوة والقتل الذي كان بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم والأمر الذي اختلفوا فيه، فيدخلون الجنة. هذا -والله أعلم- لأن الذي كان بينهم من الاختلاف والقتال كان دنيويا،[٥] لم يكن بحيث الدين، فذلك يرتفع[٦] في الآخرة ويزول. وأما العداوة التي هي بيننا وبين الكفرة فهي لا تزول أبدا في الدنيا والآخرة، لأنها عداوة الدين والمذهب، فذلك[٧] لا يرتفع[٨] أبدا. ويشبه أن يكون قوله: **ونزعنا**، على ابتداء[٩] النزع، لا على أن كانوا فيه، كقوله تعالى: يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، و مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ،[١٠] على ابتداء[١١] المنع، أي لولا إخراجه إياهم من ذلك وإلا كانوا فيه؛ فعلى ذلك قوله: **ونزعنا**، أي لم نجعل في قلوبهم الغِلّ رأسا، ولو تركهم على ما هم عليه لكان فيهم ذلك. وفيه دلالة أن لله[١٢] في فعل العباد صنعا، لأن الغِشّ والغِلّ[١٣] من فعل العباد، يُذَمُّون على ذلك، ثم أخبر أنه نزع ذلك من قلوبهم، واستأدى منهم الشكر بذلك بقوله: **وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا**، الآية،

---

[١] *تفسير الطبري*، ١٨٣/٨.

[٢] ع م - وعمر.

[٣] ع: زبير.

[٤] أخرج ابن مردويه من طريق مجاهد عن ابن عباس في قوله:﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل﴾، الآية، قال: نزلت في علي وطلحة والزبير. وأخرج الشيرازي في الألقاب وابن مردويه وابن عساكر من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس: ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل﴾، قال: نزلت في عشرة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن مسعود. انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٨٥/٥.

[٥] جميع النسخ: دنيوية.

[٦] ع: يرفع.

[٧] ك: فهذا.

[٨] ع: فذلك يرتفع.

[٩] م: علي الابتداء.

[١٠] ﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات﴾ (سورة البقرة، ٢٥٧/٢).

[١١] م: علي الابتداء

[١٢] ع: أن الله.

[١٣] ع م - والغل.

وقد ذمّ من طلب الحمد على ما لم يفعل،[1] فدلّ طلب الحمد منهم على أن له فيه صنعا، بذلك طلب منهم الحمد. *والله الموفق*.

وقوله عز وجل: **تجري من تحتهم الأنهار**، ذكر هذا -والله أعلم- لما علم عز وجل من طباع الخلق الرغبة في هذه الأنهار الجارية في الدنيا فيما يقع عليها الأبصار، فرغّبهم في الآخرة بما كانت طباعهم وأنفسهم تميل إلى ذلك في الدنيا، ليرغبوا فيما أمر[2] وينتهوا[3] عما نهى. وكذلك جميع ما ذكر في[4] القرآن من القصور والخيام والجواري والغلمان والأكواب والأباريق وغير ذلك مما ترغب[5] طباع الخلق في ذلك في الدنيا وتميل أنفسهم إلى ذلك، وعد لهم في الآخرة ترغيبا منه لهم في ذلك. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا**، قال الحسن وغيره: **هدانا**، دلنا لهذا، **وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله**. وأما عندنا ليس هو هداية الدلالة والبيان، ولكن الهداية التي أكرمهم الله بها بفضله ولطفه، وهو توفيقه إياهم على الهدى، لأنه خرج[6] مخرج الامتنان والفضل، ولو كان دلالة وبيانا لكان لا معنى لذلك المنّة والفضل، لأن عليه الدلالة والبيان. والثاني أنه[7] لو كان على الدلالة والبيان لكان ذلك على كل أحد، على الرسل وغيرهم، لأن عليهم البيان والدلالة، فدلّ أنه ليس على الدلالة والبيان، ولكن غيره.[8] والثالث أنه لا أحد عند نفسه أنه يزيغ ويضل وقت ما هداه الله ووفّقه، وقد يجوز أن يكون ذلك في الدلالة والبيان، دل أنه لم يحتمل ما قال أولئك من الدلالة والبيان. *والله الموفق*. وقال بعض الناس: إن المعتزلة خالفوا الله عما أخبر،[9] وخالفوا الرسل عما أخبروا عن الله تعالى، وخالفوا أهل الجنة والنار، وخالفوا إبليس. أمّا مخالفتهم الله قوله: **وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله**، ونحوه،

---

[1] م: ما يفعل. ﴿لا تحسبنّ الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يُحمَدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم﴾ (سورة ال عمران، ١٨٨/٣).

[2] ع: فيها أمر.

[3] ك: وينهوا؛ ن: وينهي.

[4] ك: ما في.

[5] جميع النسخ: يرغب.

[6] م: إنه خرج.

[7] ع م - أنه.

[8] ك ن ع: غير.

[9] م: أخبروا.

[و]أما مخالفتهم الرسل قوله: وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ،[1] الآية، وقول أهل النار: قَالُوا[2] لَوْ هَدَانَا اللهُ لَهَدَيْنَاكُمْ،[3] وقول إبليس: قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي،[4] فهو أعلم بالله من المعتزلة.[5]

وقوله عز وجل: **لقد جاءت رسل ربنا بالحق**، يحتمل وجوها. يحتمل جاءوا **بالحق**، أي بالدين الذي هو حق، أو جاءوا بالأعمال التي من عمل بها كان صوابا ورشدا، وكل حق هو صواب ورشد. ويحتمل **جاءت رسل ربنا بالحق**، أي بالصدق ونحوه. **بالحق**، له وجهان؛ أحدهما **بالحق** الذي استحقه الله[6] على عباده، والثاني أنهم جاءوا بالذي هو حق في العقول وصواب.

وقوله عز وجل: **ونودوا أن تلكم الجنة**، وقوله: **تلكم**، إنما يتكلم عن غائب، وهم فيها، لكن تأويله / -والله أعلم- أنْ **تلكم الجنة** التي كنتم وُعدتم في الدنيا وأُخبرتم عنها[7] هذه، [٢٤٨ظ] **أُورِثتموها بما كنتم تعملون**، أي أورثكم أعمالُكم[8] [الجنة]. وفيه دلالة أن الإيمان من جملة أعمالهم، حيث قال: **أورثتموها بما كنتم تعملون**، وإنما يُورَث ذلك بالإيمان، وسائر الأعمال[9] إنما تصح[10] بالإيمان. ذكر أنهم أورثوا الجنة بما عملوا، وإن كانوا ينالونها بفضل الله، جزاء وشكرا لقولهم الذي قالوا: **ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله**.

---

[1] ﴿ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يُغْوِيَكم﴾ (سورة هود، ٣٤/١١). وهو من قول نوح عليه السلام.

[2] ن – قالوا.

[3] سورة إبراهيم، ٢١/١٤.

[4] سورة الحجر: ٣٩/١٥.

[5] قال السمرقندي رحمه الله تعالى: «قال بعض أهل العلم بأن المعتزلة خالفوا الله تعالى فيما أخبر، وخالفوا الرسل عليهم السلام فيما أخبروا عن الله تعالى، وخالفوا أهل الجنة والنار، وخالفوا إبليس أيضا؛ أما مخالفتهم الله تعالى ومخالفة أهل الجنة فإن الله تعالى أخبر عن أهل الجنة أنهم قالوا: ﴿الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله﴾، ترغيبا لنا بأن نقول ذلك في الدنيا، ودعانا إلى ذلك، والمعتزلة تقول: ما هدانا الله، ولكنا نخلق ونحدث الهداية في أنفسنا باختيارنا لا بصنع الله تعالى في ذلك. وأما مخالفتهم الرسل عليهم السلام قوله: ﴿ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم﴾، وهم يقولون: إن الله تعالى لا يريد الإغواء. وأما مخالفة أهل النار فإنهم قالوا: ﴿لو هدانا الله لهديناكم﴾، وهم لا يقولون بذلك. وأما مخالفة إبليس قال: ﴿رب بما أغويتني﴾، فهو أعلم من المعتزلة (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩٣و؛ ونسخة المدينة، ورقة ٢٢٥و)».

[6] ع م – الله.

[7] ع: منها.

[8] م – أعمالكم.

[9] ك ن ع + بل.

[10] ن ع م: إنما يصح.

﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[٤٤]

وقوله عز وجل: **ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم**، وما وعد المؤمنين عز وجل [هو] الجنة[١] وما فيها من النعيم واللذات والشهوات، بقوله: وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ،[٢] وقولِه: لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ،[٣] هذا الذي وعد للمؤمنين. ووعد الكفار النار وما فيها[٤] من الشدائد وأنواع العذاب، فأقروا أنهم قد وجدوا ما وعد لهم ربهم.[٥] وقوله عز وجل: **فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا**، إن [كان] المرادُ بالحق الذي ذكر الوعدَ الذي وعدهم[٦] فتفسير[٧] الحق الصدق، وإن كان الموعودَ فتأويله: وجدتموه كائنا حاضرا، وهو ما ذكرنا في قوله: لِيَعْلَمَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا،[٨] كذا.[٩]

فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين، أي وجبت **لعنة الله على الظالمين** الذين وُعدوا في الدنيا. وقوله عز وجل: **فأذن مؤذن بينهم**، يحتمل [**مؤذن**] الملَك، ويحتمل غيره، وليس يُعرَف ذلك إلا بالخبر، وليس لنا إلى معرفة ذلك حاجة.

فإن قيل: يُذكَر في الآية نداءُ أهلِ الجنة أهلَ النار، وأهلِ النار أهلَ الجنة، ونداءُ بعضِهم بعضا لا يكون إلا بحيث يكون بعضهم قريبا من بعض؛ وقد جاء في الأخبار مِن وصف الجنة وسَعتها[١٠]

---

[١] ع م – الجنة.
[٢] سورة الزخرف، ٧١/٤٣.
[٣] ﴿يطاف عليهم بكأس من مَعِين. بيضاءَ لذةٍ للشاربين﴾ (سورة الصافات، ٤٥/٣٧-٤٦)؛ ويقول عز وجل: ﴿وأنهارٌ مِن خمر لذةٍ للشاربين﴾ (سورة محمد، ١٥/٤٧).
[٤] م: وفيها.
[٥] ع: ربكم.
[٦] ك: وعد.
[٧] جميع النسخ: وتفسير.
[٨] ﴿... وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء﴾ (سورة آل عمران، ١٤٠/٣).
[٩] قال السمرقندي رحمة الله عليه: «ثم قوله: ﴿فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا﴾، إن كان المرادُ بالحق الذي ذكره الوعدَ الذي وعدهم فتفسيره الصدق، أي يكون وعده صدقا؛ وإن كان المراد بالحق هو الموعودَ من الجنة ونعيمها فتأويله: وجدتم كائنا حاضرا كما علمتم يقينا بالخبر، وهو كما ذكرنا في قوله: ﴿ليعلم الله الذين آمنوا﴾، أي ليعلمه حاضرا كما علمه معدوما» (شرح *التأويلات*، ٢٩٣و).
[١٠] ع: وسفها.

ما رُوي أن أقل ما يكون لواحد من الجنة مثل عَرْض الدنيا،[١] وما ذُكر أن الحور العين لو نظرت نظرة إلى الدنيا لامتلأت الدنيا من ضوئها ونورها وكذلك من ريحها وعطرها؛[٢] وقد جاء في وصف النار أن شَرارة منها[٣] لو[٤] وقعت في الدنيا لأحرقتها،[٥] أو كلام نحو هذا. فإذا كان بعضهم من بعض بحيث يسمعون بعضهم نداء بعض ألا يتأذّى أهل الجنة بالنار، ولا ينتفع أهل النار بنعيم الجنة، وكيف يُعرَف ذلك؟

قيل -والله أعلم- ذلك[٦] أن الله[٧] قادر[٨] أن يُوقِع[٩] نداءَ هؤلاء بمسامع أولئك،[١٠] ونداءَ أولئك بمسامع هؤلاء، مع بُعد ما بينهما، فيسمع كل فريق[١١] نداء الفريق[١٢] الآخر؛ أو أن يكون[١٣] الله تعالى ينقض بنية هذا الخلق وينشئهم في الآخرة على غير هذه البنية مع ارتفاع الآفات[١٤] والحُجُب، فيسمع بعضهم من بعض[١٥] مِن بُعدٍ الذي ذكر، وينظر بعضهم بعضا،

---

[١] ورد ذلك في حديث طويل، وفيه يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «إني لأعلم آخر أهل النار خروجا منها وآخر أهل الجنة دخولا... فيقول الله له: اذهب فادخل الجنة، فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها... ذاك أدنى أهل الجنة منزلة» (*صحيح البخاري*، الرقاق ٥١؛ وصحيح *مسلم*، الإيمان ٣٠٨).

[٢] عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «... ولو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطّلعت إلى الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأت ما بينهما ريحا...» قال الترمذي: هذا حديث صحيح (*سنن الترمذي*، فضائل الجهاد ١٧).

[٣] ن: من النار.

[٤] ع م - لو.

[٥] ك ع م: لأحرقته. لم أجده بهذا اللفظ. لكن خرج الطبراني من طريق تمام بن نجيح عن الحسن عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «... ولو أن شَرارة من شرار جهنم بالمشرق لوَجَد حرَّها مَن بالمغرب»؛ وتمام بن نجيح تُكُلِّم فيه. وخرج أيضا من طريق عدي بن عدي سنان عن عمر أن جبريل قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: والذي بعثك بالحق لو أن قدر ثقب إبرة فتح من جهنم لمات من في الأرض كلهم جميعا من حره؛ وإسناده ضعيف. انظر: *التخويف من النار* لابن رجب الحنبلي، ٣٨، ٧٠. وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو أن قطرة من الزقّوم قطرت في دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم، فكيف بمن يكون طعامه؟» قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح (*سنن الترمذي*، صفة جهنم ٤).

[٦] ك ن: وذلك.

[٧] ع م - ذلك أن الله.

[٨] ع م: وقادر.

[٩] م: أن يوضع.

[١٠] ن: هؤلاء.

[١١] ك + من.

[١٢] ع + الفريق.

[١٣] ع م: وأن يكون.

[١٤] ك: الآفاق.

[١٥] ن: عن بعض.

لأن في الدنيا الآفات والحُجُب[1] هي[2] التي تمنع ذلك، فإذا ارتفع ذلك كان ما ذكر. ***والله أعلم***. أو يقرّب [الله عز وجل] الجنة من النار والنار من الجنة بحيث يسمع بعضهم من بعض ما ذكر من النداء. أو يجعل ذلك في مسامعهم بما شاء وكيف شاء كتسبيح الجبال وخطاب النمل وجوابه.[3]

﴿اَلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾[٤٥]

وقوله عز وجل: **الذين يصدون عن سبيل الله**، الصد يكون مَنْعَ غيرٍ، ويكون[4] مَنْعَ[5] نفسِه. وقوله عز وجل: **سبيل الله**، قيل: دين الله. قال الحسن: **سبيل الله**، دين الله الذي ارتضى لعباده وأمرهم بذلك وإلى ذلك دعاهم رسله. وقوله عز وجل: **ويبغونها عوجا**، أي يبغون الدين الذي فيه عوج، وهو دين الشيطان، كقوله: وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ،[6] فالعوج هو التفرّق الذي ذكر في تلك الآية. وأمكن أن يكون قوله: **يبغونها عوجا**، أي طعنا في دين الله، وقد كانوا يبغون طعنا في دين الله.

﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾[٤٦]

وقوله عز وجل: **وبينهما حجاب**، يشبه أن يكون ما ذكر من الحجاب ما ذكر في آية أخرى، وهو قوله: فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ،[7] فأمكن أن يكون[8] الحجاب المذكور بينهما هو السور الذي ذكر. ***والله أعلم***.

---

[1] ع م – فيسمع بعضهم من بعض من بعد الذي ذكر وينظر بعضهم بعضا لأن في الدنيا الآفات والحجب.

[2] ن – هي.

[3] ﴿وسخرنا مع داود الجبال يُسَبِّحن والطير﴾ (سورة الأنبياء، ٧٩/٢١)؛ ويقول عز وجل: ﴿حتى إذا أتوا على وادي النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنّكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون﴾ (سورة النمل، ١٨/٢٧).

[4] ن: ويكن.

[5] ك – منع.

[6] سورة الأنعام، ١٥٣/٦.

[7] ﴿يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب﴾ (سورة الحديد، ١٣/٥٧).

[8] ن: أن يكن.

وقوله عز وجل: **وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم**، قال بعضهم: هم[١] قوم استوت حسناتهم بسيئاتهم، لم يُبَشَّروا بالجنة حتى لا يخافوا[٢] عقوبته ولا أُيْئِسوا حتى لا يطمعوا ولا يرجوا[٣] دخولهم فيها. وقال آخرون: هم أهل كرامة الله، أكرمهم الله بذلك، يرفعهم على ذلك السور لينظروا إلى حكم الله في الخلق وعدله[٤] فيهم، وينظرون إلى إحسان الله فيمن يحسن إليه، وعدله فيمن يعاقبهم. وقيل: هم الأنبياء. والأشبه أن يكونوا[٥] الأنبياء، يكونون **على الأعراف**، يشهدون على الأمم، كقوله: فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هٰؤُلَاءِ شَهِيدًا.[٦] وقال قائلون: هم الملائكة؛ لكن ملائكة الله ما يُسَمَّوْن[٧] رجالا،[٨] ولم نسمع[٩] بذلك. *والله أعلم بذلك*.

ثم اختلف فيه؛ قيل: سُمُّوا[١٠] أصحابَ الأعراف، وهو سور بين الجنة والنار، سُمِّي بذلك لارتفاعه،[١١] وكل مرتفع عند العرب أعراف؛ وهو قول[١٢] القُتَبي.[١٣] وقال غيره: **الأعراف** هو [جمع] عُرْف، كعُرْف الديك والفرس، وهو أيضا من الارتفاع. وقال الحسن: هم أصحاب التعريف، يُعَرِّفون أهل النار عدل الله فيهم وحكمه وأنّ ما حَلّ بهم من الشدائد وأنواع العذاب إنما[١٤] حَلّ بهم مما كان منهم في الدنيا مِن صَدِّهم الناس عن سبيل الله[١٥] واستكبارهم على الرسل، يُعَرِّفونهم أنّ ما نزل بهم إنما نزل[١٦] بعدل منه؛ ويُعَرِّفون أهل الجنة فضل الله وإحسانه إليهم

---

[١] ك ع م: هو.
[٢] جميع النسخ: لا يخافون.
[٣] ك ن م: لا يطمعون ولا يرجون؛ ع: لا يطعمون ولا يرجون.
[٤] م: وعدلهم.
[٥] ك: أن يكون.
[٦] سورة النساء، ٤/٤١.
[٧] ع: ما يسمعون.
[٨] ع م: رجلا.
[٩] ن: ولم يسمع؛ ع: لم نسمع.
[١٠] ك: هموا.
[١١] ع: لارتفاع.
[١٢] ع – قول.
[١٣] تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ١٦٨.
[١٤] ع: إن.
[١٥] ع – الله.
[١٦] م – إنما نزل.

أنّ ما نالوا هم[1] إنما نالوا بفضل منه وإحسان.[2] أو [هم] قوم نَصَبَهم الله لمحاجّة أهل النار، كقوله: مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ،[3] / فهذه هي المحاجّة التي يحاجّون بها [٢٤٩و] أهل النار. أو أن يقال: هم قوم نُصِبوا يُتَرْجِمون بين أهل الجنة وأهل النار، يؤدّون كلام بعضهم إلى بعض، ويُنْهُون[4] مخاطبات بعضهم[5] إلى بعض، من ذلك قوله: وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ،[6] وقوله: وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ،[7] ونحوه. والله أعلم مَن هم.

وقوله عز وجل: **يعرفون كلا بسيماهم**، قيل: المؤمن يُعرَف ببياض وجهه، والكافر بسواد وجهه. ويحتمل ما قال الحسن: هو أن يُعرَفوا بالمنازل والأماكن.

وقوله تعالى: **ونادوا أصحاب الجنة**، يعني نادى أصحابُ الأعراف **أصحابَ الجنة أن سلام عليكم**. قوله: **أن سلام عليكم**،[8] ليس أن يقولوا: **سلام عليكم** باللسان خاصة، ولكن [ذلك] في كل[9] كلام سديد وقول حسن وصواب، كقوله: لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا،[10] أي سديدا صوابا؛ وكذلك قوله:[11] وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا،[12] ليس على أن يقولوا: سلام عليكم، ولكن يقولون لهم قولا صوابا مُحْكَما؛ فعلى ذلك الأول.

وقوله عز وجل: **لم يدخلوها وهم يَطمعون**، اختلف فيه؛ قال عامة أهل التأويل: هم أصحاب الأعراف، لم يدخلوا[13] الجنة[14] و **يطمعون**[15] دخولها. وقيل: هم كفار أهل النار،

---

[1] ن ع م: نالوهم.
[2] ع: وإن حسان.
[3] ﴿ونادى أصحاب الأعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون﴾ (سورة الأعراف، ٧/٤٨).
[4] أي يبلغون ويوصلون.
[5] ع م: بعض.
[6] سورة الأعراف، ٧/٥٠.
[7] سورة الأعراف، ٧/٤٤.
[8] ك ع م – قوله أن سلام عليكم.
[9] ع – كل.
[10] سورة مريم، ١٩/٦٢.
[11] م – قوله.
[12] سورة الفرقان، ٢٥/٦٣.
[13] ع م: لم يدخلوها.
[14] ع م – الجنة.
[15] م: وهم يطمعون.

يطمعون أن ينالوا منها، كقوله: أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ قَالُوا إِنَّ اللهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ،[1] إلى هذا الوقت كانوا **يطمعون**[2] دخولها والنيل منها، ثم أيسوا بهذا. وقال بعضهم: هم أهل الجنة، **يطمعون**[3] دخولها قبل أن يدخل أهل الجنة الجنة[4] وقبل أن يدخل أهل النار النار.

﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[٤٧]

وقوله: **وإذا صُرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار**، قيل: **وإذا صُرفت** أبصار[5] أصحاب الأعراف إلى أهل النار، **قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين**، من شدة ما يرون من العذاب وما نزل بهم. وقيل: **وإذا صُرفت** أبصار[6] أهل الجنة **تلقاء أصحاب النار** قالوا ذلك. وفي حرف أُبيّ: **وإذا قُلِبت**[7] **أبصارهم** نحو **أصحاب النار قالوا:**[8] [إنّا] عائذون[9] بك[10] أن تجعلَنا ربَّنا **مع القوم الظالمين**.[11] وقوله عز وجل: **ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين**، إن كان ذلك الدعاء من الأنبياء أو من أهل كرامة الله الذين كانوا على الأعراف فذلك منهم شهادة أنهم[12] ظلمة وكفرة. ومعنى التعوذ منهم[13] من[14] النار لأنهم لم يدخلوا الجنة بعد، فيخافونها[15] لقصورٍ كان منهم في شكر المنعم، أو بالطبع، يتعوذون لما يتعوذ كل أحد إذا رأى أحدا في البلاء.[16] *والله أعلم*.

---

[1] ﴿ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله. قالوا إن الله حرمهما على الكافرين﴾ (سورة الأعراف، ٧/٥٠).

[2] ع: يطعمون.

[3] ع: يطعمون.

[4] ع م – الجنة.

[5] ع: أبصارهم.

[6] ع: أبصارهم.

[7] ن: قلب؛ ع: قبلت.

[8] ك – قالوا.

[9] ك ن ع: عائذ.

[10] م– بك.

[11] قال الآلوسي: «وقرأ الأعمش: وإذا قُلِبت أبصارهم؛ وعن ابن مسعود وسالم مثل ذلك» (*روح المعاني* للآلوسي، ٨/١٢٥).

[12] أي أصحاب النار.

[13] م: عنهم.

[14] م – من.

[15] م: فيخافون.

[16] ن: البلاد.

﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾[٤٨]

وقوله عز وجل: **ونادى أصحاب الأعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم**، قال عامة أهل التأويل: يُعرَفون بسواد الوجوه وزُرْقة العيون.[١] ولكن أمكن أن يُعرَفوا بالأعلام التي كانت لهم في الدنيا سِوى سواد الوجوه، لأنهم يخاطبونهم بقوله: **قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون،** فلو لم يعرفوهم[٢] بآثارٍ كانت لهم في الدنيا لم يكونوا يعاتبونهم[٣] بجمع الأموال والاستكبار في الدنيا، ولا يقال للفقراء ذلك، إنما يقال ذلك[٤] للأغنياء، لأنهم هم الذين يجمعون الأموال وهم المستكبرون على الخلق؛ كقوله: وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ.[٥] ويشبه أن[٦] يخاطَب الكل، وفيهم من قد جمع واستكبر، وذلك جائز. هذا على تأويل من يجعل أصحاب الأعراف الذين استوت حسناتهم بسيئاتهم.

﴿أَهٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللهُ بِرَحْمَةٍ اُدْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾[٤٩]

وقوله عز وجل: **أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة**، قال عامة أهل التأويل: أقسم[٧] أهل النار أن أصحاب الأعراف لا يدخلون الجنة ولكن[٨] يدخلون النار معهم، فتقول[٩] الملائكة لأهل النار: **هؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة. ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون**. ويحتمل أن يكون القسم الذي ذكر في الآية كان منهم في الدنيا، كانوا[١٠] يقسمون أن لا يدخل[١١] هؤلاء الجنة، يعنون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم؛

---

[١] ك ن: العين.
[٢] ن: يعرفوا؛ م: يعرفهم.
[٣] ك: يعاتبوهم.
[٤] م – ذلك.
[٥] سورة سبأ، ٣٥/٣٤.
[٦] ن + يكون.
[٧] ن ع م: أقسمتم.
[٨] م + ولكن.
[٩] ك: فيقول.
[١٠] جميع النسخ: قالوا.
[١١] ك ن ع: لا يدخلون؛ م: يدخلون.

كقوله: لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ،[١] كانوا يقولون: إن الذي هم عليه لو كان خيرا لنالوا هم[٢] ذلك، إذ نالوا هم[٣] كل خير في الدنيا، يعنون أنفسهم، فعلى ذلك ينالون في الآخرة مثله، ونحو ذلك من الكلام الذي[٤] يقولون في الدنيا، فيقولون لهم في الآخرة: **هؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة**. وأمكن أن يكون قوله: **ادخلوا الجنة**، لأهل الجنة قبل أن يدخلوها.

وقوله عز وجل: **لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون**، قال الأصم: يكون الحزن في فوت كل محبوب، والخوف في نيل كل مكروه، كقول يعقوب: إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ،[٥] ذكر الحزن عند فوت محبوبه والخوف عند نيل المكروه. ولكن عندنا الحزن إنما يكون بفوت الموجود من المحبوب، والخوف[٦] بما سيصيبه من المكروه.

﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ قَالُوا إِنَّ اللهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[٥٠]

وقوله عز وجل: **ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله**، قال الحسن: الماء مما رزقهم الله،[٧] ولكن مكرّر مَثْنَى. وقال أبو بكر [الأصم]: طلبوا الماء ليدفعوا عن أنفسهم ما اشتد بهم من الظمأ والعطش، ثم تقع لهم الحاجة إلى الطعام، لأن الرجل إذا اشتد به العطش والظمأ لا يتهيأ له الأكل. / ولكن يشبه أن يكون طَلَبَ [٢٤٩ظ] بعضُهم الماءَ وبعضُهم الطعامَ الذي رزقهم الله. وهذا جائز وإن لم يُذكَر، كقوله: وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى،[٨] لم يكن هذا القول من الفريقين، ولكن كان من اليهود [قولهم]: إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا، و[كان] من النصارى: أَوْ نَصَارَى؛ فعلى ذلك هذا. *والله أعلم*.

---

[١] ﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه﴾ (سورة الأحقاف، ١١/٤٦).

[٢] م: نالوهم.

[٣] م: لنالوهم.

[٤] ن: الذين.

[٥] سورة يوسف، ١٣/١٢.

[٦] ك - والخوف.

[٧] أي مما رزق الله أصحاب النار.

[٨] سورة البقرة، ١١١/٢.

وقوله عز وجل: **إن الله حرّمهما على الكافرين**، قيل: هذا مقابل قولهم في الدنيا للمؤمنين: أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللهُ أَطْعَمَهُ،[1] قال لهم المؤمنون في الآخرة مقابل ما قالوا لهم في الدنيا: **إن الله حرّمهما على الكافرين**. وهذا[2] -والله أعلم- ليس على التحريم، ولكن على المنع، لأن الكفرة لا يُبالون[3] بعد أن نالوا ذلك حراما كان أو حلالا، ولكن على المنع، كقوله: وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ،[4] ليس هو تحريمَ حرمةِ أكلٍ، ولكن [تحريم] منعٍ. ويشبه أن يكون ذلك محرّما على المؤمنين: إطعام الكافرين من ذلك.[5]

﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هٰذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾[٥١]

وقوله عز وجل: **الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا**، قال الحسن: **اتخذوا دينهم**، الذي كُلِّفوا به[6] وأُمِروا أن يأتوا به، **لهوا ولعبا**. وجائز أن يكون قوله: **اتخذوا دينهم لهوا ولعبا**، أي اتخذوا[7] دينهم الملاهي التي كانوا يَلهُون بها[8] ويلعبون، كقوله: وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً.[9] أي **اتخذوا دينهم**، الذي دانوا[10] به، **لهوا ولعبا**؛ لأنهم كانوا ينكرون البعث،[11] وفي إنكارهم البعث[12] إنكار الجزاء للحسنات والسيئات، وفي الحكمة إيجاب ذلك. فمن لم ير ذلك فهو لاه ولاعب. واللهو واللعب هو الذي لا عاقبة له، وكل من عمل عملا لا عاقبة له فهو لعب ولهو، وكل من يعمل لعاقبة فهو ليس بلعب ولا لهو، وهم كانوا يعملون لا لعاقبة، لذلك كان لهم[13] **لهوا ولعبا**.

---

[1] ﴿وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه﴾ (سورة يس، ٤٧/٣٦).
[2] ن: هذا.
[3] جميع النسخ: لا ينالون.
[4] سورة القصص، ١٢/٢٨.
[5] وعبارة السمرقندي هكذا: «ويحتمل أن يكون المراد تحريم الإطعام على المؤمنين للكافرين من طعام الجنة ونعيمها» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩٤و).
[6] ك - به.
[7] ك - اتخذوا.
[8] ك ن ع: به؛ م - به.
[9] ن- أي اتخذوا دينهم الملاهي التي كانوا يلهون بها ويلعبون كقوله وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء. والآية في سورة الأنفال، ٣٥/٨.
[10] ك: كانوا.
[11] ن + بعد الموت.
[12] ن + بعد الموت.
[13] ك - لهم.

وقوله عز وجل: **وغرتهم الحيوة الدنيا**، قال بعضهم: إن الحياة الدنيا لا تَغُرّ[١] أحدا، ولكن أضيف إليها[٢] التغرير لما كانت[٣] سببا من أسباب الاغترار بها، فأضيف إليها، كقوله: فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا،[٤] أضاف[٥] الفرار إلى الدعاء؛ وقد[٦] يضاف الشيء إلى سببه، كقوله: وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا،[٧] أي يُبصَر به. وقال بعضهم: أضيف ذلك إليها لما كان منها من السبب من [حيث] الهيئة ما لو كان ذلك[٨] من ذي العقل والتمييز كان ذلك تغريرا[٩] من نحو التزيين وغيره. وجائزٌ إضافةُ التغرير إليها على إرادة أهلها، أي غرّهم أهلها، وهم القادة والرؤساء.

وقوله[١٠] عز وجل: **فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا**، لا يجوز أن يضاف النسيان إلى الله تعالى بحال، ولكن يجوز أن يقال: إنه[١١] يجزيهم جزاء نسيانهم، فسُمّي الثاني باسم الأول وإن لم يكن الثاني نسيانا؛ نحو قوله: وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا،[١٢] والثانية[١٣] ليست بسيئة ولكن جزاء السيئة، لكنه سماها باسم السيئة لما هي جزاء لها، فعلى ذلك هذا؛ وكقوله: فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ،[١٤] والثاني ليس باعتداء ولكنه جزاء الاعتداء، فسماه باسم الاعتداء لما هو جزاؤه، فعلى ذلك سمي الثاني نسيانا لأنه جزاء النسيان، وإن كان الله لا يجوز أن ينسى أو يسهو عن شيء أو يغفل،[١٥] ولأن في النسيان تركا، وكل مَنسِي متروك، فيتركهم في العذاب والهوان كما تركوا هم[١٦] أمر الله ونهيه في الدنيا.

[١] ع م: لا تغرن.
[٢] جميع النسخ: إليه.
[٣] ع م: كان.
[٤] ﴿قال ربِ إني دعوت قومي ليلا ونهارا. فلم يزدهم دعائي إلا فرارا﴾ (سورة نوح، ٧١/٥-٦).
[٥] ن + الدعاء.
[٦] ك: قد.
[٧] ﴿هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا﴾ (سورة يونس، ١٠/٦٧).
[٨] ن - ذلك.
[٩] جميع النسخ: غرورا.
[١٠] ك: كقوله.
[١١] ع م - إنه.
[١٢] سورة الشورى، ٤٢/٤٠.
[١٣] ع: والثاني.
[١٤] ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾ (سورة البقرة، ٢/١٩٤).
[١٥] ع: يعقل.
[١٦] ع م: تركوهم.

وقال الحسن: إن الله لا ينسى شيئا ولا يسهو،[1] ولكن الكفرة يكونون[2] عن[3] الكرامة والرحمة والمنزلة[4] [بمَعْزِل] كالشيء المنسي، وعن العذاب والهوان[5] لا [يكونون كذلك]، أو كلام نحو هذا.

وقوله عز وجل: **وما كانوا بآياتنا يجحدون**، قال بعضهم: "ما" هاهنا صلة، كأنه قال: وكانوا **بآياتنا**. وقال بعضهم: هو على ما ذكر، أي اليوم **ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا**، وكما **كانوا بآياتنا يجحدون**.

﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[٥٢]

وقوله عز وجل: **ولقد جئناهم بكتاب فصّلناه**، يحتمل قوله: **فصّلناه**، بيّناه، والتفصيل التبيين. ويحتمل قوله: **فصلناه**، أي فَرَقْناه في إنزاله، لم ننزله[6] جملة واحدة، كقوله: وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ،[7] أي فرقناه في الإنزال على قدر النوازل بهم، ليعرفوا[8] حكم كل آية نزلت بالنوازل التي وقعت بهم، لا تقع لهم الحاجة إلى معرفة ما في كل آية نزلت عليهم على حدة، بل يعرفون ذلك بالنوازل. أو أنزله مفرَّقا[9] [لأن][10] معرفة ما فيه من الأحكام[11] إذا كان مُنْزَلا بالتفاريق أهون وأيسر على الطباع من[12] معرفة ما فيه إذا أنزل[13] جملة. ثم قوله: **فصّلناه على علم**، يحتمل وجوها. يحتمل **فصلناه**، أي بيّناه بالحجج والبراهين، **على علم** منه أن الخلائق لا تقوم بإتيان مثله، ليُعلَم أنه من عنده نزل. أو أنزله مفصّلا **على علم** منه بمن يصدقه ويتبعه وبمن يكذبه ولا يتبعه. أو **على علم** منه بمصالح الخلق أن إنزاله أصلح[14] للخلق.

---

[1] م: يسهوه.
[2] ن - يكونون.
[3] ع م: على.
[4] ك - والمنزلة.
[5] ك: والعوان.
[6] ك: لم ينزل؛ ن: لم ننزل.
[7] ﴿وقرآنا فَرَقْناه لتقرأه على الناس على مُكْثٍ ونزلناه تنزيلا﴾ (سورة الإسراء، ١٧/١٠٦).
[8] ع م: ليعلموا.
[9] جميع النسخ + أو أن يكون.
[10] التصحيح والزيادة من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩٤و.
[11] ك + مما.
[12] ع م: عن.
[13] ن ع م: إذا نزل.
[14] ع م: صلح.

أو[1] **على علم** منه بمعاملة القوم إياه أنزله، لأن المنفعة في إنزاله للمنزَل عليهم لا للمرسِل والمنزِل،[2] فضرر[3] الرد والمنفعة لهم.

وقوله: **هدى ورحمة لقوم يؤمنون**، قال أبو بكر: هو **هدى** للكل، للمؤمن[4] والكافر جميعا، **ورحمة** للمؤمنين خاصة. وأما عندنا فهو هدى للمؤمنين وعَمى على الكافرين على ما ذكر: وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى.[5] خص المؤمنين بالهدى لهم، لأنهم هم المخصوصون بالانتفاع به دون / أولئك، [٢٥٠و] وعلى أولئك عمى ورجس على ما ذكر، وصار للمؤمنين حجة على أولئك، كقوله:[6] فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ، هذا للكافرين، وقال للمؤمنين: فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا.[7]

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾[٥٣]

وقوله عز وجل: **هل ينظرون إلا تأويله**، أي ما **ينظرون إلا** وقوع ما وعد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من نزول بأس الله بهم، أي لا يؤمنون إلا بعد[8] وقوع البأس[9] بهم، لكن لا ينفعهم إيمانهم في ذلك الوقت. **يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل**، والتأويل هو ما ينتهي إليه الأمر ويئول وما يقع بهم من البأس الموعود لهم وإيمانهم [على] ما ذكر من قولهم: **قد جاءت رسل ربنا بالحق**، يعني **بالحق** الواقع بهم من بأس الله الذي كانت الرسل تَعِد لهم، أي أن ما وَعَدوا من وقوع البأس بنا كان حقا. ويحتمل قوله: **قد جاءت رسل ربنا بالحق**، أي بالتوحيد، أي إن الذي جاءت به الرسل في الدنيا من التوحيد كان حقا؛ أو إن الذي أخبر الرسل عن هذا[10] اليوم كان حقا.

---

[1] جميع النسخ: أي؛ والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩٤و.
[2] ع م: والمرسل.
[3] م: فضر.
[4] ك - للمؤمن.
[5] ﴿قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وَقْر وهو عليهم عَمى﴾ (٤١/٤٤).
[6] جميع النسخ: وقوله.
[7] ﴿وإذا ما أُنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون. وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون﴾ (سورة التوبة، ٩/١٢٤-١٢٥).
[8] ن - بعده، صح هـ.
[9] ع: الإلباس.
[10] ع م: من هذا.

وقوله عز وجل: **فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا**، كأنهم[1] إذا حلّ بهم ووقع ما أوعد لهم الرسول من البأس تمنوا عند ذلك الشفعاء الذي كانوا يعبدونهم في الدنيا، كقولهم: هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ؛[2] أو طلبوا الشفعاء كما كانوا يطلبون في الدنيا **شفعاء** إذا بدا لهم أمر[3] عظيم، فيُشَفِّع بعضهم بعضا ويعين بعضهم بعضا في هذه الدنيا، فعلى ما كان لهم في الدنيا تمنوا في الآخرة ذلك. فإذا أيسوا عن ذلك وأيقنوا أنْ لا شفيعَ يشفع لهم فعند ذلك قالوا: **أو نُرَدُّ فنعملَ غير الذي كنا نعمل**، لا أنهم قالوا ذلك مجموعا؛ كقوله:[4] يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا -إلى قوله- لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ؛[5] قال[6] بعضهم: لَوْ رُدُّوا في الدنيا لَعَادُوا[7] إلى مَا نهُوا عَنْهُ؛ وقال آخرون: لَوْ رُدُّوا إلى المحنة، إلى الأمر والنهي، لصاروا إلى العمل الذي كانوا يعملونه. ثم أخبر أنهم **قد خسروا أنفسهم**، بعملهم الذي عملوا في الدنيا وبعبادتهم[8] غير الله، **وضل عنهم ما كانوا يفترون**، أي بطل **عنهم ما كانوا يفترون**، أن هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ، وقولهم:[9] مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى،[10] وغير ذلك من الافتراء؛ ذلك كله قد بطل عنهم، فبقوا حيارى، وانقطع رجاؤهم وأملهم الذي طمعوا. قوله: **قد خسروا أنفسهم**، من رحمة[11] الله؛ وقيل: مما وُعِدوا لو أطاعوا؛ وقيل: أهلكوها.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[٥٤]

وقوله عز وجل: **إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام**،

---

[1] ك: كأنه.

[2] ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ (سورة يونس، ١٠/١٨).

[3] ك: من.

[4] ن: كقولهم.

[5] ﴿ولو ترى إذ وُقِفوا على النار فقالوا يا ليتنا نُرَدّ ولا نُكذّب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين. بل بَدَا لهم ما كانوا يُخفون من قبل ولو رُدُّوا لعادوا لما نهُوا عنه وإنهم لكاذبون﴾ (سورة يونس، ١٠/٢٧-٢٨).

[6] جميع النسخ: وقال.

[7] م – في الدنيا لعادوا.

[8] م: وبعباداتهم.

[9] ع م: وقوله.

[10] سورة الزمر، ٣٩/٣.

[11] جميع النسخ: عن رحمة؛ والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩٤ظ.

وذكر "ما بينهما" في مواضع،[١] و لم يذكر في مواضع،[٢] وذلك داخل في ذلك على ما جرى التفسير في ذلك[٣] بقوله: ﴿قُلْ أَإِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾، الذي صنع[٤] ذلك، ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾، ثم جمع اليومين الأولين مع هذا الذي ذكر[٥] ذا[٦] فيه وقال: ﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ﴾، ليُعلَم أن ذا[٧] خُلق في يومين، ثم قال: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ -إلى قوله- ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾،[٨] فتصير[٩] ستة أيام[١٠] التي أبهمها في غير ذلك.[١١] *والله أعلم*.

ثم قد بين عز وجل فساد[١٢] قول[١٣] كل[١٤] مَن عبد[١٥] غيره، وعَجْزَ كلٍّ ذلك عمّا له يُعبَد وجهلَه بمعنى العبادة وخروجه عن الاستحقاق، بما فيه من آثار[١٦] التدبير، وعليه من دلالة التقدير، واستحقاقِ جميع معاني الخلقة، ودخوله تحت الصنعة، وحاجته إلى من احتاج إليه كلٌّ، مما هي التي تبعث على العبادة، وتوجب إظهار الذلة[١٧] والخضوع لمن هو كذلك في الخلقة والجوهر.

---

[١] سورة الفرقان، ٢٥/٥٩؛ وسورة السجدة، ٣٢/٤؛ وسورة ق، ٥٠/٣٨.
[٢] سورة يونس، ١٠/٣؛ وسورة هود، ١١/٧؛ وسورة الحديد، ٥٧/٤.
[٣] ع م - على ما جرى التفسير في ذلك.
[٤] ع: منع.
[٥] ع: ذكروا.
[٦] ع - ذا.
[٧] ك: ماذا.
[٨] ﴿قل أإنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين. وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدّر فيها أقواتها في أربعة أيام سواءً للسائلين. ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين. فقضاهنّ سبع سماوات في يومين وأوحى في كل سماءٍ أمْرَها وزينّا السماء الدنيا بمصابيحَ وحِفْظًا ذلك تقدير العزيز العليم﴾ (سورة فصلت، ٤١/٩-١٢).
[٩] ك: فيصير.
[١٠] ك ن م: الأيام.
[١١] قال الشارح: «... فيصير الجملة ستة أيام؛ فقد ذكر في الستة على التفاريق خلق السماوات والأرض وما بينهما من الرواسي والأقوات وغيرها، فدل أن ذلك داخل في الستة التي ذكرها في بعض المواضع» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩٤ظ).
[١٢] ك: معاد.
[١٣] ن: قيل؛ ع: غير.
[١٤] ك - كل.
[١٥] ن ع: من عند.
[١٦] ع م: عن آثار.
[١٧] ن: الذل.

فألزمهم الفزع إلى من يدلهم إلى الرب الحق، ويدعوهم إلى المعبود المتعالي عن الأشباه والأضداد بما يوجب الشَّبَه المشاكَلة،[1] وفي وجوب ذلك[2] دليلُ[3] جاعلٍ أخذ له شكلا،[4] وذلك آية الصنعة ودلالة الحدث. وفي تحقيق الضد خوف ذهاب وفساد،[5] فتضمحلّ[6] الألوهية، وتستوجب[7] حق الدخول تحت التقدير، والقيام على ما[8] شاء من له التدبير، جلّ الله سبحانه عن توهم ذلك. فأكرم مَن بَعثته[9] الحاجة إلى معرفته[10] ورَفَعته[11] الخلقةُ إلى العلم بمن أَنعم عليه، واختصّه مِن بين كثير مِن خلقه بما ركّب فيه ما به يدبر أمر غيره، وبه يَعرف قدر النعم عليه لمن أكرمه به، ليشكر له فيما أَوْلاه، ويحمده على ما[12] أعطاه. فمنّ بإظهار ذلك على لسان رسوله الذي عرفه[13] خلقه بما نصب من أدلة صدقه، وأثار[14] مِن حُججِ عصمتِه عن الكذب صِدقَه[15] فيما يُنبئ، وإصابته فيما يخبر، فقال: **إن ربكم الله الذي**، لا رب لكم[16] سواه ولا لأحد من الخلائق، هو الله الذي لا إله غيره، ليوجهوا إليه العبادة في الحقيقة، وليؤدوا إليه شكر ما أنعم عليهم، وإن كانت نعمه أعظم من أن يَجزيها العباد، وحقه أجلَّ مِن أن يقوم به العباد. ولو لا[17] أن الله سبحانه لم يَرِد من البيان على ربوبيته

---

[1] م: والمشاكلة.
[2] ن - ذلك، صح هـ.
[3] ع - دليل.
[4] أي الرب الحق والمعبود الحقيقي يكون منزها عن الشبه، إذ الشبه يوجب أن يكون له مثلا. فإذا تصورنا أن له مثلا فيجب أن يكون هناك خالق آخر جعل له مثلا.
[5] لعل المؤلف رحمه الله يشير إلى قوله تعالى: ﴿ما اتّخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذًا لَذَهَب كل إله بما خلق ولَعَلَا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون﴾ (سورة المؤمنون، ٩١/٢٣)، وقوله: ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لَفَسَدَتَا فسبحان الله رب العرش عما يصفون﴾ (سورة الأنبياء، ٢٢/٢١).
[6] جميع النسخ: فيضمحل.
[7] ع: يستوجب؛ م: تستوجب.
[8] ع - ما.
[9] ك ن ع: من يبعثهم.
[10] ع: معرفة.
[11] ن ع: ورفعة.
[12] ع م - ما.
[13] جميع النسخ: عرف.
[14] ك ع: وأنا؛ ن: وأنار.
[15] م - صدقه.
[16] ع م: غيركم.
[17] م: لو لا.

والدليل على ألوهيته[١] سِوى ما أنطق به[٢] لسانَ رسوله -بعد الإيضاح أنه لا ينطق إلا بالحق ولا يقول إلا الصدق- لكان ذلك بيانا شافيا، لكنه بفضل رحمته بيّن الأدلة التي تُحقق ذلك وتُعلم أنه كما جاء به[٣] رسوله إلا أن يُعانَد الحقُّ ويُكابَر العقلُ، / فقال عز وجل: **الذي خلق السماوات والأرض**، إلى آخر ما ذكر من دلالة[٤] خلق ما ذكر، فيما ذكر[٥] من آثار التدبير وعجيب التقدير الذي به قوام كلٍ ممن يحتمل المنافع والمضار، واتصالِ[٦] ما بين السماء والأرض -على تباعد بعضٍ مِن بعضٍ- في المنافع. مع جمع الأضداد التي مِن طَبْعها التنافر في أصل ما ذكر، حتى صارت كالأشكال، بعد أن كانت السماوات والأرض مُستبهِمة[٧] لا تَشعُر بما فيها من الحكمة، ولا بالذي فيها[٨] مِن أنّه مِن أيّ وجهٍ يقضي الحاجة، ليدل أن مدبر الكل واحد، وأنه عليم حكيم وَضَع كل شيء موضعه،[٩] ودل كلَّ ذي عقل على الوجه الذي يظفر بحاجته ويقيم به أَوَدَه[١٠] ويصل إلى بُغيته. وسخّر الذي ذكر،[١١] فصيّر كلا من ذلك جاريا دائبا بما لا ينتفع هو[١٢] به ولا مضرّة عليه فيه، ليُعلَم أنه لغيره قدّر، ولحاجات[١٣] غيره سُيّر. وكذلك الذي جبل على القرار[١٤] وأمسك عن الزوال[١٥] من غير أن كان[١٦] له في حقيقة أحد الوجهين نفع أو ضرر ليُعلَم أن تدبير ذلك جرى لا له ولكن لأهله[١٧] الممتحنين الذين بهم يظهر العز والشرف، [٢٥٠ظ]

---

[١] ك ن: على آلهيته.
[٢] ن ع م + على.
[٣] جميع النسخ: كما اجابه؛ والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩٤ظ.
[٤] م: ذكر دلالة.
[٥] م - فيما ذكر.
[٦] ك ن ع: وايصال.
[٧] جميع النسخ: مشتبهة؛ والتصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة المدينة، ورقة ٣٢٧و.
[٨] جميع النسخ: فيه.
[٩] سقط من نسخة كوبريلي ابتداء من هنا مقدار ما يزيد على صفحة. انظر: نسخة ك، ورقة ٣٢٥و/سطر ٨؛ ونسخة م، ورقة ٢٥٠ظ/سطر ٥ - ٢٥١و/سطر ١٣.
[١٠] آده الأمر يئوده أَوْدا: بلغ منه المجهود والمشقة... وأقام أَوَدَه: أي عِوَجه (*لسان العرب* لابن منظور، «أود»).
[١١] أي الشمس والقمر والنجوم كما ذكر في الآية.
[١٢] ع - هو.
[١٣] ع م: ولحاجة.
[١٤] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿الله الذي جعل لكم الأرض قرارا﴾ (سورة المؤمن، ٦٤/٤٠).
[١٥] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا﴾ (سورة فاطر، ٤١/٣٥).
[١٦] ن: أنه كان.
[١٧] م: لأهل.

ويُنال[1] الجود والكرم، ويَعظُم الملك والسلطان، إذ عندهم تمييز الأحوال وتفريق الأمور وتوجيه كلٍ إلى حقه وإعطاء كل ذي فضل فضله، ليَعلم[2] مَن هذا وَصْفُه أنه لم ينشأ عبثا ولا خُلِق باطلا؛ [لأنه] إذ به يَعظُم قَدْر[3] كل خلق ويَشْرُف جلالة كل جليل لم يجز إهمال[4] مثله، فيكون خلق الجميع لغير شيء. مع ما في ذلك مِن فنائِه وتبدُّدِه الذي في الحكمة قَصْدُ مثلِه في العقل يوجب العبث، ثبت أنه خُلق للمحنة ولدار البقاء. لكن جعل البقاء جزاء والفناء محنة ليكون البقاء هو المنتهي. [ولو أنه جعل الدنيا دار بقاء وهي دار محنة أبدا بطل القول بالجزاء، لأن الجزاء يكون بعد الفراغ من العمل، وإذا كانت المحنة باقية كان العمل واجبا أبدا، لا يمكن القول بالجزاء، فيبطل الجزاء،][5] فيعظم القصد في الابتداء،[6] إذ فاسد أن يجعل المحنة للبقاء فيدل على حاجة الممتحن، مع ما في ذلك زوال الجزاء، إذ محال تقديمه على ما له الجزاء. *والله الموفق*.

ثم الأصل أن الله سبحانه جعل العقل جزءا[7] من عالمَه، وجعله دليلا لأهله في معرفة المساوي والمحاسن، وعَلَما للتمييز بين الحكمة والسفه وبين الإتقان والعبث، وجعله بالذي يعرف المحمود من المذموم، والمرغوب فيه من المزجور[8] عنه، فلم يجز أن يكون إنشاء[9] كل العالم على غير الحكمة، لأنه سفه، وهو بالذي[10] [هو][11] جزء من العالم[12] يُعلَم به الذميم[13] من الحميد،

---

[1] ن ع: وينيل؛ م: ونيل.
[2] ع م: فيعلم.
[3] ع + قدر.
[4] ن ع م: إمهال؛ والتصحيح مستفاد من *شرح التأويلات*، ورقة ٢٩٥و.
[5] الزيادة من *شرح التأويلات*، ويبدو أنها سقطت من النسخ. وزاد الشارح موضحا: «أي إذا جعل دار الدنيا للامتحان على سبيل الدوام يكون خَلْقُها لحاجة الممتحِن أراد به نفسه، كمن يأمر عبده في الشاهد التكليف والمحنة أبدا لحاجته إلى ذلك، والله تعالى غني بذاته عن الحاجات» (*شرح التأويلات*، ورقة ٢٩٥و؛ ونسخة المدينة، ورقة ٣٢٧و-٣٢٧ظ).
[6] لعله يريد: فكأنه يخرج أمر الله تعالى بالعمل مخرجا لا يوصف بالحكمة.
[7] ع م: جزء.
[8] ع: فيه والمزجور.
[9] ع م: أنشأ.
[10] ن: وهو الذي.
[11] من *شرح التأويلات*، ورقة ٢٩٥و.
[12] ع م: من المعالم.
[13] ن: يعلم بالذميم.

ثبت أنه أُنشِئ للحكمة. وعلى ذلك تقدير كل عاقل، على احتمال ما يضره وينفعه بحق الجزاء والمحنة، فثبت أن ذلك[١] للمحنة. وإن المحنة[٢] ثم الهلاك بلا جزاء ولا نفع[٣] للممتحَن عبث أيضا وسفه، فلزم به القول بالبعث، وإثبات دارين. مع ما كان لكل شاهدٍ دليلُ غائب يُحمَد عليه أو يُذَمّ، فكذا[٤] فِعلُ كلِ ذي عقل إنما هو لعاقبةٍ يُحمَد عليها[٥] أو يَغفل عنها[٦] فيُذَمّ[٧] عليها،[٨] فعلى ذلك أَمْر تدبير هذه الدار من الأخرى.[٩] ولا يجوز[١٠] أن يخلي الجملة عن الدلالة، ولا يخلو كل جزء منها أو جملة[١١] الأفعال عن العواقب،[١٢] والواحد منها إذا خرج يصير عبثا وسفها. فثبت بالذي ذكرت القول بالتوحيد وبالدارين وبالرسالة، إذ بها يُعرَف العواقب بما هي غائبة، وحقائق كل غائب يُعرَف[١٣] بالإخبار عنها والدلالة عليها، ثم لا دلالة على مائية[١٤] الجزاء ولا الشكر ولا العبادة، إنما الدلالة من حيث التدبير على العلم بها جملة، فلزم[١٥] القول بالرسل. ***ولا قوة إلا بالله***.

ثم قوله:[١٦] **في ستة أيام**، يحتمل وجهين. أحدهما خَلْق[١٧] أصول الأشياء التي يكون غيرها بحق التولّد عن ذلك والانقلاب؛ ويحتمل أن يكون على خَلْق كلية كل شيء[١٨] مما عليه تركيب هذا العالم إلى أن يُبدّل بعالم آخر لا يَبيد ولا يَفنى. فإن كان على الأول

---

[١] أي ثبت أن إنشاء العالم إنما هو للامتحان.
[٢] ن: للمحنة.
[٣] ن ع: ولا ينفع.
[٤] ن ع م: وكذا.
[٥] ن ع م: عليه.
[٦] ن ع م: عنه.
[٧] م: عنه فيلزم.
[٨] ن ع م: عليه.
[٩] ن ع م: من أخرى.
[١٠] ع م: فلا يجوز.
[١١] ن: وجملة.
[١٢] ع: من العواقب.
[١٣] ع م: تعرف.
[١٤] م: على ما في.
[١٥] ن ع م: لزم.
[١٦] ن: وقوله؛ ع: ثم وقوله.
[١٧] ن – خلق.
[١٨] لعل المؤلف يريد "بخلق كلية كل شيء" سنة الله في خلق هذا العالم وتدبيره.

فهو **ستة** من السبعة التي عليها مدار[1] المُدَد والأزمنة،[2] إذ جعل جل ثناؤه جميع ما ذكر من الخلائق تحت الأزمنة والأوقات، ويزول بزوال[3] مددها؛[4] وكذلك عندنا كل الحوادث، إذ لكل منها بَدْء يصير ذلك وقت ابتدائه. وذلك ينقض على الباطنية قولهم: المبدَع الأول لا يقع في الزمان[5] والمكان، وأنه لا يبيد ولا يفنى. ولو كان كذلك لم يكن مبدَعا ولكن كان قديما لا يقع عليه الإبداع، فلما وُقِّت ثبت له البدء، فيجب وصفه[6] بالوقت من حيث الابتداء. وهو أيضا معلول عندهم، وعلته فيه، وهو الإبداع، مما لو زالت علته لباد.[7] وإذا ثبت[8] أنه معلول ثبت أن علةً أوجبته وأحدثته بعد أن لم يكن، فوجب له وقت به كان[9] أو كان فيه. ***والله أعلم.***
ثم على هذا كان إنشاء ما ذكر[10] في الأيام الستة، ولم يذكر في ذلك ممتحَنا. فيشبه أن يكون وقت كون الممتحَنين يوم السابع، وبهم تمّ ظهور الملك، و **استوى على العرش**،وهو المُلْك، إذ لم يكن[11] قبل ذلك مَن له التمييز. ومعرفة المُلْكِ والسلطانِ وقَدْرِ العلمبالمحامد والمعالي وأضداد ذلك إنما يكون بأولئك الذين رُكِّب فيهم العقول وأُكرِموا بالتمييز، ولأمثالهم جعل[12] العالَم، وهم المقصودون من الإنشاء. لذلك جُعِل كل من سواهم مسخّرا لمنافعهم داخلا[13] تحت أفهامهم مما يحتمل أكثرَ ذلك تدبيرٌ،[14] ليُعلَم أنهم قُصِدوا لأنفسهم أو لمعرفة ما عليهم من شكر المنعِم[15] والعبادة. فكان بهم ظهور تمام المُلْك وبلوغه النهاية، فأَخبر بالاستواء؛

[1] ع م: عليهما مدار.
[2] أي المقصود بالأيام هو الأيام المعروفة عند البشر، وهي سبعة أيام في كل أسبوع. وابتدأ الله تعالى خلق العالم في تلك الأيام، ولكن لم يكمل الخلق بل خلق أصول الأشياء، وجعل عملية الخلق تستمر على مرور الأزمان. والله أعلم.
[3] ع: زوال.
[4] ع م: مدارها.
[5] ن ع م: عن الزمان.
[6] ع: وضعه.
[7] ع: لبادر.
[8] ع: إذا ثبت.
[9] م – كان.
[10] ن ع م: من ذكر.
[11] ن ع م: إذا لم يكن.
[12] ن م: ومما لهم يجعل؛ ع: ومحالهم يجعل. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩٥و.
[13] ن ع م: داخلة.
[14] أي أكثر المخلوقات تحتمل تدبير الإنسان لها وتصرفه فيها على ما يفهم من خصائص الأشياء.
[15] ن ع: النعم.

إذ هو وصف العلوّ والرفعة ووصف التمام في الرتبة والقَدْر،[١] كقوله: وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا،[٢] وذلك في[٣] معنى الاستواء **على العرش** من حيث ظهور المُلْك وبيان الحجة والربوبية للمستدلين والمعتبرين.

/وإن كان التأويل هو الثاني[٤] يخرج على وجهين. أحدهما ما قال بعض أهل التفسير: [٢٥١و] إن[٥] كل يوم من أيام الآخرة وذلك ألف سنة،[٦] لم يبين[٧] لنا مقدار ذلك. فجائز أن يكون منتهى تدبير هذا العالم إلى ذلك، [يعني] **ستة أيام**، بمعنى ستة آلاف سنة على القدر الذي قدره الله، ثم يكون اليوم السابع هو يوم القيامة لا يبيد أبدا ولا ينقضي. فيه يُبَدَّل[٨] العالَمَ، ويُقِرّ كل ممتحَن له بالملك والجلال وإن كان[٩] كذلك في الأزل، ففي ذلك اتفاق القول من طريق الاختيار والعلم بذلك من كل جبّار وغيره، على نحو[١٠] ما قيل: لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ،[١١] وقيل: وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا،[١٢] وقيل: وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ،[١٣] ونحو ذلك. على أن له الملك أبدا، وكذلك لم يكن يخفى عليه شيء، لكن ذلك مما يَعلم كلٌّ أنه كذلك، فبذلك يتم ظهور كل معنى من ذلك وإن كانت حقيقته موجودة قبل ذلك.[١٤] وعلى ذلك القول: حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ،[١٥] ونحو ذلك، أنه إذ ذلك[١٦] يظهر لكلٍ معلوما[١٧] فأضيف إليه بحرف الابتداء وهو عن ذلك متعال.

---

[١] ن: والعذر.

[٢] سورة القصص، ٢٨/١٤.

[٣] ن – في.

[٤] وهو أن يحتمل قوله تعالى: ﴿في ستة أيام﴾ أن يكون على خلق كلية كل شيء مما عليه تركيب هذا العالم إلى يبدل بعالم آخر لا يبيد ولا يفنى، كما قد سبق قريبا.

[٥] ن + ان.

[٦] ﴿وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تَعُدّون﴾ (سورة الحج، ٢٢/٤٧).

[٧] ن: لم تبين.

[٨] ن ع م: تبدل.

[٩] ن: وأنه كان.

[١٠] م: وعلي نحو.

[١١] ﴿يومَ هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار﴾ (سورة المؤمن، ٤٠/١٦).

[١٢] ﴿وبرزوا لله جميعا فقال الضعفاء للذين استكبروا إنّا كنا لكم تَبَعًا فهل أنتم مُغْنُون عنا من عذاب الله من شيء قالوا لو هدانا الله لهديناكم سواءٌ علينا أَجَزِعْنا أم صبرنا ما لنا من مَحِيص﴾ (سورة إبراهيم، ١٤/٢١).

[١٣] ﴿يومَ لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله﴾ (سورة الانفطار، ٨٢/١٩).

[١٤] ن: قل ذلك.

[١٥] ﴿ولَنَبْلُوَنَّكُم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونَبْلُوَ أخباركم﴾ (سورة محمد، ٤٧/٣١).

[١٦] ع: ذ ذلك.

[١٧] ن ع م: معلومة.

فعلى هذا جميع ما بينا، وبذلك ظهور تمام شرائط الملك، والاعتراف من الكل بذلك.[1] **والله أعلم**.

والثاني أن تكون[2] تلك الأيام الستة على ما في علم الله تعالى تقديرها، لا يعلم أحد سواه [ذلك] إلا من طريق الجملة التي[3] أدّى،[4] وقد بيّن يوما كخمسين ألف سنة،[5] ويوما كألف سنة حَدَّه،[6] لا يعلم غيره [ذلك]، ثم كان اليوم السابع يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ،[7] وتقع العقوبة والمثوبة، وهو المقصود من خلق[8] العالم[9] الأول، فيكون ما ذكرت[10] من تمام الظهور.[11] **والله الموفق**.

وعلى هذا لو قيل: بم قيل:[12] يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ،[13] وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ؟[14]

قيل: ليس أن المراد[15] من هذا العرش[16] الأولُ، وجائز أن يكون هذا هو السرير المعروف، مُنشَأً من النور ومما شاء، ليكرم به أولياءه يوم القيامة، والأول هو المُلْك الذي ظهر تمامه وعلوّه على ما بينا. ثم لو كان العرش الذي قال عز وجل: اَلرَّحْمٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى،[17] هو ما فهمه أهل التشبيه من المكان[18] لم يكن لِيجب أن يُفهَم من الاستواء[19] عليه الاستقرار[20]

---

[1] أي يكون هذا هو معنى الاستواء على العرش على هذا التأويل، وهو اعتراف العالمين بالملك لله عز وجل يوم القيامة.

[2] ن ع م: أن يكون.

[3] ع – التي.

[4] أي أداه الله تعالى في كلامه وأخبره.

[5] ﴿تَعرُج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ (سورة المعارج، ٧٠/٤).

[6] م: حدة.

[7] سورة الطارق، ٨٦/٩.

[8] ع: من الخلق.

[9] ن ع + العالم.

[10] ينتهي السقط الواقع في نسخة كوبريلي هنا، وذلك بمقدار ما يزيد على صفحة. انظر: نسخة ك، ورقة ٣٢٥و/سطر ٨؛ ونسخة م، ورقة ٢٥٠ظ/سطر ٥ – ٢٥١و/سطر ١٣.

[11] ويكون هذا هو معنى الاستواء على هذا الوجه، أي تمام ظهور أعمال العباد ووقوع الثواب والعقاب عليها.

[12] جميع النسخ: بما قيل.

[13] سورة المؤمن، ٤٠/٧.

[14] سورة الحاقة، ٦٩/١٧. أي إذا كان العرش بمعنى المُلْك فبأي سبب قيل: ﴿يحملون العرش﴾، ﴿ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية﴾، ومعلوم أنه لا يمكن حمل المُلْك؟

[15] ن: أنه المراد.

[16] م – العرش. .

[17] سورة طه، ٢٠/٥.

[18] جميع النسخ: من مكان.

[19] ن: منه الاستواء.

[20] ع: على الاستقرار.

أو أن يكون[١] لله مكان يوصف بالكون فيه وعليه؛ لأنه ليس في كون أحد في مكان -وإن جلّ قدره وعظم خطره- رفعة ولا نباهة فيما يُتعارف من أمر الملوك والأجلّة، بل كلّ منسوبٍ إلى مكان من جهة التمكين فيه والقرار منسوب إلى استعانة وحاجة منه إليه؛ جَلّ عن[٢] ذلك. على أنه[٣] إما أن يكون مثله أو أعظَمَ منه، فيكون[٤] له[٥] عَدِيلا بالعظمة؛ أو دونه. ومن السُّخف الجلوسُ على مكان لا يطمئن به أو يقصر عنه، إذ قد يجوز أن يُزاد فيه فيكون أعظم منه، جل الله عن هذا[٦] الوصف وتعالى. بل كان ولا مكان، فهو على ما كان، يتعالى عن الاستحالة والتغير،[٧] إذ هو أثر الحدث وأمارة الكون بعد أن لم يكن. ***ولا قوة إلا بالله.***

ثم الأصل أنه لو كان فهو بإضافة الله إلى العلو عليه تعظيم له. وعلى ذلك في كل شيء[٨] يضاف إلى[٩] الله أو [يضاف] الله إليه[١٠] من جهة الخصوص[١١] فهو على تعظيم ذلك، لا على أن يُفهَم منه ما يُفهَم مثله من الخلائق، نحو القول بأن المساجد لله،[١٢] و ناقة الله،[١٣] وزينة الله،[١٤] وحدود الله،[١٥] ونحو ذلك. فما بال المشبهة فهمت من إضافة الاستواء على العرش المعنى المكروه على احتمال الاستواء معاني[١٦] سوى الذي ذكروا؛ إذ يقال: استوى: تمّ،

---

[١] ع م: وأن يكون.
[٢] ع – عن.
[٣] ع م: وعلي أنه.
[٤] جميع النسخ: لكان.
[٥] ع – له.
[٦] ع: على هذا.
[٧] ك ن ع: والتغيير.
[٨] م – شيء.
[٩] ع – إلى.
[١٠] ن – أو الله إليه.
[١١] ك: الخضوع.
[١٢] سورة الجن، ١٨/٧٢.
[١٣] سورة الأعراف، ٧٣/٧؛ وسورة هود، ٦٤/١١؛ وسورة الشمس، ١٣/٩١.
[١٤] م – الله. وانظر: سورة الأعراف، ٣٢/٧.
[١٥] سورة البقرة، ١٨٧/٢، ٢٢٩، ٢٣٠؛ وسورة النساء، ١٣/٤؛ وسورة التوبة، ١١٢/٩؛ وسورة المجادلة، ٤/٥٨؛ وسورة الطلاق، ١/٦٥.
[١٦] ك ع: معانيا؛ ن: معاينا.

واستوى: قصد،[1] واستوى: علا، واستوى: استقرّ، واستوى: استولى.[2] فإذا كان معناه[3] يتوجّه إلى هذه الوجوه لم يحتمل أن يكون أحد يُقدِّر من ذلك أَذَمّ ما يتوجه[4] إليه ويعتمد عليه لو لا الجهل به.[5] ثم الأصل أن الإضافات إلى الأشياء يفترق المقصود بها وإن كان في ظاهر المخرج واحدا[6] باختلاف مَن إليه القصد بالإضافة[7] والاصابة[8] جميعا. يقال: جاء الحق، وجاء فلان؛ وبيت فلان، وبيت الله؛ وقيل في الملائكة: وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً،[9] وقال في الفسقة: أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ،[10] ونحو ذلك، لا على الجمع في المعنى؛ فالاستواء الذي يتوجه إلى وجوه أحق بذلك. *والله الموفق.*

ثم قد قيل في قوله: **ثم استوى على العرش،** بوجوه: أحدها ما قال أبو بكر الأصم: هو على[11] التقديم والتأخير، كأنه قال: إن ربكم الله الذي استوى على العرش ثم خلق ما ذكر، فيكون معناه: خلق كذا وقد **استوى على العرش؛** كقوله: خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا،[12] بمعنى: وقد جعل منها زوجها. وعلى هذا ليس في[13] قوله: **إن ربكم الله الذي** استوى على العرش[14] الشبهة التي في الأول، كما لم يكن في قوله: وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ،[15] إذا صُرِف[16] إلى "عِنْد" شبهة؛ فيكون وقد **استوى [على العرش،** أي] خَلَق **العرش؛** كقوله: ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ،[17] بمعنى ثم خلَق السماء، أو قَصَد خَلْقَه، ونحو ذلك.

---

[1] ع: قصدوا.
[2] انظر: *لسان العرب* لابن منظور، «سوى».
[3] ك – معناه.
[4] ن: وما يتوجه.
[5] ن – به.
[6] جميع النسخ: واحد.
[7] م: بالإضافات.
[8] جميع النسخ: والاضافة؛ والتصحيح من *شرح التأويلات*، ورقة ٢٩٥ظ.
[9] سورة المدثر، ٣١/٧٤.
[10] انظر على سبيل المثال: سورة البقرة، ٣٩/٢، ٨١، ٢١٧، ٢٥٧، ٢٧٥.
[11] م – على.
[12] سورة الزمر، ٦/٣٩.
[13] ن + في.
[14] ك + ثم خلق ما ذكر فيكون معناه خلق كذا وقد استوى على العرش؛ ن + كقوله ثم استوي.
[15] سورة الأنعام، ٣٠/٦.
[16] أي كلمة على.
[17] سورة فصلت، ١١/٤١.

وقال الحسن: **ثم استوى على العرش**، أي **استوى** عليه أَمْرُه وصُنْعُه، أي لم يختلف عليه صُنْعُ **العرش** وأَمْرُه وإن جلّ أمر غيره وصنعه، كقوله: مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ،[١] على استواء[٢] الأمر في التدبير والصنع. وقال الحسين:[٣] معناه استولى[٤] **على العرش**، كما يقال: استوى فلان على بغداد، / بمعنى استولى. وقال قوم:[٥] معناه استولى[٦] عليه وهو فوق كل شيء [٢٥١ظ] في القدرة والعظمة تعظيما له، على غير اختلاف عليه في التحقيق بينه وبين غيره، كالذي ذكر بأن الأمر كله يوم القيامة له،[٧] والمساجد له،[٨] على التفضيل دون تخصيص له في ذاته من حيث ذلك.[٩] وقال قوم: إذ كان **العرش** فوق كل شيء في تقدير المعارف فقال: هو عَلَاه بمعنى لا يوصف في الخلق، ولكن على ما كان ولا خَلْق.

ونحن نقول وبالله التوفيق: قد ثبت من طريق التنزيل القول[١٠] بأنه **استوى على العرش**، وقد لزم القول بأنه لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ،[١١] وعلى ذلك اتفاق القول أنْ لا يُقَدَّر كلامه بما عُرف من كلام الخلق، ولا فعله به،[١٢] ولا علمه، ولا ما قيل: هو رب كذا أو مالك كذا، لا يراد به المفهوم من الخلق، لكن الوجه الذي يليق به وما يوجبه حق الربوبية، فمثله في الأول. ثم يلزم تسليم المراد لما عنده إذ لم يبينه لنا، وقد ثبت نفي ما يُفهَم من غيره.

وبعد، فإن القول فيه بالمكان يَفسُد بالذي به يُحتَج، بوجوه. أحدها أن قوله: **ثم استوى على العرش**، إخبار عن فعله الذي في التحقيق يضاف إليه في خلق الخلق على اختلاف المخرج في القول،

---

[١] سورة لقمان، ٢٨/٣١.
[٢] ع: على استوى.
[٣] ك: الحسن. لعله أبو عبد الله الحسين بن محمد بن عبد اله النجار (ت نحو ٢٣٠هـ/٨٣٥م)، كما يذكره المؤلف بنفس الاسم في *كتاب التوحيد* (ص ١٥٥). وهو من كبار المتكلمين في القرن الثالث الهجري، وله مناظرات مع النَّظَّام. ومن كتبه *إثبات الرسل*، و*كتاب القضاء والقدر*، و*كتاب اللطف والتأييد*، و*كتاب الإرادة الموجبة*، وغير ذلك. انظر: *سير أعلام النبلاء* للذهبي، ٥٥٤/١٠.
[٤] ع: استوى.
[٥] ن – قوم.
[٦] ك ن ع: استوى.
[٧] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله﴾ (سورة الانفطار، ١٩/٨٢).
[٨] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا﴾ (سورة الجن، ١٨/٧٢).
[٩] ن: قال.
[١٠] ع م – القول.
[١١] سورة الشورى، ١١/٤٢.
[١٢] ع م + وما يوجبه.

نحو أنْ ذَكَر مرةً أبدع، ومرةً فطر، وجعل، وأنزل، وأثبت،[1] وكتب، ونفخ،[2] وأعطى، وأنشأ، وغير ذلك من الألفاظ؛ حقيقةُ ذلك أنه خَلَق، إذ ذلك معنى فِعله في الحقيقة. وعلى ذلك كَوَّن، وفَعَل، وأَمَر في بعض المواضع. ثم يجب توجيه كلٍ مِن ذلك إلى الوجه الذي يليق[3] فيه القول بخَلَق. وكذا في هَدَى، وأَضَلّ، وزَيَّن، وأتقن، وأحكم، ونحو ذلك؛ فكذلك في قوله: **ثم استوى على العرش**، يجب أن يُقابَل ذلك[4] بخَلَق،[5] إذ هو إضافة إلى فعله. ثم يخرج على وجهين. أحدهما **ثم** خلق **العرش** ورفعه وأعلاه بعد أن كان العرش على الماء،[6] كقوله: ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ.[7] وليس "ثُمَّ" تَنَقُّل من حال إلى حال؛ إذ لو[8] كان كذلك لكان يصير حيث "ثُمَّ" ينتقل مِن خَلْق إلى خَلْق فيما يخلق، فيكون في الوقت الذي يصير إلى العرش صائرا إلى الثَّرى،[9] وفي الوقت الذي يُحدِث[10] خَلْق ما في[11] الأرض وما في السماء منتقلا من ذا إلى ذا، وذلك تناقض فاسد. وفي ذلك بطلان معنى القول بالاستواء **على العرش**، بل يكون أبدا غيرَ مستوٍ[12] عليه حتى يفرغ من خلق جميع ما يكون أبدا،[13] [إذ هو في الانتقال بعد]،[14] وذلك متناقض فاسد، جلّ الله عن هذا[15] التوهم. ***وبالله التوفيق***. والثاني أن يكون[16] قوله: **ثم استوى على العرش**، أي إلى العرش في خلقه ورفعه وإتمامه. دليل احتمال "على" ذلك[17] أن "على"[18] من حروف الخفض،

---

[1] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿يمحو الله ما يشاء ويُثبِت﴾ (سورة الرعد، ١٣/٣٩).
[2] ع م – ونفخ.
[3] ع: تليق.
[4] جميع النسخ: بذلك. والتصحيح من *شرح التأويلات*، ورقة ٢٩٦و.
[5] ن ع: يخلق.
[6] ﴿وهو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء﴾ (سورة هود، ١١/٧).
[7] سورة فصلت، ٤١/١١.
[8] ن: ولو.
[9] ع: على الثرى.
[10] ك ع: يجدد؛ ن: يجد.
[11] ن: ما في خلق.
[12] ن ع م: مستوى.
[13] ع + غير مستوى عليه حتى يفرغ من خلق جميع ما يكون أبدا.
[14] من *شرح التأويلات*، ورقة ٢٩٦و.
[15] ن: عن ذلك؛ ع: عن هذه.
[16] م – أن يكون.
[17] ن + على ذلك.
[18] ع م – على.

وقد يوضع بعض[1] موضع بعض، كقوله: إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ،[2] بمعنى عن الناس، وقوله: إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ،[3] بمعنى عند ربهم. مع ما قال الله: إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ، [أي إلينا بيانه، وقال:][4] وَعَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ،[5] بمعنى إليه. وعلى ذلك **ثم استوى على العرش**، أي[6] إلى العرش، وهو[7] على الماء كما ذكر، فرفعه وأتمه،[8] كما قال: ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ، فخلق ما ذكر. ***والله أعلم.***

والوجه الثاني[9] [هو] المذكور في الآية من اسم الرب وخَلْق ما ذكر[10] وتسخير الذي وصف، ثم لم يَتوهم[11] في شيء من ذلك المعنى الذي يضاف إلى الخلق أنه ربّ كذا أو سخّر كذا أو صنع كذا ملحدٌ ولا موحّدٌ، فكيف احتمل قلب المشبّه[12] في قوله: اَلرَّحْمٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى،[13] لو لا[14] جهله به وتقديره بالذي عليه أمر[15] نفسه. ***والله الموفق.***

والثالث أن الناس في خلق الله الخلق مختلفون.[16] فمنهم من جعله[17] الخَلْق نفسه، دون أن يكون الله بذاته يلحقه[18] وصف سوى إضافة الخلق إليه في أن كان به. فعلى ذلك قوله:

---

[1] م – بعض.
[2] سورة المطففين، ٨٣/٢.
[3] سورة الأنعام، ٦/٣٠.
[4] من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩٦و.
[5] سورة النحل، ١٦/٩.
[6] ع م – أي.
[7] ن: هو.
[8] ن: دايمة.
[9] أي من وجوه إبطال المكان لله تعالى. وقد سبق ذكر الوجه الأول في صفحة ٣٧٤.
[10] ن ع م – ما ذكر.
[11] فاعل "لم يتوهم" هو "ملحد" في آخر الجملة.
[12] ك ن ع: المشبهي؛ م: المشبهين.
[13] سورة طه، ٢٠/٥.
[14] ع م – لا.
[15] م: عليه أو.
[16] جميع النسخ: مختلفين.
[17] أي المخلوق كما قال الشارح في شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩٦و.
[18] ك ن: يلحق.

ثم استوى على العرش، إنما هو ما ذكر من غير أن كان سبحانه يلحقه وصف لم يكن له.[1] ومنهم من يراه[2] خالقا بذاته، ليكون جميع الخلائق إلى الأبد بتكوينه الذي يعبّر عنه بقوله: كُنْ،[3] من غير أن كان ثَمّ كاف أو نون، على كون كل شيء عليه به، من غير تغير[4] عليه[5] ولا زوال عما كان عليه، إذ لا شيء غيره. فكل معنى لو حُقّق أوجب تغيرا[6] أو زوالا أو قرارا أو نحو[7] ذلك فالله يجلّ عنه ويتعالى، إذ ذلك عَلَم الحدث[8] وأمارة التغير به.[9] **ولا قوة إلا بالله**.

والرابع هو [أن] الذي يرى فعله على ما عليه فعل الخلق من التحرك والزوال والسكون والقرار يكون[10] إضافته من ذلك[11] وصفه[12] بمكان[13] دون مكان وحال دون حال، [وذلك] محال فاسد.[14] لذلك بطل القول بالمكان في جميع الأقاويل. وأيّد الذي ذكرت ما ختم به الآية من قوله:

---

[1] قال الشارح: «والثالث أن الناس في خلق الله مختلفون، فمنهم من جعل خَلْق الله تعالى هو نفس المخلوق، دون أن يكون لله تعالى بذاته يلحقه وصف سوى إضافة الخلق إليه في أن كان به، أو لم يكن خالقا فصار خالقا؛ لأنه ليس بوصف له حتى يكون صفة حادثة يقوم به بعد أن لم يكن، وإنما يحدث إضافتنا المخلوق إليه. فعلى ذلك قوله: ﴿ثم استوى على العرش﴾، إنما هو ما ذكر من غير أن كان الله تعالى يلحقه وصف لم يكن له، فيجب إنكاره لما يتضمن حدوث الاستواء الذي هو صفته، إذ الاستواء ليس غير المستوَى عليه، فلا يؤدي إلى القول بحدوث صفته وتغيّره وتبدّله من حال إلى حال» (*شرح التأويلات*، ورقة ٢٩٦و).

[2] م: من يره.

[3] انظر مثلا قوله تعالى: ﴿بديع السماوات والأرض وإذا قضى أمرا فإنما يقول له كُن فيكون﴾ (سورة البقرة، ١١٧/٢).

[4] م: تغيير.

[5] أي إن حصول كل شيء بحقيقته التي هو عليها يكون بالله تعالى من غير حصول أي تغير فيه عز وجل.

[6] ك: تغيره.

[7] ع: ونحو.

[8] م: الحديث.

[9] جميع النسخ: الغيرية؛ والتصحيح من شرح *التأويلات*، نسخة المدينة، ورقة ٣٢٨ظ.

[10] ك ن: فمعنى؛ ع م - يكون؛ والتصحيح من *شرح التأويلات*، ورقة ٢٩٦و.

[11] م: عن ذلك.

[12] ن: وصف.

[13] جميع النسخ: إلى مكان.

[14] وعبارة الشارح هكذا: «والرابع وهو أن الذي يرى فعله على ما عليه فعل الخلق من التحرك والزوال والسكون والقرار يكون إضافة العرش إليه بمعنى الاستقرار وتخصيصه بمكان دون مكان وحال دون حال محالا فاسدا» (*شرح التأويلات*، ورقة ٢٩٦و). أي إن الذي يشبه الله تعالى بخلقه في أنه يتحرك ويزول من مكان إلى مكان لا يمكن أن يصف الله بالاستواء على العرش بمعنى الاستقرار عليه، لأن الذي يفهم حديث النزول مثلا على أن الله ينزل إلى السماء الدنيا مثل المخلوقين يلزمه أن يكون الله غير مستقر على العرش في ذلك الوقت، فمن المحال أن يكون الشيء في مكانين في وقت واحد.

تبارك الله رب العالمين، وَصَف ذاته بالربوبية [و] بالتعالي من جميع معاني المربوبين، إذ من حيث التشاكل يوجب خروجه من أن يكون ربا، والآخر[١] من أن يكون[٢] مربوبا، فإذا ثبت[٣] أن كل شيء من كل جهة مربوب[٤] ثبت سُبحانيّته[٥] من ذلك الوجه. ***والله الموفق.***

ثم[٦] قوله:[٧] **خلق السماوات والأرض في ستة أيام**، هو على وجهين. أحدهما إضمار[٨] "ما بينهما" على ما جرى الذكر به في غيره. والثاني أنْ ذَكَر مِن وقت ابتداء الكون إلى الانتهاء لا[٩] على تحقيق ذلك في كل وقت، كما يقال: كان كذا في شهر كذا، لا على إحاطة كلية أجزاء الشهر به، / فمثله معنى [٢٥٢و] **ستة أيام**. ومعنى التوقيت ليس على حاجة[١٠] إلى ذلك، إذ الوقت داخل فيما خلق. لكن [ذكر الوقت يخرج][١١] على وجوه وإن كان الله سبحانه قادرا على إنشاء جميع ما ذكر بدفعة. وجهان ما ذكرتُ من معنى الأيام لِمَدار مُدَد الخلق وأصول[١٢] ما عليه تَفنى[١٣] الأعمار؛ والثاني على بيان منتهى العالم.[١٤] والثالث على إدخال[١٥] كل ذلك[١٦] [تحت قهر الزمان][١٧] مع علوّ درجات كثير[١٨] منها وجلالة أقدارها في الأعين، حتى لا أحد ينظر إليها إلا بعين التعظيم،[١٩] وحتى [إنه] بكثير[٢٠] منها قام[٢١] تدبيرُ العالم،

---

[١] ك ن: أو الآخر.
[٢] ع م – من أن يكون.
[٣] ك: فإذ ثبت.
[٤] جميع النسخ: مربوبا.
[٥] ك: سبحانية.
[٦] ن – ثم.
[٧] ن ع: وقوله.
[٨] ع: إضما.
[٩] ع – لا.
[١٠] م: لي حاجة.
[١١] من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩٦و.
[١٢] جميع النسخ: وأطول؛ والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩٦و.
[١٣] جميع النسخ: يفنى.
[١٤] هذان الوجهان ذكرهما المؤلف في تفسير الآية أعلاه.
[١٥] ع: على أدحل.
[١٦] ع: لكل ذلك.
[١٧] مستفاد من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩٦و.
[١٨] ك ن: كثيرة.
[١٩] ع م: إلا بالتعظيم.
[٢٠] ك ن ع: يكثر.
[٢١] ن: فأقام.

وحتى عُبدت[1] دون الله تعظيما، وإن كان في ذلك دلالة خروجه عن الاستحقاق. فصيّرها الله داخلة تحت الأزمنة والمُدَد مقهورة[2] بها، حتى لو أُريد بكل جهد وحِيَل إخراج شيء من ذلك أو تخليص الجبابرة من ذلك[3] لما تهيأ لهم، ليُعلَم ذلة الخلق[4] وأمارات[5] الحدث وعلامة الحاجة. ثم كانت الأوقات مترادفة متتابعة لو أُسقِطت[6] عنها الأولية لبطل الكل، ولما جاوز الحساب عن الواحد،[7] ولما انتهى إلى ما هو بَعْد لِمَا مضى[8] ليُعلَم به أولية كل شيء من العالم وحدثه. مع ما جُعلت الأيام تدور على أمر واحد بها [حاجة][9] لجميع[10] المحتاجين ممن ذكرت، فثُبِّتَ لذلك[11] بأسماء معروفة أمكن قصد كل منها على الإشارة إليه باسمه المعروف،[12] ليُحفَظ فيه المواعيد ويُعلَم به ما يجب من الحقوق ويطل. ***والله أعلم.***

ثم الأصل إذ جُعلت هذه الدار دار المحنة -والمحنة[13] إنما تكون بمختلف الأحوال- جُعلت الأحوال مختلفة نحو موت وحياة وصحة وسقم وغنى وفقر. وفي جمع[14] الخلق على حالة منها الجهلُ بأضدادها، وفي ذلك الجهل باللذات والآلام، فيجب بذلك اختلاف الأحوال. وعلى ذلك جرى أمر خلق الخلائق، وعلى ذلك أمر الأرزاق وغير ذلك. فعلى ذلك أَمْرُ خَلْقِ ما ذكر في أيام مختلفة. ثم يُجمَع في[15] البعث بمرة، وفى حالٍ [واحدة] مِن حال اللذة[16] أو التعب[17] بمرة.[18]

---

[1] جميع النسخ: عبد.

[2] ك ن ع: مقهور.

[3] ك ن: عن ذلك.

[4] م: الخلقة.

[5] ع: وأماراة.

[6] ع: لو سقطت.

[7] جميع النسخ: بالواحد؛ والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩٦ظ.

[8] ع: لما المعنى.

[9] من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩٦ظ.

[10] ع م: بها بجميع.

[11] ن – لذلك.

[12] ك + به.

[13] ك – والمحنة.

[14] ك ن ع: وفي جميع.

[15] ن + ذلك.

[16] م: اللذات.

[17] م: والتعب.

[18] وعبارة الشارح هكذا: «ثم يجمع الكل في البعث بمرة واحدة، وفى حالٍ واحدة، إما حال اللذة إن كان من أهل الجنة، وإما حال الشدة والتعب إن كان من أهل النار، دون اختلاف الحالين في حق كل فريق كما في الدنيا، إذ ليس ذلك وقت الامتحان، إنما هو وقت المجازاة» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩٦ظ).

مع ما كان اختلاف الأحوال أقرب إلى الدلالة وأوضح للحجة؛ فلذلك جُعل في هذه الدار إلزام الحجة وإظهار المحنة والكُلفة. **والله الموفق**.

والأصل أن العقول[١] أُنشئت متناهية تقصر عن الإحاطة بكلية الأشياء، والأفهام متقاصرة[٢] عن بلوغ غاية الأمور، إذ هنّ من أجزاء العالم الذي هو بكليته[٣] متناهٍ، وأسباب الإدراك التي يُدرَك بها [هي] بإدراك[٤] المشاعر التي تعجز عن كنه ما تقع[٥] عليها من الظواهر فضلا عما استتر منها. وإذا كان هذا وصف ما يُدرَك به مبلغ[٦] الحكمة فهي قاصرة عن الإحاطة بالحكمة الموضوعة[٧] في البشر.[٨] فمن رام الإحاطة بها أو بلوغ حكمة الربوبية من غير إشارة منه فهو يظلم العقل ويحمل عليه ما يعلم عجزه عنه. ومعلوم أن [في][٩] المذكور من الأيام في خلق ما ذكر حكمة بالغة وإن قصرت العقول عن الإحاطة؛ إذ الذي قدّرها هو الذي حَمَد الحكمة، وأوجب لأهل العقل[١٠] ذمَ السفه وأهله، فأوجب ذلك تحقيق الحكمة لذلك وإن لم يبلغها إلا مقدار ما يكرم به. **والله الموفق**.*

*وقوله[١١] عز وجل: **يُغشي الليلَ النهارَ**، يُذهِب بضوء النهار ظلمةَ الليل، وضوءَ[١٢] النهار [٢٥٢ظ س١٣] بظلمة الليل، إذا جاء هذا ذهب[١٣] سلطان الآخر. **يطلبه حثيثا**، قيل: سريعا؛ وهو أن الله عز وجل يُظهِر النور في ابتداء النهار في طَرَف من أطراف السماء، والظلمة في أول الليل، ثم ينشر ذلك في جميع أطراف السماء والأرض وما بينهما من جميع[١٤] الآفاق[١٥] والجوانب في قدر لحظة بصر وطرفة عين،

---

[١] ن – أن العقول.

[٢] ك ع م: متناقصة؛ ن: متناقضة؛ والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩٦ظ.

[٣] م: هو بكلية.

[٤] ن ع م: بأداء.

[٥] ك ن م: لما يقع؛ ع: لا يقع.

[٦] ن: يبلغ.

[٧] ع: الموضوع.

[٨] ك ن: بين البشر؛ ع م: من البشر؛ والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩٦ظ.

[٩] من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩٦ظ.

[١٠] ك ن ع + في.

* وقع هنا مقطع متقدم على موضعه من تفسير الآية، فأخرناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٢٥٢و/سطر ٢٣-٣١.

[١١] ك – وقوله.

[١٢] ك: وبضوء.

[١٣] م + هذا.

[١٤] ع: من جمع.

[١٥] ك ع: الآفات؛ م: الأوقات.

مما لو أريد[1] تقدير ذلك بجميع ما في الخلق من المقادير ما قدروا عليه، ليُعلَم أن الله على ما يشاء قدير، وأنه لو أراد أن يخلق جميع ما ذَكر أنه خلَق في ستة أيام لكان قادرا[2] أن يخلق [ذلك] في طرفة عين،[3] لكنه خلق في ستة أيام[4] لحكمة في ذلك. وقوله عز وجل: **يطلبه حثيثا**، لا يكون مما ذكر طلبٌ حقيقةً، لكن ذكر الطلب لأن ما كان[5] من كل واحد[6] منهما[7] للآخر لو كان ممن[8] يكون له الطلب كان طلبا وهربا من غلبة كل واحد منهما صاحبه، وهو ما ذكرنا في قوله تعالى: وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا،[9] أنها أُنشئت على هيئة وجهة لو كان ذلك ممن يكون منه التغرير كان تغريرا.[10]* [٢٥٢ظ س ٢١]

ثم من عجيب قدرته سبحانه في قوله: **يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا**، أن الله تعالى يظهر النور في ابتداء النهار من طرف من أطراف[11] السماء، والظلمةَ في أول الليل، ثم ينشر ذلك ويبسطه في جميع أطراف السماء والأرض وما بينهما من جميع الأقطار والجوانب في قَدْر لحظةِ بصرٍ وطَرْفة العين، مما لو أريد تقدير[12] ذلك بالهندسة وبجميع ما في الخلق من المقادير لما أحيط بالذي انبسط [مِن] ذلك النور والظلام، ليُعلَم أن الله على ما يشاء قدير، وأنه لو أراد لخلق[13] جميع ما ذكر في أدق مدة وألطف وقت، وأنه القادر على البعث وجميع ما جاءت بالخبر عنه الرسل. على أنه بالذي ذكرت يُلبِس وجوهَ كليةِ الأشياءِ السِّترَ[14] ويُجَلّيها بطَرْفة[15] عين بالتدبير والعلم الذي له[16] بما يوجب ذلك،

---

[1] ن: ما لو أريد.
[2] جميع النسخ: أيام لقادر. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩٦ظ.
[3] ع – مما لو أريد تقدير ذلك بجميع ما في الخلق من المقادير ما قدروا عليه ليعلم أن الله على ما يشاء قدير وأنه لو أراد أن يخلق جميع ما ذكر أنه خلق في ستة أيام لقادر أن يخلق في طرفة عين.
[4] ع: اياه.
[5] ك: الطلب لما كان.
[6] ع: أحد.
[7] ك – منهما.
[8] ك: مملي.
[9] سورة الأنعام، ٧٠/٦، ١٣٠؛ وسورة الأعراف، ٥١/٧.
[10] جميع النسخ: غرورا؛ والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩٦ظ.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه في تفسير الآية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٢٥٢ظ/سطر ١٣–٢١.
[11] م – من أطراف.
[12] ن: تدبر.
[13] ن – لخلق.
[14] م – الستر.
[15] ن ع م: بطرف.
[16] ع م – له.

مما يعجز عن توهم مثله جميع الحكماء فضلاً[1] عن إدراكه، ليُعلَم أنه عليم لا يجهل، عزيز لا يعجزه شيء، حكيم لا يتفاوت صنعه ولا يتناقض تدبيره. *ولا قوة إلا بالله*. وقريب[2] من ذلك ما جُعل في جوهر الإنسان من البصر الذي يُبصِر بأول أحوال الفتح[3] قدر خمسمائةِ سَنةٍ،[4] والفكرِ الذي يبلغ به من غير أن يزول / عن مكانه منتهى مرجع الخلق من الجنة [٢٥٢ظ] والنار، ويبصر به المعاد والمعاش. والعقل [هو] الذي يعرف حقائق مَن غاب عنه وحضر[5] مما له صورة وطِينة أو أحدهما وما ليس له واحد من الأمرين، على قصور الحواس عن إدراك صورة شيء لا طينة له، ليُعلَم أن الذي قدر على تقدير مثله[6] في جوهر[7] واحد وعَلِم كيف يصنع[8] فيه ليعمل ذلك العمل[9] قادر على كل شيء حكيم عليم. وهذا معنى ما قيل: إن الإنسان هو العالَم الصغير، بمعنى أنه يوجد[10] فيه لكل أمر من أمور العالَم الكبير مثال.[11] *ولا قوة إلا بالله*.

*وقوله: **[والشمسَ والقمرَ والنجومَ مُسَخَّراتٍ]**،[12] فكذلك سخرهن بالسير فيما [٢٥٢و س٢٣] يرجع إلى منافع الخلق، وجعل فيهن آية لولا العيان لم يكن يصدق به أحد ممن يجحد البعث والرسل ونحوهم؛ إذ الخبر عن سير جوهر واحد في اليوم الواحد مسيرة أكثر من ألف سنة،[13]

---

[1] جميع النسخ: فضل.

[2] جميع النسخ: وقريبا. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩٦ظ.

[3] أي بأول فتح بصره.

[4] لو فرضنا أن الإنسان يمشي في اليوم مسافة ثلاثين كيلومترا على الأقل فإن مسافة خمسمائة سنة والتي ذكرها المؤلف تبلغ أكثر من خمسة ملايين كيلومتر. ولعل المؤلف نظر إلى الروايات التي تذكر أن المسافة بين السماء والأرض خمسمائة عام، واستنتج أن النجوم التي ترى بالعين تقع على بُعد هذه المسافة.

[5] م: خص.

[6] ك: مثل.

[7] ع: من جوهر.

[8] جميع النسخ: يضع.

[9] م: ذلك العلم.

[10] ك: لا يوجد.

[11] ك ن ع: من الأمور للعالم الكبير فيه مثالا؛ م: من الأمور المعالم الكبير فيه مثالا؛ والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩٦ظ.

[12] جميع النسخ: وقوله وسخر ما ذكر.

[13] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿يدبِّر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يَعرُج إليه في يومٍ كان مقداره ألف سنة مما تَعُدّون﴾ (سورة السجدة، ٥/٣٢).

وتَولُّدُ جواهر بمعونة من يبعد عنه مقدار خمسمائة عام،[1] ونُضْج كل شيء وصلاحه به أبعد عن احتمال القبول من إعادة[2] شيء[3] بعد الفناء[4] أو إرسال الرسل بإعلام ما خفي من المصالح والأمور؛ إذ ذلك أَمْر مُتعارَف[5] في صنع الخلق، مُعايَنٌ[6] ذلك فيما به تقلّب الزمان من الليل والنهار.[7] لكن[8] الله[9] سبحانه أظهر لهم من قدرته وعظيم[10] حكمته [عيانا] بما بسط لهم [الأرض][11] بغِلَظها وسَعَتها، ورَفَع عليها السماء بغير عَمَدٍ يُرَى، فأقرّ كلا من ذلك لحاجة أهلها إلى قرارها، وسَيَّر فيها بالتسخير[12] ما ذكر لحاجة الأهل في تسيير ذلك، ليُعلَم أن لا يعجزه شيء ولا يخفى عليه أمر ولا يدخل في تدبيره عِوَج والا في خلقه تفاوت. وإن الذي أظهر إذا قوبل بالذي وعد[13] يضاعف عليه بوجوه له. [٢٥٢و س٣١] مع ما كان الذي أظهر هو إبداع على غير احتذاء، وإنشاء[14] الإعادة[15] لا [كذلك]. **والله الموفق**.*

وقوله: **بأمره**، قال أبو بكر: يحتمل وجهين. أحدهما أنه أمْره[16] كما يقال: أتاه أمر الله، أي الموت والعذاب ونحو ذلك، على إرادة ذلك الذي نزل[17] به. والثاني أن يَطلُعن[18] ويَغْرُبن بأمرٍ

---

[1] لعله يشير إلى المسافة التي بين السماء والأرض، كما روي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: ﴿وفُرُشٍ مرفوعة﴾ (سورة الواقعة، ٥٦/٣٤)، قال: «ارتفاعها كما بين السماء والأرض، ومسيرة ما بينهما خمس مائة عام»؛ قال الترمذي: هذا حديث غريب (*سنن الترمذي*، التفسير ٥٦).

[2] ع م: عن إعادة.

[3] م – شيء.

[4] جميع النسخ: عند الفناء.

[5] جميع النسخ: متعالم؛ والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩٧و.

[6] ن ع: معاني؛ م: معما في.

[7] قال الشارح: «... إذ ذاك أَمْر مُتعارَف في صنيع الخلق مُعايَن، وذلك أنه يبعث بعضهم بعضا بالرسل لإحراز مقاصدهم وأغراضهم، ومُعايَنٌ عَوْدُ الليل والنهار بعد الانقضاء والفناء» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩٧و).

[8] ع م: ولكن.

[9] ن – الله.

[10] ك: وعظم.

[11] الزيادتان من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩٧و.

[12] ك: فيها بالسخير.

[13] ع: وضع.

[14] ك ن – وإنشاء.

[15] ك ن: والإعادة.

* وقع ما بين النجمتين متقدما على موضعه من تفسير الآية، فأخرناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٢٥٢و/سطر ٢٣-٣١.

[16] ع: أنه أمر.

[17] ع م: تركت.

[18] ك: أن يطامن.

بتوحيد الله والإيمان به[١] بما فيهن[٢] من عجيب الحكمة ورفيع[٣] التقدير. وقال الحسن: **بأمره** الذي به كوّن الأشياء مِن قوله: "كُن". فالقول الأول هو قول من لا يرى خلق الخلق غير الخلق. والثاني قول من يرى "كُن" عبارة عن التكوين الذي يكون به الخلق أبد الآبدين من غير أن كان ثَمّ[٤] في الحقيقة كاف أو نون، لكنه أقصر[٥] ما يُفهَم به المراد من الكلام، يُراد في ذلك نفي الصعوبة عنه وتيسير الأمر عليه. وذلك يكون[٦] في الحقيقة غير الخلق؛ إذ أخبر[٧] في الخلق أنه كان به، وكل شيء يكون بشيء في المتعارف من القول يكون غيره. وكذلك قوله: **ألا له الخلق والأمر**. **والأمر**[٨] فيه وجهان. أحدهما الإخبار عن تكوين الخلق الذي هو له. والثاني عن **الأمر** في خلقه بما[٩] شاء، ولا يُرَدّ شيء من أمره عن الوجه الذي أمر. ***والله أعلم***.*

وقوله[١٠] عز وجل: **مسخَّراتٍ بأمره**، قال بعضهم: **بأمره**، أي بتكوينه، أي أنشأها[١١] وكوّنها **مسخرات** لهم. وقال[١٢] بعضهم: **بأمره** ينفعن البشر.

وقوله[١٣] عز وجل: **ألا له الخلق والأمر**، قال بعضهم: **الأمر** هاهنا هو التكوين. وقيل: **ألا له الخلق** والتدبير في الخلق. وقيل: له **الأمر** في الخلق.[١٤]

وقوله عز وجل: **تبارك الله رب العالمين**، تعالى الله عما فهمت المشبّهة من قوله:[١٥] **ثم استوى على العرش**.

---

[١] ك ن ع: فيه.
[٢] ع م: بما هو فيهن.
[٣] جميع النسخ: ورفع.
[٤] ن: ثمه.
[٥] ع – أقصر؛ م: جاء.
[٦] ع م: عليه ويكون.
[٧] ع: إذا أخبر.
[٨] ك: وللأمر؛ ع م – والأمر.
[٩] جميع النسخ: بم.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٢٥٢ظ/سطر ١٣-٢١.
[١٠] ك – قوله.
[١١] م: أي إنشاءها.
[١٢] ع م: قال.
[١٣] ك – قوله.
[١٤] ن – وقوله عز وجل ألا له الخلق والأمر قال بعضهم الأمر هاهنا هو التكوين وقيل ألا له الخلق والتدبير في الخلق وقيل له الأمر في الخلق.
[١٥] ع م: ثم قوله.

﴿أُدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[٥٥]

وقوله: **ادعوا ربكم**، قال بعضهم: **ادعوا**، أي اعبدوا **ربكم**؛ كقوله: أُدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي،[١] ذكر في الابتداء الدعاء[٢] وفي آخره[٣] العبادة، فكان الأمر بالدعاء أمرا بالعبادة. وقال بعضهم: الدعاء هاهنا هو الدعاء. وقد جاء في الخبر[٤] أن «الدعاء مُخّ العبادة»؛[٥] لأن العبادة[٦] قد تكون بالتقليد، والدعاء لا يحتمل التقليد،[٧] ولكن إنما يكون عند الحاجة لما رأى في نفسه من الحاجة إليه[٨] والعجز عن القيام بذلك، فعند ذلك يفزع[٩] إلى ربه، فهو مخ العبادة من هذا الوجه. وقال بعض أهل التأويل في قوله: **ادعوا ربكم**، أي وحّدوا **ربكم**. **تضرعا وخفية**، قيل: [**تضرعا**]: خضوعا، **وخفية**: إخلاصا. وقيل: **تضرعا**: ظاهرا، **وخفية**: سرا. وأصله أن اعبدوا ربكم في كل وقت وكل ساعة، أو **ادعوا** خاضعين مخلصين.

وقوله عز وجل: **إنه لا يحب المعتدين**، قيل: المجاوزين الحد بالإشراك بالله. وقيل: **لا يحب** الاعتداء في الدعاء، نحو أن يقول: اللهم اجعلني نبيا أو ملكا، أو أنزلني في الجنة منزل كذا وموضع كذا. وروي عن عبد الله بن مُغَفَّل[١٠] [أنه] سمع ابنه يقول: اللهم إني أسألك الفردوس وأسألك كذا، فقال له عبد الله: سل الله الجنة وتعوّذ به من النار، فإني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «سيكون قوم يعتدون في[١١] الدعاء والطُّهور».[١٢] ويحتمل الاعتداء في الدعاء

---

[١] سورة المؤمن، ٤٠/٦٠.

[٢] ك + الدعاء.

[٣] ع: وفي الآخره.

[٤] ك ع م – في الخبر.

[٥] عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الدعاء مخ العبادة»؛ قال الترمذي: هذا حديث غريب (*سنن الترمذي*، الدعوات ٢). وروي عن النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الدعاء هو العبادة»، ثم قرأ: ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾»؛ قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح (*سنن أبي داود*، الوتر ٢٣؛ و*سنن الترمذي*، الدعوات ٢).

[٦] ع – لأن العبادة.

[٧] ن: بالتقليد.

[٨] ع م – إليه.

[٩] م: لفزع.

[١٠] ن: معقل.

[١١] م – في.

[١٢] ن ع: والظهور. والحديث في *مسند أحمد بن حنبل*، ٨٦/٤؛ و*سنن أبي داود*، الطهارة ٤٥؛ و*صحيح ابن حبان*، ١٦٦/١٥.

هو أن يسأل ربه ما ليس هو بأهل له، نحو أن يسأل كرامة الأخيار والرسل. وأصل الاعتداء هو المجاوزة عن الحد الذي جعل له. وعن الحسن قال في قوله: **ادعوا ربكم تضرعا وخفية**، علّمكم كيف تدعون ربكم، وقال[1] للعبد الصالح حيث[2] رضي دعاءه: إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا.[3] وقال أنس: قال[4] رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عمل البر كله نصف العبادة، والدعاء نصف العبادة».[5] ومنهم من صرف قوله: **ادعوا ربكم تضرعا وخفية**، إلى الدعاء، وقال: يكره للرجل أن يرفع صوته في الدعاء. ويروون على ذلك حديثا / عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سمع قوما يرفعون أصواتهم [٢٥٣و] في الدعاء، فقال: «أيها الناس، إنكم لا تدعون أصمّ ولا غائبا، ولكن[6] [تدعون سميعا بصيرا]».[7]

﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [٥٦]

وقوله:[8] **ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها**، قال بعضهم: قوله: **بعد إصلاحها**، بعد ما بعث الرسل بإصلاحها من الدعاء إلى عبادة الله والطاعة، ويأمرون بالحلال وينهون عن الحرام. وقال بعضهم: **ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها**، بعد ما خلقها طاهرة عن جميع أنواع المعاصي والفواحش وسفك الدماء وغير ذلك. ويقال: **بعد إصلاحها**،[9] بعد ما أعطاكم أسبابا تقدرون [بها] على الإصلاح[10] وما به تملكون إصلاحها. وجائز أن يكون المراد بإصلاح الأرض أهلَها، أي **لا تفسدوا** أهلها؛ وهو كقوله: وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا،[11] والقرية لا توصف بالعُتُوّ، ولكن أهلها.

---

[1] ك: قال.

[2] ك ن ع - حيث.

[3] سورة مريم، ٣/١٩. روي ذلك عن الحسن بمعناه؛ انظر: *تفسير الطبري*، ٢٠٦/٨-٢٠٧؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤٧٦/٣.

[4] ع + قال.

[5] *الفردوس بمأثور الخطاب* للديلمي، ٤٠/٣. والفردوس معروف باحتوائه على الأحاديث الضعيفة، لا سيما فيما انفرد به. وروي عن ثابت قال: قلت لأنس: يا أبا حمزة، أ بلغك أن الدعاء نصف العبادة؟ قال: لا، بل هو العبادة كلها؛ انظر: *تفسير الطبري*، ٧٩/٢٤.

[6] جميع النسخ + كذا.

[7] مسند *أحمد بن حنبل*، ٤٠٣/٤؛ وصحيح *البخاري*، الدعوات ٥٠؛ وسنن *أبي داود*، الوتر ٢٦.

[8] ك - قوله.

[9] ن - بعد ما خلقها طاهرة عن جميع أنواع المعاصي والفواحش وسفك الدماء وغير ذلك ويقال بعد إصلاحها.

[10] ع: على الإصطلاح.

[11] سورة الطلاق، ٨/٦٥.

وقوله عز وجل: **وادعوه خوفا وطمعا**، قال بعضهم: **خوفا** لما كان في العبادة من التقصير، **وطمعا** في التجاوز والقبول؛ لأنه لا أحد يقدر أن يعبد ربه حق عبادته[1] لا تقصير في ذلك.[2] وعلى ذلك روي عن رسول[3] الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا يدخل أحد الجنة[4] إلا برحمته». قيل: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلا أن يتغمّدني الله برحمته».[5] وعلى ذلك ما روي أن الملائكة يقولون يوم القيامة: ما عبدناك[6] حق عبادتك.[7] ويجب على كل مؤمن أن يكون في كل فعل الخير خائفا راجيا، الخوف للتقصير والرجاء للقبول. وقال بعضهم: **خوفا** من عذابه ونقمته، **وطمعا** في جنته.

إن رحمة الله قريب من المحسنين، قال بعض[8] أهل التأويل: إن الجنة **قريب من المحسنين**، ويقولون: أراد[9] بالقريب الوقوع فيها والنزول. ويحتمل أن يكون المراد بالرحمة صفته، فيكون تأويله: **إن** منفعة **رحمة لله قريب من المحسنين**. وقال الحسن: **إن رحمة الله**، وهي الجنة، **قريب من** الخائفين. وقال بعضهم في قوله: **إن رحمة الله قريب**، أي إجابة الله **قريب** إلى من استجاب دعاءه. ويحتمل ما ذكرنا من منفعة رحمته، أي منفعة[10] **رحمة الله قريب** إلى من ذكر.[11] ثم **المحسنين**، يحتمل **المحسنين** إلى أنفسهم، أو **المحسنين** إلى خلقه، أو **المحسنين** إلى نعم الله؛ أي أحْسَنوا صحبة نعمه بالقيام[12] لشكرها واجتناب الكفران بها. أو يريد الموحّدين.

---

[1] م: عبادة.

[2] ن: في عبادته.

[3] ك: عن نبي.

[4] م: الجنة أحد.

[5] *صحيح البخاري*، الرقاق ١٨؛ وصحيح *مسلم*، صفة القيامة ٧٢.

[6] ع: ما عبادناك.

[7] ك ن: العبادة؛ م: عبادك. عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما في السماوات السبع موضع قدم ولا شبر ولا كفّ إلا وفيه ملك قائم وملك راكع أو ملك ساجد، فإذا كان يوم القيامة قالوا جميعا: سبحانك، ما عبدناك حق عبادتك، إلا أنّا لم نشرك بك شيئا» (*المعجم الأوسط* للطبراني، ٤/٤٤؛ و*المعجم الكبير* له، ٢/١٨٤). «وفيه عروة بن مروان، قال الدارقطني: ليس بقوي في الحديث، وبقية رجاله رجال الصحيح» (*مجمع الزوائد* للهيثمي، ١٠/٣٥٨).

[8] ن ع م – بعض.

[9] م: أرادم.

[10] ن م – رحمته أي منفعة.

[11] ع: ما ذكر.

[12] جميع النسخ: القيام.

وبعد فإن إعادة الشيء في عقول الخلق أهون وأيسر من ابتداء[1] الإنشاء؛ ألا ترى أن الدهرية والثَّنَوِيّة وهؤلاء قد أنكروا الإنشاء لا من شيء، ورأوا وجود الأشياء وخروجها وإعادتها[2] عن أصل وكيان؛ وهو ما ذكر: وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ،[3] أي في عقولكم.* [٢٥٣ظ س ٤]

وقوله عز وجل: **وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته**، يذكّرهم عز وجل في هذا حكمته وقدرته ونعمه ليحتجّ بها عليهم على البعث.[4] أما حكمته فيما يرسل الرياح والأمطار ويسوقها إلى المكان الذي يريد أن تمطر[5] فيه [فهو] ما لم يعاينوا ذلك و[ما] شاهدوه [و]ما عرفوا أن كيف يرسل المطر من السماء وكيف يرسل الريح ويسوق السحاب، ففي ذلك تذكير حكمته إياهم. وأما نعمه فهو ما يسوق السحاب بالريح إلى المكان[6] الذي فيه حاجة إلى المطر، فيرسل على ذلك المكان المطر. وذلك من عظيم[7] نعمه عليهم[8] ليُعلَم أن ذلك كان برحمته، لا أنهم كانوا مستوجبين لذلك. وأما ما ذكّرهم من قدرته هو ما ذكر من إحياء الأرض بعد ما كانت[9] ميتة ليُعلَم أن الذي قدر على إحياء الأرض وإخراج النبات والثمر [منها] بعد ما كانت ميتة[10] لقادر على إحياء الموتى وبعثهم بعد موتهم، على ما قدر على إحياء الأرض بالنبات وإحياء النخل بالثمار بعد ما كان[11] علم كل أن لا نبات فيها ولا ثمار فيها.[12] فإذا خرج النبات منها والثمار من النخيل على ما خرج في العام الأول دل ذلك على وحدانيته[13] وقدرته على إحياء الموتى وبعثهم بعد ما ماتوا وصاروا ترابا على ما[14] قدر على[15] ما ذكرنا. ***والله أعلم***.

---

[1] ع: في ابتداء.
[2] ك ن + لا.
[3] ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه﴾ (سورة الروم، ٣٠/٢٧).
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه في تفسير الآية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ٢٥٣و/سطر ٣٣ - ٢٥٣ظ/سطر ٤.
[4] جميع النسخ: بالبعث.
[5] ع م: أن يمطر.
[6] ع: إلى مكان.
[7] ن: من عظم.
[8] م - عليهم.
[9] ع م: ما كان.
[10] جميع النسخ: كان ميتا.
[11] ك ن - كان.
[12] جميع النسخ: فيه.
[13] م: وحدانية.
[14] ن ع م - ما.
[15] ع م - على.

وفي قوله: **بين يدي رحمته**، دلالة أن لا نفهم[١] من اليدين الجارحتين على ما يُفهَم[٢] من الخلق، كما لم يفهم أحد بذكر اليد في المطر الجارحة، لأنه لا جارحة له؛ فعلى ذلك لا يُفهَم من ذكر اليد له الجارحة من قوله: بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ.[٣] وكذلك قوله: لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ،[٤] لم يُفهَم من قوله: لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ، الجارحة، لأنه لا جارحة[٥] للقرآن؛ فعلى ذلك لا يُفهَم مما ذكر من[٦] [اليدين المضافتين إلى الله عز وجل][٧] الجارحة، ومن فهم ذلك فإنما يفهم لفساد في اعتقاده. وكذلك ما ذكر من الاستواء على العرش والاستواء إلى السماء لا يُفهَم منه ما يُفهَم[٨] من استواء الخلق، لأنه بريء عن جميع مَشَابِهِ[٩] الخلق ومعانيهم، وهو ما وصف[١٠] [نفسه] حيث قال: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ.[١١]*

﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾[٥٨]

وقوله عز وجل: **والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خَبُث لا يخرج إلا نَكِدا**، ذكر المَثَل ولم يذكر المضروب به،[١٢] وأهل التأويل قالوا: ضرب المثل للمؤمن والكافر. ثم يحتمل ضرب المثل وجوها. أحدها أنه وَصَف الأرض التي **يخرج** منها[١٣] النبات بالطيب،[١٤] ووصف الأرض التي **لا يخرج** منها النبات بالخبث. فعلى ذلك المؤمن لِما كان منه من الأعمال من الطاعة لربه والائتمار لأمره موصوف هو بالطيب[١٥] وجَعَلَه من جوهر الطيب،

---

[١] ن ع: لأنفسهم.
[٢] ن ع م: على ما تفهم.
[٣] ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة غُلَّت أيديهم ولُعِنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء﴾ (سورة المائدة، ٥/٦٤).
[٤] ﴿لا يأتيه الباطل مِن بين يديه ولا مِن خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾ (سورة فصلت، ٤١/٤٢).
[٥] م – لأنه لا جارحة.
[٦] جميع النسخ + بين يديه.
[٧] من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩٧ظ.
[٨] ع م – منه ما يفهم.
[٩] مَشَابِه جمع شَبَه على غير قياس (*لسان العرب* لابن منظور، «شبه»).
[١٠] ن م: ما وصف؛ ع: ما صف.
[١١] سورة الشورى، ٤٢/١١.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ٢٥٣و/سطر ٣٣ – ٢٥٣ظ/سطر ٤.
[١٢] ن ع م – به.
[١٣] ع: بها.
[١٤] ك: الطيب.
[١٥] ن: به بالطيب.

والكافر لِما يكون منه الأعمال الخبيثة ولا يكون له من الأعمال الصالحة من الطاعة لربه خبيث، كما أن الأرض التي **يخرج** منها النبات الذي يُنتفَع به موصوف بطِيب الأصل والجوهر، والتي **لا يخرج** منها[١] النبات ولا يُنتفَع به موصوف بخُبُث[٢] الأصل. وأمكن أن يكون من وجه آخر، وهو أن الله تعالى جعل هذا القرآن مباركا شفاء للخلق على ما وصفه الله تعالى في غير موضع من الكتاب، ووصف الماء الذي ينزل من السماء بالبركة والرحمة. فإذا نزل ذلك[٣] الماء المبارك في الأرض الطيبةِ الجوهرِ خرج منها النبات والأَنْزال[٤] [التي] يُنتفَع بها. وإذا[٥] نزل في الأرض السَّبِخَة[٦] الخبيثة الجوهرِ لم يخرج لخبث[٧] أصلها. فعلى ذلك هذا القرآن هو مباركٌ شفاءٌ، فيسمعه[٨] المؤمن فيتبعه ويعمل به، والكافر يسمعه ولا يتبعه ولا يعمل به. فصار مثل المؤمن الذي يسمع هذا القرآن و يتبعه ويعمل بما فيه كمثل[٩] الماء الذي يدخل في الأرض فيخرج منه النبات لطيب جوهرها وأصلها، والكافر مَثَل الأرض[١٠] التي لا يخرج منها[١١] النبات لخبث أصلها وجوهرها. وأصله أنه ضَرْبُ مَثَل الذي هو مُستحسَن بالعقل بالذي[١٢] هو مُستحسَن بالطبع، لأن ما حَسُن في الطبع فإنما معرفته حِسِّي، وما حَسُن في العقل فإنما يُعرَف حُسنه بالدلائل، وهو غائب. فضرب مَثَل [ما] معرفةُ حُسنِه بالعقل[١٣] وهو غائب بالذي معرفةُ حُسنِه بالحِسِّ والمشاهدة.[١٤] فالإيمان حُسنه غائب، ضرب مثله بالذي طريقُ معرفةِ حُسنِه[١٥] بالحِسّ[١٦] والمشاهدة،

---

[١] ن: منه.

[٢] ع م: بخبيث.

[٣] ن – ذلك.

[٤] الأنزال جمع نُـزُل، وهو ما يُهيأ للنَّزيل أي الضيف، ويستعمل بمعنى القوت والغذاء (*لسان العرب* لابن منظور، «نزل»).

[٥] م: وإنا.

[٦] ن ع: السنحة. السبخة هي الأرض المالحة التي لا تنبت (*لسان العرب* لابن منظور، «سبخ»).

[٧] ع: لخبيث.

[٨] جميع النسخ: فيسمع.

[٩] ك ن ع: فمثل.

[١٠] ك ن ع: والكافر بالأرض.

[١١] ع: منه.

[١٢] ع: الذي.

[١٣] ن: العقل.

[١٤] ك ن: حسي ومشاهدة.

[١٥] ع – بالعقل وهو غائب بالذي معرفة حسنه بالحس والمشاهدة فالإيمان حسنه غائب ضرب مثله بالذي طريق معرفة حسنه؛ م – وهو غائب بالذي معرفة حسنه بالحس والمشاهدة فالإيمان حسنه غائب ضرب مثله بالذي طريق معرفة حسنه.

[١٦] ن ع م: بالحسن.

وهو ما ذكر[١] من النبات الذي يخرج من الأرض، وذلك يدل على طيب أصلها وجوهرها، والذي لا يُخرِج شيئا هو[٢] لخبث جوهرها وأصلها؛ فعلى ذلك المؤمن والكافر. ثم حُسْن عمل هذا وطِيبه وقُبْح عمل الآخر وخُبثه إنما يظهر في الآخرة، وذلك يوجب البعث؛[٣] لأنهما[٤] جميعا استويا في هذه الدنيا، فدل أن[٥] هنالك دارا أخرى فيها يظهر الطيّب من الخبيث. طاب عمل المؤمن وجميع ما يكون منه حُسْنا لطيب أصله، وخبُث عمل الكافر وقَبُح ما يكون منه لخبث أصله كالأرض التي ذكر.

وقوله عز وجل: **بإذن ربه**، يحتمل: بعلمه وتكوينه. وقوله[٦] عز وجل: **إلا نَكِدا**، قال الحسن: خبيثا، أي **لا يخرج إلا** خبيثا. وقال أبو بكر: **نَكِدا**، أي لا منفعة فيه. وقيل: إلا عسيرا؛[٧] وقيل: إلا قليلا؛ وهو واحد. وقوله[٨] عز وجل: **كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون**، أي **لقوم** ينتفعون بالآيات.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[٥٩]

وقوله[٩] عز وجل: **لقد أرسلنا نوحا إلى قومه**، كما أرسلناك إلى قومك، ولست أنت بأول رسول؛ كقوله: قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ.[١٠] وفيه دلالة أن الإيمان بالأنبياء والرسل يصح[١١] وإن لم يُعرَف[١٢] أنسابهم؛ لأن الله عز وجل ذكر الأنبياء والرسل بأساميهم ولم يذكر أنسابهم، دل ذلك أن الإيمان يكون بهم إيمانا[١٣] وإن لم يُعرَف أنسابهم.

---

[١] ع: وهو ما ذكرنا.
[٢] ع م - هو.
[٣] ع م: البعض.
[٤] ع م: أنهما.
[٥] ن - أن.
[٦] ك - قوله.
[٧] ك ن: إلا عسرا.
[٨] ك - قوله.
[٩] ك - قوله.
[١٠] سورة الأحقاف، ٩/٤٦.
[١١] جميع النسخ: يصح بالأنبياء والرسل.
[١٢] ن: إن لم يعرف.
[١٣] ع م - إيمانا.

وكذلك يصح الإيمان وإن لم يُعرَف أسماؤهم، لأن من[1] الأنبياء من لا يُعرَف اسمه، فيصح الإيمان بجملة الأنبياء وإن لم يُعرَف أسماؤهم. وفي ذلك دلالة إثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، لأنه أخبر عن رسالة نوح، فدل أنه بالله عرف ذلك.

وقوله عز وجل: **[فقال يا قوم] اعبدوا الله ما لكم من إله غيره**، قيل: قوله: **اعبدوا الله**، أي وحدوا الله، سَمَّوا العبادة توحيدا،[2] لأن العبادة[3] لا تكون ولا تصح إلا بالتوحيد فيها لله خالصا، سُمِّي بذلك مجازا. ويجوز[4] أن تكون[5] العبادة[6] عبادة. وقوله عز وجل: **ما لكم من إله غيره**، أي **ما لكم من** الإله[7] الحق الذي ثبتت[8] ألوهيته وربوبيته بالدلائل والبراهين[9] **من إله غيره**.

وقوله عز وجل: **إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم**، قال بعضهم: **إني أخاف**، أي إني أعلم أن ينزل **عليكم عذاب يوم عظيم** إن مُتُّم على هذا. وقال بعضهم: الخوف هو الخوف، وهو خوف إشفاق. وذلك يحتمل أن يكون في الوقت الذي كان يطمع إيمان قومه، ثم آيسه الله عن إيمان قومه بقوله: لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ.[10] وقوله عز وجل: **عذابَ يومٍ عظيم**، هو يوم عظيم للخلق، كقوله: لِيَوْمٍ عَظِيمٍ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ،[11] وهو عظيم للخلق على ما وصف.

﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [٦٠]

وقوله عز وجل: **قال الملأ من قومه**، هم أشراف قومه وسادتهم، كقوله: إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا،[12] الآية. وكانوا هم أضداد الأنبياء والرسل، / لأنهم كانوا يدعون الناس إلى ما يوحي إليهم الشياطين، والرسل كانوا يدعون إلى ما يوحي إليهم الله وينزل عليهم. [٢٥٤و]

---

[1] ع م – من.
[2] م: التوحيد عبادة.
[3] ع – توحيدا لأن العبادة.
[4] م – ويجوز.
[5] ن ع م: أن يكون.
[6] ع م – العبادة.
[7] ك ن ع: من إله.
[8] ع م: ثبت.
[9] ع م – والبراهين.
[10] ﴿وأُوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تَبتَئِس بما كانوا يفعلون﴾ (سورة هود، ٣٦/١١).
[11] سورة المطففين، ٨٣/٥-٦.
[12] ﴿وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكُبَراءنا فأضلّونا السبيلا﴾ (سورة الأحزاب، ٦٧/٣٣).

لذلك قالوا: **إنا لنراك في ضلال مبين**؛ لأنهم ظنوا أن ما أوحى[١] إليهم الشيطان هو الحق، وأن ما يدعو[٢] إليه الرسل هو ضلال وباطل.

*ويحتمل قوله: **إنا لنراك في ضلال مبين**، أي لفي خطأ **مبين**. ثم يخرج على وجهين. [٢٥٤و س٥ أحدهما نسبوه إلى الخطأ لما رأوه خالف[٣] الفراعنة والجبابرة الذين كانت همتهم القتل لمن خالفهم. والثاني نسبوه إلى الخطأ لأنه ترك[٤] دين آبائه وأجداده. ***والله أعلم***.* ٢٥٤و س٧]

﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٦١]

وقوله عز وجل: **قال يا قوم ليس بي ضلالة**، أي لست[٥] أنا بضال؛ لأنه[٦] إذا نفى الضلال عنه نفى أن يكون ضالا. وهو حَرْفُ رِفْق ولِين؛ وعلى ذلك أمر الأنبياء والرسل أن يعاملوا قومهم، لأن ذلك أنجع في القلوب وإلى القبول[٧] أقرب. **ولكني رسول من رب العالمين**، والعالم هو جوهر الكل.*

﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[٦٢]

وقوله عز وجل: **أبلّغكم رسالات ربي**، رسالته التي أمرني بتبليغها إليكم، قَبِلتم أو رددتم، أَوْعَدتم أو وَعَدتم،[٨] لأني أبلغها على أي حال استقبلتموني. أو يقول: **أبلغكم رسالات ربي**، رسالته[٩] التي أرسلها إليّ. *ثم أخبر أنه يبلغهم **رسالات** ربه،[١٠] ولم يبيّن فيما ذا: في كتاب أنزله عليه أو بوحي[١١] [٢٥٤و س١٣ في غير كتاب يوحي إليه؟ وليس لنا إلى معرفة ذلك حاجة سوى[١٢] التصديق له فيما يبلغ إليهم.* ٢٥٤و س١٤]

---

[١] ن ع: انما اوحى.
[٢] جميع النسخ: ما يدعون.
[٣] ع: مخالف.
[٤] ن: نزل؛ ع م - ترك.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه في تفسير الآية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٢٥٤و/سطر ٥-٧.
[٥] ع م: ليست.
[٦] ع: أنه.
[٧] ك: وإلي القلوب.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٢٥٤و/سطر ٥-٧.
[٨] ع م - أو عدتم أو وعدتم.
[٩] ن ع: رسالة.
[١٠] جميع النسخ: ربي.
[١١] ع: أو يوحي.
[١٢] ن - سوى.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه في تفسير الآية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٢٥٤و/سطر ١٣-١٤.

وقوله عز وجل: **وأنصح لكم**، يحتمل قوله: **أنصح لكم**، أي أدعوكم وآمُركم إلى ما فيه صلاحكم، وأنهاكم عما فيه فسادكم. والنصيحة[١] هي الدعاء إلى ما فيه الصلاح، والنهي عما فيه الفساد. ويكون النصيحة لهم ولجميع المؤمنين. روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [أنه] قال: «ألا إن الدين النصيحة». قيل: لمن يا رسول الله؟ قال: «لله [ولكتابه] ولرسوله [ولأئمة المسلمين وعامتهم]».[٢] قال الشيخ أبو القاسم الحكيم[٣] رحمه الله: النصيحة هي النهاية مِن صِدق العناية.[٤]*

وقوله عز وجل: **وأعلم من الله ما لا تعلمون**، قد أتاه من الله العلم بأشياء[٥] ما لم يأت أولئك[٦] مثله، وهو كقول إبراهيم صلوات الله عليه لأبيه: يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي.[٧] ويحتمل قوله: **وأعلم من الله**، من العذاب أنه ينزل بكم **ما لا تعلمون** أنتم إذا دمتم على ما أنتم عليه.

﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[٦٣]

وقوله: **أَوَعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم [على رجل منكم]**، أي تعجبون بما **جاءكم ذكر من** الله **على** يدي **رجل منكم** ما لا أقدر[٨] أنا ولا تقدرون أنتم على مثله. كانوا يعجبون وينكرون أن يكون[٩] رسل الله من البشر بقولهم: مَا هٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً،[١٠] ونحو[١١] هذا. كانوا ينكرون رسالة البشر.

---

[١] ك: والتصبحة.

[٢] *صحيح مسلم*، الإيمان ٩٥؛ و*سنن أبي داود*، الأدب ٤٩؛ و*سنن الترمذي* البر والصلة ١٧.

[٣] لعله أبو القاسم الحكيم إسحاق بن محمد بن إسماعيل السمرقندي، من أبرز أصحاب وتلاميذ الإمام الماتريدي، ومن أوائل علماء الماتريدية. تولى القضاء في سمرقند مدة طويلة. له مؤلفات في قضايا العقيدة وكلام كثير من الحكمة. توفي سنة ٣٤٢هـ/ ٩٥٣م. انظر: *تبصرة الأدلة* للنسفي، ١/٣٥٧-٣٥٨؛ *الجواهر المضية* للقرشي، ١/٣٧١-٣٧٢.

[٤] م: الغاية.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٢٥٤و/سطر ١٣-١٤.

[٥] م: بأنباء.

[٦] ك ن: بأولئك.

[٧] سورة مريم، ١٩/٤٣.

[٨] ع – أقدر.

[٩] م: أني يكون.

[١٠] سورة المؤمنون، ٢٣/٢٤.

[١١] م + ذلك.

وما ينبغي لهم أن ينكروا ذلك؛ لأنهم قد كانوا رأوا تفضيل بعض البشر على بعض، وفي وَضْعِ الرسالة فيهم، أعني في الرسل، تفضيلُهم، وذلك قد رأوا فيما بينهم. ولله تفضيل بعضهم على بعض؛ إذ له[1] الخلق والأمر، ولكل[2] ذي مُلك وسلطان أن يصنع في ملكه ما شاء من تفضيل بعض على بعض وغيره. أو يقول: قد **عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على** يدي **رجل منكم**، ولو كان جاء الذكر على من هو من غير جوهركم كان في ذلك لَبْس واشتباه عليكم.

وقوله[3] عز وجل: **لينذركم**، عذاب الله، **ولتتقوا**، معاصيه، **ولعلكم تُرحَمون**، إن اتقيتم ما نهيتكم[4] عنه،[5] أو كان في قومه من يجوز أن يُرحَم.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾[٦٤]

وقوله عز وجل: **فكذبوه**، يعني نوحا فيما[6] دعاهم إلى عبادة الله ووحدانيته[7] ونهاهم عن عبادة غير الله. أو كذّبوه فيما أتاهم من آيات نبوته ورسالته.[8]

وقوله[9] عز وجل: **فأنجيناه**، يعني نوحا، **والذين معه في الفلك وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا**، إذا كان إهلاك[10] القوم إهلاك[11] تعذيب وعقوبة يُنجي أولياءه، ويُبقيهم[12] إلى الآجال التي قدّر لهم، ويكون ذلك نجاة لهم من ذلك العذاب الذي حلّ بالأعداء.

وقوله[13] عز وجل: **كذبوا بآياتنا، أي بآياتنا**[14] التي جعلناها[15] لإثبات رسالته ونبوته.[16]

---

[1] ع: أذلة.
[2] ك - ولكل.
[3] ك - قوله.
[4] ك: ما نهاكم.
[5] ك - عنه.
[6] ع م - فيما.
[7] ع: ووحدانية.
[8] م: ورسالاته.
[9] ك - قوله.
[10] ن: هلاك.
[11] ع - إهلاك؛ م - القوم إهلاك.
[12] ن: ويبقي.
[13] ك - قوله.
[14] م - أي بآياتنا.
[15] جميع النسخ: جعلناه.
[16] ن + ويحتمل كذبوا بآياته أي بآياتنا التي جعلناه لإثبات رسالته ونبوته.

ويحتمل **كذبوا بآياتنا**، التي أعطيناه[1] لوحدانية الله وألوهيته. **إنهم كانوا قوما عمين**، عَمُوا عن الحق.

﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ أَ فَلَا تَتَّقُونَ﴾[٦٥]

وقوله[2] عز وجل: **وإلى عاد أخاهم هودا**، أي أرسلنا **هودا** إلى عاد.[3] وهو على ما ذكر في نوح، وهو قوله: لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ،[4] فعلى ذلك قوله: **وإلى عاد أخاهم هودا**، أي **إلى عاد** أرسلنا **هودا**. ثم تحتمل[5] الأخوّة وجوها أربعة: أخوّة النسب، وأخوّة الجوهر -وهو [كما][6] يقال: هذا أخو[7] هذا[8] إذا كان من جوهره، ولا يقال ذلك في غير جوهره-[9] وأخوّة المودة والمحبة، وأخوّة الدين. ثم لم يكن بين هود وقومه أخوّة الدين ولا أخوّة المودة؛ لكن يحتمل أخوّة النسب، لأن البشر على بُعْدٍ مِن آدم كلهم أولاده. فإذا كانوا كذلك فهم فيما بينهم بعضُهم إخوةُ بعضٍ، كأولاد رجل واحد يكون بعضُهم إخوةَ بعضٍ. أو أخوّة الجوهر على ما ذكرنا، يقال: هذا أخو[10] هذا، إذا كان من جنسه وجوهره. فهذين الوجهين[11] يحتمل،[12] والوجهان الآخران لا.

وقوله[13] عز وجل: **قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره**، أي **اعبدوا الله**، الذي يستحق العبادة، **و ما لكم**[14] **من إله غيره**، أي ليس لكم مِن معبودٍ سِواه، وهو المعبود في الحقيقة. وقوله[15] عز وجل: **أفلا تتقون**، عبادة غير الله. أو **أفلا تتقون** الله في عبادتكم غيره وفي تكذيبكم هودا. أو أن يقول: **أفلا تتقون**، عذاب الله ونقمته عليكم بمخالفتكم إياه.

---

[1] م: أعطينا.
[2] ك - قوله.
[3] ع: أي عاد.
[4] سورة الأعراف، ٧/٥٩.
[5] ن ع م: ثم يحتمل.
[6] من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩٨ظ.
[7] ن ع: أخ؛ م - أخو.
[8] ن ع م - هذا.
[9] ك - وأخوة الجوهر وهو كما يقال هذا أخو هذا إذا كان من جوهره ولا يقال ذلك في غير جوهره.
[10] جميع النسخ: أخ.
[11] ع: فهذه الوجهين.
[12] ك: تحتمل.
[13] ك - قوله.
[14] م: ما لكم.
[15] ك - قوله.

﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾[٦٦]

وقوله عز وجل: **قال الملأ الذين كفروا من قومه**، قد ذكرنا قوله: ٱلْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ،[١] أي أشراف / قومه وسادته.[٢] **إنا لنراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين**، ذكر[٣] هاهنا [٢٥٤ظ] ظنهم في تكذيبهم الرسول، وفي موضع[٤] آخر قطعوا في التكذيب، وهو قوله: إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ،[٥] فكان قوله: **وإنا لنظنك من الكاذبين**، في ابتداء ما دعاهم[٦] إلى عبادة الله ووحدانيته. كانوا على ظَنٍّ فيه لما كان عندهم صَدوقا أمينا قبل دعائهم إلى ما دعاهم. فلما أن أقام عليهم آيات الرسالة والنبوة، وأظهر عندهم عيب ما عبدوا غير الله وأبطله، وتحقّق ذلك عندهم، عند ذلك قالوا: إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ؛ ليُعلَم أنهم عن عنادٍ كذّبوا الرسل.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٦٧]

قال يا قوم ليس بي سفاهة؛ إن الرسل صلوات الله عليهم كانوا أُمروا أن يعاملوا الخلق بأحسن معاملة،[٧] وهو على ما أَمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال له: خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ،[٨] الآية،[٩] وقال له:[١٠] اِدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ،[١١] ونحوه.[١٢] فعلى ذلك الرسل الذين كانوا مِن قَبْل كانوا مأمورين بذلك؛ لذلك[١٣] قال لهم هود لمّا تلقّوه بالتكذيب والتسفيه، **قال ليس بي ما تقولون**[١٤] وتنسبوني إليه، **ولكني رسول من رب العالمين**.

---

[١] سورة الأعراف، ٦٠/٧.
[٢] ع: وساداته.
[٣] ن – ذكر.
[٤] م: في موضع.
[٥] سورة المؤمنون، ٣٨/٢٣.
[٦] ن ع م: ما ادعاهم.
[٧] ع: معالمة.
[٨] ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾ (سورة الأعراف، ١٩٩/٧).
[٩] ن ع م – الآية.
[١٠] ك – قال له؛ ن ع م: وقوله.
[١١] سورة المؤمنون، ٩٦/٢٣.
[١٢] ع: نحوه.
[١٣] ن – لذلك.
[١٤] ن: بي سفاهة.

﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾[٦٨]

أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين، أي أدعوكم إلى وحدانية الله وعبادته والتمسّك بالدين الذي به نجاتكم. وكلُّ مَن دعا آخرَ إلى ما به نجاته فهو **ناصح** له. أو يحتمل[١] قوله: **وأنا لكم ناصح أمين**، أي كنت ناصحا[٢] لكم قبل هذا، أمينا[٣] فيكم، فكيف تكذّبونني وتنسبونني[٤] إلى السَّفَه، وأنا **أمين** على الرسالة والوحي الذي وضع الله عندي. وقوله عز وجل: **أبلغكم رسالات ربي**،[٥] شئتم أو أبيتم.[٦] أو يقول: **أبلغكم رسالات ربي**، خوّفتموني أو لم تخوّفوني، قبلتم عني أو لم تقبلوا.[٧] أو يقول:[٨] **أبلغكم رسالات ربي**، فكيف تنسبونني إلى السَّفَه والافتراء على الله.

﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٦٩]

وقوله عز وجل: **واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح**، يحتمل قوله: **اذكروا إذ جعلكم خلفاء**، وجوها. أحدها أنه **جعلكم خلفاء** قومٍ أهلكهم بتكذيبهم[٩] الرسول، ولم يُهلككم،[١٠] فاحذروا أنتم هلاككم بتكذيبكم الرسول كما أهلك أولئك بتكذيبهم الرسول.[١١] أو أن يقال: **جعلكم خلفاء** قومٍ صدّقوا رسولا من البشر، وهو نوح، فكيف كذّبتموني في دعواي[١٢] الرسالة -لأنيّ بشر- ودعائي[١٣] إلى عبادة الله ووحدانيته؟ هذا تناقض.

والثاني أن **اذكروا** نوحا، وهو كان رسولا من البشر، فكيف تنكرون أن يكون الرسول من البشر، وكان الرسل جميعا من البشر؟[١٤]

---

[١] م: ويحتمل.
[٢] ع: منصحا.
[٣] جميع النسخ: أمين.
[٤] ك: وتكسبونني.
[٥] ك – إلى السفه وأنا أمين على الرسالة والوحي الذي وضع الله عندي وقوله عز وجل أبلغكم رسالات ربي.
[٦] ع: شئتم أوتيتم.
[٧] ن: ولم تقبلوا.
[٨] ع: أو يقولوا.
[٩] ك: تكذيبهم.
[١٠] ك: ولم يهلكهم.
[١١] ن ع: الرسل.
[١٢] جميع النسخ: دعوى؛ والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩٨ظ.
[١٣] ع: ودعاني.
[١٤] ع – من البشر.

والثالث أن **اذكروا** نعمه[١] التي أنعمها عليكم من السعة في المال والقوة في الأنفس وحسن الخِلقة والقامة. وكان لِعَادٍ ذلك كلُّه، كقوله: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ،[٢] الآية، هذا في السعة في المال. وأما القوة[٣] في الأنفس والقامة ما ذكر في قوله: فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ،[٤] وقوله: كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ.[٥] فيه وصف لهم بالقوة وطول القامة. وعلى ذلك فسّر بعض أهل التأويل[٦] قولَه:[٧] **وزادكم في الخلق بسطة**، يعني قوة وقدرة. وقال غيره: هو الطُّول والعِظَم في الجسم. ذكر الله تعالى في عاد أشياء ثلاثة،[٨] خَصَّهم بها مِن بين غيرهم. أحدها العِظَم في النفس، كقوله: **وزادكم في الخلق بسطة**؛ والقوة، بقوله:[٩] مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً؛[١٠] والسعةُ في الأموال، بقوله: [أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ] بِعَادٍ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ؛ وفَضْلُ[١١] العِلم[١٢] بقوله: وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ.[١٣]

وقوله عز وجل: **فاذكروا آلاء الله**، قال بعضهم: الآلاء هو في دفع البلايا، والنَّعْماء هو في سَوْق النّعماء إليه. ولكن هما واحد، لأنه ما من بلاء يُدفع عنه إلا وفي ذلك سَوْق نعمةٍ أُخرى[١٤] إليه؛ ولأن الله تعالى [عِندما] ذكر في سورة الرحمن الآلاء في جميع[١٥] ما ذكر

---

[١] م: نعمته.

[٢] ﴿أَلم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد التي لم يُخلَق مثلها في البلاد﴾ (سورة الفجر، ٨٩/٦-٨).

[٣] ك: وأما في القوة.

[٤] ﴿وأما عادٌ فأُهلكوا بريح صَرصَرٍ عاتية. سخرها عليهم سبع ليالٍ وثمانية أيامٍ حُسُوما فترى القوم فيها صَرعَى كأنهم أعجاز نخل خاوية﴾ (سورة الحاقة، ٦٩/٦-٧).

[٥] ﴿إنا أرسلنا عليهم ريحا صَرصَرا في يومِ نَحسٍ مُستمِرٍ. تَنزِعُ الناس كأنهم أعجازُ نخلٍ مُنقَعِرٍ﴾ (سورة القمر، ٥٤/١٩-٢٠).

[٦] ن: أهل التفسير.

[٧] ن ع م: وقوله.

[٨] ذكر المؤلف أربع صفات لقوم عاد، ولكن الصفة الرابعة وهي فضل العلم ليست خاصة بهم، لأن الآية ذكرت قوم ثمود أيضا معهم.

[٩] ن ع م: فقوله.

[١٠] ﴿فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة﴾ (سورة فصلت، ٤١/١٥).

[١١] ع: فضل.

[١٢] ك - العلم.

[١٣] ﴿وعادًا وثمودَ وقد تبيّن لكم مِن مَساكنهم وزيّن لهم الشيطان أعمالهم فصدّهم عن السبيل وكانوا مُستبصِرين﴾ (سورة العنكبوت، ٢٩/٣٨).

[١٤] جميع النسخ: اجرى؛ والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩٨ظ.

[١٥] جميع النسخ: بجميع.

إنما ذكر على سَوْق النعم إليه بقوله:[١] فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ.[٢] حيث قال: اَلرَّحْمٰنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ،[٣] إلى آخر[٤] ما ذكر[٥] من السورة، وهو ذِكْرُ[٦] في سَوْق النعم لا في دفع البلايا.

وقوله عز وجل: **لعلكم تفلحون**، أي **تفلحون** إن ذكرتم نعمه وشكرتم له عليها و لم تصرفوا عبادتكم وشكركم إلى غيره. أو يقول: لكي يلزمكم الفلاح. أو حتى تكونوا من أهل الفلاح.

﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [٧٠]

وقوله عز وجل: **قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا**، هذا[٧] يدل[٨] أن رسالته التي يبلّغها إليهم في دعائه إياهم إلى عبادة الله وحده[٩] وتركِهم عبادةَ[١٠] مَن دونه، حيث **قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا**، ولا شك[١١] أنه إنما جاءهم ليعبدوا الله وحده، وجاءهم ليذروا ما كان يعبد آباؤهم. ثم في فعلهم تناقض، لأنهم كانوا ينكرون أن يكون من البشر رسولٌ[١٢] بقولهم: مَا هٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ[١٣] مِمَّا تَشْرَبُونَ،[١٤] لم يرضوا برسالة البشر ورضوا بإلٰهية الأحجار والخشب. ثم يقلّدون آباءهم في عبادتهم غير الله، وفي آبائهم مَن يَعبد الله لا يعبد غيره، وهم الذين نجوا[١٥] مع نوح،

---

[١] ك ع م: قوله.
[٢] سورة الرحمن، ١٣/٥٥. وقد تكررت هذه الآية إحدى وثلاثين مرة في سورة الرحمن.
[٣] سورة الرحمن، ١/٥٥-٤.
[٤] م – آخر.
[٥] ن – على سوق النعم إليه بقوله فبأي آلاء ربكما تكذبان حيث قال الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان إلى آخر ما ذكر.
[٦] م: ما ذكر.
[٧] ن – هذا.
[٨] ع – يدل.
[٩] ك – وحده.
[١٠] ن: عبادت.
[١١] ك – ولا شك.
[١٢] ك ن: رسولا.
[١٣] ع م – رسولا بقولهم ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب.
[١٤] سورة المؤمنون، ٣٣/٢٣.
[١٥] م – نجوا.

فكيف لم يقلّدوا مَن نجا منهم و لم يعبدوا غير الله دون أن قلّدوا الذين عبدوا غير الله؟ فذلك تناقض حيث اتّبعوا من هلك منهم بتكذيبهم الرسول[١] وعبادتهم غير الله،[٢] و لم يتّبعوا من نجا منهم. يَذكر عز وجل سَفَههم وتناقضهم في القول في إنكارهم الرسول من البشر، ولكن ذَكَر سَفَههم وتناقضهم بالتعريض / لا بالتصريح. وكذلك عامة ما ذكر في كتابه مِن سَفَهِهم إنما ذكر بالتعريض. [٢٥٥و]

وقوله عز وجل: **فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين**، أنه كان يَعِدهم[٣] العذاب إن لم يصدّقوه فيما يدعوهم[٤] إليه ويتركوا[٥] تقليدهم آباءهم في عبادتهم غير الله.

﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾[٧١]

وقوله عز وجل: **قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب**، قال بعضهم: الرجس العذاب، أي قد وجب[٦] عليكم العذاب بتكذيبكم[٧] هودا أو تقليدكم آباءكم في عبادتكم غير الله. **وغضب**، وهو العذاب أيضا. وجائز أن يكون الرجس هاهنا الخذلان وحرمان التوفيق والمعونة، أي **قد وقع عليكم** ووجب الخذلان وحرمان التوفيق باختياركم ما اخترتم. وقال بعضهم: الرجس هو الإثم والخبث، كقوله تعالى: فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ،[٨] وقوله: رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ،[٩] وقوله [صلى الله عليه وسلم]: «اللهم إني أعوذ بك من الرجس النَّجِس الخبيث المُخْبِث[١٠] الشيطان الرجيم».[١١]

---

[١] ع م: الرسل.
[٢] ع – غير الله.
[٣] ع م: يعد.
[٤] ن – فيما يدعوهم.
[٥] ك ن م: وترك؛ ع: وتر؛ والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩٩و.
[٦] ك: قد وقع؛ ع م: وقد وجب.
[٧] م: بتكذيبهم.
[٨] سورة الحج، ٢٢/٣٠.
[٩] ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾ (سورة المائدة، ٥/٩٠).
[١٠] جميع النسخ + من.
[١١] روي ذلك مرفوعا من عدة طرق على أنه دعاء يقرأ قبل دخول الخلاء؛ انظر: *سنن ابن ماجة*، الطهارة ٩؛ و*المراسيل* لأبي داود، ٧٢؛ و*المستدرك على الصحيحين* للحاكم، ١/٢٩٧. وروي موقوفا على ابن مسعود وحذيفة رضي الله عنهما؛ انظر: *المصنف* لابن أبي شيبة، ١/١١.

وقوله عز وجل: **أتجادلونني في أسماءٍ سَمَّيتموها**، ومجادلتهم ما قالوا: أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ.[١] ويحتمل **في أسماء**، أي بأسماء **سميتموها**.

وقوله عز وجل: **ما نزّل الله بها من سلطان**، قيل: حجة، أي لم ينزّل لهم حجة في عبادتهم غير الله. وقيل: السلطان هاهنا العذر،[٢] أي لم ينزل لهم عذرا في ذلك. وقوله عز وجل: **فانتظروا**، أي انتظروا أنتم وعد الشيطان، **إني معكم من المنتظرين**، وَعْدَ الرحمن.

وقوله عز وجل: **ما نزّل الله بها من سلطان**، أي من حجة في تسميتهم الأصنام التي عبدوها دون الله ما سمّوها آلهة وشفعاء ونحوه. كأنهم إنما جادلوه في تسميتهم آلهة وشفعاء، وأنْ ليس[٣] لهم حجة ولا عذر في عبادتهم غير الله، ولا في إشراكهم غيره في العبادة والألوهية. **فانتظروا**، قال الحسن: انتظروا أنتم مَواعِد الشيطان، **إني معكم من المنتظرين**، لمواعد الله.

﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾[٧٢]

وقوله عز وجل: **فأنجيناه**، يعني هودا، **والذين معه برحمة منا**، أنّ[٤] مِن حُكم[٥] الله أنه إذا أهلك[٦] قوما إهلاك تعذيب استأصلهم وأنجى أولياءه ونصرهم. وقوله عز وجل: **برحمة منا**، يحتمل[٧] برحمته[٨] التي [بها] هَداهم عز وجل، ولو لا رحمته ما اهتدوا، لكنه رحمهم فهداهم، فبرحمته اهتدوا. ويحتمل أنه إنما[٩] أنجاهم من العذاب برحمة منه، وإلا كانت لهم ذنوب وخطايا يستحقون بها العذاب، لكنه أنجاهم برحمته[١٠] وفضله.[١١] *والله أعلم*. وفيه أنّ من[١٢] نُجّي إنما نُجّي[١٣] برحمته وفضله وإن كان رسولا،[١٤]

---

[١] الآية السابقة.
[٢] جميع النسخ: عذر.
[٣] ك: أو أن ليس.
[٤] أي لأن.
[٥] ع: أي من حكم.
[٦] م: إذا هلك.
[٧] ك + قوله برحمة منا؛ ن – يحتمل؛ ع م + قوله.
[٨] ك: برحمة.
[٩] ع م – إنما.
[١٠] ك: برحمة منه؛ ن: برحمة.
[١١] ك ن ع: وفضل.
[١٢] ع – من.
[١٣] م – إنما نجي.
[١٤] ك: وإن كان هو.

لا[1] باستيجاب النجاة منه.[2] وهو ما روي حيث قال: «لا يدخل أحد الجنة[3] إلا برحمة الله». قيل: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلا أن يتغمّدني الله برحمته».[4]

وقوله عز وجل: **وقَطَعْنا دابر الذين كذّبوا بآياتنا**، قيل: **دابر الذين كذبوا**، أي أواخر **الذين كذبوا** آياته. أي استأصلهم فلم يَبْقَ منهم أحد. وقيل: **دابر الذين كذبوا**،[5] أي أصل **الذين كذبوا بآياتنا**. و لم يبين لنا آياته[6] التي أعطاها[7] هودا، وليس لنا إلى معرفة ذلك حاجة[8] سوى ما أخبر أنّ ما حلّ بهم من العذاب إنما حلّ بتكذيبهم الرسول، وذلك كان سُنّته وحُكمه[9] في الأمم السالفة.

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هٰذِهِ نَاقَةُ اللهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٧٣]

وقوله عز وجل: **وإلى ثمود أخاهم صالحا**، قد ذكرنا[10] أنه صلة قوله: لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ،[11] كأنه قال: **و أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحا**. وقوله عز وجل: **أخاهم**، قد ذكرنا[12] أنه[13] تحتمل[14] الأخوّة وجوها أربعة: أخوة النسب، وأخوة الجوهر والشكل -على ما يقال: هذا أخو هذا،[15] إذا كان من جوهره وشكله- وأخوة المودة والخُلّة، وأخوة الدين.

---

[1] م - لا.
[2] ك ن م: منه النجاة؛ ع: من النجاة.
[3] م: الجنة أحد.
[4] صحيح *البخاري*، الرقاق ١٨؛ وصحيح *مسلم*، صفة القيامة ٧٢.
[5] ع م - قيل دابر الذين كذبوا أي أواخر الذين كذبوا آياته أي استأصلهم فلم يبق منهم أحد وقيل دابر الذين كذبوا.
[6] ع: آية.
[7] ن ع م: أعطى.
[8] ع - حاجة.
[9] ن ع م: سنة وحكمة.
[10] لعله يقصد ما ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿وإلى عاد أخاهم هودا﴾ (سورة الأعراف، ٦٥/٧)، فالأسلوب واحد في الآيتين.
[11] سورة الأعراف، ٥٩/٧.
[12] انظر تفسير الآية من سورة الأعراف، ٦٥/٧.
[13] الهاء ضمير الشأن.
[14] ن ع م: يحتمل.
[15] ن: أخو بذ.

ثم يحتمل أن يكون ما ذكر من أخوة صالح[1] في النسب أو في الجوهر على ما ذكرنا في هود، ولا يحتمل أن يكون في المودة والدين. وأما أخوة النسب فإنه يحتمل[2] لما ذكرنا[3] أن بني آدم كلهم إخوة وإن بَعُدوا، لأنهم كلهم من أولاد آدم.

وقوله عز وجل: **قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره**، قد ذكرنا[4] أن الرسل بأجمعهم صلوات الله عليهم إنما بُعِثوا ليدعوا الخلق إلى وحدانية الله والعبادة له، وأنْ لا[5] معبودَ سواه يستحق العبادة من الخلق.

وقوله عز وجل: **قد جاءتكم بينة من ربكم**، قيل فيه بوجهين. قيل: **بينة من ربكم**، ما ذكر من الناقة التي جعلها الله[6] آية لرسالة صالح؛ وهو قوله:[7] **هذه ناقة الله لكم آية**. وقيل: **بينة من ربكم**، آيات ظهرت لهم على لسان صالح وجَرَت على يديه مما يدل[8] على رسالة صالح ونبوته، لكنهم كابروا تلك الآيات في التكذيب وعاندوا.

وقوله عز وجل: **هذه ناقة الله لكم آية**، وَجْه تخصيص إضافة تلك الناقة إلى الله يحتمل وجوها وإن كانت النُوق كلها لله في الحقيقة. أحدها لِما خُصَّت تلك بتذكير عبادة[9] الله[10] تعالى إياهم ووحدانيته[11] تعظيما لها. على ما خُصَت المساجد بالإضافة إليه بقوله: وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ،[12] لِما جُعلت تلك البقاع لإقامة عبادة الله، فخُصّت بالإضافة إليه تعظيما لتلك البقاع. فعلى ذلك هذه الناقة قد[13] خُصّت بالإضافة إليه[14] لِما جعلها الله آية من آياته خارجةً عن غيرها[15] مِن النُوق،

---

[1] ن ع م + كان أخوهم.
[2] ك: محتمل.
[3] ك ع م + لما.
[4] ك: وقد ذكرنا. وانظر: الموضع السابق.
[5] ع م: أن لا.
[6] ك ن – الله.
[7] م – قوله.
[8] جميع النسخ: ما يدل.
[9] ن ع م: عبادته.
[10] ع م – الله.
[11] م: ووحدانية.
[12] سورة الجن، ٧٢/١٨.
[13] ك – قد.
[14] ع م – تعظيما لتلك البقاع فعلي ذلك هذه الناقة قد خصت بالإضافة إليه.
[15] ع م: من غيرها.

مخالفةً بُنيتُها بُنيةَ غيرها، إما خِلقةً وإما في ابتداء إحداثها وإنشائها[1] أو في أي شيء كان، فأضافها إليه لذلك. *والله أعلم*.[2]

ثم لا يجب أن يُتكلَّف المعنى[3] الذي له جعل الناقة آية، لأنه جل وعلا لم يبين لنا ذلك المعنى، فلو تُكُلِّف ذِكرُ ذلك فلعله يخرج / على خلاف ما كان في الكتب الماضية. فهذه القصص[4] وأخبار الأمم الماضية إنما ذُكرت في القرآن لتكون آية لرسالة محمد صلى الله عليه وسلم، فلو ذُكرت على خلاف ما كان لكان[5] لهم في ذلك مقال. ويحتمل معنى الإضافة إليه وجها آخر؛ وهو أنه لم يجعل منافع هذه الناقة لهم، ولا جعل عليهم مؤنتها،[6] بل أخبر أنْ **ذَرُوهَا تأكل في أرض الله**، جعل مؤنتها فيما يخرج[7] من الأرض، ليست كسائر النوق التي جعل مؤنتها عليهم ومنافعها لهم بإزآء ما جعل عليهم من المؤن؛ فمعنى التخصيص بالإضافة إليه لما لم يُشرِك فيها أحدا[8] ولا في منافعها. *والله تعالى أعلم*. [٢٥٥ظ]

وقوله عز وجل: **فذروها تأكل في أرض الله**، [فيه] دلالة أنّ تلك الناقة كان غذاؤها مثل غذاء سائر النُّوق وإن كانت خارجة عن طباع سائر النُّوق من جهة[9] الآية، ليُعلَم أنها وإن كانت آية لرسالته ودلالة لنبوته[10] فتَشابهُها[11] لسائر النُّوق في هذه الجهة لا[12] يُخرجها عن حكم الآية.

---

[1] ع: وإفشائها. زاد الشارح: «... حيث خلقها بلا أصل حيواني يتولد منه على خلاف سائر الحيوانات» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩٩و).

[2] وقد زاد الشارح علاء الدين السمرقندي رحمه الله في بيان وجوه تخصيص إضافة تلك الناقة إلى الله تعالى قائلا: «والثاني يجوز أن يكون تخصيص هذه الناقة بالإضافة إليه أنه جعلها آية من آياته خارجةً عن غيره من النُّوق مخالِفةً بنيتُها بنيةَ غيرها، إمّا خِلقةً، وإما في ابتداء إحداثها وإنشائها حيث خلقها بلا أصل حيواني يتولّد منه، على خلاف سائر الحيوانات، لذلك أضافها إليه. والله أعلم. ويحتمل الإضافة إليه وجها آخر؛ وهو أنه لم يجعل منافع هذه الناقة لهم، ولا جعل عليهم مؤنتها، بل أخبر أنْ ذَرُوها تأكل في أرض الله، جعل مؤنتها مما يخرج من الأرض، ليست كسائر النُّوق التي جعل مؤنتها عليهم ومنافعها لهم. يعني التخصيص بالإضافة إليه لما هي خالص لله تعالى، لم يجعل للعباد فيها حقًا ولا مِلكا ولا في منافعها» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩٩و–ظ).

[3] ع: معنى.

[4] ع: فهو القصص.

[5] ع م – لكان.

[6] ك: لهم مؤنتها.

[7] ك: مما يخرج.

[8] ك: فيهما أحدا.

[9] ع – جهة.

[10] م: النبوة.

[11] ع: فتشابههما.

[12] ن – لا.

فعلى ذلك الرسل وإن كانوا ساوَوا غيرَهم من الناس في المطعم والغذاء لا يمنع ذلك من أن يكونوا رسلا. *والله أعلم بذلك*.[1]

وقوله عز وجل: **ولا تمسوها بسوء**، يحتمل لا تتعرضوا لها قتلا ولا قطعا ولا عَقْرا، لما ليست هي لهم. **فيأخذكم عذاب أليم**، وفي موضع[2] آخر: فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ؛[3] **فهذا** يدل على أنه إنما أراد بالعذاب الأليم عذاب الدنيا لا عذاب الآخرة؛ لأنه قد يأخذهم عذاب الآخرة بكفرهم، فالوعيد بأخذ العذاب لهم عذاب الدنيا. *والله أعلم*.

﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[٧٤]

وقوله عز وجل: **واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد**، قد ذكرنا تأويله في قصة هود.[4] **وبوّأكم في الأرض**، قيل: أنزلكم فيه. **تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا**، يُذكّرهم عز وجل ما أنعم عليهم من سعة المال وبَسْط الرزق لهم وما خصّهم من اتخاذ البيوت من الجبال[5] دون غيرهم من الناس. خصّ هؤلاء بسعة الرزق وبسط الأموال، وقومَ هود بالقوة والبطش، بقوله:[6] وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً،[7] وقال في آية أخرى: وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً،[8] وقال: وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ.[9] كان خصّهم بفضل القوة[10] والبَطْش والطَّوْل مِن بينِ[11] غيرهم، وهؤلاء بسعة الأرزاق لهم وبسط الأموال. **فاذكروا آلاء الله**، من السعة في الأموال والبسط، وبما **جعلكم خلفاء من بعد عاد**، وبما أَقْدَرَكم على اتخاذ[12] البيوت **من الجبال**. لم يَقْدِر على مثله أحد لأن غيرهم من الخلائق إنما ينتفعون بالجبال على ما هي عليها،

---

[1] ع: كذلك.
[2] م: وفي مواضع.
[3] سورة هود، ١١/٦٤.
[4] انظر تفسير الآية من سورة الأعراف، ٧/٦٩؛ وانظر تفسير الآيات من سورة هود، ١١/٦١-٦٨.
[5] ع: والجبال.
[6] ك: لقوله.
[7] سورة الأعراف، ٧/٦٩.
[8] سورة فصلت، ٤١/١٥.
[9] سورة الشعراء، ٢٦/١٣٠.
[10] ك: للقوة.
[11] ك – بين.
[12] ن ع م: من اتخاذ.

وأما هم فقد مكّن لهم على نَحْتها[1] واتخاذها بيوتا. **ولا تعثوا في الأرض مفسدين**، أي اذكروا نعمه[2] ولا تشركوا في عبادتكم غيره.

﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَ تَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾[٧٥]

وقوله عز وجل: **قال الملأ الذين استكبروا من قومه**، قد ذكرنا[3] أن الملأ من قومه هم كبراؤهم وسادتهم، استكبروا عليه لما رأوه دون أنفسهم في أمر الدنيا، فلم يتبعوه. وقوله عز وجل: **للذين استضعفوا لمن آمن منهم**، فيه دلالة أن من المستضعفين من قومه من لم يكن آمن، حيث خصّ **لمن آمن منهم**. وفيه أن أول من اتبع الرسل هم الضعفاء، وكذلك كان الأتباع للرسل جميعا الضعفاء. وقولهم: **أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون**، قول هؤلاء الذين آمنوا بصالح عليه السلام وصدّقوه في رسالته لم يخرج في الظاهر جوابَ ما سألوا؛ لأنهم قالوا: **أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه**، إنما سألوهم عن علمهم برسالته،[4] لم يسألوهم عن إيمانهم به، فهم إنما أجابوا عن غير[5] ما سألوا في الظاهر. لكن يجوز أن يكنى بالعلم عن الإيمان،[6] فكأنهم[7] قالوا لهم: أتؤمنون بصالح وتصدّقونه؟ لأن العلم بالشيء قد[8] يقع بلا صنع،[9] والإيمان لا يكون إلا بصنع منهم، فكأنهم إنما سألوهم عن الإيمان به. لذلك قالوا: **إنا بما أرسل به مؤمنون**. والثاني كأنهم قالوا: بل علمنا أنه[10] مرسل من ربه، و **إنا بما أرسل به مؤمنون**. وفيه دلالة أنّ مَن مُكِّن له من العلم بأسباب جُعِلت له يصل[11] بها إلى العلم[12] لم يُعذَر[13] بجهله في ذلك بعد ما أُعطِي أسبابَ العلم، حيث قالوا: **أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه**، أي لا تعلمون.[14]

[1] ع: على تحتها.
[2] ن ع م: نعمته.
[3] انظر تفسير الآية من سورة الأعراف، ٧/٦٠؛ وانظر أيضا تفسير الآيات من سورة هود، ١١/٦١-٦٨.
[4] ع: رسالته.
[5] ع م: عن غيرها.
[6] ك ن ع: بالعلم الإيمان.
[7] ع م: فكأنها.
[8] ن ع م - قد؛ ع م + فيه.
[9] ع + والإيمان لا يكون إلا بصنع.
[10] ن + إلا بصنع منهم فكأنهم إنما سألوهم عن الإيمان به لذلك قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون.
[11] ك: يصله.
[12] ك ع م + به.
[13] ع م: لم يقدر.
[14] يعني أنه استفهام إنكاري.

﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾[٧٦]

وقوله عز وجل: **قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون**، فيه دلالة أن[١] الإيمان هو التصديق في اللغة. والتكذيب هو ضد ما يكون به التصديق، حيث أجابوا بالتكذيب لإيمانهم به، لقولهم: إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ.[٢] فهؤلاء لم يعرفوا جميع الطاعات إيمانا على ما عرفوه[٣] بعض الناس، إنما عرفوه تصديقا.

﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾[٧٧]

وقوله عز وجل: **فعقروا الناقة**، أضاف هاهنا العَقْر إليهم جميعا، وفي موضع آخر أضاف إلى الواحد بقوله:[٤] فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ،[٥] وفي سورة وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا،[٦] كذلك أضاف إلى الواحد: إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا.[٧] لكن فيما كان مضافا إليهم جميعا يحتمل أنْ تَوَلَّى واحدٌ منهم عَقْرَها بمشورتهم[٨] جميعا ومعونتهم وتدبيرهم وتراضيهم على ذلك؛ فأضيف[٩] إليهم ذلك[١٠] لاجتماعهم على ذلك، وإلى الواحد فيما تَولَّى جَرْحَها ومَنْعَها عن السير. ففيه دلالة لمذهب أصحابنا أنّ قُطَّاع الطريق إذا تولَّى بعضهم القتل وأَخْذَ الأموال ولم يتولَّ بعضهم يُشاركون جميعا -مَن تولَّى منهم ومن لم يتولَّ- في حكم قُطَّاع الطريق بعد أن يكون بعضهم عَوْنا / لبعض. [٢٥٦و] وكذلك إذا اجتمع قوم على قتل واحد فتولَّى بعضهم القتل ولم يتولَّ بعض -بعد أن كانوا في عَوْن أولئك- فإنهم يُقتَلون جميعا. وعلى ذلك يخرج قول عمر رضي الله عنه حيث قال: لو تَمَالأَ عليه أهلُ صَنْعَاءَ لقَتَلْتُهم،[١١] وأهل صنعاء إذا اجتمعوا لا سبيل للكل أن يتولَّوا قَتْلَه،

---

[١] ع م - أن.

[٢] الآية السابقة.

[٣] م: على ما عرفوا.

[٤] ك: لقوله.

[٥] سورة القمر، ٢٩/٥٤.

[٦] سورة الشمس، ١/٩١.

[٧] سورة الشمس، ١٢/٩١.

[٨] ك: بمشعرتهم.

[٩] ع م + على ذلك.

[١٠] جميع النسخ: لذلك.

[١١] م: لقتلهم. روي عن سعيد بن المسيب أن عمر بن الخطاب قَتَل نَفَرا خمسة أو سبعة برجلٍ واحدٍ قَتَلوه قَتْلَ غِيلَة، وقال عمر: لو تَمالأ عليه أهلُ صَنْعَاء لقتلتُهم جميعا (*الموطأ* للمالك، العقول ١٣؛ وصحيح *البخاري*، الديات ٢١؛ و*الدراية* لابن حجر، ٢٧٠/٢). وتمالأ القوم أي تعاونوا وتناصروا (*لسان العرب* لابن منظور، «ملأ»). والغِيلة الخديعة (المصدر السابق، «غيل»).

فدل أنه على العون والنصر بعضهم لبعض،[١] فيشاركون جميعا في القصاص على ما شارك أولئك جميعا في العذاب -مَن تولَّى عَقْرَها ومن لم يتولَّ- بعد أن كان[٢] ذلك العَقْر بمعونتهم وبتراضيهم[٣] على ذلك. **والله أعلم.**

* وقوله عز وجل: **وعَتَوْا عن أمر ربهم**، العُتُوّ هو النهاية في التمرّد والخلاف لأمره على العلم منهم بالخلاف لا على الغفلة والجهل.* [٢٥٦و س٧ ٢٥٦و س٨]

وقوله عز وجل: **وقالوا يا صالح ائتنا بما تَعِدُنا إن كنت من المرسلين** فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ،[٤] إنما أخذهم العذاب لما استعجلوا منه العذاب وكذّبوه فيما يُوعِدهم العذاب ويَعِدهم.*

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾[٧٨]

وقوله عز وجل: **فأخذتهم الرجفة**، قيل: الزلزلة، وقيل: الصيحة. وقال في آية أخرى: فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ،[٥] وقال في آية أخرى: فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ،[٦] والقصة في ذلك[٧] كله واحدة،[٨] فجائز أن يكون[٩] ذلك واحدا[١٠] وإن اختلفت[١١] الألفاظ؛[١٢] وهو عبارة عن العذاب. وجائز أن تكون[١٣] الصيحةُ لَمَّا صِيحَت[١٤] بهم صَعِقوا جميعا فماتوا؛ وهو واحد.

---

[١] جميع النسخ: لبعضهم بعضا. وقد وقع في شرح *التأويلات* ما يلي: «... كأنَ هذا غلط من الكاتب، فإن الجرح من من كل واحد شرط لوجوب القصاص عليهم. أمّا (أي لكن) لا يجب على الرِّدْء (أي المساعد) عندنا قصاص، إنما يجب في قطع الطريق، إذ كان لهذا (أي للقصاص) رواية منصوصة أن الجرح شرط. وإلا فالصحيح ما ذكر هاهنا أنه يجب على الرِّدْء (أي في قطع الطريق)» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩٩ظ-٣٠٠و؛ ونسخة المدينة، ورقة ٣٣٣و). وانظر لتفصيل المسألة في الفقه: *الهداية* للمرغيناني، ٢/١٣٣؛ *ولسان الحكام* لابن الشحنة، ٣٩٠.

[٢] ع: بعد كان.

[٣] ك: وتراضيهم.

* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن محله من تفسير الآية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٢٥٦و/سطر ٧-٨.

[٤] الآية التالية.

* وقعت هنا جملة من تفسير الآية متأخرة عن محلها، فقدمناها إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٢٥٦و/سطر ٧-٨.

[٥] ع م - وقال في آية أخرى فأخذتهم الصيحة. والآية في سورة الحجر، ١٥/٨٣.

[٦] سورة الذاريات، ٥١/٤٤.

[٧] ع: في في ذلك.

[٨] جميع النسخ: واحد.

[٩] ع م: أن تكون.

[١٠] جميع النسخ: واحد.

[١١] جميع النسخ: وإن اختلف.

[١٢] م: ألفاظ.

[١٣] ك ن: أن يكون.

[١٤] جميع النسخ: لما صيح.

وقوله عز وجل: **فأصبحوا في دارهم جاثمين**، قيل: ميتين، وقيل:[1] لازقين بالأرض، قد ماتوا وذهبوا. ويقال: جَثَم الطائر، إذا لَزِق بالأرض.[2] يقال: أَجْثمتُه، أي ألزقته بالأرض. والمُجَثَّمَة، يقال: طائر يُشَدّ جناحاه ورجلاه ثم يوضع بالأرض ثم يُرمَى بالنَّبْل حتى يموت. يقال: جَثَّمْتُ الطائر، أي شددت رجليه وجناحيه. يقال: جَثَم يجثِم[3] جُثُوما[4] وجَثْما، إذا فعل ما ذكرنا.[5]

﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلٰكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾[٧٩]

وقوله عز وجل: **فتولى عنهم**، أي أعرض عنهم وخرج من بينهم حين علم أن العذاب ينزل[6] بهم. **وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم**، والنصيحة ما ذكرنا[7] أنّ كلّ مَن دلّ آخر على ما به نجاته وسعى على دفع البلاء والهلاك[8] عنه فهو ناصح له. فعلى ذلك صالح وغيره من الرسل قد دلّوا قومهم على ما به نجاتهم وسعوا على دفع الهلاك عنهم، لكنهم[9] لم يقبلوا النصيحة منهم.

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾[٨٠]

وقوله عز وجل: **ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة**؛ ذُكِر في غيره من الأنبياء دعاؤُهم قومَهم إلى عبادة الله ووحدانيته، على ما قال نوح: يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ،[10] وكذلك قال هود وصالح وشعيب وغيرهم من الأنبياء، ولم يذكر في لوط ذلك ههنا. ولا يحتمل[11] أن لم يكن منه الدعاء إلى ما كان من غيره من الأنبياء إلى توحيد الله وعبادته قبل النهي عن الفواحش[12] والتعيير عليها.

---

[1] م – قيل.
[2] ك: بالطائرض.
[3] ن – يجثم، صح هـ.
[4] ع م – جثوما.
[5] انظر: *لسان العرب* لابن منظور، «جثم».
[6] ع: تنزل.
[7] انظر تفسير الآيتين من سورة الأعراف، ٧/٦٢، ٦٨.
[8] ك: الهلاك والبلاء.
[9] ن – لكنهم.
[10] سورة الأعراف، ٧/٥٩.
[11] ك: ولم يحتمل.
[12] ن: من الفواحش.

وهو ما ذكر في آية أخرى: كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ؛[1] لأنه[2] كان من الأنبياء صلوات الله عليهم دعاءُ قومهم إلى عبادة الله ووحدانيته[3] أولا، ثم النهي عما ارتكبوا من الفواحش والمعاصي والتعيير عليها.[4]

وقوله عز وجل: **أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين**؛ قوله:[5] **ما سبقكم بها من أحد**، يحتمل أن يكون منهم ما كان من سائر الأقوام [مِن] تقليد الآباء في العبادة لغير الله، كقولهم: أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا،[6] وقولهم:[7] وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ، و مُقْتَدُونَ،[8] وقولهم:[9] بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذٰلِكَ يَفْعَلُونَ،[10] ونحوِ ما قالوا؛ فعلى ذلك [كان] من قوم لوط لِلوطٍ لماّ دعاهم إلى عبادة الله ووحدانيته، فأجابوه بما أجاب الأقوامُ لأنبيائهم مِن التقليد لآبائهم، فقال: **أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين**، أي تعملون[11] أنتم أعمالا لم يعملها[12] آباؤكم، ولا تقلّدون آباءكم في تركها مِن نحو ما ذُكر من إتيان الفاحشة. وقال:[13] **ما سبقكم بها من أحد من العالمين**، يُعيّرهم ويُسفّه أحلامهم في إتيان ما يأتون من **الفاحشة** التي لم يسبقهم **أحد**[14] **من العالمين** على علمٍ منهم أنّ ذلك **الفاحشة**؛ ألا ترى أنهم[15] قالوا: إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ.[16] ذكر هذا القول منهم[17] على أن ما يأتون من الفواحش

---

[1] سورة الشعراء، ٢٦/١٦٠-١٦٣.

[2] ن ع م: الاية.

[3] ع م: ووحدانية.

[4] ن - عليها.

[5] جميع النسخ: وقوله.

[6] سورة الأعراف، ٧/٧٠.

[7] ك: وقوله.

[8] ﴿بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أُمّةٍ وإنا على آثارهم مُهتَدون. وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مُترَفُوها إنا وجدنا آباءنا على أُمّةٍ وإنا على آثارهم مُقتَدون﴾ (سورة الزخرف، ٤٣/٢٢-٢٣).

[9] ك ع م: وقوله.

[10] سورة الشعراء، ٢٦/٧٤.

[11] م: أي تعلمون.

[12] م: أعمالا يعملها.

[13] ن ع م: فقال.

[14] ع: أحدهم.

[15] ع م - أنهم.

[16] سورة الأعراف، ٧/٨١.

[17] ن ع م - منهم.

يأتون على علمٍ منهم[1] أنها فواحش، حيث قالوا: إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ.

ثم قوله: فاحشة لما في العقل [أن] هذا فاحش محرَّم، والفاحش [على] ما ذكرنا[2] [أنه] كل قبيح في[3] العقل والشرع؛ لأن ما حرّم من المحرّمات على الخلق وأحلّ [من] المحلّلات محنة منه لهم على ذلك. ثم جُعل فيما أحلّ لهم من الأطعمة والأشربة والاستمتاع بالنساء والجواري دوامٌ لهذا العالم؛ لأنهم لو تركوا التناول من ذلك لهلكوا، فإذا هلكوا انقطع هذا العالم لما ينقطع نسلهم. ثم ركّب فيهم الشهوات والحاجات التي تبعثهم على التناول مما أحلّ لهم ليدوم هذا العالم، لا أنه أحلّ لهم للشهوة خاصة، ولكن لما ذكرنا. فأخبر أن ما يأتون هم هو فاحشة لما ليس إتيانهم إياها[4] إلا لنفس قضاء الشهوة، إذ ليس في ذلك دوام العالم وبقاؤه، فهو في العقل فاحش محرّم وإن لم يَرِد فيه النهي. *والله أعلم*.

﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾[٨١]

وقوله عز وجل: **بل أنتم قوم مسرفون**. الإسراف هو الإكثار من الشيء والمجاوزة عن الحد؛ كقوله: وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا.[5] القَتْر هو التضييق، والإسراف هو الإكثار، حيث قال: وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا. فإذا كان الإسراف هو الإكثار من الشيء فكان لوط سماهم مسرفين لما / أكثروا من ذلك النوع من الفواحش [٢٥٦ظ] وجاوزوا الحد. *والله أعلم*. ويحتمل قوله: **مسرفون**، وجوها ثلاثة. أحدها ما ذكرنا من إكثار الفعل. والثاني **مسرفون**، لما ضيّعوا ما أنعم الله عليهم، حيث أعطى لهم الأزواج فضلاً[6] منه ونعمة، حيث أخبر: وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا،[7] وكقوله:[8] وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا،[9] ونحوه. [ذكر] ما جعل لهم من الأزواج،

---

[1] ن – أن ذلك الفاحشة ألا ترى أنهم قالوا إنهم أناس يتطهرون ذكر هذا القول منهم على أن ما يأتون من الفواحش يأتون على علم منهم.

[2] انظر تفسير الآية من سورة الأعراف، ٢٨/٧.

[3] ع م – العقل هذا فاحش محرم والفاحش ما ذكرنا كل قبيح في.

[4] ع: إياهم؛ م: آباءهم.

[5] سورة الفرقان، ٦٧/٢٥.

[6] ك: وفضلا.

[7] سورة الروم، ٢١/٣٠.

[8] ك: وقوله.

[9] سورة النحل، ٧٢/١٦.

ثم هم لم يشكروه على ما أنعم عليهم، بل ضيّعوها وجعلوها في غير ما جَعَل[1] هو[2] لهم، فذلك إسراف منهم. والثالث[3] الإسراف هو المجاوزة عن الحد الذي جعل لهم، فهم قد جاوزوه.

﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾[٨٢]

وقوله عز وجل: **وما كان جوابَ قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم إنهم أناس يتطهرون**؛ قوله: **وما كان جوابَ قومه إلا أن قالوا** كذا، كان من قومه أجوبةٌ ليس على أنه لم يكن منهم مِن أول الأمر إلى آخره إلا هذا،[4] ولكن لم يكن من جواب قومه وقتَ ما نهاهم عمّا ارتكبوا من الفواحش وعَيَّرَهم[5] عليها إلا ما ذكر: **أخرجوهم من قريتكم إنهم أناس يتطهّرون**، لما ينهاهم ويعيّرهم على ذلك. ويحتمل ما قال أهل التأويل: **يتطهرون** من أدبار الرجال. وقيل: يتحرّجون عن ذلك ويَعِيبون عليهم في ذلك. والثاني **ما كان جواب قومه**، لبعضهم، **إلا أن قالوا أخرجوهم**؛ وأما لِلوط كان منهم له أجوبة،[6] كقوله: **وما كان جواب قومه إلا أن قالوا** كذا، وقال في آية[7] أخرى: فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللّٰهِ،[8] هذا فيما بينهم وبين لوط، والأول[9] فيما بينهم، قال بعضهم لبعض: **أخرجوهم**. أو لاختلاف المَشاهد[10] والمَجالس.

﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾[٨٣]

وقوله[11] عز وجل: **فأنجيناه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين**، الغابر الغائب،[12] يقال: غَبَرت أي غِبْت،[13] أي **كانت من** الغائبين عن لوط وأهله وقت العذاب. وقيل: **من الغابرين**، أي من الباقين في العذاب.

---

[1] ك: بما جعل.
[2] ن - هو.
[3] ك: والثالثة.
[4] ع م: آخره هذا.
[5] ن ع م: وغيرهم.
[6] ع م: عنهم لأجوبة.
[7] ك - آية.
[8] سورة العنكبوت، ٢٩/٢٩.
[9] ع م: الأول.
[10] ع: المشاهدة.
[11] ن: قوله.
[12] غَبَر الشيء يَغْبُر غُبُورا مكث وذهب، وغَبَر الشيء يَغْبُر أي بقي، والغابر: الباقي، والغابر: الماضي، وهو من الأضداد (*لسان العرب* لابن منظور، «غبر»).
[13] ن ع م: أي غيبت.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾[٨٤]

وقوله عز وجل: **وأمطرنا عليهم مطرا**، اختلف فيه؛ قال بعضهم: قُلِبت[١] قَرَيَات لوط وجُعِل عالِيُهَا سافلَها، على ما ذكر في الآية: جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا،[٢] ثم أُمطِر على من كان غاب منهم الحجارة. وقال بعضهم: قُلِبت القَرَيَات فأُمطِرت على أهلها كالمطر. وقال آخرون: قُلِبت الأرض وأُمطِر عليها حجارة من سِجّيل تُسَوِّى الأرض، أو كلام نحو هذا.

ثم العذاب في الأمم لم يأتهم في الدنيا بنفس الكفر، ولكن لِما كان منهم من استحلال أشياء حُرِّمت[٣] عليهم، ومِن قَتْلِ الأنبياء وأذاهم، والمُكابَرات التي كانت[٤] منهم، بعد علمهم أنهم على باطل وعناد.

وقوله عز وجل: **فانظر كيف كان عاقبة المجرمين**، هذا الخطاب جائز أنه ليس[٥] لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة، ولكن لكل أحدٍ أُمِر بالنظر فيما حلّ بالأمم السالفة بتكذيبهم الرسل وعنادهم، ليكونوا على حَذَر من صنيعهم[٦] لِأَن لا يحلّ بهم ما حلّ بأولئك. وجائز أن يكون الخطاب لرسوله خاصة. فإن كان له فكأنه أمره أن ينظر في **عاقبة المجرمين** ليرحمهم ولا يدعو عليهم بالهلاك والعذاب.

﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[٨٥]

وقوله عز وجل: **وإلى مَدْيَنَ أخاهم شعيبا**، هو ما ذكرنا فيما تقدم،[٧] أي أرسلنا شعيبا إلى مَدْيَنَ رسولا. وقوله: **أخاهم**، قد ذكرنا فيما تقدم[٨] الأخوة[٩] أنها تكون لوجوه:

---

[١] ن: فليست.
[٢] سورة هود، ٨٢/١١.
[٣] جميع النسخ: حرم.
[٤] ع م: كان.
[٥] م: أن ليس.
[٦] ك ع م: عن صنيعهم.
[٧] انظر تفسير الآية من سورة الأعراف، ٦٥/٧.
[٨] انظر: نفس الموضع.
[٩] ع: والأخوة؛ م – الأخوة.

أخوة النسب وأخوة الجوهر وأخوة المودة والخُلّة،[1] وأخوة الدين. فلا تحتمل[2] أخوةُ الأنبياء أولئك أخوةَ الدين والمودة، لكن تحتمل[3] أخوة الجوهر والنسب.

وقوله عز وجل: **قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره**، قد ذكرنا[4] أيضا أن الرسل إنما جاءوا وبُعِثوا بالدعاء إلى توحيد الله والعبادة له وأن لا معبود يستحق العبادة سواه.

وقوله عز وجل: **قد جاءتكم بينة من ربكم**، قال بعضهم: كانت نَفْسُ شعيبٍ بينة وحجة لقومه، لكنا لا نعلم ذلك، غَيْرَ أَنَّا نَعلم أنه كانت معه آيات وبراهين، لكن الله لم يبيّن لنا ذلك. ونَفْس محمد عليه أفضل الصلوات وأكمل التحيات كانت حجة وبينة[5] بالأعلام[6] التي جَعل له في نفسه؛ مِن ذلك الخَتْم الذي كان بين كتفيه،[7] والنورُ الذي كان في وجه مَن كان هو[8] في صُلْبِه وقت كونه فيه،[9] والضوءُ[10] الذي روي أنه كان وقت ولادته،[11] والغَمامُ الذي أَظَلَّه وقت غَيْبته عن أهله،[12] وحِفظُه نَفْسَه عن جميع ما كان يتعاطاه قومه من عبادتهم[13] الأصنام وتَعاطِيهم الفواحش،[14] فهو صلى الله عليه وسلم كان بريئا من ذلك كله،

---

[1] ك: الخلة والمودة.

[2] ن ع م: فلا يحتمل.

[3] ن ع: لكن يحتمل.

[4] ع: وقد ذكرنا.   وانظر: نفس الموضع.

[5] ك: بينة وحجة.

[6] جميع النسخ: بأعلام.

[7] *صحيح البخاري*، المناقب ٢٢؛ وصحيح *مسلم*، الفضائل ١١١.

[8] ن ع م - هو.

[9] *السيرة النبوية* لابن هشام، ٢٩٢/١-٢٩٣.

[10] م: والضراء.

[11] عن العرباض بن سارية السلمي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إني عند الله في أم الكتاب لخاتم النبيين وإن آدم لَمُنجَدِل في طِينَتِه، وسأنبئكم بتأويل ذلك، دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى قومه، ورؤيا أمي التي رأت أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام، وكذلك ترى أمهات النبيين» (*مسند أحمد بن حنبل*، ١٢٨/٤). وله شاهد آخر؛ انظر: (*مسند أحمد بن حنبل*، ١٨٤/٤؛ وسنن *الدارمي*، المقدمة ٣).

[12] *السيرة النبوية* لابن هشام، ٣٢٠/١؛ وسنن *الترمذي*، المناقب ٣؛ وحسنه الترمذي.

[13] ك: من عبادة.

[14] *السيرة النبوية* لابن هشام، ٣٢٣/١. من ذلك ما روي عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينقل معهم الحجارة للكعبة، وعليه إزاره، فقال له العباس عمه: يا ابن أخي، لو حَلَلْت إزارك فجعلت على منكبيك دون الحجارة؟ -قال- فحَلَّه فجعله على منكبيه، فسقط مَغْشِيًا عليه، فما رُئِي بعد ذلك عُريانا صلى الله عليه وسلم. انظر: صحيح *البخاري*، الصلاة ٨؛ وصحيح *مسلم*، الحيض ٧٧.

وما لم يؤخذ عليه[1] كذبٌ قط[2] وقد كان نشأ بين أظهرهم، وغير ذلك من الأعلام التي كانت في نفسه ظاهرةً لقومه. فلو لم يكن له آياتٌ غيرُها لكانت واحدة منها كافية لمن لم يكابر. فكيف وقد كانت له آيات حسية وعقلية سوى ما ذكرنا مما يَقهَر[3] المنصفين على قبولها. ويحتمل قوله: **قد جاءتكم بينة من ربكم**، أي حجة في أنه رسول، أو على توحيد الله.

وقوله[4] عز وجل: **فأوفوا الكيل والميزان**، وذكر في [سورة] هود في قصته: وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ.[5] وليس في قوله: **فأوفوا الكيل والميزان**، أنهم كانوا لا يوفون، ولا[6] فيما ذكر[7] [هنا، و] في سورة هود:[8] **ولا تبخسوا الناس أشياءهم**.[9] ودل قوله: **ولا تبخسوا الناس أشياءهم**، أن الأشياء مِلكٌ لهم وإن كان في قبض[10] أولئك وفي أيديهم.[11] ثم يحتمل الأمر بإيفاء الكيل والميزان وجوها.[12] أحدها لِما كانوا / أُمَناء، لأن لا تَذهب[13] عنهم تلك الأمانةُ التي كانت لهم في قومهم.[14] والثاني لأن لا يظلموا[15] الناس في منع حقوقهم وأموالهم. والثالث للربا، كان ما منعوا منهم من الكيلي والوزني ربا لهم. يدل [على] ذلك قوله: بِالْقِسْطِ، ذَكَر العدل. [٢٥٧و]

---

[1] ما مصدرية، أي وعدم مؤاخذة الناس عليه.

[2] م: فظ.

[3] ك ن ع: ما يقهر؛ م: يقهر.

[4] ن: قوله.

[5] سورة هود، ٨٥/١١.

[6] ك ن: ولكن.

[7] ع م – ولا فيما ذكر.

[8] الآية المذكورة.

[9] وعبارة السمرقندي رحمه الله هكذا: «[ليس] في قوله: ﴿فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾، أنهم كانوا لا يوفون، لأن الأمر بالشيء لا يدل على مباشرة ضده من المأمور قبل الأمر، وكذا النهي عن الشيء لا يدل على مباشرة المنهي من المنهي عنه، إنما يدل على التصور لا غير. ولكن إنما عرفنا ذلك في سياق قوله: ﴿ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط﴾، حيث قال خبرا عنهم: ﴿قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء﴾ (سورة هود، ٨٧/١١)، الآية» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٠٠ظ-٣٠١و).

[10] ك + الباعه.

[11] قال الشارح: «إنما سماها أشياء لهم لأن بالشراء صار ملكا لهم، فإن كان قَبْضُ الباعة بَعْدُ في أيديهم فمتى لم يوفوا الكيل والوزن عند التسليم فقد نقصوا حقهم ومنعوا بعض مِلكهم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٠٠ظ).

[12] ن ع م: وجوه.

[13] ن ع م: لأن لا يذهب.

[14] م: في قومه.

[15] ع: لأن لا يظلمون.

فلو كان يجوز تلك الزيادة والنقصان إذا طابت أنفسهم بالزيادة والنقصان لكان لا معنى لذكر القسط فيه؛ لأن من زاد آخر على حقه لم يُمنع عن ذلك ولم يُذمّ. دل النهي عن ذلك على أنه للربا ما مُنِعوا عن ذلك.[1] *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها**، أي بعد أن جعلها لكم صالحة لمعاشكم ومُقامكم فيها. أو بعد ما أمر وبيّن لكم ما به صلاحكم وصلاح دينكم. أو بعد ما أرسل من الرسل ما بهم صلاح[2] الأرض وأهلها. **ذلكم خير لكم**، قال بعض أهل التأويل: قوله: **ذلكم**، أي وفاء الكيل والميزان، **خير لكم**، من النقصان لما ينمو ذلك الباقي ويزداد، فذلك **خير لكم**، من النقصان الذي تمنعون فلا ينمو[3] شيئا. وهو كقوله: بَقِيَّةُ اللهِ خَيْرٌ لَكُمْ.[4] ويحتمل **ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين**، أي أَمْنُكم في الآخرة **خير لكم** من نقصان الكيل والميزان في الدنيا. *والله أعلم*.

﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾[٨٦]

وقوله عز وجل: **ولا تَقعدوا بكل صراطٍ تُوعِدون [وتَصدّون عن سبيل الله]**، يحتمل ما قاله[5] أهل التأويل: إن كُبَراء أهل الشرك ورؤساءهم كانوا يُقعِدون في الطرق أُناسا[6] يَصدّون الذين كانوا[7] يأتون[8] شعيبا للإيمان[9] من الآفاق والنواحي. ويكون معنى[10] قوله: **من آمن به**، على هذا التأويل، أي من أراد أن يؤمن به. ويحتمل قوله: **ولا تقعدوا**، ليس على القعود نفسه، ولكن على المنع من إقامة[11] الشرائع التي شرع الله لشعيب، كقول إبليس:

[1] ع م – عن ذلك.
[2] ك: إصلاح.
[3] ع م: فلا ينموا.
[4] سورة هود، ٨٦/١١.
[5] م: ما قال.
[6] ع م: أناس.
[7] م – كانوا.
[8] ع: يؤتون.
[9] م + من الإيمان.
[10] ك – معنى.
[11] ك: من أقام.

لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ[1] ليس هو على القعود نفسه، ولكن على المنع، يمنعهم عن صراطه المستقيم. فعلى ذلك[2] قوله: **ولا تقعدوا بكل صراط توعدون**، كانوا يمنعون **من آمن به** عن إقامة الشرائع والعبادات[3] التي دُعُوا إلى إقامتها، ويُوعِدون على ذلك ويخوّفونهم. فعلى هذا التأويل يكون معنى قوله: **من آمن به**، على وجود الإيمان، وعلى التأويل الأول يكون من أراد[4] أن يؤمن به. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **وتبغونها عوجا**، قيل: تلتمسون لها[5] أهل الزيغ. وقيل: تبغون هلاكا للإسلام وإبطالا. وقيل: تبغون السبيل[6] **عوجا** عن الحق. وكله واحد.

وقوله عز وجل: **واذكروا إذ كنتم قليلا فكَثَّركم**، يحتمل وجهين. يحتمل[7] **إذ كنتم قليلا** في العدد، فكَثَّر عددكم زمن لوط؛ كأنهم إنما توالدوا من بقيّة آل لوط. ويحتمل **إذ كنتم قليلا** في الأموال والسعة في الدنيا، **فكَثَّركم**، أي كَثَّر لكم الأموال ووسّع عليكم الدنيا.

وقوله عز وجل: **وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين**، أمرٌ بالنظر فيما حلّ بالأمم الخالية بإفسادهم في الأرض وتكذيبهم الرسل؛ لأن من نظر[8] في ذلك وتفكّر ما حلّ بهم منعه ذلك عن الإفساد[9] في الأرض والتكذيب للرسل، إذ علم أن ما حلّ بهم إنما حلّ بهم[10] لما ذكر. ***والله أعلم***. كأنه أمر بالنظر في الأسباب التي صار [بها] مَن تقدّمهم أهلَ فسادٍ ونَزَل بهم الهلاك، لينزجروا عن مثل صنيعهم، وإلا كانوا عند أنفسهم أهلَ صلاح لا أهلَ فساد.

﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾[٨٧]

وقوله عز وجل: **وإن كان طائفة منكم آمنوا بالذي أُرسِلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا**،

---

[1] سورة الأعراف، ١٦/٧.
[2] ن ع م - ذلك.
[3] ع: والعباداة.
[4] ن: معني أراد.
[5] ن: تلتمسون بها.
[6] ك: للسبيل.
[7] ك - يحتمل؛ م - وجهين يحتمل.
[8] ع: لا من نظر.
[9] م: عن الفساد.
[10] ن ع - إنما حل بهم.

ثقال ابن عباس رضي الله عنه: كان قوم شعيب قليلا حين أدرك ذلك شعيب[١] وقوم آخرون معه، يقول لهم[٢] ذلك شعيب عليه السلام: **وإن كان طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا**، يا معشر المؤمنين، **حتى يحكم الله بيننا**، يقضي عليهم بالهلاك، و لم يكن شعيب أُمِر بالقتال. وقال بعضهم: قوله: **وإن كان طائفة منكم**، يعني المؤمنين، **آمنوا بالذي أُرسلت به**، من العذاب، **وطائفة**، يعني الكفار، **لم يؤمنوا**، بالعذاب، **فاصبروا**، يا معشر الكفار، **حتى يحكم الله بيننا**، في أمر العذاب في الدنيا، **وهو خير الحاكمين**. ويحتمل غير هذا، وذلك أنهم كانوا يعبدون الأصنام ويقولون: مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى،[٣] ويقولون: الله أمرهم بذلك[٤] في أشياء يفعلون، ويقول هؤلاء: إن الذي نحن عليه هو الذي أمرنا الله بذلك، فيقول لهم: **اصبروا حتى يحكم الله بيننا**، بأنه بماذا أمر، بالذي عليه الكفار أو الذي نحن عليه.

﴿قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾[٨٨]

وقوله عز وجل: **قال الملأ الذين استكبروا**، قد ذكرنا[٥] في غير موضع أن الملأ من قومه هم كبراؤهم ورؤساؤهم. وقوله:[٦] عز وجل: **استكبروا**، أي **استكبروا** عن الخضوع والطاعة لمن هو دونهم عندهم، لأنهم كانوا يُضَعِّفون[٧] شعيبا فيما بينهم ويَزْدَرُونه،[٨] كقولهم له: وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ.[٩] ثم لم يروا الأمر بالخضوع لمن هو دونهم في أمر الدنيا عدلا، وهم إنما أخذوا من إبليس اللعين، وإياه قلّدوا، حيث قال: أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ،[١٠] حين أُمِر بالسجود لآدم، و لم ير[١١] اللعين الأمر بالخضوع[١٢] لآدم من الله عدلا.

---

[١] ع م – شعيب.
[٢] ع: يقولهم.
[٣] سورة الزمر، ٣/٣٩.
[٤] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها﴾ (سورة الأعراف، ٢٨/٧).
[٥] انظر تفسير الآية من سورة الأعراف، ٦٠/٧.
[٦] ن: قوله.
[٧] أي يرونه ضعيفا (*لسان العرب* لابن منظور، «ضعف»).
[٨] ع: ويزودونه. يزدرونه أي يستصغرونه (*لسان العرب* لابن منظور، «زرى»).
[٩] سورة هود، ٩١/١١.
[١٠] انظر مثلا: سورة الأعراف، ١٢/٧.
[١١] ك: أم لم ير؛ ن: لم ير.
[١٢] م + والطاعة.

فعلى ذلك هؤلاء لم يروا الخضوع لمن دونهم عندهم عدلا، فاستكبروا عليه،[1] فكفروا لذلك.

وقوله عز وجل: **لَنُخرجنك يا شعيب**، قال الحسن: **لَنُخرجنك**، أي[2] لنقتلنك، **والذين آمنوا معك من قريتنا**. وقال غيره:[3] **لَنُخرجنك**، الإخراج نفسه، أي **لَنُخرجنك**[4] ومن معك من المؤمنين **من قريتنا** إن لم تتبع ديننا. وقد كان منهم للأنبياء المَعْنِيّين جميعا التوعُّدُ بالقتل والإخراج / جميعا، كما قالوا: وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ، وكقول[5] قوم لوط لِلوط:[6] لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ،[7] وكقول[8] قوم نوح: لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ،[9] وما أخبر عن قول هؤلاء لرسولنا حيث قال: وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا.[10] قد كان من القوم إلى الأنبياء والرسل عليهم السلام المَعْنِيّين جميعا التوعُّدُ بالقتل والإخراج جميعا، فعلى ذلك يحتمل ذلك من قوم[11] شعيب لشعيب[12] [على] ما ذكرنا. *والله أعلم*. وكذلك[13] كانوا يقولون للرسل جميعا، حيث قال:[14] وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ،[15] الآية. هكذا[16] كانت عادة جميع الكفرة أنهم[17] كانوا يخوّفون الرسل بالإخراج مرة وبالقتل ثانيا.[18]

[٢٥٧ظ]

---

[1] ك: علي.
[2] ن – أي.
[3] ك + هم.
[4] ن ع م: نخرجنك.
[5] ع: وكقوله.
[6] ك + ودل كل ذي عقل علي الوجه الذي يظفر بحاجته ويقيم به أوده ويصل إلي بغيته وسحر الذي ذكر.
[7] سورة الشعراء، ١٦٧/٢٦.
[8] ع: وكقوله.
[9] سورة الشعراء، ١١٦/٢٦.
[10] ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾ (سورة الأعراف، ٣٠/٨).
[11] م: عن قوم.
[12] ع م – لشعيب.
[13] ن: ولذلك.
[14] ك ع م: قالوا.
[15] ﴿وقال الذين كفروا لرسلهم لنُخرِجَنّكم مِن أرضنا أو لتعودُنّ في ملّتنا فأوحى إليهم ربهم لَنهلكنّ الظالمين﴾ (سورة إبراهيم، ١٣/١٤).
[16] ن ع م: هذا.
[17] ع م – أنهم.
[18] ن: مرة.

وقوله عز وجل: **أو لَتَعودُنَّ في مِلّتنا**، يحتمل قوله: **أو لتعودن في ملتنا**، لما عندهم أنه كان على دينهم الذي هم عليه، لما لم يروا[١] منه عبادته لله فيما يعبده[٢] سرا، فقالوا: **لتعودن في ملتنا**،[٣] على ما كان[٤] عندهم أنه على ذلك. وهو كما قالوا لصالح: قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هٰذَا،[٥] كان عندهم أنه كان[٦] على دينهم قبل ذلك.[٧] فعلى ذلك يحتمل قول[٨] هؤلاء: **لتعودن**، مِن العَود[٩] إلى ما كان عندهم أنه على ذلك. ويحتمل على ابتداء[١٠] الدخول فيها والاختيار، كقوله: **يخرجهم من الظلمات إلى النور**، على مَنْع الدخول فيها، لا أنهم[١١] كانوا فيها ثم أخرجهم، فعلى ذلك الأول.

وقوله عز وجل: **قال أَوَلَوْ كنّا كارهين**، يقول: لَتَعُودَنَّ في ملتكم وإن **كنا كارهين**؟ أي قد تأبى[١٢] عقولنا وتكره طباعنا عن الدخول في ملتكم، فكيف نعود فيها؟

﴿قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾[٨٩]

قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها، يحتمل قوله: **إن عدنا في ملتكم**، وجوها ثلاثة. أحدها أن ذلك منه إخبار عن قومه، لا عن نفسه، أي افتروا **على الله كذبا إن** عادوا **في ملتكم بعد إذ** نجاهم **الله منها** وما يجوز لهم أن يعودوا فيها.

---

[١] ن: لما يروا.
[٢] ع م: فيما بعده.
[٣] ك – لما عندهم أنه كان على دينهم الذي هم عليه لما لم يروا منه عبادته لله فيما يبعده سرا فقالوا لتعودن في ملتنا.
[٤] ن: ما كانوا.
[٥] سورة هود، ٦٢/١١.
[٦] ن ع م – كان.
[٧] ك: قبل هذا.
[٨] ك ع م: قوله.
[٩] ك ع: من العدو.
[١٠] ن ع م: على الابتداء.
[١١] ع: لأنهم.
[١٢] ع م: أي تأبى.

وأما هو فإنما أجابهم عن نفسه بما ذكر[1] في سورة هود: وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ،[2] أجاب هو قومه كما أجاب غيره من الرسل قومهم حين أَوْعَدُوهم[3] بالقتل والعقوبة، كما قال رسول الله[4] صلى الله عليه وسلم: ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظِرُونِ،[5] وكما قال هود:[6] [وَاشْهَدُوا] أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ،[7] ونحو ذلك من الجوابات التي[8] كانت من الأنبياء صلوات الله عليهم لأقوامهم. ويحتمل أن يكون على الابتداء من غير أن كان فيها، كقوله: رَفَعَ السَّمَاوَاتِ،[9] رَفَعها ابتداءً مِن غير أن كانت موضوعة، وكقوله: يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ،[10] إخراج ابتداء، لا أن كانوا فيها ثم أخرجهم. ويحتمل ما ذكرنا أنه[11] أجابهم على ما عندهم أنه كان على دينهم، فأجاب لهم على ما عندهم أنه على ذلك. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وما يكون لنا أن نعود فيها**، أي ما يجوز لنا أن نعود فيها. وقول شعيب: **قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم**، تعريضُ تسفيهٍ منه إياهم، [أي] إنكم[12] قد افتريتم **على الله كذبا**، لا تصريح، حيث لم يقل: قد افتريتم[13] أنتم **على الله كذبا**، ولكن قال: **قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم**، وذلك منه تَلَطُّف بهم وتَرَفُّق.

وقوله عز وجل: **إلا أن يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علما**، اختلف في تأويله. قال الحسن: مِن حُكم الله عز وجل أنّ مَن[14] قَبِل دينه وأطاع رسوله أن يكون وليّا له وسُمِّي مؤمنا،

---

[1] جميع النسخ: ما ذكر.
[2] سورة هود، ١١/٩٣.
[3] ع م: أوعدوا هم.
[4] ك – رسول الله؛ ن: النبي.
[5] سورة الأعراف، ٧/١٩٥.
[6] ع: هو.
[7] ك – وكما قال هود اني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون. وانظر: سورة هود، ١١/٥٤-٥٥.
[8] م – التي.
[9] ﴿الله الذي رفع السماوات بغير عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ سورة الرعد، ١٣/٢.
[10] ﴿ الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٥٧).
[11] ن: أنهم.
[12] ع م: إنهم.
[13] ع + على الله كذبا لا تصريح حيث لم يقل قد افتريتم.
[14] ع: وجل من.

ومَن ردّ دينه وعصى رسوله يتخذه عدوّا له ويكون كافرا.[١] وقال أبو بكر الكيساني: قوله: **إلا أن يشاء الله**، أن يتعبّدنا ويمتحننا ببعض ما كانوا يتقرّبون به، ويشرع لهم مما يحلّ ويَسَع، لم يُرد به الدين الذي[٢] هم عليه. لكن[٣] هذا لا يحتمل، لأن سؤالهم كان العَود إلى ملّتهم، فعلى ذلك خرج الثُّنيا.[٤] وقال جعفر[٥] بن حرب: قوله: **إلا أن يشاء الله**، **إلا أن** يأمرنا **الله**، بما يُؤْيِسُهم[٦] بذلك،[٧] على الإياس وقطع الرجاء، أي لا يشاء الله ألبتّة ذلك، كما يقال: كان كذا إن صعدت السماء، وكقوله: حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ،[٨] وفعلت كذا مما يعلم أنه[٩] لا يكون، فعلى ذلك هذا.

لكن هذا كلّه بعيدٌ مُحال. أما قول الحسن: إن من حكم الله[١٠] أنه من ردّ دينه وعصى رسوله أنه يكون من الكافرين، ومن قبل دينه وأطاع رسوله يكون من المؤمنين، فليس فيه سوى أنه[١١] يقول: أنه يعلم من كفر به ومن آمن به، فلا معنى للاستثناء هاهنا[١٢] لو كان التأويل ما ذكر.[١٣] وأما قول أبي بكر أنه يتعبّدهم ويمتحنهم بما يتقرّبون به في دينهم وملّتهم

---

[١] قال الشارح: «والآية حجة لنا على المعتزلة في أن الله تعالى شاء وجود الكفر من الكافر قبيحا، حيث اعتقد شعيب عليه السلام ذلك، واستثنى حال المشيئة. معناه ما ينبغي لنا أن نعود في ملتكم في حال من الأحوال إلا أن يشاء الله ذلك منا، فدلّ أن الكفر يدخل تحت مشيئة الله تعالى، فيكون حجة على المعتزلة. واختلف أهل التأويل. قال الحسن... فيكون قوله: ﴿إلا أن يشاء الله﴾، إلا أن يحكم الله، أي ما ينبغي أن نعود في ملتكم ونشرك بالله باختيارنا ومشيئتنا دون مشيئة الله تعالى، إلا أن يحكم الله تعالى أن يتخذنا عدوا ونكون من أعدائه ويعلم ذلك منا، فيعطي لنا قدرة ذلك حتى نكفر باختيارنا؛ ألا يُرى أنه قال على أثره: ﴿وسع ربنا كل شيء علما﴾، أي لا نعلم إلى ماذا يصير عاقبة أمرنا في علم الله تعالى وماذا حكمه علينا، الولاية أو العداوة» (*شرح التأويلات*، ورقة ٣٠١ظ؛ ونسخة المدينة، ورقة ٣٣٥و).

[٢] ك – الذي.

[٣] ن: ولكن.

[٤] م: الثناء.

[٥] ع م: أبو جعفر.

[٦] ن: يؤسهم؛ ع: يؤتيهم.

[٧] ع م: على ذلك.

[٨] ﴿إن الذين كذّبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تُفتَّح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط﴾ (سورة الأعراف، ٧/٤٠).

[٩] ع: لأنه.

[١٠] ك + الله.

[١١] ك: أن؛ ع – أنه.

[١٢] ع م – هاهنا.

[١٣] قال الشارح: «... ولأن الاستثناء ينصرف إلى صدر الكلام، وهو العود إلى ملتهم إلا أن يشاء الله. لو صار المراد إلا أن يحكم الله أو إلا أن يعلم الله لكان قبيحا، لأن العود إلى الكفر حرام لا ينبغي ذلك ولا يجوز شرعا وإنْ عَلِم الله تعالى وجود ذلك أو حَكَم بوجوده» (*شرح التأويلات*، ورقة ٣٠١ظ).

مما يجوز أن يأذن[1] في ذلك، فذلك[2] لا يحتمل، لأنه ذكر الملّة التي كانوا هم عليها، فإليه يرجع[3] الثُّنيا، لا يجوز أن تصرف الثُّنيا[4] إلى غيره. وأما قول من يقول بالإياس وقطع الطمع عن ذلك، فذلك أيضا بعيد، لأن الإياس إنما يكون فيما يُعلَم أنه لا يكون ألبتّة من نحو ما ذكر من قوله: وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ، ونحوه، وأما مثل هذا فإنهم لا يفهمون منه الإياس وقطع الرجاء، بل كانوا يأتون بالفواحش[5] ويقولون: الله أمرهم بذلك،[6] فأنى يقع لهم الإياس بذلك؟

وأما عندنا فإنه على حقيقة المشيئة، وذلك أنّ مَن عَلم الله منه أنه يختار فعل[7] الكفر ويؤثر ذلك على فعل الإيمان والطاعة يشاء ذلك له على ما علم أنه يختار، ومَن عَلم منه أنه لا يختار ذلك لا يشاء، إذ لا يجوز أن يعلم منه[8] غير الذي يكون، أو أن يشاء / غير الذي علم أنه يكون منه، لأنه جهل وعجز. وأصله أن شعيبا خاف أنْ تَسبِق[9] منه زلّة، أو تقصير يقع[10] منه الاختيار لذلك، فيشاء الله بذلك [له] الزيغ والضلال. وكذلك[11] جميع الأنبياء خافوا ذلك، كقول إبراهيم عليه السلام حيث قال: وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا،[12] وقول يوسف حيث قال: إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللّٰهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ.[13] كان خوف الأنبياء عليهم السلام[14] أكثر من خوف غيرهم.

[٢٥٨و]

---

[1] ع + يأذن.
[2] م – فذلك.
[3] ك: ترجع.
[4] م – أن تصرف الثنيا.
[5] ع: الفاحشة.
[6] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمَرنا بها﴾ (سورة الأعراف، ٢٨/٧).
[7] م – يختار فعل.
[8] م: عنه.
[9] ك ن: أن يسبق؛ ع م: أن سبق.
[10] ع م – يقع.
[11] م – وكذلك.
[12] سورة الأنعام، ٨٠/٦.
[13] ﴿فبَدَأ بِأَوْعِيَتِهم قبل وِعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه كذلك كِدْنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم﴾ (سورة يوسف، ٧٦/١٢). وانظر تفسير المؤلف لهذه لآية.
[14] ن ع م + كان.

وقوله عز وجل: **وسع ربنا كلّ شيء عِلما**، معناه -والله أعلم- أنه لا نعلم إلى ماذا يصير[١] عاقبة أمرنا في علم[٢] الله. وقوله[٣] عز وجل: **على الله توكَّلْنا**، قيل: **على الله** اعتمدنا فيما تخوّفوننا[٤] من الإخراج، وإليه نلجأ في سلطانه وملكه، وبه نَثِق في وعده بما يَعِدنا من النصر والظفر على الأعداء.

وقوله عز وجل: **ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق**، قيل: قوله: **افتح**، أي احكم، **بيننا وبين قومنا بالحق**. روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال: ما كنت أعلم ما معنى الفتح في الآية حتى تزوجت امرأة من بني كذا، فوقعت بيننا مخاصمة، فقالت لي: تعال[٥] حتى أُفاتحك إلى فلان، فعند ذلك[٦] عرفت[٧] أن المفاتحة هي المحاكمة.[٨] وقوله: **بالحق**، قيل: هو العذاب الذي كان وعد لهم أنه ينزل[٩] عليهم بتكذيبهم[١٠] شعيبا وبأذاهم إياه.

ثم للمعتزلة أدنى تعلُّق بقوله:[١١] **ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق**، يقولون: هو الدعاء والسؤال وإن كان لا يحكم إلا بالحق، فعلى ذلك يقولون في قوله: رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ،[١٢] ونحوه، فكذلك يقولون في قوله:[١٣] **إلا أن يشاء الله**.[١٤] لكن عندنا يخرج قوله: احْكُمْ بِالْحَقِّ،

---

[١] ك: تصير.

[٢] م: أمرنا علم.

[٣] ن + وقوله.

[٤] ك: تخوفونا؛ ن ع م: يخوفونا.

[٥] م: تعالي.

[٦] ك - فعند ذلك.

[٧] ك: فعلمت.

[٨] روي عن ابن عباس قال: ما كنت أدري ما قوله: ﴿ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق﴾، حتى سمعت ابنة ذي يَزَن تقول: تعال أُفاتحك، يعني أُقاضيك (*تفسير الطبري*، ٩/٢؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٣/٥٠٣).

[٩] ع م: أن ينزل.

[١٠] ن: بتكذيب.

[١١] ع م - بقوله.

[١٢] سورة الأنبياء، ٢١/١١٢.

[١٣] م + إلا في قوله.

[١٤] قال الشارح: «ثم للمعتزلة أدنى تعلُّق بقوله: ﴿ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق﴾، الآية، في دفع سؤالٍ ألزمناهم في مسألة الأصلح واللّطف أن الأنبياء عليهم السلام والأخيار يقولون على سبيل الدعاء والسؤال من الله تعالى: اللهم اعصمنا، وأصلح ديننا؛ ولو كان أعطاهم ذلك كله ويبقى في مقدوره ما هو صلاح لهم لم يكن للسؤال معنى، ويكون ذلك سؤال الامتناع عن الجور، كأنهم قالوا: اللهم لا تَجُر علينا. فيقولون علينا على سبيل الاحتجاج: إن الله تعالى قال خبرا عنه صلوات الله عليه: ﴿ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق﴾، ولا يؤدي إلى ما قلتم، لأنه يخرج السؤال على ترك الجور والامتناع عنه، أي لا تَجُر علينا، وكذلك قال في آية أخرى: ﴿احكم بالحق﴾، ونحوه (*شرح التأويلات*، ورقة ٣٠٢و).

و **افتح بيننا وبين قومنا بالحق**، على وجوه، أحدها يقول: **ربنا افتح بيننا** بحكمك وهو الحق. والثاني يقول: رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ، في حادث الوقت كما حكمت في الوقت الماضي، وهو كقوله: اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ،[1] وهو النبوة والهداية. والثالث على استعجال العذاب.

﴿وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾[٩٠]

وقوله عز وجل: **وقال الملأ الذين كفروا من قومه**، قد ذكرنا[2] أن الملأ هم كبراؤهم[3] وسادتهم، يقولون للأتباع والسَّفَلة: **لئن اتبعتم شعيبا إنكم إذا لخاسرون**، قال أبو بكر: لجاهلون. ثم يحتمل قوله: **إنكم إذا لخاسرون**، وجوها. أحدها أن شعيبا كان يحذّر قومه من التطفيف[4] في الكيل والوزن، ويأمرهم بوفاء[5] حقوق الناس بقوله: أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا كذا،[6] وقوله عز وجل: وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ.[7] فيقول الكبراء والرؤساء للسفلة: **لئن اتبعتم شعيبا**، في دينه وما يأمركم به من وفاء الحق للناس، فإنكم **إذا لخاسرون** للأرباح.

والثاني أنه كان يحذّرهم ويمنعهم عن عبادة الأصنام والأوثان، ويدعوهم إلى عبادة الله ويرغّبهم في ذلك. وهم كانوا يعبدون تلك الأصنام لتقرّبهم[8] عبادتهم إياها[9] إلى الله زلفى، ويكونَ لهم شفعاء في الآخرة، فقالوا: **لئن اتبعتم شعيبا** فيما يدعوكم إليه وينهاكم عنه لكنتم من الخاسرين، لا شفعاء لكم في الآخرة.

والثالث أنهم كانوا يُوعِدون شعيبا بالإخراج بقولهم:[10] لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ،[11] فقالوا: **لئن اتبعتم شعيبا**، وهو[12] يُخرَج لا محالة، فتخرجون أنتم، فصِرتُم من الخاسرين. ***والله أعلم***.

---

[1] الفاتحة، ١/٦.
[2] انظر تفسير الآية من سورة الأعراف، ٧/٦٠.
[3] ن: كبراءهم؛ ع م: كبراء.
[4] جميع النسخ: بالتطفيف.
[5] ك: بوفايهما.
[6] ﴿أوفوا الكيل ولا تكونوا من المُخسِرين﴾ (سورة الشعراء، ٢٦/١٨١).
[7] سورة هود، ١١/٨٥.
[8] جميع النسخ: ليقرب.
[9] ك: إليها.
[10] ك: بقوله.
[11] سورة الأعراف، ٧/٨٨.
[12] ع م: وهى.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾[٩١]

وقوله عز وجل: **فأخذتهم الرجفة**، قيل: الصيحة، وقيل: الزلزلة. قيل: أصابهم حرّ شديد، فرُفِعت لهم سحابة، فخرجوا إليها يطلبون الرَّوْح[١] تحتها. فلما كانوا تحتها[٢] سال عليهم العذاب ورجفت بهم الأرض، فهلكوا. وهو ما ذكر في آية أخرى: عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ.[٣] *والله أعلم.*

وقوله[٤] عز وجل: **فأصبحوا في دارهم جاثمين**، قد ذكرنا قوله:[٥] **جاثمين**، فيما تقدم.[٦]

﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ﴾[٩٢]

وقوله عز وجل: **الذين كذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين**، هو –والله[٧] أعلم– مقابل قولهم: لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ،[٨] وجواب لهم. يقول:[٩] **الذين كذبوا شعيبا** هم الخاسرون، لا الذين اتبعوه.

وقوله عز وجل: **كأن لم يَغْنَوْا فيها**، قيل:[١٠] **كأن** لم يعيشوا **فيها**، و لم يَنْعَمُوا قط. وقيل: **كأن لم** يقيموا **فيها**.[١١] قال القُتَبِي: يقال: غَنِينا بمكان كذا وكذا، أي أقمنا، ويقال للمنازل: مَغَانٍ، واحدها مَغْنًى.[١٢] ويقال: **كأن لم يَغنَوا فيها**، أي **كأن لم** يكونوا **فيها** قط، وهو –والله أعلم– [جزاء] لما كانوا يستقلّون[١٣] نعم الله عليهم ويستحقرونها. حتى قالوا:[١٤] لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ،[١٥]

---

[١] الرَّوْح بمعنى الراحة والبرد (*لسان العرب* لابن منظور، «راح»).
[٢] ع م – فلما كانوا تحتها.
[٣] ﴿فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظُّلَّة إنه كان عذاب يوم عظيم﴾ (سورة الشعراء، ١٨٩/٢٦).
[٤] ن: قوله.
[٥] ع: وقوله.
[٦] انظر تفسير الآية من سورة الأعراف، ٧٨/٧.
[٧] م: الله.
[٨] سورة الأعراف، ٩٠/٧.
[٩] ن م: بقول.
[١٠] ن – قيل.
[١١] ن – فيها.
[١٢] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٧٠.
[١٣] م: يستقبلون.
[١٤] أي يقولون يوم القيامة بأنهم لم يقيموا في الدنيا شيئا يُذكَر.
[١٥] ﴿قال كم لَبِثتم في الأرض عَدَدَ سِنين. قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسأل العادّين﴾ (سورة المؤمنون، ١١٢/٢٣–١١٣).

وقال[1] [عنهم]: كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ،[2] ونحوه. وكلّه إخبار عن قطع آثارهم أنه لم يَبق منهم أحدٌ يحزن عليهم أو يبكي عليهم.

﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾[٩٣]

[٢٥٨و س٣٧] *وقوله: **فتولّى عنهم**، حين رآهم هَلْكَى. وقوله: **يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم**، قد ذكرنا هذا.[3] فقال: **فكيف آسى على قوم**، أي كيف[4] أحزن **على قوم** قد كذّبوني واختاروا عداوتي وصاروا[5] عليّ أعداء، **فكيف**[6] أحزن عليهم بالهلاك وهم أعدائي؟* [٢٥٨و س٣٩]

حتى قال شعيب: **فكيف آسى على قوم كافرين**، وجائز أن يكون قول شعيب حيث قال: **فكيف آسى على قوم كافرين**، حين علم أنهم يهلكون وينزل بهم العذاب، أي لا أحزن وعَمَلُهم[7] ما ذُكر. وقال بعضهم: هو على التقديم والتأخير، قال ذلك في الوقت الذي قال: وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ،[8] يقول:[9] كيف أحزن **على قوم** وعَمَلُهم ما ذُكر.*

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾[٩٤]

[٢٥٨ظ] وقوله عز وجل: **وما أرسلنا / في قرية من نبي إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء**، في الآية إضمار –والله أعلم– من وجهين. أحدهما قوله: **وما أرسلنا في قرية من نبي**، فكذّبوه، **إلا أخذنا أهلها**، المكذّبين له، **بالبأساء** وما ذكر. وإلاّ لا يحتمل أن يرسل إليهم رسولا ثم يأخذهم بما ذكر من غير[10] أنْ كان منهم ردٌّ وتكذيبٌ[11] له.

---

[1] جميع النسخ: وقوله.
[2] ﴿ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يتعارفون بينهم﴾ (سورة يونس، ٤٥/١٠).
[3] ن ع م – هذا. وانظر تفسير الآية من سورة الأعراف، ٧٩/٧.
[4] ن + آخرون.
[5] ع – وصاروا.
[6] ك: كيف.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه في تفسير الآية، فقدمناه إلى هنا؛ وكذلك وقع تقديم وتأخير فيما بين النجمتين؛ انظر: ورقة ٢٥٨و/سطر ٣٧-٣٩.
[7] جميع النسخ: عليهم؛ والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٣٠٢ظ.
[8] سورة الأعراف، ٨٦/٧.
[9] ن – يقول، صح هـ.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٢٥٨و/سطر ٣٧-٣٩.
[10] ع م: من غيرهم.
[11] جميع النسخ: ردا وتكذيبا.

والثاني **وما أرسلنا في قرية**، أهلكنا، **من نبي إلا أخذنا أهلها**، قبل الهلاك، **بالبأساء والضراء لعلهم يضرّعون**. ثم لم يأخذ الله قوما بالهلاك قبل أن يبعث إليهم الرسول وقبل[1] أن يغيروا هم[2] ما أنعم عليهم بأنفسهم، كقوله: وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ[3] فِي أُمِّهَا رَسُولاً،[4] الآية، وقوله: وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً،[5] وقال: إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ،[6] وقال: وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ،[7] وغير ذلك من الآيات. أخبر أنه لا يأخذهم بالعذاب والهلاك إلا بعد قطع العذر لهم من جميع الوجوه. وإن كان له الإهلاك قبل أن يبعث إليهم[8] الرسول لما ركّب فيهم من العقول السليمة مما بها يُوصَل إلى فهم كل ما جعل فيهم من آثار وحدانيته[9] وآيات ربوبيته، وما جعل لهم من السمع والنطق ما به يُوصَل إلى سمع كل ما غاب، والنطقِ بكل ما يريدون، ما لم يجعل ذلك لغيرهم من البهائم، وما أنعم عليهم من أحسن[10] الصور ما لم يتمنّ أحد تحويله[11] منها إلى غيرها من الصور. لكنه لا يهلكهم[12] إلا بعد بعث الرسل إليهم، لما أن الخلق على مراتب.[13] منهم[14] من يفهم بالعقل، لا يحتاج إلى معونة[15] السمع، وهم الحكماء والعلماء الذين يدركون الأشياء بالبديهة. ومنهم من لا يدرك إلا بمعونة السمع،[16] وهم كالصبيان، أنهم[17] لا يدركون إلا بالسمع وفضل التنبيه.

---

[1] ن: وقيل.
[2] ن م: أن يغيروهم.
[3] ك – إليهم الرسول وقبل أن يغيروا هم ما أنعم عليهم بأنفسهم كقوله وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث.
[4] سورة القصص، ٥٩/٢٨.
[5] سورة الإسراء، ١٥/١٧.
[6] سورة الرعد، ١١/١٣.
[7] هذا دوام الآية المذكورة آنفا، يقول الله تعالى: ﴿وما كان ربك مُهلِك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا وما كنا مُهلِكِي القرى إلا وأهلها ظالمون﴾ (سورة القصص، ٥٩/٢٨).
[8] ك: عليهم.
[9] م: وحدانية.
[10] جميع النسخ: من تصوير؛ والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٣٠٢ظ.
[11] ك ع م: تاويله.
[12] م: لا يهلككم.
[13] ع: علي مراتبهم.
[14] م: عنهم.
[15] م: إلي مؤنة.
[16] ك: إلا بالسمع.
[17] أي لأنهم.

ومنهم من[1] لا يدرك بالعقل ذلك ولا بالسمع حتى تصيبهم[2] الشدائد والغِيَر[3] في أنفسهم وفيما أنعم عليهم، وهم كالبهائم التي[4] لا عقل لهم ولا سمع، ولكن يعرفون الشدائد وما يصيبهم من البلايا. فعلى ذلك يمتحنهم عز وجل ويبتليهم بالشدائد والبلايا[5] أولا، فإن رجعوا عن ذلك وعرفوا نعمه[6] وإلاّ أهلكهم بعد ذلك، فعند ذلك ينتهون[7] ويتذكّرون. وذلك قوله: فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ.[8]

وقوله: **بالبأساء والضراء**، قد ذكرنا في صدر الكتاب.[9] وقوله: **لعلهم يضّرّعون**، أي لكي يكون عليهم التضرّع، أو لكي يلزمهم التضرّع والتذكّر.

﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[٩٥]

وقوله: **ثم بدّلنا مكان السيئة الحسنة**، وهو [على] ما ذكر[10] أهل التأويل السعة والرخاء بعد الشدة والقحط وما حل بهم من البلايا. **حتى عَفَوْا**، قيل: جَمُّوا[11] وكَثُرُوا.[12] أي كشف عنهم ذلك حتى كَثُروا، فعند ذلك أهلكهم **بغتة**؛ لأن الهلاك في حال الشدة والبلاء لا يكون أخذا ببغتة، لأن كل من حل به بلاء وشدة يخاف فيه الهلاك، فإذا أهلك في تلك الحال لم يكن أخذا بالهلاك **بغتة**. ألا ترى أنه سُمي الموتُ الذي يموته[13] المرء من غير مرض حلّ به موتَ فجأة،[14]

---

[1] ع – من.
[2] ن ع م: حتى يصيبهم.
[3] ك: والغيرة. والغِيَر الاسم مِن قولك: غَيَّرت الشيء فتغيّر، وغِيَرُ الدهر أحواله المتغيّرة ودواهيه، وورد في حديث الاستسقاء: «من يَكفُر اللهَ يَلْقَ الغِيَر»، أي تَغيُّر الحال وانتقالها من الصلاح إلى الفساد (*لسان العرب* لابن منظور، «غار»).
[4] جميع النسخ: الذين.
[5] ع – البلايا فعلى ذلك يمتحنهم عز وجل ويبتليهم بالشدائد والبلايا.
[6] ك: نعمته.
[7] ن: يتنبهون.
[8] سورة الأنعام، ٤٢/٦.
[9] انظر تفسير الآية من سورة البقرة، ١٧٧/٢؛ و سورة الأنعام، ٤٢/٦.
[10] ن: وما ذكر أهل التأويل.
[11] م: جمعوا. جَمَّ بمعنى كَثُر واجتمع (*لسان العرب* لابن منظور، «جمم»).
[12] م: وأكثروا.
[13] جميع النسخ: يموت.
[14] ع: فجاءة.

والذي يموت[١] بمرضٍ يتقدّم الموتَ لا.[٢] وإن الموت في الوجهين جميعا لا يَعلم بحلوله، لكنه إذا لم يتقدّم مرض فهو[٣] لا يخاف منه، وإذا كان به مرض خاف به فلم يكن فجأة. فعلى ذلك إذا أُخِذوا في حال الشدة لم يكن أَخْذا[٤] بالبغتة، لما يخافون فيه الهلاك؛ وإذا كانوا في سعة ورخاء لا يخافون، فيؤخذون في تلك الحال، فذلك أَخْذ ببغتة. وقال: **حتى عَفَوْا**، قيل: كان أهلك بعضهم وترك بعضا **حتى عَفَوْا**، أي كَثُروا من ذلك البعض. ولكن الوجه فيه ما ذكرنا من البأساء والضراء والشدائد والقحط، ثم كشف ذلك عنهم فكَثُروا، ثم أهلكهم. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء**، قالوا: إن آباءنا قد كان[٥] ينزل ذلك[٦] بهم ويصيبهم مرةً شدةٌ ومرةً نعمةٌ، فلم يكن ذلك بعقوبة لهم، فعلى ذلك ما يصيبنا من الشدائد والبلايا ليس ذلك بعقوبة لنا؛ ولكن دَوَرانُ الدهر وتَصرُّفه على الشدة والبلاء مرة، ومرة على الخصب والسعة. ثم أخبر أنه أخذهم **بغتة** بعد قولهم: **قد مس آباءنا الضراء والسراء**.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[٩٦]

وقوله عز وجل: **ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا**، قيل: **آمنوا واتقوا**[٧] قبل أن يهلكوا[٨] بعد ما أصابهم من الشدائد والبلايا، **لفتحنا عليهم بركات**، الآية، أي لأُعطُوا كل خير يُنال **من السماء والأرض**، والبركة ما يُنال من كل خير على غير[٩] مؤنة. البركة كل شيء يُنال بلا تَبِعة عليه ولا شدة. ذكر هاهنا أنه يفتح **عليهم بركات من السماء والأرض**[١٠] لو آمنوا واتقوا،

---

[١] ع م – يموت.
[٢] أي لا يسمى موت فجأة.
[٣] ك: هو.
[٤] ن ع م: أخذ.
[٥] ن – كان.
[٦] م – ذلك.
[٧] ك – قيل آمنوا واتقوا.
[٨] ع: قبل يهلكوا.
[٩] ع: لا غير.
[١٠] ن – والبركة ما ينال من كل خير على غير مؤنة البركة كل شيء ينال بلا تبعة عليه ولا شدة ذكر هاهنا أنه يفتح عليهم بركات من السماء والأرض.

وذكر إذا لم يؤمنوا ونَسُوا ما ذُكِّرُوا به أنه[1] يفتح عليهم أبواب كل شيء،[2] ولم يذكر البركة، ففيما لم يذكر البركة[3] يُنقِصهم[4] مما فتح[5] عليهم من كل شيء ويَسُوءهم، وفيما ذكر فيه البركة[6] بعد الإيمان لا يلحقهم من ذلك تَبِعة ولا غُرْم. *والله أعلم*.

وقوله[7] عز وجل: **ولكن كذّبوا**، الرسل، **فأخذناهم بما كانوا يكسبون**. ويحتمل قوله: **ولكن كذّبوا**، النعم التي أنعمها عليهم، أي الرسل،[8] **فأخذناهم بما كانوا يكسبون**، من التكذيب. *والله أعلم*.

﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ﴾[٩٧] ﴿أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾[٩٨]

[٢٥٩و] وقوله[9] عز وجل: **أفأمن أهل القرى أن يأتيهم / بأسنا بياتا وهم نائمون**، خرج هذا في الظاهر مخرج الاستفهام، ولكن في الحقيقة على الإيجاب، كقوله: أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ،[10] الآية؛ هذا في الظاهر وإن خرج مخرج الشك والارتياب فهو في الحقيقة على الإيجاب، كأنه قال: في قلوبهم مرض وارتابوا وخافوا أنْ يَحِيفَ اللهُ عَلَيْهِمْ.[11] فعلى ذلك قوله: **أَفَأَمِن أهل القرى... أَوَأَمِن أهل القرى**، على الإيجاب، كأنه قال: قد **أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا... وأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى**، الآية. ثم اختلف في قوله:[12] **أَفَأَمِن أهل القرى... أَوَأَمِن أهل القرى**، إلى آخر[13] ما ذكر. قال الحسن:

---

[1] ع – أنه.
[2] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿فلمّا نَسُوا ما ذُكِّرُوا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مُبْلِسون﴾ (سورة الأنعام، ٦/٤٤).
[3] ن – ففيما لم يذكر البركة.
[4] ن: ينفعهم.
[5] جميع النسخ: ما فتح.
[6] ك ن: من البركة.
[7] ع – وقوله.
[8] ك – أي الرسل. يعني أن النعم التي أنعمها الله عليهم هي رسالات الرسل.
[9] ك: قوله.
[10] ﴿أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يَحِيف اللهُ عليهم ورسولُه﴾ (سورة النور، ٢٤/٥٠).
[11] الحَيف هو الجور والظلم (*لسان العرب* لابن منظور، «حاف»).
[12] ع: فيه.
[13] ع + إلي.

هذه الآيات[١] في الأمم السالفة، أخبر عن أَمْنِهم نزولَ[٢] بأسِ الله وعذابِه بهم، لكن[٣] ذكره[٤] في هذه الأمة[٥] ليكونوا على حذر عن مثل[٦] صنيعهم.[٧] وقال الآخرون: هذه الآيات في قرى هذه الأمة[٨] لا في الأمم السالفة، يقول: أَمِن هؤلاء من بأسنا[٩] كما أَمِن أولئك[١٠] منه.[١١] فإنهم إذا صنعوا مثل صنيعهم ينزل بهم في الآخرة من العذاب مثل ما نزل[١٢] بأولئك في الدنيا من العذاب. وقوله: **بأسُنا بياتا وهم نائمون، و ضحى وهم يلعبون**، أخبر أن العذاب إنما نزل بهم في حال الأمن، وهو وقت النوم واللعب، لأنه هو[١٣] وقت الغفلة والسهو، وآمَنُ ما يكون الإنسان إنما يكون في حال النوم. وإنما نزل[١٤] بهم في وقت الغفلة والسهو[١٥] [حتى] يُذَكِّر بهذا[١٦] -والله أعلم- أهل مكة وغيرهم من الكفرة[١٧] بتكذيبهم رسول الله، لأن لا يكونوا آمنين عن بأس الله[١٨] أبدا في وقت من الأوقات. ***والله أعلم***.

﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾[٩٩]

وقوله عز وجل: **أ فأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون**؛ المكر في الشاهد هو أن يراقب من عدوه حال غفلة لينتقم منه وينتصر، فإذا كان ما ذكرنا فسمي ما ينزل[١٩] بهم من العذاب في حال الغفلة مكرا. وعلى ذلك الامتحان فيما بين الخلق

---

١ ع: هذه الآية.
٢ جميع النسخ: بنزول.
٣ ع: ولكن.
٤ جميع النسخ: ذكر.
٥ ن: هذه الآية.
٦ ك: من مثل.
٧ ن + ينزل بهم.
٨ ع م: هذه الآية.
٩ ع م: هؤلاء بأسنا.
١٠ ع: بأولئك.
١١ م: عنه.
١٢ ع م: ما أنزل.
١٣ ك - هو.
١٤ ع: أنزل.
١٥ ن - والسهو.
١٦ ك: هذا.
١٧ ع - وغيرهم من الكفرة.
١٨ ع م - الله.
١٩ ع: أن ينزل.

هو استظهار ما خفي على بعضهم من بعض، فيأمرون بذلك وينهون، فسمى الله تعالى ذلك امتحانا لمعنى[1] الأمر والنهي وإن كانت الخَفِيات عن الخلق ظاهرةً له باديةً عنده.[2]

[٢٥٨و س٢٠ *وقوله: **أفأمنوا مكر الله**، أي جزاء[3] مكرهم. سُمِّي جزاءُ المكر مكرا كما[4] سُمِّي جزاءُ السيئة سيئةً،[5] وجزاءُ الاعتداء اعتداء،[6] وإن لم يكن الثاني اعتداء ولا سيئة. فعلى ذلك تسمية جزاء المكر مكرا وإن لم يكن الثاني مكرا. *والله أعلم*. ألا ترى أنه لم يجز أن يُسَمَّى مَكّارا، ولو كان على حقيقة المكر لَسُمِّي[7] بذلك، دل أنه جزاء. وجائز أن يكون المراد من مكره جزاء مكرهم. سُمِّي الجزاء باسم المكر لأنه جزاؤه، كقوله: وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا،[8] والثانية ليست بسيئة.* ٢٥٨و س٢٤]

وقوله عز وجل: **فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون**، فالآية على المعتزلة، لأنهم يأمنون[9] مكر الله في الصغائر حيث قالوا: الصغائر[10] مغفورة، ليس له أن يعذبهم عليها، فهو أمن من مكره. وييأسون من رحمته لقولهم في الكبائر أنْ ليس له أن يعفو عنهم، وقد أخبر: إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الكَافِرُونَ،[11] وهم قد أَيِسوا من رحمة الله في الكبائر وأَمِنوا مكرَه في الصغائر.[12] فهاتان الآيتان على المعتزلة.*

---

[1] ع: بمعنى.

[2] قال الشارح رحمه الله تعالى: «المكر في الشاهد هو أن يُراقِب مِن عدوِّه حالَ غفلةٍ لينتقم منه وينتصر، لكن في حق الله تعالى لا حاجة إلى المراقبة لقدرته على الانتقام منه في أي حالٍ شاء. لكن سُمِّي ما ينزل بهم في حال الغفلة مكرا بطريق المجاز، لوجود بعض ما في الحقيقة، وهو اعتبار حال الغفلة، وعدم وصف المراقبة. وهذا طريق المجاز في اللغة، هو المشابهة في بعض ما في الحقيقة. ونظير ما قلنا لفظة الامتحان والابتلاء تُستعملان في حق الله تعالى، وإن كان الامتحان والابتلاء فيما بين الخلق هو استظهار ما خفي عليهم بعضهم من بعض، فيأمرون بذلك وينهون ليظهر لهم ما خفي عليهم. فأُطلِق لفظة الابتلاء والامتحان على الأمر والنهي من الله تعالى -وإن كان ما خفي على الخلق من الخفيات ظاهرا في حقه- بطريق المجاز لما في الامتحان من الأمر والنهي» (*شرح التأويلات*، ورقة ٣٠٣و).

[3] م: أو جزاء.

[4] م - كما.

[5] ن ع م: السيئة. وانظر الآية الآتية.

[6] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾ (سورة البقرة، ١٩٤/٢).

[7] ن ع م: يسمى.

[8] سورة الشورى، ٤٠/٤٢.

* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه من تفسير الآية، فنقلناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٢٥٩و/سطر ٢٠-٢٤.

[9] م: يأمنوا.

[10] م - حيث قالوا الصغائر.

[11] سورة يوسف، ٨٧/١٢.

[12] ن ع م: عن الصغائر.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية متأخرا عن موضعه، فنقلناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٢٥٩و/سطر ٢٠-٢٤.

الفهارس

فهرس الآيات المستشهد بها

فهرس الأحاديث والآثار

فهرس الأعلام

فهرس الشعوب والقبائل والأماكن

فهرس الأديان والفرق والمذاهب والجماعات

فهرس الأشعار

فهرس الكتب

فهرس المصطلحات والأفكار الرئيسية

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

- *الإصابة*

في تمييز الصحابة؛ تأليف أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، تحقيق علي محمد البجاوي، بيروت ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.

- *بدائع الصنائع*

في ترتيب الشرائع؛ تأليف أبي بكر علاء الدين بن مسعود بن أحمد الكاساني، بيروت ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

- *تبصرة الأدلة*

في الكلام؛ تأليف ميمون بن محمد بن محمد النسفي المعروف بأبي المعين النسفي، تحقيق كلود سلامة، ١٩٩٠-١٩٩٣م.

- *التخويف من النار*؛

تأليف زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن المعروف بابن رجب الحنبلي، دمشق ١٣٩٩هـ.

- *تفسير الطبري*

... المسمى *جامع البيان في تأويل آي القرآن*؛ تأليف أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري، بيروت ١٤٠٥هـ.

- *تفسير غريب القرآن*؛

تأليف أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق السيد أحمد صقر، بيروت ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

- *تفسير القرطبي*

... المسمى *الجامع لأحكام القرآن*؛ تأليف أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري القرطبي، تحقيق أحمد عبد الحليم البردوني، القاهرة ١٣٧٢هـ.

- *تفسير مقاتل*

تأليف أبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي الخراساني، تحقيق عبد الله محمود شحاتة، القاهرة ١٩٧٩م.

- *تقريب التهذيب*؛

تأليف أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، تحقيق محمد عوامة، حلب ١٤٠٦هـ.

- *تلخيص الحبير*؛

تأليف أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، تحقيق السيد عبد الله هاشم اليماني المدني، المدينة المنورة ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م.

- *الجواهر المضية في طبقات الحنفية*؛

تأليف أبي محمد محيي الدين عبد القادر بن محمد بن أبي الوفاء القرشي، كراتشي بدون تاريخ (مير محمد كتب خانة).

- *الدر المنثور*
في التفسير بالمأثور؛ تأليف أبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي، بيروت ١٩٩٣م.
- *الدراية*
في تخريج أحاديث الهداية؛ تأليف أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، تحقيق السيد عبد الله هاشم اليماني المدني، بيروت بدون تاريخ (دار المعرفة).
- *روح المعاني*
في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني؛ تأليف أبي الثناء شهاب الدين محمود شكري بن عبد الله بن محمود الآلوسي، بيروت بدون تاريخ (دار إحياء التراث العربي).
- *زوائد مسند الحارث*
ابن أبي أسامة؛ تأليف نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، تحقيق حسين أحمد الباكري، المدينة المنورة ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.
- *سنن الترمذي*؛
تصنيف أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.
- *سنن الدارقطني*؛
تصنيف أبي الحسن علي بن عمر بن أحمد الدارقطني، تحقيق السيد عبد الله هاشم اليماني المدني، بيروت ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م.
- *سنن الدارمي*؛
تصنيف أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدارمي، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- *سنن أبي داود*؛
تصنيف أبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستاني، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.
- *سنن الكبرى*؛
تصنيف أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مكة المكرمة ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.
- *سنن ابن ماجة*؛
تصنيف أبي عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة القزويني، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.
- *سنن النسائي*؛
تصنيف أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.
- *سير أعلام النبلاء*؛
تأليف أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قيماز الذهبي، تحقيق شعيب الأرنؤوط - محمد نعيم العرقسوسي، بيروت ١٤١٣هـ.

- *السيرة النبوية*؛
لأبي محمد جمال الدين عبد الملك بن هشام بن أيوب المعافري، تحقيق طه عبد الرءوف سعد، بيروت ١٤١١هـ.
- *شرح التأويلات*؛
تأليف أبي بكر علاء الدين محمد بن أحمد بن أبي أحمد السمرقندي، نسخة مخطوطة بمكتبة سليمانية، قسم حميدية، رقم ١٧٦ [Süleymaniye ktp., Hamidiye nr. 176]؛ ومكتبة بايزيد، قسم ولي الدين، رقم ٤٢٦ [Beyazıt ktp., Veliyyüddin nr. 426].
- *شرح معاني الآثار*؛
تأليف أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي، تحقيق محمد زهري النجار، بيروت ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
- *صحيح البخاري*
الجامع الصحيح؛ تصنيف أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجُعْفِي البخاري، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.
- *صحيح مسلم*؛
تصنيف أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.
- *صحيح ابن حبان*؛
تصنيف أبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، بيروت ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
- *العلل*؛
تأليف أبي الحسن علي بن عمر بن أحمد الدارقطني، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله السلفي، الرياض ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
- *العلل المتناهية*
في الأحاديث الواهية؛ تأليف أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي المعروف بابن الجوزي، تحقيق خليل الميس، بيروت ١٤٠٣هـ.
- *الفردوس بمأثور الخطاب*؛
تأليف أبي شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه الديلمي، تحقيق السعيد بن بسيوني زغلول، بيروت ١٩٨٦م.
- *الفرق بين الفرق*
وبيان الفرقة الناجية؛ تأليف عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي، بيروت ١٩٧٧م.
- *الفصل في الملل والأهواء والنحل*؛
تأليف أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي المعروف بابن حزم الظاهري، القاهرة بدون تاريخ (مكتبة الخانجي).
- *القاموس المحيط*؛
تأليف أبي طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد الفيروزآبادي، القاهرة ١٣٣٠هـ.
- *الكاشف*
في معرفة من له رواية في الكتب الستة؛ تأليف أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قيماز الذهبي، تحقيق محمد عوامة، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.

- *كتاب التوحيد*؛
تأليف أبي منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي السمرقندي، تحقيق بكر طوبال أوغلي – محمد آروتشي، أنقرة ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.
- *كتاب السبعة*
في القراءات؛ تأليف أبي بكر أحمد بن موسى بن مجاهد التميمي، تحقيق شوقي ضيف، القاهرة ١٤٠٠هـ.
- *كشف الخفاء*
ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس؛ تأليف أبي الفداء إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي العجلوني، تحقيق أحمد القلاش، بيروت ١٤٠٥هـ.
- *لسان الحكام*
في معرفة الأحكام؛ تأليف أبي الوليد لسان الدين أحمد بن محمد بن محمد الحلبي المعروف بابن الشحنة، القاهرة ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.
- *لسان العرب*؛
تأليف أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، بيروت ١٤١٤هـ.
- *مجاز القرآن*؛
تأليف أبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري، تحقيق Fuat Sezgin، بيروت ١٩٨١م.
- *مجمع الزوائد ومنبع الفوائد*؛
تأليف نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، القاهرة - بيروت ١٤٠٧هـ.
- *المراسيل*؛
تصنيف أبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستاني، تحقيق شعيب الأرنؤوط، بيروت ١٤٠٨هـ.
- *المستدرك*
على الصحيحين؛ تصنيف أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد الحاكم النيسابوري، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، بيروت ١٤١١هـ/١٩٩٠م.
- *مسند أحمد ابن حنبل*؛
تصنيف أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.
- *المصاحف*؛
تأليف أبي بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق Arthur Jeffery، القاهرة ١٣٥٥هـ / ١٩٣٦م.
- *مصباح الزجاجة*
في زوائد ابن ماجة؛ تأليف شهاب الدين أبي العباس أحمد بن أبي بكر بن محمد الكناني البوصيري، تحقيق محمد المنتقى الكشناوي، بيروت ١٤٠٣هـ.
- *المصنف*
... *الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار*؛ تصنيف أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، تحقيق كمال يوسف الحوت، الرياض ١٤٠٩هـ.
- *معاني القرآن*؛
تأليف أبي زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله الفراء؛ تحقيق إبراهيم شمس الدين، بيروت ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.

- *المعجم الأوسط*؛
تصنيف أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تحقيق طارق بن عوض الله الحسيني، القاهرة ١٤١٥هـ.

- *المعجم الكبير*؛
تصنيف أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، الموصل ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م.

- *المعجم الوسيط*؛
تأليف إبراهيم مصطفى وآخرين، القاهرة ١٩٦٢م.

- *مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين*؛ تأليف أبي الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق الأشعري، تحقيق Hellmut Ritter، بيروت بدون تاريخ (دار إحياء التراث العربي).

- *الملل والنحل*؛
تأليف أبي الفتح تاج الدين محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، بيروت ١٤٠٤هـ.

- *الموطأ*؛
تصنيف أبي عبد الله مالك بن أنس بن مالك، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.

- *النشر في قراءات العشر*؛
تأليف أبي الخير شمس الدين محمد بن محمد المعروف بابن الجزري، تحقيق علي محمد الضباع، بيروت بدون تاريخ (دار الكتب العلمية).

- *نصب الراية لأحاديث الهداية*؛ تأليف أبي محمد عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي، تحقيق محمد يوسف البنوري، القاهرة ١٣٥٧هـ.

- *النهاية في غريب الحديث والأثر*؛ تأليف أبي السعادات مجد الدين مبارك بن محمد ابن الأثير، تحقيق طاهر أحمد الزاوي – محمود الطناحي، القاهرة ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م.

- *الهداية شرح بداية المبتدي*؛ تأليف أبي الحسين علي بن أبي بكر بن عبد الجليل المرغيناني، بيروت بدون تاريخ (المكتبة الإسلامية).

دارالميزان
MİZAN YAYINEVİ